

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم *

قال العبد الفقير الى من خلقه وسواه * الغنى
به تعالى عن سواه * عبيد الله الراجي سترة
الجميل * وعفوه الجليل * عمر بن علي الجزائري
الراشدي امده الله بمدد لطفه * واسبل عليه
سرايا حنانه وعطفه * بمنه وكرمه آمين
الحمد لله الذي اورد اولياءه موارد الكرامات صدرا ونهلا * وجعلهم لورائته
الاسرار القنيسة من انوار النبوة الحمديّة اهلا * وسافر بهم سفير عنايته الى
اقليم ولايته * فدا سوا دونه حزنا وسهلا * وناداهم وقد ارتفعوا في كريمة
خدمته * من حظي التلوين الى بقاء التمكين اهلا بالسعداء وسهلا * واختصهم

هذا كتاب ابتسام الغروس * ووشي الطروس *

في مناقب قطب الاقطاب * والفوت المتجا اليه بلا ارتياب *
السامي مقامه * الذي انشرفت على آفاق البسيطة اعلامه *
المحي رياض علوم الحقيقة بعد الدروس * وحيد دهره *
وفريد صوره * سيدي احمد ابن عروس * قدس الله
مريجه * واسكنه من الجنان فسيحه *
تاليف العالم العلامة * البحر الحبر اللهاية *
من لا زالت الفضلاء بنيرات فوائده
تهنئ * الشيخ سيدي عمر بن
علي الجزايري الراشدي *
بردد الله ثراه * واسمى
قدره ومشواه *
آمين

طبعة اولي

بمطبعة الدولة التونسية * بحاضرتها المحمية *

سنة ١٢٠٢

دون كثير بمزيد عنايته لم تبق منهم لسواه بعضا ولا كلا * ولم تدع فيهم
سبغية الحسنى السابقة متشاقلا عن طاعته كلا * فهم ذائبون نشوقا اليه
دائبون على ما يقرهم زلفى لديه نهارا وليلا * قد شدوا حيازيم عزماهم
في مرضاهم وشهروا لذلك ذبلا * وهجروا من اجله المضاجع وهوى لبني
وليلى * فما يعرفون الى سواه ميلا * ولا يطلبون بدعاول اعمالهم الصالحة من
معادن فعرانس نفائس مناقبهم الجليلة على منصات الشجر الصميم
حقائقهم بها تزاح عنا حنادس ظلم لاغيار وتجلي * احده سبحانه
حمد مودد لا يضم لقدم قدم توحيدة عن بساط الرسوم
الله تعالى في ابدية ازيلته ليس كمثله شيء عقلا ونقلا * ونشكره
سبحانه وتعالى على نعمه التي والى ارسالها واولى * شكر من اوجب محبة في
فريضته وقد صاقت لاتساع النعم عولا * ونضرع اليه ضراعة من لا يملك
لنفسه قوة ولا حولا * ونصلى على سيدنا ومولانا محمد الباهر المعجزات فعلا
وقولا * الرسول الذي رفع تعالى قدره العظيم لديه واعلى * وجعله افضل
المرسلين واجلهم مقاما واعلى * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
مدائحهم بين احبار نقلة الاخبار ابدا تعالى * وشواهد مشاهدتهم الجليلة على
تقادم الزمان لا تبلى * ما جدد المشوق له وصلا * وسلم عليه محبة وصلى *
أما بعد فاني لما وصلت في شعبان عام سبعة وخمسين وثمانمائة للحضرة
العلية ترشيش * وشاهدت منها مقام صاحب النواله والعريش * وهو الشيخ
الذي سما في مقامات الاولياء قدرا * وطلع بين زهر نيراتهم بدرا * واثبت
في ديوان شرفهم لاصيل صدرا * واقترع طريق التصريف وكانت في
وقته قدرا * واذعن لباهر سره كل رئيس من المصنفين ومروءوس * وانطلق
بالبشر لامره الخارق محيا كل عبوس * واكتنف بغنايته القطر لافروقي وهو
في حمى حمايته بكلاءة الله محروس * سيدي ابو العباس احمد ابن
عروس * وشاهدت بترددى اليه ما اقل فهمي * وكل دون بلوغ الغرض
سهمي * ولبس علي يميني بوهمي * فاني اذا نظرت اختلاقي اجناس

ببعض
بالاصل
وهكذا كل
ما تجده
من البياض
فانه تبع
للاصل
المنقول منه
لدينا اه
مصاحفهم

العاكفين ببابه * الواقفين وعليهم شعار السكينة من هبة جنابه * وهم يتشاكون
أوصابهم * ويتشاكون ما أصابهم * بين يديه وهو في سر امرة العجيب * بين
منصت لهم ومجيب * لفرط الالحاح ابعاده * ويستفزعهم فرحا
اسعافهم واسعاده * البركة ابراقه وارعاده * وهم يتهادون
فيما بينهم مناقبه
العالى حفيلا بمن لا ذبه والمنكرون

من ذلك صرته لازم وان نظرت الى مصادمة تلويته
ظاهر الشريعة * والنفس كما قد علم الى التقليل سريره * كان ذلك الى
سوء الاعتقاد ذريعه * فاقف لذلك بين اجماع واقدام * واتوقف في حالي
جبان ومقدام * ولست ادري لاستيلاء حيرتي اى محل بصميرى احله *
وحل ابرم عقد اعتقادي فيه او احله * الى ان كشف لي يمين كشفه عن
الحق القناع * وخاطبني عما في طي سرائري بما فيه افناع * ووضح من
خبايا خفايا النفس ما اوجب عن لوايح القدح انتقالي * وابان من ذلك
ما قضى بارتباطي دون ساحل بحره وانتقالي * فما بعد الهدى لهتد هذيان *
وليس الخبر كالغيان * ولم يبق لدى سوى توحيد الاعتقاد الصريح *
والجزم بذلك في حالي لايماء والتصريح * وتحتم التسليم له فيما يخالف
ظاهرة المعقول * وتصدق خفايا سره عن مدركات العقول * وما زلت بعد
انقلبي من تونس مقبلا في امرة على هذه الحاله * مصمما عليها تصميما
لا تاحق به بحمد الله استحاله * والناس اذ ذاك في امرة رضى الله عنه
ما بين معتقد معرض * ومعتقد لدفع المعارضين معرض * وسلم الامر فيته
الى الله تعالى مقبوض * وقد كان الامر فيه فيما سلف عن التاريخ ومن ادعى
مما ادركت بعينه على ما قيل وامر وذلك انه رضى الله عنه مع اطلاع كثير
على مناقبه الباهرة * وكراماته الجليلة الظاهرة * يخرب بمعاول تخريبه
من معتقديه قواعد العقائد * ويسوق من لاذوق عنده الى الطعن فيه بكل
سائق وقائد * اما المطلع على مقامات القوم الغريبه واحوالهم المختلفة العجيبة

وخصوصا ان ذاق او شم بعزنين كماله لديه
اشم لا يقدح عنده مع شاهد الكرامة عارض
من مقتضى اعتقاده ويقينه واما

بل اذا عاين امرا ينافره طبعه سرح لسانه وقال * وصرح
بالانكار ما حجا وعليه بات وقال * وراى ظهور ذلك منه لحكمة كثف عقله
عنها عشرة لانقال * وهو عن شم عبير نشر احواله مزكوم * وعلى فهمه الشاقب
لديه سحاب مزكوم * ولو انه حين ضاقت حواصل تحصيله عن ادراك
كنه مقامه العلى * مع وضوح برهان مناقبه القاطع الجلى * سلك بنفسه
مسلك التسليم * وعلم ان فوق كل ذى علم عليم * ولم يجب في امرة
لوجود موجب الحيرة بنعم اولا * لكان اسلم له من المخاطرة بنفسه النفيسة
واولى * فكثير ممن نبذ من احوال الشيخ رضى الله عنه بقلة انصافه * جميل
تخلقاته وجليل اوصافه * وتوسك في اقامته معروف النكير عليه
بزعمه بالطرف الآخر * وطعن في باهر احواله ان رآه تالون او فاخر * لم
يفق من غمرته الى ان زلت به القدم * وخو صريعا لليدين والقم * وعاد
نهاره والغياذ بالله ليلا * ودعاوه ولا عاصم من امر الله ثبورا وويلا * وما زال
القلب كله رهنا مني لديه * متطلعا طول غيبتي الى الشول بين يديه *
لا يثنى عنان عنايتي عنه من فدا ارواح * من هذول كاشح اولاح * وانا
في اثناء ذلك ينعشني حديثه * ويزعجني اليه من الشوق حثيثه * الى
ان اوصلتني اليه في اواخر عام خمسة وستين وثمانمائة مزعجات لاقدار *
بعد حد من طول الغيبة ومقدار * وادرك القلب من ذلك ما كان
يختار * وهو غير طائع في ذلك ولا مختار * فوجدت المقام وقيم جلاله
ونقيب مناقبه الجليلة يبرق ارواء ويرعد * ومتصرف

الطالبين على كثرتهم ويسعد * ومنور المنار قد فشيته في

السكينة زينتها المهابة فنور خشية وقارة

وهو رضى الله عنه في حالي ادبارة واقباله * كالليث يزار كاشرا دون اشباله

لا يكاد يملأ الناظر منه لموضع جلالة طرفه * ولا يطبق لوقع محبته من
حبه قلبه اجالة نظره لسواه ولا صرفه * والقلوب كلها على تعظيم قدره
مجمعة * والنفوس إلا من ندر وشذ على كريم اعتقاده مجمعة *

وصولته عزة المنكرين عادت بحمد الله في طي افئدتهم ذله *

وكثرتهم ويأبى الله إلا ان يتم نوره * قد استعالت الى قلبه *
وارتفع الشك باليقين * وكانت العاقبة لليقين * ولم يبق احد في علمي ممن
كان يريد اذائهم يغشى المقام ويرتاده * ويستميله هواه الى مجاهرة النكير
ويقتاده * إلا وقد ثنى عنان عنايته الى نشر الشفاء الحميد عليه * وامالته
نسما تدهاه * الى ان عاد وقد كان عاداه * قرعة بينه * ولم ار إلا من
حسننت في مرآة ظاهر اعتقاده الحسن حالته * وحفت بقدر انارة شاهده
الحسن حالته * إلا انه ربما يذكر ان هنالك من يتعرض لشناره * ويعرض
لرمد بصيرته من اشراق انوار مناره * لكن بحيث انه اذا استقصى من
ذلك تقاعص * او سئل عن تحقيق هذه الظنة اطرق عن الجواب وتناص *
ولا طاقة له على اظهار ذلك واشاعته * واعلان ما خشن منه اولان واذا عته *
خشية ان يسلك به مسلك من في جبل هلاكه احتطب * او يناله ما
نال المتعرض للاعتراض من معالجة العطب * وانما يناجي بذلك امثاله *
ويد المقت لو كان يعلم تصفع قذاله * هذا ويوشك ان لو شيك للجما
مضطرا اليه * واوقف رغائبه ولسان صراخته طليق عليه * وبلغ بين يديه
من المبرة له والتعظيم الغاية * ورفع يمين اذعانه من اعلان التوسل به
رايه * واظهر الترهيب ترغيبه واعترافه * وانساء اضطراجه اجترامه

واقترافه * قيل لبعض

لك الطاعة * لم يرتكب للناسي واجبات حقوقك كبير اصاعه *

فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا
فلا جرم افي لما شاهدت بملازمة المقام هذه المشاهد الجميلة * وتحققت
لائبات قواعد عقيدتي فيه صححة شواهد الجليله * وصديق كبير حسن

طني به وقد انشع الغبار قبيله * ملكت غرامه كل شعب من ولاعي
وقبيله * وسلكت بنفسى لتعظيمه مسلك من مهد غصن لادب سيله *
وجعلته لكل امل اكابد تحصيله بركة كافية بين يدي ذلك ووسيله *
ومحوت من اكنة ضماثي متقادم آثار تليس ابليس * باعتقاد جازم انه
من قوم لا يشقى لهم جليس * ورمت لما ان عيل بما عاينته من علوقه
صبرى * وصاق بحمل اعباء ذلك السر صدى * ان استعبد لخدمة
امداحه فكري * واعطر بذكره المتارج العطر ذكرى * لكن لم ينهض
لذلك جواد غزى * ولم ايسر له وقد اصغت حزى * ولم ازل مريدا
لاتمام الغرض من ذلك غير مراد * وللنفس في هذه الموارد بحسب تلواناتها
اصدار وابراد * الى ان آنت من جانب طور لا تقطاع لنيع جناحه نارا *
وخلعت في هواه متخليا عن كل هوى عذارا * فحينئذ ناجاني الفكر الذي
نصب فرائه * وكلت لتناسق غارات الكرب اذاعه * ان استفتح بفنائح
امداحه من ابواب الفتوح كل مغلق * واستخرج بغواص لا خلاص فيها
من سنى الآمال ما هو في بحر التناسي مغرق * اعتمادا على سفير الظن
الحسن * لا على زور تزويق فضول اللسن * فكافي ملت الى ما املت
من مناجاته * واملت قريحتي الى ارشاد سر مداحاته * عالما بافي في
ذلك كمن اهدى لاصداف الى الدور * اوساق الى البحر المحيط بمناقع مواقع
المطر * واستخرت الله تعالى في ذلك واسترشدت ورفعت والعجز

طهر ثيابك من هواك الفسافي ان الهوان مع الهوى الفسافي
ودع الرباب وربته الخدر السقي نصبت حبات سحرها الفسافي
واجعل كمالك بالتقى ان التقى ان صح فقد اعدا لاركسان
فالتقون هدائنا ويهديهم لجناته يهدي الطريد العسان
نالوا الهداية فانخدعوا وكانهم قد عاينوا العقب بعين عسان

قطعوا علاقتهم من الدنيا التي اررت بنا وتزهدوا في الفان
 فهم الملوك وقد تصاعل عندهم من الملوك لعز ذلك الشان
 اولاهم مولاهم الملك السدي لا ينقصى سلطانهم لا وان
 بوجودهم حفظ الوجود وجودهم مع القصى من الورا والبدان
 وابو الصرائر غوثهم وامامهم في عصرنا بقواطع البرهان
 جمع الذي فيهم تفرق وارتهقى للمجد لا كسلا ولا متوان
 ركب المجلى والمصلى للعللى وجرى لسبقهم بغير عنان
 فخلا له المصمار سبعا وانتصسى سيف العناية قابضا بسنان
 فله التصرف فيهم حيث اقتدوا لم يختلف في ذلك منه انسان
 ولهم الى على مكانة قدس دره في كل آن هشة الولهان
 بهر العقول خطيبه بخطابهم في موكب التسليم ولاذعان
 عنى خذوا فاننا المطاع لديكم والوقت وقى والزمان زمان
 اين الجنيذ فهذه سطواتهم ظهرت على يد عالم بالشان
 على المقام له رسوخ في العلى سامى المراقى لا يقاس بشان
 معمكن جعل التلون جبهة

تحريك همة العلية جابسر كسر الكسير مومن للجسان
 كم مبعد ادنى ورفع خاملا وازاح خوفا من كتيب سان
 واعز ذا ذل واقفى آملا منه الغنى فورا بغير تسوان
 او ما ترى ترشيش لما حلهمسا حلت به شرفا ذرى كيوان
 ولدت ودوحة حسنهما كمقامهم طيب الحياة به جنى دان
 وسمت وقد وسمت بعز شامسح فوق السها وذوائب السرحان
 وجلت مروس جمالها فجللت بردا به تاهت على البلدان
 وتعرضت لامانا وهو ابهسا فاجابها انى عليك البسان
 عجبا يعاطى أمه كاس الهوى صرفا ويحيى كافلا بصمسان

ولكم اقام مقامه فيها فتي قد اتعدته طوارق الحدسان
 ولكم شفى من علة اودت وكسم اخفى سناء بوارق الاحزان
 بمقامه لذ واستجر بجواره فهو الكفيل بعزة وامسان
 واحفظ وقارك عنده متادبسا واذا تفاخر خسر للاذعان
 وات المقام مسلما وسلمسا واترك لديه تخيل لاذعان
 لو قد فهمت لهمت من اسراره وبرزت ترفل في حلى لاذعان
 انقاس اسرار بحكم طواهره ويذوق صاح نشوة السكران
 فاذعن وسلم واطرح عنك السنى وانغم فلاحك فالهوى متسدان
 ما شئت قل او قف بساحل بحره متحيرا امران معتسدان
 فالبحر طام والفهم كليلسة من درك ما لم يختلج بجنسان
 لولا التهاب جوانحي بغرامهم لم ابتكر امداحه بيسان
 هذا مقام جل تنى خطورة ما الى بصوغ المدح فيه يسدان
 لا كنى مستعبد لكما لسمهم ومملك والمحب فيه دهسان
 اضمرت ما الى التلب من شغفى به فاني الهوى للآ انطاق لسان
 وكتمته جهدى فظهر معننى بهواه ما بين الورى كنسان
 فاليوم لو اخفيت ذاك ومذهبى خلع العذار بحبه اخفسان
 يا ماجبا الجاني وكهف مسلاذه خفطى لرفعك سيدى الجسان
 بالفتح جردوا منه فانا السدى ذلى بساحل عزكم القسان
 هذا بساط فتوحكم وقد انطوى هذا البساط يجود بالاخصسان
 ولقد طمنت واننى بسماحكم ارجو مناهل مورد الظمسان
 اولست اكسير الكسير وجبيرة وغيث ملهوف ونصرة مسان
 ولقد وقفت ببابكم متطفلا وهصال داعى طبه اعيسان
 عار عليك وانت نجح مقاصدى اقصى وصدقى في الهوى اذنان
 حاشا كمالك ان اراك لمقصدى اعل وذوق القصد منك تسدان
 فبهقى اخلاصى وصدقى محبتي جودوا على فذا همسى اردان

وتعطفوا كرمنا وحنا وارحمنا ———— وصلوا فقد اخفى لاسى انسان
لا تطردوا من امكم وشفيكم ———— مدح جناها يستفز الجــــــــــــان
قد قالها كى ما يقال عثــــــــــــارة لا كى يقال اجساد فى لاوزان
فاجز باسعاف المراد مدائحسى ———— فلقد انت تحكى
واقول وصل حبلى بهمتك السقى ———— ان ساعدت رقت اعز مكان
فوسى خويدم بابكم هدر السدى

واقول جعلتك ملجأ وموــــــــــــلا وجعلت قربى منكم قربــــــــــــان
هذا المديح عليكم اوقــــــــــــتكم ووقفت عن خجل لعجز بيــــــــــــان
وهجرت غزلان النقى وتــــــــــــــــــــزلى ونسيت فيك اوانسى وقــــــــــــيان
فاليم انت نجى سرى والهوى قاص بانك بعد ذا سلطــــــــــــان
فاذا نطقت فالبرضى منكم وان صمت اللسان فانتم بجنــــــــــــان
لى منكم لامل الكليل بكل مسا ارجوه قربا من الرحمــــــــــــان
وبنيل املى ودفع لمــــــــــــــــــــة ارمى بها فالدهر ذو الســــــــــــوان
ولكم وحب الاولياء ولا يــــــــــــــــــــة حب املك صفوة اركــــــــــــان
وعلى مقامكم العلى ومن بـــــــــــــــــه والمحاضرين سوى العدو الشــــــــــــان
ازكى سلام عرفه متــــــــــــــــــــوع ما غردت قمرية لافــــــــــــصان
وعلى الرسول المصطفى المختار من ازكى نجار فى ذرى عدنان
منى صلاة منبرى شميــــــــــــــــها متكفل بالروح والريحــــــــــــان
وعلى صحابته الكرام والـــــــــــــــــه والتابعين الهدى بالاحــــــــــــسان
ما اطربت صبا صبا وتــــــــــــــــــــمت وسط الرياض شقائق النــــــــــــمان
وكان انشاد هذه القصيدة التى هى مفتاح الخيرات * وفاتحة الحسان
والخيرات * فى غرة شهر شعبان عام ستة وستين وثمانمائة ولم اكن جريا
على انشادها بين يدى من انتسبت الى علاه * وتجلت بيا مرحلاه * اوضع
القاهرة * وموقع جلالته الناهية الآمرة * فكنت الخير لذلك

منشدا من السن العرب المباني ويذهل ترجمان
افصاحه عن الاصغاء

احد سن ادناه من الشيخ انماوه

الرنجيزى فارقت على المدحة الماثورة * والقصيدة
المذكورة * فاطهر بها وقد شاهدها لاعجاب * وجال بها آفاق الافاقه وجاب *
واختار لآخرى ان يكون هو المتولى لانشادها * والمظهر للسامعين مآثر ارشادها *
فلما فتحها بين يديه الكريمتين * وانشد منها بيتا اويتين * قال الشيخ رضى
الله عنه كالنكر على عدم انشادها بلسانى * وموقفى منه بحيث لا يشاهد
لكثرة الواقفين بين يديه انساى * اتانا بالبطاقة ثم قال يقرأها من صدره *
وما خلت انه يعلم ما فى البطاقة ولا يدري حقيقة امره * فكنت اعد
ذلك له كرامة خارقه * وجهته بين الشك واليقين فى امره فارقه *
وتقدمت اخترق الصغوف اليه * كافى مقاد بزمام الارغام * وجلست بأمرة
بين يديه * مباشر للرقام * ثم افتتحت لانشاد بعد ما امرنى ان اقول *
وقد ادركنى من هيته ما يدعش العقول * وعند قولى اين الجنب فهدت سطورانه
مد يده الكريمة لتناول القصيدة واستدعاها * واكملها نظرا على غير ترتيب القراء
واستوعاها * وجعل يقول لى فى اثناء ذلك هذه كرازة بالزاي هكذا فاقول
نعم فيقول كيف تقرأ هذه فاقول كما تامل ثم انه امسكها كما يمسكها القارئ
ونظر فيها مليا ثم قال هذه با وهذه تا وهذه ها وهذه ميم ذكر هذه الحروف
لاربعة ثم رمى بها الى وقال اقرا من الباء فقال بعض المحاضرين مرادة باء
البسلة فابدا من اولها فقال له الشيخ خله هو يعلم من اين يبدأ فبدأت
من البيت التى نصت على اسمه وهى *

بوجودهم حفظ الوجود وجودهم هم القصى من الورا والســــــــــــدان
فاستبشر لبدأتى من هنالك * ووقع فى نفسى ان مرادة اعادة مدحه من
اول بيت ذكرت اسمه * فى المعالى رسمه * ولم يزل رضى
الله عنه عند آخر الكثير من ابيائها يقول ايه ايه الى ان ختمت القصيدة

وضحك رضى الله عنه حتى بدت نواجذه *
وعند الختم قال له المرنجيزي

جملة اولادك وفي زمانك قال نعم قال وواخيت بنى وبينه
قال نعم فتصافحنا بين يديه رضى الله عنه وهو يلاحظنا ثم امرنا بالانصراف
فقلت وانا لا اجد ثقلا مما كان من ادراك الحشمة بانشادها عظم على *
وكانا وقد تلقاها بالقبول سيقى الدنيا بخذا فيرها الي * اما القلب القلب
فلا ارتاب انه من يومئذ انقلب لصلاح اعراضه * وكادت نزاله ليمن
مزاملة همته العلية امراضه *

فلله منا الحمد من بفضلهم فلينا بها عن حصرة عجز الحسد
نظمتنا بسلك راق رونق حسنهم فمنهم العطا منا ومنا له الحمد
وما زلت من حين خبا من لهب سوء الظن به وقدة * وصح من حسن
احتقادي فيه عقدة * وانتظم في جيد اجادته بعون الله عقدة * متطلعا الى
كامل يمد الى كتب مناقبه بنان عزمه * ويصرف الى تدوينها باكورة
همه * ليمتع بها قلوبا صادقة واسماعا * ويوسع الداني والفاصى ايقاظا
واسماعا * ويزيح عن افق كمال الشيخ بطولع شمس معارفها من غيم
الشبه ما عرض * ليزداد الذين آمنوا ايمانا ويرتاع من في قلبه مرض * فلم
يقدرلى على ما يعتمد عليه في ذلك عثوره * ولم تظفرلى يد البحث بما هو
في الغرض ماثوره * وليس الا فتى رام ابرام ذلك فلم يستطعه * ومالجه امالة
عزمه نحو كماله فلم يطعمه * والعجز منوط به ان نهضت الى ذلك
يقعدنى * او دنوت براند همتى مستشرفا نحوه فيبعدنى * وتلون الزمان
على شئ من ذلك لا يسعدنى *

فلله في منع الموانع ما يجسأى ولله في قطع التواطع اضـرع
ولى منهل بالصدق رمت وروده * وغالب ظنى اننى سوف اشـرع
لكن لما لم اجد في مبتغاي المامول ما يثلج صدرى * ويطلع من افق افاقه
بدرى * وكان قصورى

النوب المزمنة عليه * والقرائح لاندمالها بفوت آمالها قريحه * والقلوب
لفرط ثقلها في نصال الكرب جريحه * ولا صارف للنفس عما وجهت اليه
وجهة اهتمامها وارادته * ولا راد لها عما وطأت اكنافه بمنازله المخصبة وان
نادته * رايت ان نحتم تقديم سفير الاستخارة * ميمون النقية في ذلك محمود
السفارة * ثم استشرت بعد الاستخارة من على قواعد اشارته اسست من
هذا لاصل دعائهم * وبيمين يمينه علفت يحى اجادته الحالى ثوائمه *
فاشار بتوقف الامر على استيذان الشيخ في ذلك واستمارة رضى الله عنه
في سلوك هذه المسالك * اشارة اورثت حزما ونبلا * وراشت لاصابة
الغرض المبتغى نبلا * فاجبته الى ما ارشد امره اليه * ووقف ايناسه عليه *
وما كنت ارى ان الشيخ رضى الله عنه يرجع في ذلك خطاها * او يبدى
في غرضنا جوابا * فاذا به وقد سئل ايماء اجاب بالاذن تصريحها * وابان
لنا في مرادنا المطلوب امراضها * وما اقتصر على ذلك حتى اكده باشارات
تفهم الغرض وتلميحات * واكمل طرز محاسنه بنيد تنور الافهام وتلميحات *
فجعل يقول عقب لاذن فرست لك القصب الخلو في وسط البحر وعملت
له هروقا كثيرة ثم قال لكن القصب الخلو اذا بقى على حاله لم يزل
اخضر ناعما وان خرج نيس واسود ثم امسك بيده عودا وجعل يقول وقد
اوقفه بين يديه واخرجت له من هنا ولدا ومن هنا ولدا ومن هنا ولدا
واشار الى اماكن ثلاثة من العود * اشارة لا يفهمها الا من تنورت بصيرته *
واشرقت بانوار يقينها سريره * فعند هذا تقدمت لنظم قلائد

فامرته * وابدا ما بطى سرائرى من ذلك ابرمته * غير
مكتوث بعارض سوى ولا متعرض لمعارض بمقام
مخدومنا الكامل غير بصير سالكا في ذلك مسلك
نهض لنصرة قادر منتدب في خفصه لرفع مقام اعلى رتبة المصادر موملا
بتقيد ذلك اطلاق من اعتقته في امر الشيخ

حقه ليهو تصرفاته علامته ورسومه قدم ولايته الكاملة غير مفتقر الى
 برهان * ولا يحتاج في مكانة تمكنه الى استهان اورهان *
 وليس بثابت في اوجهم شمسى اذا افترق النهار الى دليل
 ولكن للنفس في معرض الاعتراض اقبال وادبار * وكما لها بحسب واردات
 احوالها ازدياد واعتبار * فرب فتى استماله اول خاطر يطمنع بسواعها قلبه *
 ويسهل اذا تليت عليه آياتها الى سبل الخيرات جلبه * وهذا وان كثيرا ممن
 تلقى اخباره رضى الله عنه من ملاقة الرفاق * اوساقه سائق القدر الى
 مقامه من سائر الافاق * مال الى اعتقاده لاول وهله * وصدر وقد امتلات
 خاضعته ريا باول نهله * وهو لم يحصل بعد من امره على حقيقته * ولا
 حصل مما يوجب رسوم قدمه في محبته دقيقه * ولا اعتقاد لمن انسان
 تانيه عليل * ودعواه عند الابراد والاصدار مريية عن دليل * فلعل اطلعه
 على تدوين كراماته يزيل ريبه * ويظهر له من مقامه العالى غيبه * فيصعد
 له بذلك فجر البيان * ويسوق الخبر لديه الى مبادئ العيان * مع ما
 ارجوه لنفسى من ثواب التعرض بحماية حمى الى المعاضل * بلسان جلالة
 وجداله من منصبه العلى المرتقى في ذلك بحسن نيته الى اسنى المعامل *
 من اسمى العارج * المثلث له جهد استطاعته احسن المخارج * هذا وان
 لسان الحال يشدنى (لقد حكيت ولكن فائك الشنب) على انى لم
 ابق في كتابى هذا مرمى فيما قصده * ولا مرقى فيما رصدته * وبماغ نفس
 عذرها مثل منجى * وسميته ابشسام الغروس ووشى الطروس
 بمناقب التميمي ابي العباس احمد ابن عروس ورتبه على
 مقدمة وثلاثة ابواب * ولم اخله مما يفتقر اليه المقام من سوال او جواب *
 اما المقدمة فتشتمل من علوم القوم على فصول * وتحتوى على نبذ كافية
 منها واصول * تزيد المرید في امور القوم رضى الله عنهم

والباب الاول في

التعريف

التعريف بالشيخ رضى الله عنه وذكر بدايته وترتيب القول في احواله
 الدالة على صلاحه وهدايته * والباب الثانى في الكشف عن
 طريقته الباهرة * والرد على منكرى ولايته الظاهرة * والباب الثالث
 في ذكر طرف من مناقبه الجليلة * وكراماته التى هي باثبات ولايته
 كفيلا * ثم انى اعتذر لكل كامل حسنت اوصافه * وتكمل بين ارباب
 الصدور انصافه * وصاحبه في ورد امره وصدره انصافه * مما لا يكاد
 يخلو منه ديوان * او ينجو منه مصنف ولو اطله من علمه ايوان * فللقلوب
 لفرط ثقلها فترات * ومن الذى ينجو من العثرات * لكن قديما قيل لمن
 احسن وقد كثر عائبه (كفى المرء نبلا ان تعد معائبه) على انى لست
 من فرسان هذا الميدان * ومالى بحمل قناة ذلك الحرب يدان * وانما
 دعائى لاقتحام مخاصمة هذه الكلف * والتعرض لرمى من استهدف بما
 الف * تناكس اهل الزمان عن الاحتفال بما اوردته * وتنازعهم واهم رسوم
 القدم فيما اردته * ولو ان عنايتهم ابدت في مطاى ادنى مقال * لم اتحمل
 على صفة عجزى من ذلك انقاله * فلذلك انتدبت لجمع هذا الكتاب *
 معروضا فيه اما لمحة او عتاب

على اننى راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا لى
 ومن الله تعالى نستوهب السدد لاكمال والعون * وصرف التواطع عنا
 بادامة الكلاءة لنا والصون * كما نساله ان يجعله سفينة لنجاتنا يوم
 الفرع لاكبر * ومراقبة لسعادتنا في الدارين ويوم نقره المقدمة الرائقة *
 في العلوم الفائقة * اعلم حى الله قلبى وقلبك ويسر لكل صالحة

وحسن مذهبهم وتحقق حقائقهم وتمهد طرائقهم وتهذب خلافتهم * ليرجع
 المكذب بذكر ذلك الى الاحتراف * والمكابر الى طريق الانصاف *
 وتستبين لمن اراد الله به الهدى الحجة * وتقوم على من لم تصحبه عناية
 الله الحجة * ويكون للمصدق بهذه الطائفة لاجل تصديقه نصيب من

الولاية * وحظ واخر من العارفين * كما قال ابن عطاء الله رضى الله عنه
وقال الجنيد التصديق بعلما هذا ولاية واذا فانتك المنية في نفسك فلا
تقولك ان تصدق بها في غيرك فان لم يصحها وابل فطل وقال بعض العارفين
التصديق بالفتح لا يكون الا بفتح ومصادقه قوله عز من قائل ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور واذا اراد الله بعبد خيرا جملة من المصدقين لاولياء
الله تعالى فيما جادوا به وان قصر علمه عن ادراك ذلك فمن اين يجب
ان لا يهيب الله لاوليائه الا ما تسعه عقول العباد وقد قالوا يخشى على
المكذب لهم سوء الخاتمة والعياذ بالله وقد قل ابو تراب الخشبي من لم
يصدق بهذه الكرامات فقد كفر اى عطى الامر عليه وسر عنه شهود قدرة
الله تعالى فهم رضى الله عنهم كما قال الامام السهرور رضى الله عنه
صفوة عباد الله الذين البس قلوبهم ملابس العرفان * وخصهم من بين عبادة
بخصائص الاحسان * فصارت صفاتهم من مواهب الانس مملوءة * ومراعى
قلوبهم بنور القدر مملوءة * فنهايت لقبول الامدادات القدسية * واستعددت
اورود الانوار العلوية * والتخذت من الانفاس العطرة بالاذكار جالسا *
واقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا * واشغلت في ظلم البشرية
من اليقين نبراسا * وامتطت غراب الرغبت والرهبت * واستشرفت بعلو
همتها بساط الملكوت * واشتدت الى المعالي اعناقها * وطمعت الى اللامع
العالوى احداتها * بقلوب سماوية *

واشباح قرشية * بارواح عرشية * نفوسهم في
وارواحهم في فضاء القرب طيارة * ومذاهبهم في العبدية مشهورة

ياوح من صفحات وجوههم

مكتون سرائرهم قضاوة العرفان لا تزال في كل عصر منهم طائفة
قائمة بالحق داعية للخلق متعوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة * وجعلوا
للمؤمنين قدوة * فلا تزال تظهر في الخلق آثارهم * وتزدهر في الآفاق انوارهم *
من اقتدى بهم اهتدى * ومن انكرهم ضل واهدى * قال الاستاذ ابو

القاسم القشيري رضى الله عنه في صفتهم وقد جعل الله هذه الطائفة صفوة
اوليائه * وفضلهم على الكافة من عبادة بعد رسوله وانبيائه * صلوات الله
عليهم اجمعين وجعل قلوبهم معادن اسرار * واختصهم من بين الامم بطوالع
انوار * فهم الغياث للخلق * والدائرون في عموم احوالهم مع الحق بالحق *
صفاهم من كدرات البشرية * ورقاهم الى محل المشاهدات بما تجلى لهم
من حقائق الاحديس * ووقفهم للقيام باراب العبودية * واشهدهم مجارى
احكام الربوبية * فقاموا باداء ما عليهم من واجبات التكليف * وتحققوا
بشاميه سبحانه لهم من التقلب والتصرف * ثم رجعوا الى الله تعالى
بصدق الافتقار * ولم يتكوا على ما حصل منهم من الاعمال * اوصفا لهم
من الاحوال * علما منهم بانهم جل وعلا يفعل ما يريد * ويختار من يشاء
من العبيد * قللت فانظر رحمك الله الى انطلاق السنة هواء السادة *
بالثناء العطر على هواء لايمت القادة * والتفاقم على ان هذه الطائفة
الجليلة جميلة المذهب * جزيلة العطايا والمواهب * وكيف لا ومددهم من
الحقيقة المحمدية * وانوار ولايتهم دائمة الثبوت للزوم دوام الانوار النبوية *
ولهم احقيهم * وارثة العلوم النافعة * وشغوف المنزلة التي هي لاربابها
رافعة * قال ابن عطاء الله رضى الله عنه واعلم ان الانوار الظاهرة في اولياء
الله تعالى انما هي من اشراق انوار النبوة عليهم فمثل الحقيقة المحمدية
كالشمس وقلوب الاولياء كالاقمار وانما اضاء القمر لظهور نور الشمس فيه
ومقابلته اياها فالشمس

نهارا ومضيئة ايضا ليلا لظهور

نورها في القمر فقد فهمت من

هذا انه يجب دوام انوار الانوار لدوام ظهور نور رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيهم فالاولياء آيات الله يتلوا على عبادة باظهاره اياهم واحدا بعد
واحد تلك آيات الله نتلها عليك بالحق قال وقد سمعت شيخنا ابا العباس
رضى الله عنه يقول في قوله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها نأت
بخير منها او مثلها اى ما نذهب من ولى لله الا ونأت بخير منه او مثله

وقد سئل بعض العارفين عن اولياء العدد ايتصمون في زمن قال لو نقص
منهم واحد ما ارسلت السماء قطرة ولا ابرزت الارض نباتها وفساد الارض
لا يكون بذهاب اعدادهم ولا بنقصان امدادهم ولكن اذا فسد الوقت كان
مراد الله سبحانه وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فاذا كان اهل الزمان معرضين
عن الله موثرين لما سوى الله لا تنجع فيهم الموعظة ولا تهيلهم الى الله التذكرة
لم يكونوا اهلا لظهور اولياء الله فيهم ولذلك قالوا اولياء الله عرائس ولا يرى
العرائس الجرمون قلت اما اولياء العدد فقد فسرهم حديث ابن مسعود
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قل ان الله تعالى
في الارض ثلاثمائة رجل قلوبهم على قلب آدم عليه السلام وله اربعون
قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم
عليه السلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة
قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام وله واحد قلبه على قلب اسرافيل
عليه السلام فاذا مات الواحد ابدل الله تعالى مكانه من الثلاثة واذا مات
من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله
مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين
واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلاثمائة واذا مات من
الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة يدفع الله تعالى بهم

رضي الله عنهم قال الامام اليافعي رحمه الله

وذكر بعضهم عزرائيل ولم يذكر موسى وجعل مكانه ابراهيم
ومكان ابراهيم جبريل ومكان جبريل ميكائيل ومكان ميكائيل اسرافيل ومكان
اسرافيل عزرائيل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والواحد المذكور في
هذا الحديث هو القطب وهو الغوث ومكانته من الاولياء كالدقطة من
الدائرة التي هي مركزها بها يقع صلاح العالم فائدة قال بعضهم لم يذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه في جملة الانبياء والملائكة ولا اولياء
اذ لم يخلق الله تعالى في عالمي الخلق ولا مر اعز والطف واشرف من

قلبه صلى الله عليه وسلم فقلوب الملائكة والانبياء والاولياء صلوات الله
عليهم بالاضافة الى قلبه صلى الله عليه وسلم كاضافة سائر الكواكب الى
كمال الشمس قال ابو الحسن النوري رضي الله عنه شاهد الحق القلوب
فلم يرقبها اشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاكرمه بالمعراج
تعبجلا للروية والمكاملة وقال ذو النون المصري رضي الله عنه ركضت
ارواح الانبياء في ميدان المعرفة فسبقت روح نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ارواح الانبياء الى رياض الوصال وعن علي رضي الله عنه انه قال
البداء بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق والنقباء بخراسان والواتاد
بساير الارض والخضر عليه السلام سيد القوم وعن الخضر عليه السلام انه
قال ثلاثمائة هم الاولياء وسبعون هم النجباء واربعون هم اوتاد الارض وعشرة
هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد هو الغوث رضي
الله عنه وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال بدلاء امتي اربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر
بالعراق كلها مات واحد منهم ابدل الله تعالى مكانه آخر فاذا جساء الامر
قبضوا وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال ان الله تعالى عبادا يقال
لهم **الابدال** لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع ولكن بلغوا بصدق
الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة للجميع

اصطفاهم الله تعالى لعلمه واستخلصهم لنفسه وهم

الرجل منهم حتى يكون الله تعالى انشا من يخلفه وقال الشيخ الولي
الكبير ابو محمد عبد الله المرحاني رضي الله عنه الصديقون باقون الى نزول
عيسى عليه السلام وهم لا يبدل عددهم في كل الدنيا ثلاثمائة وما جاء الله
منهم الشهداء والصالحون فهم ثلاث طبقات وهم مقربون سابقون ايمان
صديق كايمن جميع الشهداء وايمان شهيد كايمن كل الصالحين وايمان
كل صالح بمقدار الف مومن من عموم المسلمين قال **والقطب** انما هو بديل
من ابي بكر رضي الله عنه ولانافي الثلاثة انما هم ابدال الخلفاء الثلاثة

بعده والسبعة انما هم ابدال السبعة الى العشرة ثم لابدال الثلاثمائة والثلاثة عشر انما هم ابدال البدرين من الانصار والمهاجرين وقال الشيخ الولي ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضى الله عنه القطب عبارة عن الخليفة

الذى يدور عليها شان الوجود وله جهتان جهة للحق متلاشية في احديته وجهة للخلق ثابتة للامداد والارثاء في مقابلة حجاب وزرائه ولهم جهتان ايضا جهة للقطب وهي متلاشية بالاصافة اليه والقطب يسرى لهم منه امداده وسبب ثباتهم لمقابلة وقوة لاخذ منه ولهم جهة للخلق ثابتة لتدبير من دونهم من اهل المقامات والعوالم فيضون عليهم مما يرد عليهم من القطب ويهم ثبات العالم كله فهم اهل التدبير والتربية ولولاهم لتدكدك الوجود ثم قال واعلم ان الآدمي نسخة العالم لاكبرى الجسماني والروحاني وكل ما افترق في الوجود اجتمع فيه وهو معنى الوجود كله جامع وصار قال الله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية فاصحاب الآفاق المقلدون اهل الدلالات في علم اليقين واهل النظر في الانفس هم في العيان اعنى عين اليقين ومن هنا قال عليه السلام من عرف نفسه عرف ربه فارباب البصائر فتكروا بعرفتها الحسيات والمعنويات فاذا سمع الله

منه قطبا واوثادا تناسب جسمانيته

والكبد والرئة

هذه جسمانية وتحاذيها اربعة اخرى السوداء والبغم والصفراء والدم وتحاذيها اربعة ايضا المجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة فتوام البدن وثباته وعدم انحرافه من استقامته هذه الاربعة وكذلك انحرافه وامراضه من انحراف احداها عن اتمداله وفي المقابلة من ذلك قطب روحاني واوثاد روحانية والخطاب لم يقع على القلب الصوري بل على الحقيقة الربانية لايمانية المودعة فيه فتقول حقيقة لايمان قطب له جهتان جهة من قبل الحق متلاشية بلا حجاب ولا واسطة وجهة من الخلق ثبات ونور

وعلم وعمل فذات لايمان قطب ولا بد ان يكون له اولية واخرية وظاهرية وباطنية تخلفا بالاول والاخر والظاهر والباطن ثم يرتقى منها الى قوله وهو بكل شئ عليم فيتصف بصفة العلم الحاوية فيكون للذات لايمانية المقدسة الظاهرة اولية وهي عبارة عن لازل والاخرية منتهى الكل واليها المرجع وهي عبارة عن لاابد والظاهر عبارة عن ظهور الحسيات من الهياكل والنقوش والاحكام والعبادات والباطن اشارة الى العلوم والمعارف والفهم فكانت هذه الاربعة اوثادا في عالم الحقيقة لايمانية الموهوبة من الحق لعبده بلا حجاب وهكذا تطرد الاشياء وهنا انتهى كلامه الراقى المكتسى اريدية الحقائق وقد ناسب بابدائه مجادته وظهر رضى الله عنه للناظرين اجداته وقل السهر وردى رضى الله عنه القطب هو الذى يصاحى المحضر ويجاريه في العلم والاحوال وهو رحمة الله في الارض وغياث لامة واليدل من النبي صلى الله عليه وسلم والوارث لبعض مقاماته وبعده لاوثاد الاربعة في نواحي الارض بمنزلة الخلفاء الاربعة وبعدهم الابدال الستة باقى العشرة المشهود لهم بالجنة وبعدهم النقباء الاربعة بمنزلة الاربعة اهل الدار وبعدهم النقباء وهم ثلاثمائة بمنزلة اهل بدر وبعدهم المقربون في الارض ومن مات من صدد منهم خلفه آخر من العدد الذى يليه ولا يزالون كذلك فاذا اراد الله خراب الدنيا

ولا نزاع ان الله تعالى اتما جعلهم رحمة

عمارة بلادهم بهم تستدفع الحن والبلايا وتستذهب المنح والعطايا ولكل طائفة منا بمقتضى حكمة مولانا طائفة منهم يحفظها الله بهاسرا واعلانا قال الشيخ الولي الكبير ابو محمد عبد الله المرجاني رضى الله عنه بموت العارفين تخرب القلوب وبموت العلماء تخرب القوالب فالمتوكلون غفراء المتسبين واهل الاستسلام غفراء اصحاب البحار واهل الاضطرار غفراء الجيوش واهل الذل لله تعالى غفراء المارك فاذا ذهب هؤلاء هلك هؤلاء وقال بعض الشيوخ لاقطاب سبعة لا ثامن لهم وكذلك الابدال والامين

وهم النجباء وكذلك لاوتاد والاقليم سبعة وهي التي قامت بها كلمة التوحيد
وكل اقليم منها له قطب وبدل وعين وورد والغوث رضى الله عنه فرد
زمانه وهو مقيم بمكة لا يخرج منها والخضر تجول في المشرق والمغرب
روحانيته وليس له حكم في الارض الا في اربعة اشياء افائة الملهوف
وارشاد الضال وبسط السجادة ان استحق ان يكون شيخا وتولية الغوث
والغوث حكمه على كل قطب ولاقطاب حكمهم على الابدال ولابدال
حكمهم على لاوتاد فاذا مات الغوث ولى الخضر قطبا بمكة ان يكون غوثا
وولى الغوث بدلا بمكة ان يكون قطبا وولى القطب بدلا بمكة ان يكون
بدلا وولى البدل لاوتادا فاذا مات الخضر والغوث حتى صلى الغوث في حجر
اسماعيل تحت الميزاب فاذا سقطت من الميزاب ورقة باسمه اعطى
مراتب الخضر واحكامه فاذا صار الغوث خضرا ولى قطبا بمكة ان يكون
غوثا وهذا دولا ب دائر الى يوم القيامة لا يخلو الزمان من خضر ولا غوث
والقطب يطلق باعتبارين اما غوث جامع ولا يكون الا فردا واما قطب
حال كحال ابي يزيد او قطب علم كحال الجنيد فكل واحد منهما قطب
لكن ليس جامعا قلنت وفي هذا القدر من هذا الفصل كفاية وعلى الناظر
الى اختلاف هذه الطرق واحوالها صرف العتاييد وقد انجز لنا في سياق
هذا الكلام ذكر الخضر عليه السلام ولم يزل ذكره في

وفي كرامات اهل الخصوص دائم الجريان والخلاف

في اسمه ونسبه وزمانه ونبوته وحياته وموته مشهور فارت ان اذكر من
ذلك حسب الحاجة اليه ما ذكره الجمهور اما اسمه ففي دءامة اليقين
قيل احمد وكثيره ابي العباس وقيل هو ارميا النبي عليه السلام وانكر وقيل
اسمه اليسع وسمى اليسع لان علمه وسع ست سموات وست ارضين
وقيل اسمه خضرون بن قاييل بن آدم ذكره جماعة وقيل الخضر بن فرعون
موسى وقال وهب اسمه اورميا بن جلقيا من سبط هارون بن عمران
وقيل غير هذا وتسميته اول تلقيبه بالخضر لما ورد في الصحيح عنه عليه الصلاة

والسلام من طريق ابي هريرة رضى الله عنه انما سمي الخضر لانه جلس
على قروة يضاء فاهتزت تحتها خضراء والقروة الارض المرتفعة وعن مجاهد
انما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وقال الخطابي كان
اذا جلس في موضع اخضر ما حوله والعرب تسمى الشيء المشرق خضرا
تشبيها بالنبات لاخضر واما نسبه فقيل هو من ولد فارس وقيل هو ايليا بن
ملكبان بن فالغ بن شالح بن ارفخشذ بن سلم بن نوح وقيل هو ابن
عاميل بن سمالحين بن اربا بن علقمة بن عيصو بن اسحق وان ابيه
كان ملكا وان امه كانت بنت فارس واسمها الهى وانها ولدته في مغارة
وانه وجد هنالك وشاة ترضعه في كل يوم من فتم وجعل من القرية
فأخذته الرجل ورباه فلما شب وطلب الملك ابوه كاتبا وطلب اهل
المعرفة ليكتب الصحف التي انزلت على ابراهيم وشيث كان فيمن اقدم
عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته
وبحث عن امه عرف انه ابنه فضمه لنفسه وولاه امر الناس ثم ان
الخضر فر من الملك ولم يزل الى ان وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي
الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه
الله تعالى وقيل امه رومية وابوه فارسي واما زمانه فقيل كان في زمن
افريدون الملك وقيل كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذي كان ايام
ابراهيم عليه السلام وبلغ نهر الحياة فشرب وهو لا يعلم وقيل هو بعض من
كان مع ابراهيم عليه السلام

اسرائيل ناشية بن منوص فبعث الله اليهم الخضر وقيل غير ذلك
واما اختلافهم في نبوته بعد اتفاق من لم يقل بها على ولايته فقد قال
بعضهم الخضر احد انبياء الله تعالى الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام
من بنى اسرائيل قال المازرى احتج من قال بنبوته بقوله وما فعلته عن
امرى فدل على انه بوحي الله وذلك من خصائص الانبياء عليهم السلام
وانفصل عنه من قال بعدم نبوته باحتمال ان يكون الخضر تلقى ذلك

عن نبي غيره امرة بذلك عن الله تعالى فصدق انه لم يفعل ما فعله من
امرة وقد احتج بعضهم لبوته بكونه اعلم من موسى ويبعد ان يكون
الولي اعلم من النبي وانفصل عنه بعضهم بان موسى اعلم بما تقتضيه
وظائف الشريعة وامور النبوة وسياسة الامم والمخضر اعلم منه بامور اخر
مما لا يعلمها إلا باعلام الله له من علم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما
وكان موسى اعلم على العموم بما تقدم مما لا يمكن جهل الانبياء لشئ منه
والمخضر اعلم على الخصوص بما اعلم من مخبات وحوادث القدر وقصص
الناس مما لا يعلم منه الانبياء إلا ما اعلوا به مما استأثر الله بعلم غيبه
وما قدرة وسبق في علمه مما كان وما يكون في خلقه ولذلك قيل المخضر انت
على علم من علم الله ملكه لا اعلمه اذا وانا على علم من علم الله عليه لا تعلمه
الا ترى كيف لم يعرف انه موسى بنى اسرائيل حتى عرفه بنفسه اذ
لم يعرفه الله تعالى به وهذا مثل قول نبيسا صلى الله عليه وسلم اني لا
اعلم إلا ما علمني ربي وقال تعالى وعلمناه من لدنا وفي روض الرياحين
وغيره الصحيح عند العلماء انه ولي من اولياء الله تعالى ليس بنبي واما
اختلافهم في حياته وموته فقد سئل محمد بن اسماعيل البخاري رضى الله
عنه عن المخضر والياس اهما في الاحياء او هما

فقال كيف يكونان في الاحياء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم تردن
ليلتكم هذه قالوا نعم قال لا يبقى على راس مائة سنة ممن هو اليوم على
ظهر الارض احد فقال بذلك طائفة من اهل

محمد بن عبد الله بن العربي رحمه الله وانفصل من قال
بحيائه عن هذا بان الحديث خرج مخرج الظنة بقصر الامار والتحذير من
الاقتزار والركون الى هذه الدار ولا نذار بيشيك النقلة الى دار القرار
وقد بين ذلك الراوى بقوله انما يعني بذلك انحرام ذلك القرن والله
اعلم وقال الحسن ومن وافقه بموته محتملين بقوله تعالى وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد وانفصل منه من قال بحيائه باننا قد نزلوا بموجب ولا

ولا يلزم منه موت المخضر ولا غيره لتقص عمر او طوله انما يلزم منه ان
الخلد ليس لاحد من قبله فيطمع فيه من كان ذلك القرن من اهل
او من غير اهل فسيقت الآية للتعريف بان مصير حيااة كل حي ممن
كان قبله الى انقطاع * بالقدر المحتوم المطاع * وان البقاء لا بدى *
والخلود السرمدى * ليس لاهل هذه الدار فيه اطماع * وللقائلين بموته
تمسك بطواهر غير سذة وحجج * ومن ذلك عند امعان النظر المستقيم والعوج *
واما الاخباريون ونهات الآثار كسفيان الثوري وابن المبارك وغيرهما فذهبوا
الى انه حي وانه يحج كل سنة ويجتمع هو والياس وخرج النقاش
حديثا يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عام إلا
والمخضر والياس وهما ابنا خالتيين يلتقيان في كل موسم بهمة لؤلؤ ولان ما شاء
الله ما شاء الله ما شاء الله لا ياتي بالخير إلا الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله
لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله كل نعمة من
الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله فوكلنا على الله وحسبنا الله ونعم
الوكيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه مسندا اليه نحو مما
تقدم إلا انه قال باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله
لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء
الله لا حول ولا قوة إلا بالله من قالها اذا أصبح امن من الغرق والحرق
والسرق حتى يمسي وعن الشعبي يلتقي المخضر والياس كل عام فيأخذ
هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا طعامهما الكرفس والكماة وقال عون بن
عمارة احسبه قال فيشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما الى قابل وقيل
ان المخضر في البخور فمن صل فيها واراد الله ان يهديه هداه به والياس
في البر فمن صل فيه واراد الله ان يهديه هداه به وحكايات الصالحين
قديما وحديثا بملاقاتهم متواترة * وعلى اثبات حياته الى الآن متعاضدة
توازية * تسال في روض الرياحين الصحيح عند الجمهور انه الآن حي
قال وبهذا قطع الاولياء ورحمة الفقهاء والاصوليين واكثر المحدثين قال

ومن حكى ذلك من جميع المذكورين أبو عمرو بن الصلاح ونقله عنه الشيخ الامام محي الدين النووي رضى الله عنهما واقرة وسال جماعة من الفقهاء الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه فقالوا له ما تقول في الخضر عليه السلام احى هو فقال ما تقولون لو اخبركم ابن دقيق العيد انه رآه بعينه اكنتم تصدقونه ام تكذبونه فقالوا بل نصدقوه فقال قد والله اخبر عنه سبعون صديقا انهم راوه باعينهم كل واحد منهم افضل من ابن دقيق العيد قال وهذا الذى ذهب اليه عز الدين من تفصيل العارفين بالله تعالى على العلماء باحكام الله تعالى هو الصحيح المختار عند المحققين من العلماء وفي لطائف المنن واعلم ان بقاء الخضر قد اجمع عليه هذه الطائفة وتواتر عن اولياء كل عصر لقارة ولاخذ منه واشتهر ذلك الى ان بلغ حد التواتر الذى لا يمكن جمده والحكايات في ذلك كثيرة ثم قال واعلم رحمك الله تعالى ان من اسكر وجود الخضر فقد غلط ومن قال انه غير خضر موسى او قال ان لكل زمان خضرا اولن الخضرية رتبة يقوم بها رجل في كل زمان فقد غلط ايضا والمنكر لوجود الخضر معترف على نفسه بان منة الله بقاء الخضر لم تواجهه وايته اذ فاتته الوصول اليها لا يفوته لايمان بها لم قال ولا تغتر بما مساك ان تقف عليه من كلام ابى الفرج ابن الجوزى في كتاب سماه عجالة المتظرة في شرح حال الخضر انكر فيه وجود الخضر وقال من قال انه موجود

ووسواس وحوس قام به واستدل على عدم وجوده بقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد قال فعجبا لهذا الرجل كيف استدل بهذه الآية ولا دليل فيها لان الخلود هو بقاء لا موت بعده وليس هو المدعى في الخضر انما المدعى طول اقامته يكون الموت بعدها فاعجبوا رحمكم الله برجل يصدق بطول بقاء الياس وينكر طول بقاء الخضر قال وما يروونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان الخضر حيا ازارني لم يشعبه اهل الحديث قال فان قالوا لو كان ذلك لنقل فانظم انه ليس كل شئ

اطلع الله عليه رسوله صلى الله عليه وسلم يلزمه الاعلام به فكيف وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال علمني ربى ثلاثة علوم علم امرى بافشائه وعلم نهائى عن افشائه وعلم خبرى في افشائه وقال بعض العارفين ان الله سبحانه وتعالى اطلع الخضر على ارواح الاولياء فسأل ربه ان يبقيه في دائرة الشهادة حتى يراهم شهادة كما رآهم عيانا واما الياس ففي دعامة اليقين ايضا ذكر المورخون انه الياس بن مسيين بن فيحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران وقال عبد الله بن مسعود فيما روى عنه انه ادريس ورد ذلك الطبرى وغيره بان ادريس جد نوح تظلمت بذلك الروايات وذكر ابن ابي الدنيا من طريق مكحول عن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلنى من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفورة لها المتوب عليها الاستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابصر الراس والاحمية عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلاثمائة ذراع فلما نظرت الى قال انت رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه فاقره منى السلام وقل له هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت فتحدثنا طويلا فتدلى عليهما شئ من السماء يشبه السفرة فدعاني فاكلت معهما فذا فيها ورومان وكرفس فلما اكلت قمت فتخيت فجاءت سحابة فاحتلتني وانا انظر الى بياض ثيابه فيها تمشى به قبل الشام فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بانى الذى اكلنا من السماء نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سألته من ذلك فقال ياتينى به جبريل كل اربعين يوما اكلته وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رايتني على الحب يمشى بالدلو وربما سقاني وذكر المورخون ان الياس كان مع ملك اسمه اجاب

يقيم امره وسائر بني اسرائيل يعبدون صنما اسمه بعل وقيل كان بعل اسم امرأة يعبدونها فقال اجاب لايلاس ما ارى امرك الا باطلا ما ارى من يعبد الاوثان الا مثلنا لا فضل لنا عليهم فاسترجع الياس ثم رفع الملك الياس وعبد الاوثان فقال الياس اللهم ثبرهم فارحمي الله اليه قد جعلت ارزاقهم اليك فقال امسك عليهم اطرف فحبس عنهم ثلاث سنين حتى ملكت الماشية والدواب والهوام والشجر وكان الياس لما دعا استخفى فكان يوضع له رزقه حيثما كان واوى ليلة الى امرأة ابنها اليسع فكنتمت امره وكان به ضرر فدعا لابنها فعوى فاتبع الياس واوحى الله اليه اهلك كثيرا من الخلق ممن لم يعص فجاء الى بني اسرائيل فقال قد ملكتم جهدا فاخرجوا باصنامكم فان استجيب لكم فهو كما تقولون وان لم يفعل عرفتم باطلكم ودعوت الله ففرج عنكم قالوا انصفت والله فخرجوا بارثانهم فدعوا فلم يستجيب لهم فغرفوا صلالهم فدعا الياس فنزل المطر واغاثهم الله فلم ينزعوا ولم يرجعوا فدعا الياس ربه ان يقبضه فقيل له اخرج فما جاءك من شيء فاركمه ولا تهيب فخرج معه اليسع فاقتل فرس من ناز فوثب عليه فكساه الله الريش والبسه النور وقطع عنه لذة الطعام والشرب وصار في الملكة وكان انسيا ملكا ارضيا سماويا وكان الياس من بعلبك واما اليسع ففي دعامة اليقين انه نبي قام بعد الياس فايد بمثل روح الياس ثم قبضه الله وعندهم الثابوت فيه السكينة قال وهب وهى راس هرة ميتة اذا صرخت بصراخ هرنصروا وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من ايليا فكان احداهم

الحب فياخذ منه قوته ويعصر من الزيتون قوته

بهم هدمهم فاخرجوا الثابوت فاسى منهم فمات ملكهم كمدا بوطنهم
وامسب من ابنائهم ونسائهم وقيل كانت السكينة طستا من ذهب وقيل كانت السكينة صفا موسى وصماته هرون الصفراء ورمضة الالواح وكانت من دروياقوت وزبرجد والله تعالى اعلم وقد

اوسعنا في هذا الفصل دائرة الكلام * فلننطق الى ما عنه انفصلنا بسلام *
قال ابن عطاء الله رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتى كالطير لا يدري اوله خير ام آخره وروى الترمذى يرفعه الى ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير امتى اولها وآخرها وى وسطها الكدر وروى ايضا يرفعه الى عبد الرحمن بن سمرة قال جئت مبشرا من غزوة موتة فلما ذكرت قتل جعفر وزيد بن رواحة بكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما يبكيكم قالوا وما لنا لا نبكي وقد قتل اخيارنا واشرافنا واهل الفضل منا فقال عليه السلام لا تبكوا انما مثل امتى مثل حديقة قام عليها صاحبها فاختلف رواكها وهيا مسالكها وحلق سعتها فاطعمت عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون اجودها قنونا واطولها شمراخا والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم من امتى خلفا من حواريه وروى ايضا يرفعه الى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في اصلاب اصلاب رجال من اصحابى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلا وآخرون منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وروى ايضا يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في كل قرن من امتى سابقون ثم قتل واعلم جعلك الله من خاصة عباده * وعرفك لطائف وداده * انه سواء منهم الظاهر والخفى * والصدى والولى * وفساد الوقت لا يكدر انوارهم * ولا يحط مقدارهم * لانهم مع الموقت لامع الموقت ومن كان مع الموقت لا يتغير بتغير الوقت شيئا ومن كان مع الموقت تغير بتغيره * وتكدر بشكده * وقد قال الامام ابو عبد الله الترمذى رضى الله عنه الناس صنفان فصنف منهم عمال الله يعبدونه على البر والتقوى فهم محتاجون الى خير الزمان واقبال الحق لان تاييدهم من ذلك وصنف منهم اهل اليقين يعبدون الله على وفاء التوحيد عن كشف الغطاء وقطع الاسباب فهم غير ملتفتين الى اقبال الزمان وادباره ولا يضرهم

ادبارة وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يعذبهم بروحهم
ويحييهم في عاقبتهم تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم لا تضرمهم قال ولقد
سمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول رجال الليل هم الرجال وان
اولياء هذا الوقت ليؤيدون بشيئين بالغنى والفقير فالفنى لكثرة ما عند الناس
من لافلاس واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك وقال بعض العارفين ان
لله عبادا كلما اشتدت ظلمة الوقت قويت انوار قلوبهم فهم كمثل الكواكب
كلما قويت ظلمة الليل قوى اشراقها واين انوار الكواكب من انوار قلوب
اوليائهم انوار الكواكب تشكدر وانوار قلوب اوليائهم لا انكدار لها وانوار
الكواكب تهدى في الدنيا الى الدنيا وانوار قلوب اوليائهم تهدى الى الله
وقال صوفي بحضرة فقيه ان لله عبادا هم في اوقات الحزن والحزن لا تضرمهم
فقال ذلك الفقيه هذا ما لا افهم فقال الصوفي انا اريك مثال ذلك
الملتصكة المولكون بالنار في النار هم في النار لا تضرمهم قال وسمعت
شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول الدنيا كالنار وهي قائمة المومن جز
يا مومن فقد اطفا نور قناعتك لهي استدرارك ذكر الامام السهروردي في
اصل استمداد الاولياء من لانوار الحمدية كلاما يجب هنا ذكره * ويتعين
على كل مصنف لما ابداه من ذلك شكره * قال رضى الله عنه النبي صلى
الله عليه وسلم هو مورد الهدى والعلم اولا ورد عليه الهدى والعلم من الله عز
وجل فارتنوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من ارتواء ظاهرة الدين والدين هو
لانفايد والخضوع مشتق من الدون فكل شئ انتضع فهو دون والدين ان يضع
لا انسان نفسه لربه عز وجل قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما
رصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالفرق في الدين يستولى الذبول على
الجوارح ويذهب عنها نصرة العلم والنصرة في الظاهر بتزوين الجوارح بالانفايد
النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب
في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار القلب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالعلم والهدى بحرا مواجاثم وصل من بحر قلبه الى النفس فظهرت على
نفسه الشريفة نصرة العلم وريمه قد دلت نعوت النفس واخلادها ثم وصل
الى الجوارح جذولا فصارت نيارا فاصرة فلما استتم نصرة وامتلا ربا بعثه
الله تعالى الى الخلق فاقبل على كرامة بتلب موج بمياه العلوم واستقبلته
جداول الفهوم وجرى من بحره في كل جدول قسط ونصيب وذلك القسط
الواصل الى الفهوم هو الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه
صفة للقلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما
عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان افقه كانت نفسه اسرع اجابة واكثر
انقيادا لمعالم الدين واوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله
تعالى للقلوب والمعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلب ذلك فالتبني
صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم اخبر انه
وجد القلب النبوى الهدى والعلم فكان هاديا مهديا وعليه صلى الله عليه
وسلم منهما ورائة معجونة فيه من آدم ابى البشر صلوات الله عليه حيث
علم لاجاء كلها والاسماء سمته لاشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال علم
لا انسان ما لم يعلم فآدم بما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم
والمعرفة والقطعة والرافة واللفظ والمحبة والبغض والفرج والغم والغضب
والرضى والكرامة واهتدى الى الله بالنور الذى وهب له فالتبني صلى الله
عليه وسلم بعث الى كرامة بالنور المورث والموهوب له خاصة وقيل لما
خاطب الله السماء والارض بقوله سبحانه ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين نطق من الارض واجاب موضع الكعبة ومن السماء ما يعبث فيها
وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اصل طينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما
اجاب من الارض ذرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة
دحيث لارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصل في التكوين
والكائنات تبع له والى هذا الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا

وَأَدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ وَفِي رِوَايَةٍ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَقِيلَ لِذَلِكَ سُمِّيَ
 إِمِيلَانَ مَكَّةَ أَمِ النَّوَى وَذُرَّتُهُ أَمِ الْحَلِيقَةِ وَتَرْبَتُهُ الشَّخْصَ مَدْفَنُهُ فَكَانَ
 يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَدْفَنُهُ بِمَكَّةَ حَيْثُ كَانَتْ تَرْبَتُهُ مِنْهَا وَلَكِنْ قِيلَ الْمَاءُ
 لَمَّا تَنَوَّجَ رَمَى الزُّبْدَ إِلَى النَّوَاحِي فَوَقَعَتْ جَوْهَرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 إِلَى مَا يَحَافِظُ تَرْبَتَهُ بِالْمَدِينَةِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكِّيًّا
 مَدْنِيًّا حَنِينًا إِلَى مَكَّةَ وَتَرْبَتَهُ بِالْمَدِينَةِ وَالْإِشَارَةُ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ذُرَّةِ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ
 مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى وَرَوَدَ فِي
 الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ وَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ اسْتَخْرَجَ
 الذَّرَّ مِنْ مَسَامِ شَعْرِ آدَمَ فَخَرَجَ الذَّرُّ كَخُرُوجِ الْعَرَقِ وَقِيلَ كَانَ الْمَسْحُ مِنْ
 بَعْضِ الْمَلَكَةِ وَقِيلَ مَعْنَى الْقَوْلِ بَأَنَّهُ مَسَحَ أَيَّ أَحْصَى كَمَا لَحِصَى لَأَرْضَ
 بِالْمَسَاحَةِ وَكَانَ ذَلِكَ بِيَطْنِ النُّعْمَانِ وَإِذَا بَجَنِبِ عَرْفَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ
 فَلَمَّا خَاطَبَ الذَّرَّ وَاجِبًا يُولِي كِتَابَ الْعَهْدِ فِي رَقِ أَبِيصٍ وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَكَةَ
 وَالْقَهْمَ الْحَجَرَ الْأَوْدَ فَكَانَتْ ذُرَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْحَبِيبَةُ
 مِنْ لَأَرْضِ الْعِلْمِ وَالْهَدْيِ فِيهِ مَعْجُونَانِ فَبَعَثَ بِالْعِلْمِ وَالْهَدْيِ مَرُورًا لَهُ وَمَوْجُوبًا
 وَقِيلَ لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِزْرَائِيلَ فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ لَأَرْضِ وَكَانَ ابْلِيسُ
 قَدْ وَطِئَ لَأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ فَصَارَ بَعْضُ لَأَرْضَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَبَعْضُ لَأَرْضَ مَوْضِعَ
 قَدَمَيْهِ فَخَلَقَتْ النَّفْسُ مِمَّا مَسَّ قَدَمَ ابْلِيسَ فَصَارَتْ مَوَاوِي الشَّرِّ وَبَعْضُهَا لَمْ
 يَصِلْ إِلَيْهِ قَدَمُ ابْلِيسَ فَهِيَ تِلْكَ التَّرْبَةُ أَسْلَ لَأَنْبِيَاءَ وَلَأَوْلِيَاءَ وَكَانَتْ
 ذُرَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضِعَ نَظَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ قَبْضَةِ
 عِزْرَائِيلَ لَمْ يَمْسَسْهَا قَدَمُ ابْلِيسَ فَلَمْ يَصْبِرْ حَظَّ الْجَهْلِ بَلْ صَارَ مَنْزُوعَ الْجَهْلِ
 مَوْفَرًا حَظَّهُ مِنَ الْعِلْمِ فَبَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْهَدْيِ وَالْعِلْمِ وَانْتَقَلَ مِنْ قَلْبِهِ إِلَى
 الْقُلُوبِ وَمِنْ نَفْسِهِ إِلَى النَّفُوسِ فَوَقَعَتْ الْمُنَاسِبَةُ فِي أَصْلِ طَهَارَةِ الطِّينَةِ
 وَوَقَعَ الثَّالِفُ بِالْتَعَارُفِ لِأَوَّلِ فَكُلٍ مِنْ كَانَ أَقْرَبَ مُنَاسِبَةً بِنَسَبَةِ طَهَارَةِ
 الطِّينَةِ كَانَ أَوْفَرَ حَظًّا مِنْ قَبُولِ مَا جَاءَ بِهِ فَكَانَتْ قُلُوبُ الصُّوفِيَّةِ أَقْرَبَ

مُنَاسِبَةً فَاخْذَتْ مِنَ الْعُلُومِ حَظًّا وَأَفْرًا وَصَارَتْ بِوَاطِنِهِمْ إِخَانَاتُ فَعَلُوا وَعَمَلُوا
 كَالْإِخَانِ الَّذِي يَسْقَى مِنْهُ وَيَزْرَعُ مِنْهُ وَلَمَّا تَزَكَّتِ النَّفُوسُ انْجَلَتْ مَرَاتِي
 قُلُوبُهُمْ بِمَا صَقَلَهَا مِنَ التَّقْوَى فَتَحَلَّتْ فِيهَا صُورُ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَيْئَتِهَا وَمَاهِيَّتِهَا
 مَبَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِقَبْحِهَا فَرَفَضُوهَا وَظَهَرَتْ الْآخِرَةُ بِحُسْنِهَا فَطَلَبُوهَا فَلَمَّا زَهَّدُوا
 فِي الدُّنْيَا انْصَبَتْ إِلَى بِوَاطِنِهِمْ أَقْسَامُ الْعُلُومِ انْصِبَابًا وَانْصَافًا إِلَى عِلْمِ
 الدِّرَاسَةِ عِلْمُ الْوَرَاثَةِ وَالْمُرَادُ بِالصُّوفِيَّةِ هُنَا كُلُّ مُقَرَّبٍ إِذَا الصُّوفِي هُوَ الْمُقَرَّبُ
 وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ اسْمُ الصُّوفِي وَكَمْ مِنَ الرِّجَالِ الْمُقَرَّبِينَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمَا
 وَرَاءَ النَّهْرِ وَاطْرَافِ بِلَادِ الْأَسْلَامِ وَلَا يُسَمُّونَ صُوفِيَّةً لِأَنَّهُمْ لَا يُتَزَيَّمُونَ بِزِي
 الصُّوفِيَّةِ وَأَمَّا يَعْرِفُ الصُّوفِي الْمُتَوَسِّمِينَ فَمُشَافِحِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ اسْمَاوَهُمْ
 فِي الطَّبَقَاتِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ كُلِّهِمْ كَانُوا فِي طَرِيقِ الْمُقَرَّبِينَ وَطَلَبِهِمْ
 عُلُومُ أَحْوَالِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَطَّلَعَ إِلَى مَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَبْرَارِ فَهُوَ
 مُصَوِّفٌ مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ بِحَالِهِمْ فَإِنْ تَحَقَّقَ بِحَالِهِمْ كَانَ صُوفِيًّا وَمِنْ عَدَاهُمَا
 مِمَّنْ تَمَيَّزَ بِزِيهِمْ وَنَسَبَ إِلَيْهِمْ فَهُوَ مُتَشَبِّهٌ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ قُلْتُ
 فَانْظُرْ أَيْدِيكَ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ * وَأَمْدُكَ بِالرَّضَى وَسُلُوكُ طَرِيقِهِ * إِلَى شَفَوفِ
 مَكَانَتِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَكِينَةُ * وَشَرَفٌ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْمُنَاسِبَةِ فِي أَصْلِ
 طَهَارَةِ الطِّينَةِ * وَمَا صَحَبَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَنَاءَةِ السَّابِقَةِ * وَالْكَرَامَاتِ
 الْمُتَنَافِرَةِ التَّنَاسُلَةِ *

فَجَاءَهُمْ مَوْلَايَ وَالْقُدْرُ السَّيِّدِي أَعْلَيْتُهُ مِنْهُمْ بِحُكْمِ السَّابِقِ
 أَجْعَلْ عِيْدَكَ تَابِعًا لَأَنْبَارِهِمْ وَأَمْنًا عَلَى الْمُسْبِقِ يَدْرِكُ سَابِقَهُ
 وَلَمَّا اكْتَمَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيَانَ لِسَبِيلِ الرِّشَادِ * وَأَظْهَرَ الْمَسَالِكَ الْمَوْصِلَةَ
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِلْعِبَادِ * تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الدَّارِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ لَهُ وَأَوْلَى * بَعْدَ
 أَنْ خَيْرَ فَاخْتَارَ الرِّفِيقَ لِأَعْلَى * ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ الدُّعَاءَ إِلَى اللَّهِ فِي أَمْتِهِ
 أَبَدًا وَدَائِمًا سَرْمَدًا بِمَا وَرَثُوهُ مِنْهُ وَأَخَذُوهُ مِنْهُ قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ شَهِدَ لَهُمْ الْحَقُّ بِذَلِكَ وَجَعَلَهُمْ أَهْلًا لِمَا هُنَاكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي فَقَالَ الشَّيْخُ

ابو العباس المرسى رضى الله عنه اى على معاينة يعاين سبيل كل واحد من الاتباع فيحمله عليها ودليله اختلاف وصاياه عليه السلام لاصحابه على حسب الاختلاف سبلهم قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول فتح الحق سبحانه بقاءه ومن اتبعنى باب البصائر للاتباع يريد الشيخ ان قول الله سبحانه قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى اى ومن اتبعنى يدهو الى الله على بصيرة على ما يقتضيه اللسان لانك اذا قلت زيد يدهو الى السلطان على نصيحة هو واتباعه اى واتباعه يدهون اليه على نصيحة اذ اثبت هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم يدهو على بصيرة الرسالة الكاملة ولاولياها يدعون على حسب بصائرهم قطبانية وصديقية وولاية وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم فان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وقال صلى الله عليه وسلم علماء امتى كانباء بنى اسرائيل وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وقال وان المتكئة لتضع اجنتها طالب العلم وقال جل من قاتل شهد الله انه لا اله الا هو والمتكئة واولو العلم قائما بالقسط وقال الذين ارتوا العلم درجات فظاهر هذا كله ان من انصف بالعلم واتقى اليه وحمل منه الحظ الوافر كيف ما كان لديه فمكانته قدرة جليله ودرجته بعلوم هذه الخطابات اصيله لكن قال ابن مطاء الله رضى الله عنه حيثما وقع العلم في كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فانما المراد به العلم النافع محمد للهوى العامع الذى تكف به الحشبة وتكون معه لانا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلم يجعل علم من لم يخش الله قال داود عليه السلام ما علم من لم يخشك وما خشيته من لم يطع امرك اما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكثار فما ابعد من هذا العلم علم من ان يكون من ورثة الانبياء وهل يتقل

الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كان بها عند الموروث عنه قال ومثل من هذه الارصاف اوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهي تحرق نفسها ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من يتعلم العلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعة من ياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات في طلب العلم فمكث اربعين او خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ المقصود بالعلم العمل كما ان المقصود بالطهارة ايقاع الصلاة بها وسال رجل الحسن البصرى رضى الله عنه في مسألة فافتاه فيها فقال الرجل للحسن قد خالفك الفقهاء فقال له الحسن ويحك وهل رايت فقيها انما الفقيه الذى فقه عن الله امره ونهيه قال وسمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول الفقيه من انفق الحجاب عن عيني قلبه وشاهد ملكوت ربه قلت فانت ترى ان هذه الطائفة الجليية احق من سواهم بهذه الوراثة واولى وارفع كعبا لتحقيق هذه النسبة لديهم من سائر من ادعاها واءلا وهم بهذه الدرجة المنيقة اجدر وعلى انافة الاتصاف بشرفها الصحيح اقدر فقيم علومهم النافعة برونق العلم اکتحل واتصافهم بباهر حللا على مطلب الخشوع اشتمل

فهم حجة الله التى في عباده وهم مطهروا للانوار في حندس الظلم كست ظاهرا منهم سرائر باطن فمن لم يشاهد نورهم فهو مظلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ستل عن الشر لا تسالوفى عن الشر وسالوفى عن الخير يقولها ثلاثا قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء قال الامام السهروردى رضى الله عنه العلماء ادلاء الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية وتقاء ديوان لاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وامناء الله تعالى في خلقه واطباء العباد وجهابذة الملة

الحنيفية وحملت عظيم الامانة فهم احق الخلق بحقائق التقوى واحوج
 العباد الى الزهد في الدنيا لانهم لانفسهم واغيرهم ففسادهم فساد متعدد
 وصلاحهم صلاح متعدد وقال سفيان بن عيينة اجهد الناس من تركت
 العمل بما يعلم واعلم الناس من عمل بما يعلم وافضل الناس اخشعهم لله
 تعالى قال وهذا قول صحيح يحكم ان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم
 لا يعرفك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة فانه
 جاهل وليس بعالم الا ان يتوب ببركة العلم فان
 العلم في الاسلام لا يضيع اهله ويوجب عود العالم ببركة العلم قال ابن مطا
 الله رضى الله عنه وربما غر الغافل من طلبته العلم قول من قال طلبت
 العلم لغير الله فاني ان يكون الا الله وليس في قول هذا القائل ما يستروح
 منه طلب العلم للرئاسة والمنافسة وانما اخبر هذا القائل من امر به
 عليه وفتنته سلمه الله منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره وذلك بمشابهة
 من به مرض مزمن في المعى اعياء علاجه وضاق منه خلقه فاحذ خنجرا
 وضرب به مرقا بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج
 الداء منه فهذا لا يستصوب العقلاء فعلموا ان نجحت عاقبته وليست
 سلامة العواقب رافعة للعقاب من الملقين انفسهم الى التهلكة ليس المغرور
 محمودا وان سلم قلت ولا نزاع ان العلم ان صحبه العمل عين العلاج
 ولا علم لمن لم تبد على ظاهرة هيئة الصلاح الفيت بخط شيخ شيوخنا الجليلة
 وهو الفقيه الامام الحجة السيد ابو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني نور
 الله قبره واعلا في مقامات المقربين قدرة ما نصه انشدني الشيخ المسن ابو
 سرحان مسعود المازوني القاطن بالجزائر وقد اجتمعت معه بها رحمه الله
 وقالوا في خصال العلم الف فمن جمع الخصال لالف مائة
 ويجمعها الصلاح فمن تعدى مذاهبه فقد جمع الفساد
 قال الامام السهروردي رضى الله عنه ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء
 الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساقى المجد في طلب العلم المختصر

حتى عرفوه واقاموا الامر والنهي وخرجوا من عبدة ذلك بحسن توفيق
 الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 حيث امره الله تعالى بالاستقامة وقال فاستقم كما امرت ومن تاب معك
 فتح الله تعالى عليه ابواب العلوم قال بعضهم من يطيق مثل هاتمه المخاطبة
 لاستقامة لامن اريد من المشاهدات القوية والانوار البينة
 والآثار الصادقة بقدر كما قال الله تعالى واولا ان
 تثبتاك ثم حفظه في وقت المشاهدة ومشاهدة الخطاب وهو المزين بمقام
 القرب والمخاطب على بساط الانس محمد صلى الله عليه وسلم خوطب بقوله
 فاستقم كما امرت ولولا هذه المقدمات ما اطاق الاستقامة التي امر بها قال
 جعفر الصادق رضى الله عنه في قوله تعالى فاستقم كما امرت افتقر الى
 الله بصحة العزم وراى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في المنام قال قلت يا رسول الله روى عنك انك قلت شيبتي صورة هود
 فقال نعم فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال
 لا ولكن قوله فاستقم كما امرت فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد
 مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة
 فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منهم الله تعالى
 من ذلك قسطا ونصيبا ثم الهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة
 وراوا الاستقامة افضل مطلوب واشرف مأمول قال ابو علي الجرجاني
 كن طالب للاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة في طلب
 الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة قال وهذا الذى ذكره اصل كبير
 في الباب وسر فقل من حقيقته كثير من اهل السلوك والطلاب وذلك
 ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسر الصالحين المتقدمين وما متحوا من
 الكرامات وخوارق العادات فابدا نفوسهم لا تزال تستطلع الى شئ من
 ذلك ويحبون ان يرزقوا شيئا من ذلك ولعل احدهم يبقى منكسر القلب
 متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكشف بشئ من ذلك ولو علموا

سر ذلك لسان عليهم الامر فيه فان الله سبحانه وتعالى قد يفتح على بعض
المجاهدين الصديقين من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من
خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا
والخروج من دواعي الهوى وقد يكون بعض عباده يكشف بصرف اليقين
ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كشف بصرف اليقين اغشى بذلك عن
روية خوارق العادات لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين
ولو كشف هذا المرزوق بصرف اليقين بشئ من ذلك ما ازداد يقينا فلا
تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغنائاه
وتقتضي الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثاني يكون اثم
استعدادا واحليته من الاول حيث اغشى من روية شئ من ذلك فسيبيل
الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ففي كل الكرامة ثم اذا وقع في طريقه
شئ من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فلا يبالي ولا ينقص بذلك وانما
ينقص بالاخلاق بواجب حق الاستقامة فليظلم هذا فانه اصل كبير للطالبيين
فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث اكرموا بالقيام بواجب
حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التي

وزعموا انها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم
الخواطر وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفتها اخلاقها وعلم
النفس ومعرفتها من اعز علوم اقوم واقوم الناس بطريق المقربين والصوفية
اقومهم بمعرفته النفس وعلم معرفته اقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى
وخفايا شهوات النفس وشورها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على
الضرورة قولاً وفعلاً ولبساً واكلاً ونوماً ومعرفته حقائق التوبة وعلم خفي
الذنوب ومعرفته سيئات هي حسنات لا يبرار ومطالبة النفس بترك ما لا
يعنى ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم
علم المراقبة وعلم ما يقدر في المراقبة وعلم المحاسبة وعلم الرعاية وعلم حقائق
التوكل وذنوب التوكل في توكله وما يقدر في التوكل وما لا يقدر والفرق

بين التوكل الواجب بحكم لايمان * وبين التوكل الخاص المختص باهل
العرفان * وعلم الرضى وذنوب مقام الرضى وعلم الزهد وتحديدته بما يلزم
من صورته وما لا يقدر في حقيقته ومعرفته الزهد في الزهد ومعرفته زهد
ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفته اوقات الدعاء
ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة
المفسرة بامثال الامر والمحبة الخاصة وقد انكر طائفة من علماء الدنيا دعوى
علماء الآخرة المحبة الخاصة كما انكروا الرضى وقالوا ليس إلا الصبر وانقسام
المحبة الخاصة الى محبة الذات والى محبة الصفات والفرق بين محبة
الذات ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب
والمحبيب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والانس والقبض
والبسط والفرق بين القبض والهيم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وثقافت
احوال الفناء والاستتار والتجلى والجمع والفرق واللوامع والطواع والموادى
والصحو والسكر الى غير ذلك وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها
وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون * وحرّم ذلك علماء الدنيا الراغون * وهى
علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل اليها إلا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلالة
السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه قال وينبئك عن شرف علم
الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا
والاخلاق بحقائق التقوى وربما كانت محبة الدنيا عوناً على اكتسابها لان
لاشتغال بها شاق على النفس فجيئت النفوس على محبة المجاهد والرفعة
حتى اذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم اجابت الى تحمل الكلف
وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء
الاقوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس
إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث
التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم
علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لاولى الاسباب واولو الالباب

حقيقة الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء اذا وصى الانسان بماله لاعتل الخلق بصرف الى الزهاد لانهم ادقل الخلق قال سهل بن عبد الله التستري رضى الله عنه للعقل الف اسم واول كل اسم منها ترك الدنيا قال ابو يزيد يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجد ان اقول لا اله الا الله فما قدرت عليه قيل ولم قال ذكرت كلمة قلتها في صباي جاءتنى وحشة تلك الكلمة فمعتنى من ذلك واعجب ممن يذكر الله وهو متصف بشئ من صفاته فصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم قال الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم في غيب العلم في سر السر فعرفهم ما عرف

الطلب الزيادة فانكشف لهم مدخور الخرائن تحت كل حرف من الكلام من الفهم وحجائب الخطاب فنطقوا بالحكمة وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب وقال الخراز هم الذين كملوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم اجمعين وهذا القول من ابي سعيد لا يعني به ان الراسخ في العلم ينبغي ان يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله تعالى وفاكته وابا وقال ما لآب ثم قال ان هذا الا تكلف ونقل هذا الوقوف في معنى لآب انه كان من ابي بكر الصديق رضى الله عنه وانما عني بذلك ابو سعيد ما تفسر اول كلامه بآخرة وهو قوله واطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشئ من اللوح المحفوظ فادرك بصفاء الباطن امهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام اهل العلوم في علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة في النفوس بالتعليم والممارسة فلا يفيئهم علمه الكلى ان يراجع في الجزئ اعله الذين هم اوهيته فنفس هولاء امتلأت من الجزئ واشتغلت به وانقطعت عن الكلى بالجزئ ونفوس العلماء الزاهدين بعد لاخذ مما لا بد منه في

اصل الدين واساسه من الشرع اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب منه فافاضت ارواحهم على قلوبهم انوارا تهيات بها قلوبهم لادراك العلوم فارواحهم ارتقت من حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم لازلي وتجردت عن وجود يصلح ان يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلي النفوس صارت اوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتالفت العلوم وتالفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتفاشها في اللوح لا غير وانفصال القلوب من مقام الارواح لوجود انجذابها للنفس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجبة للتالف فحصلت العلوم بذلك وصار العالم الرباني راسخا في العلم اوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياق به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي بأداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم فالتادب بأداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها وقمعها بصريح العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب وطرق الى المحصور بين يدي الله عز وجل فيحفظ للحق بالحق مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف سبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قاتلا والعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله لا يعابى علم ورواية انما يعابى بذى فهم ودراية فعلم الدراية مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص الساتغ للشاربين ومثال علوم الدراية كالزبد المستخرج منه فلولم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهية المطلوبة من اللبن والمائية في اللبن

جسم قام به روح الذهبية والمائية بها القوام وجعلنا من الماء كل شيء
حي او من كان ميتا فاحييناه اى كان ميتا بالكفر فاحييناه بالاسلام فالاحياء
بالاسلام هو القوام الاول والاصل الاول والاسلام علوم وهى علوم مباني
الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد الصديق ولكن للايمان فروع
بعد التحقيق بالاسلام وهو مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
وقد يقال التوحيد والمعرفة والمجاهدة وللإيمان فى كل فرع من فروع علوم
علوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها
وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر
والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص
يختص به علماء الآخرة وهى السكينة التى انزلت فى قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فعلى هذا جمع وقال ابو سعيد الخراز رضى الله
عنه اهل الخلاصة الذين هم المرادون تولاهم الله واكمل لهم النعمة وهما
لهم الكرامة فبسط عليهم حركات الطلپ فصارت حركاتهم فى العمل
والخدمة على ثلاثة والذكر والسمع بمناجاته والانفراد بقربه وعن فاطمة
المعروفة بجويرية لمهذبة ابنى سعيد قالت سمعت الخراز يقول المراد محمول
فى حاله معان على حركاتهم وسعيهم فى الخدمة مكفى مصون من الشواهد
والتواطر قلت وهذا الذى قاله الشيخ ابو سعيد هو الذى اشتبهت حقيقة
على طائفة من الصوفيين ولم يقولوا بالكثارة من النوافل وقد راوا جمعا من
الشافعية قلت نوافلهم فظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان
الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين
فلما وصلوا الى روح الحال وادركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتثلوا بالحال
وطرحوا نوافل الاعمال فاما المرادون تبنى عليهم لاعمال والنوافل وفيها قوة
ايمهم وهذا اتم واكمل من الاول فهذا الذى اوضحناه احد طريقتى الصوفية
فاما الطريق الآخر فطريق المريدين وهم الذين شرط لهم لاناثة فقال
تعالى ويهدى اليه من يشاء طوبوا بالاجتهاد اولا قبل الكشف قال الله

تعالى والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله تعالى فى مدارج
الكسب بانواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجى وظما الهواجر
تحتاج فيهم نيران الطلب وتنجب دونهم لوامع الادب * يتقلبون فى
رمضاء لارادة * ويختلعون من كل مالوف وعادة * وهى لاناثة التى شرطها الله
سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية معلومة بها آتفا هداية خاصة لانها هداية
اليه غير الهداية العامة التى هى التهدى الى امره ونهيه بمقتضى المعرفة
لاولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت لاناثة غير الهداية العامة
فانمرت هداية خاصة واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا
من ضيق العسر الى قضاء اليسر من هيج الاجتهاد الى روح
الحال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم قال الجنيد
ما اخذنا التصوف من الثيل والقال ولكن من الجرع وترك الدنيا وقطع
المالوفات والمستحسنات وقال محمد بن خفيف لارادة سمو القلب لطلب المراد
وحقيقة لارادة استدامة المجد وترك الرحمة وقال ابو عثمان المريد الذى
مات قلبه عن كل شئ دون الله فيريد الله وهذه ويريد قربه ويشتاق
اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه وقال
ايضا عقوبة قلوب المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات
الى اصدادها فهذان الطريقان يجمعان احوال الصوفية ودونهما طريقان
آخران ليسا من طرق التحقيق بالتصوف احدهما مجذوب اتر على جذبته
ما رد الى الاجتهاد بعد الكشف والثانى مجتهد متعبد ما خلاص الى الكشف
بعد الاجتهاد والصوفية فى طريقهم باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن
المتابعة ومن ظن انه يبلغ غرضا او يظفر بهراد لا من طريق المتابعة
فهو مضل مغرور وقال ابو سعيد الخراز كل باطن يخالف ظاهر فهو باطل
وكان الجنيد يقول علمنا هذا مشبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم من امر السنة على نفسه قولا وفعلنا نطق بالحكمة ومن امر
الهوى على نفسه قولا وفعلنا نطق بالبدعة حكى ان ابا يزيد البسطامى

رضي الله عنه قال ذات يوم لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي شهر نفسه بالولاية وكان الرجل في ناحية مقصودا مشهورا بالزهد والعبادة قال فضيفا فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزقته نحو القبلة فقال ابو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بعامون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مامونا على ما يدعيه من مقامات الاولياء والصديقين قلت ما جعله ابو يزيد رضي الله عنه علته في انصرافه من زيارة هذا الرجل المشتهر بالخير والصلاح بعد قصده اليها من كونه اخل بآداب من آداب الشريعة ليس بقادح والله اعلم وان قلنا ان حسنات الابرار سيأت المقيمين لاحتمال الغفلة والذهول او قصد التمويه بذلك على من مع ابي يزيد لسماء بن الظن على حد قوله

استجار الرجال في كل ارض تحب سوء الظنون قدر جليل
ما يضر الهلال في هندس الليل سواد السحاب وهو جميل

الدعوة طاعرا وباطنا كان حظهم من العلم اوفر
ونصيبهم من المعرفة اكمل فكانت اعمالهم اركى وافضل جاء رجل
الى معاذ فقال اخبرني من رجلين احدهما مجتهد في العبادة كثير العمل
قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتبره الشك قال معاذ ليجبطن
شكك اعماله قال فاخبرني من رجل قليل العمل الا انه قوي اليقين
وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لان احبط
شكك لاول اعماله به ليجبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ بيده
وقال ما رايت الذي هو افعله من هذا وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا
يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل
حتى يقصر يقينه فكان اليقين افضل العلم لانه ادعى الى العمل وما كان
ادعى الى العمل كان ادعى الى العبودية وما كان ادعى الى العبودية كان
ادعى الى القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية

والعلماء الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل عليهم قال ثم اني اصور مسألة
يستبين بها الاعتبار فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره رجل
عالم دخل مجلسا وقعد وميز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من
اعتقاده في نفسه بمجمله وطله فدخل داخل من ابناؤه جنسه وقعد فوقه
فانعصر العالم واظلمت عليه الدنيا ولو امكنه بطش بالداخل فهذا عارض
عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن ان هذه علته فامضت ومرض يحتاج
الى المداواة ولا يتفكر في مشاهد هذا المرض ولو يعلم ان هذه نفس ثارت
وظهرت بجهلها وجهلها هاد لوجود كبرها وكبرها بروية نفسها خيرا من غيرها
فعلا به تكبر فالصوفي العالم الزاهد لا يميز نفسه بشئ دون المسلمين
ولا يرى لنفسه في مقام تمييز يميزها بمجلس مخصوص مميز ولو قدر ان
يتلى بهذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس
وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصفاء الى النفس
وانعصارها صار ذلك فيرفع في الحال داءه الى

الله تعالى ويشكو اليه ظهور نفسه ويحسن لآبائه بقطع دابر ظهور النفس
ويرفع القلب الى الله تعالى مستغيثا من النفس ويشغله اشتغاله بروية
داء النفس في طلب دوائها عن الفكر فيمن قعد فوقه وربما اقبل على
من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا لذنبه الموجود وتداويا
لدائه الحاصل فيتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اهتمر المعتبر وثقف
حال نفسه في هذا المقام يرى نفسه كنفس عوام الخلق وطالب المناصب
الدنيوية فاي فرق بينه وبين غيره ممن لا علم له فبان بهذا افضلية
الزاهدين ونقصان الراغبين وهذا من اوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفيس
علومهم وشرف احوالهم جعلنا الله ممن تمسك من صدق نية باذياتهم
واظلمت يوم الفرع لا كبر ورقات ظلالهم ولتتق زهدهم في الدنيا رضي
الله عنهم وتركها على اربابها وطلايا دلت طهارة صدورهم من الغل والغش

فان ذلك عناد امرهم وبه ظهر جورهم وبان فضلهم فان مثال الغل والغش
 محبة الدنيا وصحة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية رضى الله عنهم
 زهدوا في ذلك كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح الا لقوم كنست
 بارواحهم المزابل فلما سقط من قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة اصبحوا
 وامسوا وليس في قلوبهم غش لاحد ثم قال رضى الله عنه فقول القائل
 كنست بارواحهم المزابل اشارة منه الى غاية التواضع وان لا يرى نفسه
 تميز عن احد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغل
 والغش قال وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقهاء من اصحابنا وقع لي
 ان هنا كنست بارواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها ماوى
 كل رجس ونجس كالمزبلة وكسها بنور الروح الراجل اليها لان الصوفية
 ارواحهم في محل القرب ونورها يسرى الى النفوس وبوصول نور الروح
 الى النفس تطمئن النفس وبذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد
 والحسد فكانها تنكس قسالة وهذا المعنى صحيح وان لم يرد القائل بقوله
 ذلك قال الله تعالى في وصف اهل الجنة ونزعنا ما في صدورهم من غل
 اخوانا على سرور متقابلين قال ابو حفص كيف يبقى الغل في قلوب اتتلفت
 بالله وانفقت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكره ان تلك
 قلوب صافية من هواجس النفس وظلمات الطبع بل كحلت بنور التوفيق
 فصارت اخوانا فانخرق حجابهم عن القيام باحياء سنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قولا وفلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت فعوت النفس
 ارتفع الحجاب وصحة المتابعة ووقعت الموافقة في كل شئ مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله عند ذلك قال الله تعالى
 قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل متابعة الرسول صلى
 الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة
 الرسول محبة الله اياه فاوفر الناس حظا من متابعة الرسول صلى الله عليه
 وسلم اوفرهم حظا من متابعة الله تعالى والصوفية رضى الله عنهم من بين

طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا اقواله فقاموا بما امرهم
 ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى وما آفكم الرسول فخذوه وما نهاكم منه
 فانتهوا ثم اتبعوه في اعماله من الجهد والاجتهاد في العبادة والتفهد والنوافل
 من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة في الاقوال والافعال
 التخلق باخلاقه من الحياء والعلم والسبح والعفو والرافة والشفقة والمداواة
 والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من احواله من الخشية والسكينة
 والهيبة والتعظيم والرضى والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا بجميع اقسام
 المتابعة واحيوا سنته باقصى الغايات قيل لعبد الواحد بن زيد سن
 الصوفية عندك قال القائمون بقولهم على همهم والعاكفون عليها بقلوبهم
 والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دائم لا فتقار الى مولاه حتى يقول لا تكفى الى نفسى طرفه حين
 اكنتنى كلاء الوليد قال ومن اشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام اللجاء ولا
 يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار الا بعد ككوشف باطنه بصفاء
 المعرفة واشرق صدره بنور اليقين وخاص قلبه الى بساط القرب وخلأ سره
 بلذاتة المسامرة ومع ذلك كله يرى نفسه ماوى كل شروهي بمثابة النار
 ولو بقيت منها شرارة احرقت ماله وهي وشيكة الرجوع سريعة الانقلاب
 والانفلات فالله تعالى بكمال لطفه عرفها الى الصوفى وكشفها له على كل
 شئ من معنى ما كشفها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم لاستغاثته
 من شرها الى مولاه فكانها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفة بشرها مع
 اللحظات الى جانب اللجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفى
 عن مطالعتها ادنى ساعة كما لا يخلو عن ربه ادنى ساعة وربط معرفتها
 بمعرفته عز وجل فيما ورد من عرف نفسه عرف ربه كربط معرفته
 الليل بمعرفة النهار ومن الذى يقوم باحياء هذه السنة من سنن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفى العالم بالله تعالى الزاهد في الدنيا

التمسك من الثغوى باوثق لاسباب ومن الذى يمتدى الى فائدة هذا الحال فير الصوفى فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجانب الحق عز وجل ولياذ به وفي هذا اللباز استغراق الروح واستبانه للقلب الى محل الدعاء وفي انجذاب القلب الى محل الدعاء بلسان الحال والكون فيه نزول النفس الى الاقسام العاجلة في مدرج العلم مخوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والخذل والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفى ويجمع جمل حال الصوفى شيان هما وصف الصوفية واليه الاشارة بقوله تعالى يجتبي اليه من يشاء ويهذى اليه من ينيب فقوم من الصوفية خصوا بالاجتهاد الصوفى وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتهاد المحض غير معطل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يباديه الحق تعالى بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب بسبق كشوفه اجتهاده وفي هذا اخذ بطائفة من الصوفية رفعت العجب عن قلوبهم وباداهم سطوع نور اليقين فاثار نازل الحال فيهم شهوة للاجتهاد والاعمال فاقبلوا على الاعمال باللذات

والعيش فيها قرة اعينهم فسهل الكشف عليهم للاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لاذة النازل بهم من صفو العرفان لتحمل وعيد فرعون فقالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات قال جعفر الصادق وجدوا روح العناية القديمة بهم فالتجوا الى السجود شكرا وقالوا

الرتب

يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان وبوصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين العين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين اذا فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدنيا منه لمح يسير لاهلها وهو من اعز ما يوجد من اقسام العلم بالله تعالى لانه وجدان فصار علم الصوفية

وزهاد العلماء نسبتهم الى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرنا من علم الوراثة والدراسة عليهم بمشابة اللبن لانه اليقين ولايمان الذى هو الاساس وعلم الصوفية بالله تعالى من انصبته المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزاقه لاعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلى على امتى ولاشارة في هذا العلم ليس الى علم البيع والشراء والطلاق والعناق وانما الاشارة الى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفاية وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم من علماء التابعين وقد كان علماء التابعين فيهم من هو اقوم بعلم الفتوى والاحكام من بعضهم روى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان اذا ستل عن شئ يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلوا جابر ابن عبد الله لو نزل اهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان انس بن مالك رضى الله عنه يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون اليهم في علم الفتيا والاحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة لانهم كانوا اقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحي المنزل وفهمهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجمله ومفصلة وطائفة مفصلة دون مجمله والمجمل

العلم ومطلقه المكتسب بطهارة

القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد خاص لخصوص

قال الله تعالى لنبيه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال قل هذه سبيلي ادع الى الله على بصيرة فلهذه السبل سابه * ولهذه الدعوات قلوب قابله * فمتها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار * والموعظة والحدار * ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قروية منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على

نفسه دماء بالحكمة فالدعوة بالوعظ اجاب بها الابرار * وهى الدعوة
بذكر الجنة والنار * والدعوة بالحكمة اجاب بها المقربون وهى الدعوة
بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واسارة التوحيد فلما وجدوا الطويحات
الحقيقية * والتعريفات الربانية * اجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم
فصار متابعتهم لاقوال اجابتهم نفسها ومتابعتهم لاعمال اجابتهم قلبها والتحقق
بالاحوال اجابتهم روحها فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض قال
عمر رضى الله عنه رحم الله صهييا لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب
له كتاب امان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم امر الله على القيام
بواجب حق العبودية اذ لم اعرف من حق العظمة فاجابة الصوفية
الى الدعوة اجابة المحب للمحبوب على اللذائذ وذهاب العسر واجابة
غيرهم على المكابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات اثرها فى
القيام بحقائق الاستقامة والعبودية قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى
وصدق بالحسنى فسيسره اليسرى قائل بعضهم اعطى الدارين ولم ير شيئا
واتقى اللغو والسيئات وصدق بالحسنى اقام على طلب الزاغى والآية
قيل نزلت فى ابنى بكر الصديق رضى الله عنه قال ويلوح فى الآية
وجه آخر اعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق
بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فتسببه
لليسرى فتفتح عليه باب السهولة فى العمل والعيش ولافس ومن بخل
بالاعمال واستغنى واعتلا بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن فى الملكوت بنفوذ
بصيرته بالجوال * يسد عليه باب اليسرى لافعال * قال بعضهم اذا اراد
الله بعد سوء سد عليه باب العمل * وفتح عليه باب الكسل * فلما
اجابت نفوس الصوفية وقلوبهم

لا ان يقال
كوشف ابو يزيد بكرهية الرجل الزبارة خوفا من الشهرة بزيارة مثل ابنى
يزيد فرجع لذلك وستر من اصحابه ما كوشف به بآباده ما يصرفهم عن
زيارته فى الحال والاستقبال او اطعمه الله تعالى من مزة وحقيقة امره حين

شاهدة على ما سلبه اهلية زيارة مثله له فلا بعد فى ذلك ويكون ما اظهره
لن معه مما يوم القدر انما هو على قدر فهمهم عملا بمقتضى قوله عليه
الصلاة والسلام امرنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم مع ما فيه من
ابقاء السر على الرجل وعلى ابنى يزيد فى كونه كوشف بغيث من الغيوب
والله اعلم وقد اسلفنا من حقائق علوم القوم ما نفتقر الآن الى بيانه *
ونطالب بكشف معناه فلما بوخر شئى عن اوانه * ولنجعل محصول ذلك
مبسوطا فى فصول * ومن الله تعالى الى تمام الغرض من ذلك لرغب فى
الوصول *

فصل فى حقيقة الولاية والولى * وذكر

كلام القوم فى ذلك على الوجه الجلى *

قال الشيخ الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه فان قيل فما معنى
الولى قيل يحتمل امرين احدهما ان يكون فعيل مبالغته من الفاعل كالعليم
والقدير وغيره فيكون معناه من توالى طاعته من غير تخلل معصية ويجوز
ان يكون فعلا بمعنى مفعول كتحليل بمعنى مقبول وجريح بمعنى مجروح
وهو الذى يتولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته قال بعضهم رحمة
الله عليه ان يكون فعيل بمعنى مفاعل اولى من ان يكون بمعنى فاعل فيكون
معنى الولى للطاعات والقرابات * المواصل للعفاف والنزوة عن المخالفات *
وفعل قد ياتى بمعنى مفاعل كحسبب بمعنى محاسب ونديم بمعنى منادم
فسال وهو معنى قول سهل بن عبد الله التستري الولى هو الذى توالى
افعاله على الموافقة قلت وهذا قريب من قول ابنى القاسم القشيري
فيكون معناه من توالى طاعته من غير تخلل معصية وانه من الفاعل
كالعليم والقدير وحقيقة الولاية القرب تقول ولبنى فلان اذا قرب منك
وتقول ولبنى الخير ووليه الشر وتقول هذا اسم الذى يليه تريد لا حاجز
بينهما ولا فارق فولى الله عبارة عن اقرب خلقه بعد الانبياء عليهم السلام

اليه وادناهم منه وذلك بالمكانة دنده والمنزلة لديه وعلى الله سبحانه
من المكان فكل من كانت حاله طاعة لا معصية فيها واستقامته لا عوج
فيها وشهود لا غيبة فيه فهو ولي الله حقا * وأولى الناس به صدقا *
قال ابن عطاء الله رضى الله عنه واعلم رحمك الله باقباله عليك * وجعل
أواره وأصلته إليك * انها ولايتان ولي يتولى الله وولى يتولا الله قال عز
وجل في الولاية الأولى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب
الله هم الغالبون وقال في الولاية الثانية وهو يتولى الصالحين وقل الشيخ
أبو الحسن رضى الله عنه من أجل مواهب الله الرضى بمواقع القضاء
والصبر عند نزول البلاء والتوكل على الله عند

الشدائد * والرجوع اليه عند النوائب فمن خرجت له هذه الأربع
من خزان الأعمال على بساط المجاهدة ومثابرة السنة والاقتداء بالآئمة
فقد صححت ولايته لله ورسوله والمؤمنين ومن يتول الله ورسوله والذين
آمَنُوا فإن حزب الله هم الغالبون ومن خرجت له من خزان المنن على
بساط المحبة فقد ثبت ولايته الله له بقوله وهو يتولى الصالحين ففرق
بين الولايتين فبعد يتولى الله وبعد يتولا الله فهما ولايتان صغرى وكبرى
فولايتك لله خرجت من المجاهدة وولايتك لرسوله خرجت من متابعة
سنته وولايتك للمؤمنين خرجت من الاقتداء بالآئمة فافهم ذلك من
قوله ومن يتول الله ورسوله الآية ثم قال واعلم رحمك الله بورد عواطفه *
وفهمك لطائف عوارفه * أن الصلاح في قوله عز وجل وهو يتولى الصالحين
ليس يراد به الصلاح الذى يقصده أهل الطريق عند تفضيل المراتب
فيقولون صالح وشهود وولى بل الصلاح هنا المراد به الذين صالحوا لحضرته
بتصديق الفناء عن خليفته الم تسمع قول الله سبحانه حاكيا من يوسف
عليه السلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين أراد بالصالحين هنا المرسلين من
آبائهم لأن الله تعالى أهلهم لنبوته ورسالته فكأنوا لها أهلا قال وإن شئت
قلت هنا ولايتان ولايته لإيمان ولايته لايقان فولايته لإيمان قال الله

سبحانه فيها الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفى
هذه الآية فوائد انظرها هنالك ثم قال واعلم ان ولايته الله تتضمن النفع
والدفع اما النفع فمن قوله فلولا كانت قريته آمنتم فنفعها إيمانها ومن
قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما راوا بأسنا وهذا في وصف الكافرين فمفهومه
ان لإيمان ينفع المؤمنين ولو عند روية البأس وكذلك قوله يوم يأتى
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
في إيمانها خيرا فمفهومه اذا كانت مومنة من قبل نفعها إيمانها واما
الدفع فمن قوله ان الله يدافع عن الذين آمنوا وتتضمن النصرة لقوله
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وتتضمن النجاة لقوله حقا علينا نجى
المؤمنين واما ولايته لايقان فهي تتضمن لإيمان والتوكل وقد قال سبحانه
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولا يكون التوكل إلّا مع اليقين ولا يكون
يقين وتوكل إلّا مع إيمان لان اليقين عبارة عن استقرار العلم بالله فى القلب
ماخوذ من يقن الماء فى الجبل اذا سكن فيه فكل يقين إيمان وليس كل
إيمان يقينا والفرق بينهما ان لإيمان قد تكون معه الغفلة وان شئت
قلت هما ولايتان ولايته الصادقين ولايته الصديقين فولايته الصادقين
باخلاص العمل لله والقيام بالوفاء مع الله طلبا للجزاء من الله ولايته
الصديقين بالفناء عما سوى الله وبالبقاء فى كل شئ بالله وقد قال الشيخ
أبو الحسن رضى الله عنه فى بعض كتب الله المنزلة على أنبيائه من اطاعنى
فى كل شئ اطعته فى كل شئ بان العجلى له فى كل شئ حتى يرافى
أقرب اليه من كل شئ هذه طريق الولى وهى طريق السالكين وطريق
كبرى أى من اطاعنى فى كل شئ باقباله على كل شئ بحسن ارادة مولاه فى
كل شئ اطعته فى كل شئ بان العجلى له فى كل شئ حتى يرافى كافى
كل شئ واذا عرفت هذا فاعلم انها ولايتان ولى يفتى من كل شئ فلا
يشهد مع الله شيئا وولى يبقى فى كل شئ فيشهد الله فى كل شئ وهذا اتم
وان شئت قلت هما ولايتان ولايته دليل وبرهان * وولاية شهود وعيان *

فولاية الدليل والبرهان لاهل الاعتبار * وولاية الشهود والعيان لاهل الاستبصار * فلاحل الولاية الاولى قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ولاهل الولاية الثانية قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وارباب الدليل والبرهان عوام عند اهل الشهود والعيان لان اهل الشهود والعيان قدسوا الحق في ظهوره ان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف يحتاج الى دليل من نصب الدليل ام كيف يكون معرفا به وهو المعروف له قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه وكيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرفه شيء وقد سبق وجوده وجود كل شيء وقال الشيخ الولي ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضى الله عنه اعلم ان الولاية غير مكتسبة حكما ان النبوة غير مكتسبة وان الولي محفوظ كما ان النبي معصوم وقد انقسم الاولياء في الحفظ على قسمين فقوم يحفظون في الاعمال اذا شرعوا في عمل انشروحت صدورهم اليه وكثر حفظهم له لكثرة ثوابه فتمشطوا واستكنهم العزم على الدوام عليه ومتى فتروا عرقبوا معجلا حتى ان بعضهم كان اذا فتر من الذكر جاءه اشد فافتروس منه قطعة فيعود الى الذكر وهذا من علامة الحفظ لهذه الطائفة والطائفة الثانية يعملون ويجهدون فيعطون من باب الفضل لا من طريق الجزاء على العمل فيورثهم ذلك مجزا عن روية اعمالهم مع الدوام عليها ولهذا قالوا من ظن انه يبدل المجهود يصل غمتهن ومن ظن انه بعد

بذل المجهود يصل فتمتن فادتهم هذه الحقيقة الى ترك التوسل بالاعمال * واسقاط المحول والقوة في شهود الانفعال * وهذا آخر مقام الاولياء واول قدم الانبياء وفي هذا القدر من هذا الفصل ما يثلج الصدور * ويطلع الاقلام في كمال البدور * وفي مقدمة الباب الثالث من هذا مزيد * فليطلبه هناك من تعطل له من سالك ومريد *

فصل في ابتداء ما لاجله اختصت

باسم الصوفية هذه الطائفة * وشرح ذلك بما عسى ان يظهر من سره لطائف *

قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن ينتمى الى ذلك يقال له مصوف وللجماعة المتصوفة وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس بين ولا اشتقاق ولا ظهور فيه انه كالقلب واما قول من قال انه من الصوف والصوف اذا ليس الصوف كما يقال نقص اذا ليس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجيء على نحو الصوف ومن قال انه من الصفا فاشتقاق الصوفي من الصفا بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصنف فكانهم في الصنف لاول بقلوبهم من حيث الحاضرة فالعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة من الصنف ثم هذه الطائفة أشهر من ان يحتاج في تعيينهم الى قياس لفظ واشتقاق قلت قال الهروي الصفة موضع مظل في المسجد كان يابى اليه المساكين واقرهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي مال اليه الامام السهروردي رضى الله عنه انهم سمو الصوفية والواحد صوفي لظاهر زيهم الغالب وهو لباس الصوف ورجح ذلك بانهم لما كان حالهم بين سيرة وطير لتقلهم في الاحوال وارتفاتهم من مال الى اعلا منه لا يفيدهم وصف ولا يحبسهم تحت ابواب الميزيد عليهم علما وحالا مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقيدهم بحال لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا الى ظاهر اللبسة فكان ذلك ابين في الاشارة وادعى الى عنصر وصفهم لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وايضا لان حالهم حال المقرين كما سبق ذكره ولما كان الاعتناء الى القلب وعظم الاشارة الى قرب الله

تعالى امر صلف يعز كشفه ولاشارة اليه وقعت لاشارة الى زيهم ستر
لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم ان تكثر لاشارة اليه وتداوله كالسنة فكان
هذا اقرب الى لادب ولادب في الظاهر والباطن والقول والفعل مما امر
الصوفية قال وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم الى اللبسة ينبى عن ثقلهم
من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس اليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى
ان المتبدى الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول في امرهم يوطن نفسه
على الثقل والتشقق ويعلم ان الماكول من جنس الملبوس فيدخل في
طريقهم على بصيرة وهذا امر مفهوم معلوم عند المتبدى ولاشارة الى شئ
من حالهم وتسميتهم بذلك ابعد من فهم ارباب البدايات فكانت تسميتهم
بهذا انفع وايضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سمو صوفية لذلك يتضمن
دعوى واذا قيل سمو صوفية للبسهم الصوف كان ابعد من الدعوى وكل
ما كان ابعد من الدعوى كان اليق بحالهم وايضا لان لبس الصوف حكم
ظاهر على الظاهر من امرهم ونسبتهم الى امر آخر من حال او مقام امر باطن
والحكم بالظاهر اليق واولى بالقول انهم سمو صوفية للبسهم الصوف اليق
واقرب الى التواضع ويقرب ان يقال لما اكثروا الذبول والخمول والتواضع
والانكسار والتخلى والتواضع كانوا كالحرفة الملقاة والصوفة المرماة التي
لا يربط فيها ولا يلتفت اليها فيقال صوفى نسبة الى الصوفة كما يقال
كوفى نسبة الى الكوفة ثم قال وقيل كان هذا الاسم في لاصل صوفى فاستقل
ذلك وجعل صوفيا ثم قال وهذا الاسم لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل كان في زمن التابعين وقيل من الحسن البصرى رضى الله عنه
انه قال رايت صوفيا في الطواف فاعطيته شيئا فلم ياخذ وقيل معنى
اربعة دوائق يكفى ما معنى ويشيد هذا ما روى عن سليمان انه قال
لولا ابو هاشم الصوفى ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على ان هذا الاسم
كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة النبوية
لانه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكون لاشارة اليها اولى من كل لاشارة وبعد انقراض
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ منهم العلم يسمى تابعا ثم لما
تقدم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوى وتوارى النور
المصطفوى واختلفت الآراء وتفرد كل ذى رأى برأيه وكدر شرب الماء
شرب لاهوتية وتزعزعت ابنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وقلبت
الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت اربابها وتزخرفت
الدنيا وكثر خطاياها تفرد طائفة بأعمال صالحة واحوال سنية وصدق في
العزيمة وقوة في الدين وزهد في الدنيا واشتموا العزلة والوحدة واتخذوا
لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون اخرى اسوة باهل الصفة
تاركين للاسباب متبطلين الى رب الارباب فائمه لهم صالح الاعمال سنى
لاحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لتبول العلوم وصار لهم
اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان كما قال حارثة
اصبحت مومنا حقا حيث كوشف برتبة في الايمان غير ما عهدتها فصار لهم
مقتضى ذلك علوما يعرفونها واشارات يتعاهدونها فحزروا لنفوسهم اصطلاحات
تشير الى معان يعرفونها وتعرب عن احوال يجدونها فاخذ ذلك الخلف
عن السلف حتى صار ذلك وسما مستمرا وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان
فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا فالاسم سميتهم والعلم بالله صفتهم
والعبادة حليتهم والتقى وحقائق الحقيقة اسرارهم نزع القبائل واصحاب
الفصائل سكان قباب الغيرة وقطان حبل الحيرة لم مع الساعات من امداد
فضل الله مزيد ولهبب شوقهم يتاجج ويقول هل من مزيد وقال مختصر
الرسالة الششتيرية لاكترون انه من لباس الصوف ولاصح انه من
الصفاء يقال صوفى فلان اذا خص بالصفاء وعوى اذا خص بالعافية وانشد
ببقي البسقى وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه سمعت الشيخ رضى الله
عنه يقول اختلف الناس في اشتقاق الصوفى فمنهم من قال انه منسوب

الى الصوف لانهم لباس الصالحين وقيل هو منسوب الى الصفة يعنى صفة
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نسب اليها اهل الصفة وهو
نسب على غير قياس ثم قال واحسن ما قيل فيه انه منسوب لفعل الله
به اى صافاه الله فصوفى فسمى صوفيا ثم انشد

تنازع الناس في الصوفى واختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى صافا فصوفى حتى سمى الصوفى
قال وسعته يقول الصوفى مركب من حروف اربعة الصاد والواو والفاء
والياء فالصاد صبرة وصفاه والواو وحدة ووده ووفاه والفاء فتده وفقره وفناه
والياء ياء النسبة اذا تكمل فيه ذلك اضيف الى حصرة مولاة وقال التادلى
في تشوفه اعلم ان الكثير من الناس لم يحصلوا حقيقة اشتقاقه والذي
يعول عليه ان الصوفى هو المنقطع بهيمته في طاعته وهو

في الاصل منسوب الى صوفته وهم قوم من العرب والتصوف هو المدخل
نفسه في الصوفية كقولهم تقيس اذا ادخل نفسه في قيس قال ابن فارس
في مجمله صوفته قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج
قال ابو عبد الله هم قبائل اجتمعوا وتشبهوا كما تشبهك الصوف وعن الخليل
ابن احمد صوفية حتى من تميم وهم الذين يجيزون الحاج من عرفات
كان يقوم احدهم فيقول اجزنى صوفته فاذا اجازت قال اجزنى خندى
فاذا اجازت اذن للناس كلهم في الاجازة وفي لافاضة

* فصلا في ذكر ماهية التصوف *

* فللنفوس الى ابداء حقيقتهم تشوف *

اعلم اكرمك الله ان للاقوم في ذلك حسب اختلاف الحال والمقام منهم
عبارات * ولهم في ارادة الكشف من ذلك وكل مبر عما يجده اشارات *
قال الاستاذ ابو القاسم الفشيرى رضى الله عنه سئل ابو محمد الجريرى عن
التصوف فقال الدخول في كل خلق سنى * والخروج عن كل خلق دنى *

وسئل الجنيد عن التصوف فقال هو ان يملك الحق عنك ويحييك بك
وسئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوف فقال ان يكون العبد في كل
وقت بما هو اولى في الوقت وقال محمد بن علي الصاب التصوف اخلاق
كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام وسئل سمعون عن التصوف
فقال ان لا تملك شيئا ولا يملكك شيء وسئل رويم عن التصوف فقال
استرحال النفس مع الله تعالى على ما يريد وسئل الجنيد عن التصوف
فقال الكون مع الله بلا علاقة وقال معروف الكرخي التصوف الاخذ
بالحقائق ولاياس مما في ايدي الخلائق وقال الجنيد التصوف هنوة لا
صلح فيها وقال ايضا التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل
مع اتباع وقال الكتاني التصوف خلق من زاد عليك في الخلق فقد زاد
عليك في الصفا وقال ابو علي الروذباري التصوف لاناخة على باب
الحبيب وابن طرد وقال ايضا صفوا القرب بعد كدورة البعد وقيل التصوف
كف فلوغ وقلب طيب وقال الشبلى التصوف الجلوس مع الله بلا هم
وقال ايضا التصوف فرقة محرقة وقال ايضا هو العصمة عن روية الكون
وقال الجريري مراقبة لاحوال ولزوم لادب وقال المزين التصوف الانقياد
لاحق وقال بعضهم التصوف اسقاط الهوى وسواد الوجه في الدنيا وقال ابن
يعقوب المزابلي التصوف حال

ابو سهل الصعلوكي التصوف لاعراض من الاعتراض وقال الامام السهروردي
رضي الله عنه سئل بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب من موافقة
البرية ومرافقة لاخلق الطيبة واخلاق صفات صورية ومجانبة الدواعي
النفسانية ومنازلات الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واتباع
الرسول في الشريعة الحميدة قال وقال بعضهم التصوف اوله علم واوسطه
عمل واخره موهبة وقال الششتري رضى الله عنه سئل ابن ادهم عن
التصوف فقال اول قدم منه بذل الروح وعلو الهمم عما تنافست فيه
لامم وسئل الحسين بن منصور الحلاج وهو على الخشبة مقطوع اليدين

والرجلين وقد مثل به ما التصوف فقال اوله ما ترى اليوم وآخرة ما قرأه
غدا يعني قتله قال وكان اوعده شيخه بذلك لما سرق كتابه الذي كان
فيه كلامه الخاص به وكان الحلاج يومئذ صغير السن فقيل للشيخ فلان
هرب بالكتاب فقال سوف يقتل به وتقطع يده ورجلاه فكان كذلك وقال
الشبلي التصوف لاقتداء بالسنة وما سوى ذلك حديث نفس

* فصل في كلام من اجتنبى *

* وصوفى وفي معنى الصوفى *

قال لاسناذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه قال الحسين بن منصور وقد
سئل عن الصوفى هو وهادى الذات لا يقبله احد ولا يقبل احدا وقال
ابو حمزة البغدادي علامة الصوفى الصادق ان يفتقر بعد الغنى ويذل
بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفى الكاذب ان يستغنى بعد الفقر
ويعز بعد الذل ويشهر بعد الخفاء وقال رويم بن احمد البغدادي التصوف
مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالذل ولا يشار
وترك التعرض للاختيار وقال حمدون القصار اصحاب الصوفية فان للشيخ
تقدم وجوها من المعاذير وليس للحسن تقدم كبير مرقع يعظمونك به
وقال الجنيد الصوفى كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا
كل مليح وقال ايضا كالارض يطأها البر والفاجر والسحاب يظل كل شيء
وكالظن يستقى كل شيء وقال رايت الصوفى يعنى بظاهرة فاعلم ان
باطنه خراب وقال سهل بن عبد الله التستري الصوفى من يرى دمه هدرا
وملكه مباحا وقال علامة الصوفى السكون عند العدم ولا يشار عند الوجود
وقيل اقبس من كل قبيح صوفى شحيح وقال الشبلي الصوفى منقطع من
الخلق متصل بالحق كقولهم واصطنعتك لنفسى قطع من كل غير ثم قال
لن تراه وقال ايضا الصوفية اطفال في حجر الحق وقال رويم لا تزال الصوفية
بخير ما تنافروا فاذا اصطاحوا فلا خير فيهم وقال ابو تراب النخشي الصوفى

لا يدركه شيء ويصفو به كل شيء وقال ذو النون هم قوم اثروا الله على كل
شيء فآثرهم على كل شيء وقال الراسطي كان للقوم اشارات ثم صار حركات ثم
لم يبق الا حركات وقيل الصوفى اذا استقبله حالان او خلفان كلاهما حسن
كان مع الاحسن وسئل الشبلي لم سمو بهذه التسمية فقال لبقية ببقية
عليهم من نفوسهم ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية وقال سمعت ابا حاتم
السجستاني يقول سمعت ابا نصر السراج يقول مثل ابن الجيلا ما معنى
صوفى فقال ليس نعوفه في شرط ولكن نعوف فقيرا مجردا من الاسباب
كان مع الله بلا مكان ولا يمنعه الحق من علم كل مكان يسمى صوفيا وقال
ابو الحسن الشيرازي الصوفى يكون مع الارادات لا مع الاراد وقال سمعت
الاسناذ ابا علي الدقاق يقول احسن ما قيل في هذا الباب قول من قال
هذا طريق لا يصلح الا لاقوام كنس الله بارواحهم المزابل ويقال الصوفى
مقهور بتصرف الربوبية مستور بتصرف العبودية ويقال الصوفى لا يتغير
فان تغير لا يتكدر وقال الامام السهروردي رضى الله عنه واقوال المشايخ
رضى الله عنهم في ماعية التصوف تزيد على الف قول يطول نقلها ونذكر
صابطا يجمع جمل معانيها فان الالفاظ وان اختلفت متقاربة المعنى فتقول
الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية لا يزال يصفى لاوقات عن شوب
لا كدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام
افتقاره الى مولاه فبدوام الافتقار يتفطن للكدر وكلما تحركت النفس وظهرت
بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته النافذة وفي منها الى ربه فيدوم تصفيته
جميعته وبمحركة نفسه تغرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه
على نفسه قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصرف قال بعضهم التصوف
كله اضطراب واذا وقع السكون فلا تصوف والسرفيه ان الروح مجذوبة
الى الحضرة الالهية يعنى روح الصوفى متطلعة منجذبة الى موطن القرب
وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على مقبها ولا بد للصوفى من

دوام الحركة بدوام لا فتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع اصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد في معنى التصوف جميع التفرق في الاشارات

* فصل في الكلام على التشبيه والتصوف *

* وكلاهما لا حوال الصوفي متشوف *

فالتصوف هو الذي تنبئت روحه لما تنبئت له ارواح الصوفية لان محبة امر الله وما يقرب اليه ومن يقرب منه يكون بجاذب الروح غير ان التشبيه تعرف بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والتصوف مطلع الى حال الصوفي وهو مشارك ببقاء شئ من صفات نفسه عليه للتشبيه فقال الامام السهروردي رضى الله عنه وطريق الصوفية اولى ايمان ثم علم ثم ذوق فالتشبيه صاحب ايمان ولايمان بطريق الصوفية اصل كبير قال الجنيد لايمان بطريقنا هذا ولايته والتصوف صاحب علم لانه بعد لايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرهما والصوفي صاحب ذوق فالتصوف الصادق نصيب من حال الصوفي والتشبيه نصيب من التصوف وهكذا سنة الله جارية ان كل صاحب حال فيه ذوق لا بد ان يكشف له علم بحال اعلى مما هو فيه فيكون في الحالة الاولى صاحب ذوق وفي الحال الذي كوشف فيه صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون في حال الذوق صاحب قدم وفي حال العلم صاحب نظر وفي حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى ان الابرار لفي نعيم على لرائك ينظرون وصف الابرار ووصف شرايهم قال سبحانه وتعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فكان لشراب الابرار مزج من شرب المقربين والمزج بين ذلك صرف فللصوفي شراب صرف وللصوفي من ذلك مزج في شرايهم والتشبيه مزج من شراب التصوف

فالصوفي سبق الى مقام الروح من بساط القرب والتصوف بالنسبة الى الصوفي كالمتزهد بالنسبة الى الزاهد لانه لفعل وتعمل وتسبب اشارة الى ما بقى عليه من وصفه فهو مجتهد في طريقه سائر الى ربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا سبق المغردون قيل من المغردون يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفي في مقام المغردين والتصوف في مقام السائقين واصل في سيره الى مقام القلب من ذكوة ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظرة الى نظر الله اليه فالصوفي في مقام الروح صاحب مشاهدة والتصوف في مقام القلب صاحب مراقبة والتشبيه في مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتصوكون الصوفي بوجود قلبه وتلوين التصوف بوجود نفسه والتشبيه لا تلوين له لان التلوين لارباب الاحوال والتشبيه سالك مجتهد لم يصل بعد الى الاحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الصابر عند البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد الله على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنته وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقيل احمد بن ماصم لانطاكي الظالم صاحب لا اقوال والمقتصد صاحب لا افعال والسابق صاحب لا حوال وكل هذه لا قوال قريبة التناسب من حال الصوفي والتصوف والتشبيه وكلهم من اهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتولف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعتاء وعنه عليه السلام من حديث اسامة بن زيد انه قال في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله كلهم في الجنة وقال ابن عطاء الله الظالم الذي يحب الله لاجل الدنيا والمقتصد الذي

يحبب الله من اجل العقبي والسابق هو الذي اسقط مراده لمراد الحق فيه وهذا هو حال الصوفي فالتشبه تعرض لشيء من امور القوم ويوجب له به ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير قلت وصف الزاهد والمابد على الغفلة والعادة والذاكر الله بلسانه ومحب الله من اجل الدنيا فالظالم على هذه المحامل المتقدمة انما هو باعتبار انها مرجوحة بالنسبة الى ما فوقها من المقامات على حد حسنات لا بوارسيات المتربين واللا فهي كلها راجعة بالنسبة الى اهل

على مرتبتها بالنسبة اليها وصف ظالم فان الظالم لنفسه باعتبار مرجوحية احوالنا الجارية على مقتضى احوال عامة لامة التي المتعتبر فيها ظاهر الشريعة من استحقاق الثواب والعقاب انما هو مرتكب المخالفات ولكن لكل مقام مقال قال فالتشبه الحقيقي له ايمان بطريق القوم وعمل بدهن صاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه انه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فاما من لم يطلع الى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا يتصد اوائل مقاصدهم بل هو على مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزى والصورة دون السيرة والصفة فليس بتشبه بالصوفية لانه غير محاك لهم بالدخول في بدايتهم فاذا هو متشبه المتشبه يعزى الى القوم بمجرد لبسته ومع ذلك هم القوم لا يشقى جلسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم

* فصل في ذكر معاني الفقر وحقيقتهم *

* وبيانه على منهج علم القوم وطريقتهم *

قال لاساذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه الفقر شعار الاولياء ولاصفاء وحلية اختارها الله سبحانه لخواصه من الانبياء والائمة والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع اسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم ييسر عليهم الرزق وقال ابراهيم القصار الفقر لباس يورث الرخاء اذا

تحقق العبد فيه وقيل ليحيى بن معاذ ما الفقر فقال خوف الفقر قيل فما الغنى قال لا امن بالله تعالى وقال الشبلى ادنى علامات الفقر ان لو كانت الدنيا بأسرها لاحد فانفتحتها في يوم ثم خطر بباله انه لو امسك منها قوت يوم ما صدق في فقرة وسئل ابن الجلاء عن الفقر فسكت حتى خلا ثم ذهب ورجع من قريب ثم قال كان عندي اربعة دنانير فاستحييت من الله ان اتكلم في الفقر فذهبت واخرجتها ثم قعد ولتكم في الفقر وقيل صحبة الفقر ان لا يستغنى الفقير في فقرة بشيء الا بمن اليه فقرة وهو الذي قال الشبلى وقد سئل عن الفقر ان لا يستغنى بشيء دون الله تعالى وقال لاساذ ابو علي الدقاق رحمه الله تعالى وقد سئل من قوله عليه الصلاة والسلام كاد الفقر ان يكون كفرا آفة

وقدره فكما كان في نفسه افضل فصده وآفة انقص كالايمان لما كان اشرف الخصال كان ضده الكفر ولما كان ضد الفقر الكفر دل على انه اشرف الاوصاف وقال ابو خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج من احكام الصفات وقال الامام السهروردي رضى الله عنه قال ابن الجلاء الفقر ان لا يكون لك فان كان لا يكون لك وقال ابراهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المؤمنين وجلباب الصالحين وقال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب وقال يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان لا يستغنى الا بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابو بكر الطوسي بقيت مرة اسال من معنى اختيار اصحابنا لهذا الفقر على سائر الاشياء فلم يجبنى احد بجواب يلسعني حتى سالت نصر بن الحمامي فقال لي لانه اول منزل من منازل التوحيد فتنعت بذلك وقال الشيخ ابوالحسن الششتري رضى الله عنه قال الشيخ ابو محمد ابن سبعين الفقر هو الذي لا يظهر به على الفقير الا لسان محزون وفعل موزون وفكرة تجول فيما هو كائن ويكون وقال ايضا الفقر هو شكر النعم على كل حال وقال ايضا هو فقد كل ما يحتاج اليه

* فصل في التعريف بالفقير وعلو قدره *

* وشرح حاله العزيز الوجود لمن لم يدركه *

قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه في حديث حذفته سنداه
لطوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ مفتاح ومفتاح
الجنة حب الساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وقيل ان
رجلا اتى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى ان يقبلها وقال انريد ان
تتحقق اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا افعل وقال معاذ النسي
ما اهلك الله تعالى قوما وان عملوا ما عملوا حتى اهانوا الفقراء واذلواهم وقيل
لو لم يكن للفقير فضيلة غير ارادة سعة ورخص اسعارهم لكفاه ذلك لانه
يحتاج الى شرائها والغنى يحتاج الى بيعها وهذا لعوام الفقراء وسئل يحيى بن
معاذ عن الفقير فقال حقيقته ان لا يستغنى الا بالله تعالى ورسمه عدم
الاسباب كلها وقدم على الاستاذ ابي علي الدقاق رحمه الله فقير في سنة
خمس او اربع وستين وثلاث مائة من رقي وطلبه
مسح وقلنسوة فقال له بعض اصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه
اشتريته بالدنيا فطلب بالآخرة فلم ابعه
وقال ابو علي الدقاق قلم فقير في مجلس يطلب شيئا فقال انى جائع منذ
ثلاثة ايام وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال كذبت ان الفقر
سر وهو لا يصح سره عند من يحمله الى من يريد وكان الجنيد يقول يا معشر
الفقراء انكم تعرفون بالله وتكرمون الله فانظروا كيف تكونون مع الله
اذا خلوت به وسئل روي عن نعمت الفقير فقال ارسل النفس في احكام
الله تعالى وقيل نعمت الفقير ثلاثة اشياء حفظ سره واداء فرضه وصيانة
فقره وقيل اوحى الله سبحانه الى موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اذا
رايت الفقراء فسائلهم كما تسائل لاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شئ
ملكك نعمت الغراب وقيل للربيع بن خثيم قد غلا السعر فقال نحن اهل

على الله من ان يجمعنا انما يجمع اولياءه وقال ابراهيم بن ادهم طلبنا الفقراء فاستقبلنا
الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر وسئل ابو حفص بما ذا يقدم
الفقير على ربه فقال وما للفقير ان يقدم به على ربه سوى فقره وقيل
اوحى الله الى موسى عليه السلام تريد ان يكون لك يوم القيامة مثل
حسنات الخلق اجمع قال نعم قال عد المرضي وكفن لثياب الفقير فاليها
فجعل موسى على نفسه في كل شهر سبعة ايام يطوف على الفقراء فيفلى
ثيابهم وقال ابن الجلاء وقد سئل متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم
تبق عليه بقية منه فقلت كيف ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا
لم يكن له فهو له وقال عبد الله بن المبارك اظهار الغنى في الفقر احسن من
الفقر وقال ابو حفص احسن ما يتوسل به العبد الى مولاه دوام الفقر الى ربه على
جميع الاحوال وملازمة السنة في جميع الافعال وطلب الثوت من وجهه حلال
وقيل اقل ما يلزم الفقير في فقره اربعة اشياء علم يسوسه وورع يحجزه ويقين
يحمله وذكر يونسه وقيل من اراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا ومن اراد الفقر
لثلا يشتغل عن الله مات غنيا وقال المزين كانت الطرق الى الله اكثر من نجوم
السماء فما بقى منها طريق الا طريق الفقر وهو اصح الطرق وقال النوري
نعت الفقير السكون عند العدم ولا يثار عند الوجود وقال منصور المغربي
رحمه الله قال لي ابو سهل الخشاب الكبير فقر وذل فقلت له لا بل فقر
ومز فقال فقر وثرى فقلت فقر وعرش وكان الجنيد يقول اذا لقيت الفقير
فالتزم بالرفق ولا تفاقم بالعلم فان الرفق يونسه والعلم يوحشه فقلت بابا
القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم الفقير اذا كان صادقا في فقره
فطرحت عليه علمه ذاب كما يذوب الرصاص في النار وقال ابو حفص
لا يصح لاحد الفقر حتى يكون العطاء احب اليه من الاخذ وليس السخاء
ان يعطى الواجد العدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواجد وقال ابن الجلاء
لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير اذا مشى ان يتبختر وقيل اوحى الله
سبحانه الى بعض الانبياء عليهم السلام ان اردت ان تعرف رضاعى عندك

فانظر كيف رضاء الفقراء منك وقال ذو النون المصري دوام الفناء الى الله
تعالى مع التخليط احب الي من دوام الصفاء مع العجب وقال محمد بن علي
الكتاني كان عندنا بكة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا
فوقعت محبته في قلبي ففتح علي بمائتي درهم من وجهه حلال فحملتها
اليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت له فتش لي في ذلك من وجهه
حلال فاصرفه في بعض امورك فنظر الي خيرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة
مع الله سبحانه على الفراغ بسبعين الف دينار غير الصباغ والمستغلات
تريد ان تخدعني منها بهذه وقام وبددعا وقعدت النقطة ما رايت كعزة
حين بدد ولا كذلي حين كذت النقطة وقال خير النماذج دخلت بعض
المساجد واذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي وقال ايها الشيخ تعطف علي
فان محنتي عظيمة فقلت وما هي قال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت
فاذا هو قد فتح عليه بشئ من الدنيا ونال لامام السهروردي رضي الله
عنه مثل سهل بن عبد الله عن الفقير الصادق فقال لا يسال ولا يرد ولا
يحبس وقال ابو علي الروذباري سألني الدقاق فقال يا ابا علي لم ترك
الفقراء اخذ البغلة في وقت الحاجة قلت لانهم يستغنون بالعطى عن
العطايا قال نعم ولكن وقع لي شئ آخر فقلت ماتت افدنتي ما وقع لك
قال لانهم قوم لا يشبههم الوجود اذ لله فاقتهم ولا تضرهم الفاقة اذ لله
وجودهم وقال المسوحي الفقير الذي لا تعنيه النعم ولا تغيظه المعن وقال
ابوبكر بن طاهر من حكم الفقير ان لا يكون له رغبة فان كان ولا بد
لا تجاوز رغبته كفايته وقال قارس قلت لبعض الفقراء ورايتهم وعليه اثر
الجوع والصبر لم لا تسال فقال اخاف ان اسالهم فيمنعوني فلا يفلاحون

* فصل نشير فيه الى الفرق بين الفقر والتصوف *

* فاني من التباس حقيقتيهما على تخوف *

اعلم انهم كثيرا ما يوقعون اوصاف التصوف على معنى الفقر واصاف الفقر

على معنى التصوف فلا بد من الكشف عن ذلك وتمييز القول فيه وتبيين
الفرق بين حقائق التصوف والفقر والزهد قال لامام السهروردي رضي
الله عنه الفقير في فقره متمسك به متحقق بفضل يورثه على الغنى متطلع
الى ما تحقق من العوض عند الله تعالى حيث يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخل فقرا امي الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة
عام فكما لاحظ العوض الباقي امسك من الحاصل الفاني وعانق الفقر
والقلته وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض فقد قال بعضهم ان الفقير
الصادق ليحترز من الغنى حذر ان يدخل عليه الغنى فيفسد ذقيرة كما ان
الغنى يحترز من الفقر حذر ان يدخل عليه الفقر فيفسد فناء وهذا عين
لاعتلال في طريق الصوفى لانه تطلع الى الاغواض وترك لاجلها والصوفى
يترك الاشياء لا للاغواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته
وايضا ترك الفقير الخط العاجل واقتنائه الفقر اختيار منه وارادة ولا اختيار
ولا ارادة ملته في حال الصوفى لان الصوفى صار قائما في الاشياء بارادة الله
لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا في صورة غنى وانما يرى
الفضيلة فيما يقف فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله في
الدخول في الشئ وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله
ويرى الفضيلة حيث في السعة لكان اذن من الله فيه ولا يفسح في
السعة والدخول فيها للصادقين الا بعد احكامهم علم الاذن وفي هذا منزلة
لاقدام وباب دعوى المدين وما من خال يتحقق به صاحب الحال الا
وقد يحكيه راكب الحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى من
بينة فاذا انضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر
اجناس التصوف وبه قوامه على معنى ان الوصول الى رتب التصوف
طريقة الفقر فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف لا على معنى انه
يلزم من وجود التصوف وجود الفقر فالصوفى متهم لنفسه مستقل لعمله
غير راكن الى معلومه قائم بمراد الله لا بمراد نفسه والفقر والزهد يكونان

في الاشياء بنفسهما واقفان مع ارادتهما مبلغ عليهما والصوفى هو المستبين
 لالحسن من عند الله بصدق التجاني وحسن انابته وحظ قرب به ولطيف
 ولوجه وخروجه الى الله الكريم لعلمه بربه الكريم وحظه من محادثته
 ومكالمته والفاير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل
 يختاران من الاخلاق ايضا ما هو لادنى الى التوكل والخروج من شواغل
 الدنيا حاكمان في ذلك بعلمهما والصوفى كما قال بعضهم وقد سئل من اصعب
 من الطوائف قال الصوفية فان للصبح عندهم وجهها من المعاذير وليس
 للحسن عندهم موقع يزعمونك به فتعجبك نفسك والفقر والزاهد
 يستعظمان الترك ويستعجبان لاخذ ذلك لصيق ورائعها ووقوفها على
 حد عليهما قلت اما الزهد والفقر فقد نص في كلام قبل هذا على انهما
 غيران حيث قال التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد
 فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد واصافة لا
 يكون الرجل بدونها صوفيا وان كان زاهدا فقيرا واهل الشام لا يفرقون بين
 التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى للفقراء الذين احصوا في سبيل الله
 هذا وصف الصوفية والله تعالى سماعهم فقراء فهذا كلام صريح في ثباين هذه
 الحقائق وراجعية التصوف الى الفقر والفقر على الزهد وان ذلك اختياره
 لاستدلاله عليه والذي ذهب اليه الشيخ ابو الحسن الششتري رضى
 الله عنه ترجيح الفقر على التصوف وهو طريقة قوم وقال مختصر رسالته
 قيل الفقر والتصوف بمعنى واحد لان الفقر لا يحتاج الى الله تعالى ولا
 يكون ذلك الا مع الصفاء من الكدورات فحيث كان التصوف من
 المقامات يتبعه الفقر وحيث كان الفقر يتبعه الصفاء وقيل هما متباينان
 ولكن التصوف افضل لانه غاية الفقر وهذا مذهب صوفية الوقت
 وسكان الخوانك وقيل الفقر افضل لانه شامل لكل ما سوى الله لان الحادث
 مفقر لوجود يوجده ثم لمنعم ينعم عليه فالفقر يكون قبل التصوف ومعه
 وبعده لقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فكلم مقام لا بد

ان يكون صاحبه فقيرا فالفقراء هم من وجه واخص من وجه

* فصل في حقيقة الزهد وما فيه *

* وذكر ذلك بصرف الهمة الى تلافيه *

قال الامام السهروردي رضى الله عنه قال الجنيد الزهد خلو لا يدى من
 لاملاك والقلوب من التبع وسئل الشبلى عن الزهد فقال لا زهد في
 الحقيقة لانه اما ان يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد واما ان يزهد
 فيما هو له فكيف يزهد فيه وهو معه وعندة فليس الا النفس
 وبذل ومواساة يشير الى الاقسام التى سبقت بها للاقلام قال وهذا لو اطرد
 لهنم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود الشبلى ان يقلل الزهد في عين
 الحسد به لثلا يغتر بالزهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل
 قد اوى زهدا في الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وقد سمي
 الله عز وجل الزاهدين علماء في قصة هارون فقال وقال الذين اوتوا العلم
 ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون وقيل في قوله تعالى وجعلناهم ائمة
 يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وفي الخبر العلماء امناء الرسل ما
 لم يدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجاء في
 لا اثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله ما لم يبالوا
 ما نقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم
 لستم بها صادقين وقال سهل اعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب
 زهدهم زيادة لهم وقيل من سمي باسم الزهد في الدنيا فقد سمي بالف
 اسم محمود ومن سمي باسم الرغبة في الدنيا فقد سمي بالف اسم مذموم
 وقال السرى الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ويجمع
 هذه الحظوظ المادية والجاهية حب المنزلة عند الناس وحسب الحمدوة
 والثناء وسئل الشبلى عن الزهد فقال الزهد غفلة لان الدنيا لا شئ والزهد
 في لا شئ غفلة وقال بعضهم لما راوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في

الدنيا لهوانها عندهم قل وعندى ان الزهد فى الزهد غيرهما وهو انما الزهد فى الزهد بالخروج من الاختيار فى الزهد لان الزاهد اختار الزهد وارادة وارادته الى علمه وطمه قاصر فاذا اقيم فى مقام تركت الارادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله حيثذ او يعلم ان مراد الله منه التلبس بشئ من الدنيا بالله وباذن منه زهدا فى الزهد والزاهد فى الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها اخذها بالله وهذا هو الزهد فى الزهد وقد راينا من العارفين من اقيم فى هذا المنام وهذا مقام آخر فى الزهد وهو لمن يرد الحق اليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه فى مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد ان يمكن من ذاصيتها واعيدت عليه موهبة ويكون تركه للدنيا فى هذا المقام باختياره واختياؤه من اختيار الحق فقد يختار تركها حينئذ تالسا بالانبياء والصالحين ويرى اخذها فى مقام الزهد فى الزهد وفقا ادخل عليه لموضع ضعفه عن ترك شاولا قويا من الانبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناول به باختياره وفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم وهذا مقام التصوف لا قويا العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا اولاه وقال الشيخ ابو مدين رضى الله عنه الزهد فريضة وفضيلة وقربة فالقرص فى الحرام والفصل فى التشابه والقربة فى الحلال وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله تعالى عنه واعلم ان الزهد المشار اليه عند القوم ليس هو خلو اليد من الاسباب وانما هو خلو القلب مما سوى الله تعالى فان وجدت لاسباب قام فيها مقام الوكيل المتصرف من اذن المالك فهو ينفقها فيما يرضاه تارة يعطى الحقوق لمستخدمها وتارة يستجلبها وتانىها اقتداء بمن قال انى لاعطى للرجل وغيره احب الي مخافة ان يكتم الله فى النار وان لم تكن لاسباب الطامرة عند هذا المؤمن انفق من لاسباب الباطنة فيواسى الساكنين بالتعليم والمريدين بالتفهيم

وهذا مقام الورثة والخلفاء قال عليه السلام الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله

* فصل فيمن انتمى الى الصوفية من الاصناف * * وانتسب اليهم فى حميد ما لهم من الاوصاف *

فمن تلك الاصناف الملامية والقلندرية والتميمية والظرفاء فجعل الششتري الملامية والتميمية والظرفاء والمتصوفة اجناسا والحق القلندرية باصناف الفقراء المتجربين وجعل الامام السهروردى الملامية والقلندرية ممن انتمى الى الصوفية وليس منهم ولم يذكر التميمية والظرفاء الملامية وهم المتجربون بالباطن دون الظاهر نسبوا الى الملامية لانهم يظهرون ما يلاؤموا عليه تسرا لانفسهم وطلبا للاخلاص وهم لا يملكون غير لباس حسن ويظهرون البله وهم فى غاية الفطنة وقد تكون فى ايديهم المفاتيح يرمعون بها انهم اهل مال يحسبهم المجاهل اغنياء من التعفف ومنهم من يقبل من الناس ومنهم من لا يقبل والقلندرية هم اهل الحفا وكشف الراس والتعفف المحص والتميمية قوم يلبسون الثياب الفاخرة على هيئة معلومة ويعيشون بالسؤال او بخدمة ابناء الدنيا والظرفاء صنف من التميمية هذا كلام الشيخ ابو الحسن الششتري رضى الله عنه وقال الامام السهروردى رضى الله عنه الملامية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص ويرون كتم الاحوال والاعمال ويتلذذون بكتمتها حتى لو ظهرت اعمالهم واحوالهم لاحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته فاللامتى عظم وقع الاخلاص وموضع وتمسك به معتدا به والصوفى غاب فى اخلاصه عن اخلاصه واللامتى اخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن اثبت نفسه فهو مخلص والصوفى اخرج نفسه عن عمله وحاله كما اخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص والمخلص قال جعفر الخلدى سالت ابا القاسم الجنيد قلت اين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق اصل وهو الاول والاخلاص

فربع وهو تابع وقال بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول في العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة لا خلاص ومخالصة كانت في المخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتي ومخالصة لاخلاص حال الصوفي والمخالصة الكائن في المخالصة ثمرة مخالصة لاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل فيبته من روية قيامه وهو الاستغراق في العين من الآثار والتخلص من لوث الاستتار وهو نقد حال الصوفي واللامتي مقيم في اوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة خلاصه قال واسم يزل في جراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يهدون اساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد راينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم قلنا تتداول السنة اهل العراق هذا الاسم فاللامتي وان كان متمسكا بعروة لاخلاص مستغرثا بساط الصدق فانه عليه بقية روية الخلق وما احسنها من بقية تحقق لاخلاص والصدق والصوفي صفا من هذه البقية في طرق العمل والتترك للخلق وعزلهم بالكلية وراهم بعين الفناء والزوال ولاحت له ناصية التوحيد وقد يكون اخفاء الملامتي الحال على وجهين احدهما لتحقيق لاخلاص والصدق والاخر هو لائم لستر الحمال عن غيره بنوع غيره فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ في صدق المحبة ان يكره اطلاع احد على حبه لحيوبه وهذا وان علا فانه في طريق الصوفي ملته ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتي على المتصوف ويتاخر عن الصوفي وحاله حال شريف ومقام عزيز وله تمسك بالسنن والآثار وتحقيق لاخلاص والصدق تذييل اعلم ان من اصول الملامية على ما ذكره الامام السهروردي رضي الله عنه ان الذكر عندهم على اربعة اقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكنت السر والقلب واللسان من الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكنت القلب واللسان من الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فشر اللسان من الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر

اقبل اللسان وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس روية ذلك وتعظيمه او طلب ثواب به او ظن انه يصل الى شئ من المقامات به واقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا لاصل الذي بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعم ذكر اثر الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعي وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذي هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن النعم والاشتغال بروية العطاء روية من المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين لاقتلال حقيقة قلنت ظاهر هذا التقرير الجارى على اصول الملامية في اقسام الذكر عندهم ان عالم الروح اعلى من عالم السر ولا خفاء في ذلك من ظاهر كلامهم هنا والذي في تجريد التوحيد للغزالي رحمه الله خلاص ذلك فانه قال وقد جعل لكل واحد من القلب والروح والسر نوعا من الذكر يختص به كاشف القلوب بقول لا اله الا الله وكاشف الارواح بقول الله الله وكاشف الاسرار بقول هو هو فلا اله الا الله قوت القلوب والله الله قوة الارواح وهو هو قوت الاسرار فلا اله الا الله مغناطيس القلب والله الله مغناطيس الارواح وهو هو مغناطيس لاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة في صدفة في حقة او بمنزلة طائر في قفص في بيت فالبيت بمنزلة القلب فلهي لا تصل الى البيت لا تصل الى القفص ومهمى لا تصل الى القفص لا تصل الى الطائر وكذلك مهمى لا تصل الى القلب لا تصل الى الروح ومهمى لا تصل

الى الروح لا تصل الى السر فاذا وصلت الى البيت فقد وصلت الى عالم
القلوب فافتح قلبك بفتح الله وباب روحك بفتح الله الله
واستنزل طائر سرك بفتح قولك هو هو فان قولك هو قوت لهذا الطائر واليه
لاشارة بقوله تعالى يا موسى اجعلني طعامك وشرايك ثم قال واعلم ان تشبيه
القلب بالبيت والروح باللفص والسر بالطير تشبيه مجازي من جهة
الحس تدرياً لفهمك واشارة الى انه لا وصول الى عالم الارواح الا بعد العبور
عن عالم القلوب ولا وصول الى عالم الاسرار الا بعد العبور عن عالم الارواح
ولاً فالحقيقة بالعكس من ذلك فان عالم الارواح اكبر من عالم القلوب
وعالم الاسرار اكبر من عالم الارواح وانما مثله الحقيقي ثلاث دوائر بعضها
محيط ببعض هكذا



عالم الارواح
عالم القلوب
عالم الاسرار
عالم الارواح

فالدائرة الكبرى عالم لاسرار والوسطى
والصغرى عالم القلوب فعالم القلوب
الارواح وعالم لارواح اصغر من عالم
عالم القلوب اصغر من عالم لارواح لان
عالم القلوب اقرب الى عالم الشهادة من عالم لارواح وكان عالم لارواح اصغر
من عالم لاسرار لان عالم لارواح اقرب الى عالم الاشباح من عالم لاسرار وكل
ما كان الى عالم لاشباح اقرب كان الى الصغرى اقرب وكل ما كان منه
ابعد كان الى الكبرى اقرب لان عالم لاشباح عالم الصيق والمخرج والرحمة
وعالم لاسرار والارواح عالم الفسحة وكل ما كان اصغر مما هو اقرب الى عالم
الملوكات كان اكبر مما هو اقرب الى عالم الملك والشهادة وهو عالم لاسرار وقال في
فصل بعد هذا يليه عالم النفس وعالم البشرية وعالم الطبع مهوود ودرجات
لعالم العدل وعالم القلب وعالم الروح وعالم السر معارج ودرجات لعالم
الفصل فعالم النفس درك للعاصين وعالم البشرية درك للكافرين وعالم
الطبيعة درك للمنافقين ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار واما عالم
القلب فعمازج المريدين وعالم الروح معارج الصديقين وعالم السر معارج
وان شئت قلت عالم القلوب معارج اهل البهائية وعالم الروح

معارج اهل التوسط والكفاية وعالم السر معارج اهل الوصول والنهاية وان
شئت قلت عالم القلوب معارج التوايين وعالم الروح معارج الحيين وعالم
السر معارج العارفين فمهمي لم ترق من حظي طبعك وبشريتك ونفسك
لا تصل الى عالمهم فاذا ترقيت من ذكر صرح منه طبعك وبشريتك ونفسك
يستقبلك تصرف الحق فيك قلب المؤمنين بين اصبعين من اصابع الرحمان
بقلمه كيف يشاء فتارة يقلبه من قبض الى بسط ومن خوف الى رجاء
ومن بقاء الى فناء ومن صحو الى محو ومن طرب الى حزن وثارة يعكس
هذه الاحوال ويغير هذه الاوصاف فهو ابدان بين قبض وبسط وخوف ورجاء
وفناء وبقاء ومحو وصحو وطرب وحزن وثارة يجذب به عنه ويوصله الى اعلى
مراتب السائرين اليه وثارة يرد به عنه فيوقفه في ادنى منازل المنقطعين
جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وقال في فصل آخر فاذا
وصلت الى عالم الروح برز لك نعت القدم بتخصيص التخصيص ومنشور
التشريف من يله اضافة ونفخت فيه من روعي واذا وصلت الى
عالم السر كوشفت باسرار الغيب وزفت اليك عرائس ابكار الاسرار في
خلوات اولياء تحت قبابي لا يعرفهم غيري في مجلس بيني وبين عبيدي
سر لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ثم تاتييك الطاف القدرة
تحت المحصرة بما لا عين رأت ولا اذن سمعت فلا تعلم نفس ما اخفى
لهم من قرة عين فستمع بغير اذن وتبصر بغير عين فلا تسمع الا من
الغيب ولا تبصر الا من الغيب ويصير الغيب عندك عينا والخبر معانية
وهو معنى قوله راي قلبي ربي فحينئذ يجذبك عنك ويسلبك منك فتقع في
القبضة ويوصلك الى اعلى مراتب التوحيد والمعرفة في اعلى منازل السر
والهمة وهو نهاية لاقدام فحينئذ تقول سبحان من لم يجعل الطريق الى
معرفة الله بالعجز عن معرفته وقال في فصل آخر منه اذا قلت لا اله الا
الله ومسكنها منك اللسان ولا ثمرة لها في القلب فانت متافق وان كان
مسكنها منك القلب فانت مومن وان كان مسكنها منك الروح فانت

عاشق وان كان مسكنها منك السر فانت مكاشف فلايمان لاول ايمان
العوام والثاني ايمان الخواص والثالث ايمان خواص الخواص ولاول خبر
صدق مجرد والثاني ثمرة بصيرة وانشراح صدر والثالث ثمرة مكاشفة
ومشاهدة وقال في فصل آخر منه السالك له ثلاث منازل فالمنزل لاول
عالم الفناء والمنزل الثاني عالم المجذبة والمنزل الثالث عالم القبضة ومعنى
عالم الفناء ان السالك والمريد تفتي نفسه فيه ويبقى وجوده ويحصى صفاته
المذمومة ومعنى عالم المجذبة انه قد وقع في جذبة الملك ومعنى عالم القبضة
انه قد وقع في قبضة الله سبحانه وتعالى فيتصرف فيه من غير واسطة
فاذا كنت في عالم الفناء فواظب على قول لا اله الا الله واذا كنت في عالم
المجذبة فواظب على قول الله الله واذا كنت في عالم القبضة فواظب على
قول هو هو وانما كان ذكرك في عالم الفناء لا اله الا الله وفي عالم المجذبة
الله الله وفي عالم القبضة هو هو لانك ما دمت سالكا في عالم الفناء فالغالب
عليك عالم وجودك العدلى وما دمت سالكا في عالم المجذبة فالغالب
عليك عالم وجودك الفضلى فاجعل ذكرك في عالم الفناء لا اله الا الله لان
المستولى عليك عالم وجودك العدلى وصفاتك المذمومة واجعل ذكرك في
عالم المجذبة الله الله لان المستولى عليك عالم وجودك الفضلى وصفاتك
المحمودة لان كلمة لا اله الا الله خاصيتها في النفي والحو وكلمة الله الله
خاصيتها في التقوية والتنزيه وما دمت في عالم الفناء فانت الى النفي
والحو اخرج لان الغالب عليك الصفات المذمومة وما دمت في عالم المجذبة
فانت الى التقوية والتنزيه اخرج لان الغالب عليك الصفات المحمودة
واما اختصاص عالم القبضة بقولك هو هو لانك متى وصلت الى هذا العالم
فقد ذهب منك كدورات صفاتك العدلية واشرفت عليك انوار صفاتك
الفضلية واتصل بك تصرف الحق سبحانه وتعالى من غير واسطة وصرت
معدوما بالاضافة اليك موجودا بالاضافة اليه فانما بالاضافة اليك باقيا
بالاضافة اليه فاجعل ذكرك في هذا العالم هو هو لان الموجود هو والباقي

هو انتهى فانت اذا تأملت جملة هذه الفصول وما احتوت عليه من كلامه
الرائق وخطابه المرتدى اريدته المحقق وجدته على اختلاف تلك
المقاصد وتباين احوال تلك المراسد نصفا في اعلاء عالم الاسرار على عالم
الارواح وبيان لك ذلك في جلال حكايتها بادنى تأمل ولاج وهو غير ما
عن الملائية تاصل ومن حكاية الامام السهروردي فيما سبق تحصل
والى حاكم الذوق في تحقيق المذهبين الترافع وبين يديه بترجمة
لسان الفتاح يندفع تدافع فعلى الناظر ان يتأمل بعد تسليم الذوق
لا اله الا الله ما اوردها ويفهم من طواهر هذه النصوص الواردة ما اوردها فان
لامام السهروردي رضى الله عنه جعل في نقله عن الملائية ذكر الروح
ذكر المشاهدة وذكر السر وذكر الهيبة وقال في بيانه وسر هذا الاصل الذى
بنوا عليه ان ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات وذلك نص
في اكبرية ذكر الروح على ذكر السر والذى عند الامام الغزالي رحمه الله
في نشر طي كلامه المنقول عنه هنا التصريح بان علم السر اكبر من علم
الروح وان عالم السر هو عالم الشهادة والمكاشفة دون عالم الروح وان عالم
الروح معارج المحبين وعالم السر معارج العارفين وهو نهاية لاقدام الى غير
هذا من صريح كلامه في ان عالم السر اعلى من عالم الارواح والله تعالى اعلم
فلنرجع الآن الى تمام القول في هذا الفصل فنقول قال الامام السهروردي
رضى الله عنه ورحمه متصلا بالكلام السابق والقلندرية هم قوم ملكهم سكر
طبيعة القلوب حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد بأداب المجالسات
والمخاطبات وساحوا في ميادين طبيعة قلوبهم فقلت اعمالهم من الصوم
والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شئ من لذات الدنيا من كل ما كان
مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق
العزيمه ومع ذلك هم متمسكون بتوك الادخار وترك الجمع والاستكثار
لا يترسمون بتراكم المتشغفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطبيعة قلوبهم
مع الله واقتصروا على ذلك وليس لهم تطلع الى طلب مزيد سوى ما هم

عليه من طيبة قلوبهم والفرق بين اللامتى والقندرى ان الملامتى يعمل
 في كتم العبادات والقندرى يعمل في تخريب العبادات واللامتى يتمسك
 بكل ابواب البر والخير ويرى الفصل فيه ولا يخشى لاعمال ولا احوال ويرقف
 نفسه موقف العوام في هيئته ولبوسه وحركاته واموره مترا للحال املا يظن
 له وهو مع ذلك متطلع للمزيد بادل مجهدة في كل مقرب الى الله والقندرى
 غير مفيد بعبادة ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينهطف
 الا على طيبة القلب وهو راس ماله والصوى يضع لاشياء مواضعها ويدير
 الاوقات والاحوال كلها بالعلم بقيم الخلق مقامهم ويقيم امر الخلق مقامه
 ويستمر ما ينبغي ان يستمر ويظهر ما ينبغي ان يظهر ويبقى بالامور في مواضعها
 بحسب صورته وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص ومن
 الذين ادعوا الصوفى قوم يقولون بالحللول ويزعمون ان الله تعالى يحل
 فيهم ويحل في اجسام يصطفيها ويسبق الى فهمهم معنى من قول النصارى
 في اللاهوت والناسوت ومنهم من يستسيح النظر الى المستحسنات اشارة الى
 هذا الزعم ويتخيل له ان من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمرا لشي
 مما زعموه مثل قول الخلاج انا الحق وما يحكى عن ابي يزيد من قوله
 سبحانه جالسنا ان يعتقد في ابي يزيد انه يقول ذلك الا معنى الحكاية
 عن الله وهكذا ينبغي ان يعتقد في الخلاج في قوله ذلك ولو علمنا انه ذكر
 ذلك القول مضمرا لشي من الحللول رددناه والله تعالى منزه ان يحل به
 شي او يحل بشي حتى اهل بعض المتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية
 ويكون قد سمع كلمات تعاقبت بباطنه فتتولد له في فكه كلمات ينسبها
 الى الله تعالى وانها مكالمة الله اياه مثل ان يقول قال لى ربي وقلت له وهذا
 اما رجل جاهل بنفسه وهديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة
 واما عالم بطلان ما يقول يحمل له هواه على الدعوى بذلك يومه انه ظفر بشي
 وكل هذا قليل ويكون سبب تجريه على هذا ما يسمع من كلام بعض
 الصالحين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة

ونفسهم باصول العزم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا فلما صفت
 اسرارهم تشكلت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة نزلت لهم
 تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل
 كحديث في النفس يجدونه يروقه موافقا للكتاب والسنة مفهوما عن اهل
 موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم اياهم فيثبتون
 لانفسهم مقام العبودية واولاهم الربوبية فيضيئون ما يجدون الى نفوسهم
 والى مولاهم وهم مع ذلك عالون بان ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث
 احداثه الله تعالى في بواطنهم فطريق لاصحاء في ذلك الفرار الى الله تعالى
 من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساختهم من الهوى والهوى
 في بواطنهم شيئا ينسبون الى الله تعالى نسبة المحادث الى الحدث لا نسبة
 الكلام الى المتكلم لينصنوا عن الزيغ والتكريف ومن اولئك يغرقون في
 بحر التوحيد ولا يشبهون لنفوسهم حركة وعلما ويزعمون انهم مجبورون على
 الاشياء وان لا فعل لهم مع فعل الله سبحانه ويستسلمون في المعاصي وكل ما
 تدعو النفس اليه ويركنون الى البطالة ودوام الغفلة ولا تترار بالله عز وجل
 والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام وقد سئل سهل
 ابن عبد الله عن رجل يقول انا كالباب لا اتحرك الا اذا حركت قال هذا
 لا يقوله الا احد رجلين اما صديق او زنديق لان الصديق يقول هذا
 اشارة الى ان قوام لاشياء بالله تعالى والزنديق يقوله اسقاطا للانية عن
 نفسه وانخلاصا من الدين ورسمه فاما من كان معتقدا للحلال والحرام
 والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت منه معتقدا وجوب الحد منها
 فهو سليم صحيح وان كان تحت الصور بما يركن اليه من البطالة ويستروح
 بهوى النفس الى والتردد في البلاد متوصلا الى ثناول اللذات
 والشهوات غير متمسك بشيخ يودبه ويهذب ويصبر بعيد ما هو فيه

* فصل في ذكر المقامات والاحوال *

* وما فيها لهذه الطائفة من الاقوال *

* ونصرف القول اولا الى الفرق بين
* المقام والمحال عند اهل الطريقة فذكر
* ذلك متكفل فيهما بتعريف الحقيقة

اعلم انه قد كثر الاشتباه بين المقامات والاحوال واختلفت الاشارات في ذلك من الشيوخ وذلك لما كان تداخلهما في انفسهما واشتباهاهما فيتراى الشئ للبعض حالا ولللبعض مقاما وكلا الروييين صحيح لوجود التداخل فيحتاج في ذلك الى ضابط للفرق بينهما قبل ذكرهما ولا احسن في ذلك من كلام الامام السهروردي رضى الله عنه فيها قال رحمة الله عليه انما سمي المحال حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشئ بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل ان ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بقلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال للعبد حال المحاسبة يتعاده الحال ثم يحول المحال بظهور صفات النفس الى ان تتداركه المعونة من الله تعالى ويقلب حال المحاسبة وتنفجر النفس وتنضب وتملكها العاسية فتصير المحاسبة وطنة ومستقرة ومقامه ويصير في مقام المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة ثم ينزله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة في باطن العبد الى ان ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قرارة الا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد نازل المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة ايضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالانجلي ثم يصير مقاما فتخلص شمس من كسوف الاستتار ثم في مقام المشاهدة احوال وزيادات وتزيينات من حال الى حال اعلى منه كالتحقيق بالفناء والتخلص الى البقاء والترقى من حين اليقين الى حق اليقين وحق

اليقين يخرق شغاف القلب وذلك اعلى فروع المشاهدة وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم انا نسالك ايمانا يباشر قلبي قال سهل بن عبد الله للقلب تجويضان احدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويده والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الاشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل اشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التي خرفت شغاف القلب ووصلت الى سويده وهو حق اليقين هي لاسي العطايا واعز الاحوال واشرفها ونسبة هذه الحالة من المشاهدة كنسبة الآجر من التراب اذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم آجرا فالمشاهدة هي الاول والاصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن وهي آخر الفروع ولما كان الاصل في الاحوال هذه الحالة وهي اشرف الاحوال وهي محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد احوالا لانها غير مقدورة للعبد بكسبه فاطلقوا القول وتداولت السنة الشيوخ ان المقامات مكسب والاحوال مواهب وعلى الترتيب الذي درجناه كلها مواهب اذ المكسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة وفي الاحوال بطن الكسب وظهرت الموهبة فالاحوال مواهب طوية سماوية والمقامات طرقها وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضى الله عنه سلوى من طرق السماء فاني اعرف بها من طرق الارض اشار الى المقامات والاحوال فطرق السماء التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا فهي طرق السموات ومستنزلة للبركات وهي الاحوال لا يتحقق بها الا ذو قلب سماوي وقال بعضهم المحال هو الذكر الخفي وهذا اشارة الى شئ مما ذكرناه قال وسعت المشايخ بالعراق يقولون المحال مامن الله وكل ما كان من طريق لاكتساب والاعمال يقولون

هذا مامن العبد فاذا لاح لهريد شئ من المواهب والمواجيد قالوا هذا مامن الله وسوره حالا اشارة منهم الى ان الحال موهبة وقال بعض مشايخ خراسان لاحوال مواريث الاعمال وقال بعضهم لاحوال كالبروق فاذا دامت فحديث نفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما يكون ذلك في بعض الاحوال فانها تطرق ثم تسلبها النفس فاما على الاطلاق فلا ولاحوال لا تتميز بالنفس كالدهن لا يتميز بالماء وذهب بعضهم الى ان لاحوال لا تكون الا اذا دامت فاما اذا لم تدم فهي لوائح وطوالع وبوادي وهي مقدمات لاحوال وليست باحوال واختلف المشايخ في ان العبد هل يجوز له ان ينتقل من مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل احكام حكم مقامه قال بعضهم لا ينبغي ان ينتقل عن الذي هو فيه دون ان يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل المقام الذي هو فيه الا بعد ترقيه الى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي الى ما دونه من المقام فيحكم امر مقامه والاولى ان يقال الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الاعلى الذي سوف يرتقى اليه فيوجدان ذلك الحال يستقيم امر مقامه الذي هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشئ الى العبد انه يرتقى او لا يرتقى فان العبد بالاحوال يرتقى الى المقامات والاحوال مواهب ترقى الى المقامات التي يمتزج فيها الكسب بالوهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام اعلى مما هو فيه الا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرتقى الى المقامات بزائد لاحوال فعلى ما ذكرناه يتصح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا يعرف الا مقام فيه حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضى حال ومقام قال ابو عثمان الحيرى منذ اربعين سنة ما اقامنى الله في حال فكوهته اشارة الى الرضى ويكون منه حالا ثم يصير مقاما والحببة حال ومقام لا يزال العبد يتنوب بطروق حال التوبة حتى يتنوب وطرق حال التوبة بالا نزعجار ولا قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يسكنه الا لانتباه من الغفلة فيرده الى اليقظة فاذا تيقظ ابصر

الصواب من الخطا وقال بعضهم الزجر ضياء في القلب يبصره خطا قصده والزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة اوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق لايمان فينازل القائب حال الزجر وهي موهبة من الله تعالى تدوده الى التوبة ولا يزال بالعبد ظهور هوى النفس يمحو آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر التوبة وتصير مقاما وهكذا في الزهد لا يزال يتزاهد بنازلة حال تزيده لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتفتح له الاقبال عليها ثم يمحو اثر حاله بدلالة شدة النفس وحرصها على الدنيا وروية العاجلة حتى تتداركه المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقاما ولا تزال نازلة حال التوكل تفرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا حال الرضى حتى يطمئن على الرضى ويصير ذلك مقامه وههنا لطيفة وذلك ان مقام الرضى والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ولا يحكم ببقاء حال الرضى مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهية يجدها الراضى بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضى يغم حكم الطبع وظهور حكم الطبع في وجود الكراهة المغمورة بالعلم لا يخرجها عن مقام الرضى ولكن يفقد حال الرضى لان الحال لما تجرد موهبة احقرت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام في الرضى ولا يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام اثبت فنقول لان المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كان موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع فحال الرضى اصناف ومقام الرضى امكن ولا بد للمقامات من زائد لاحوال فلا مقام الا بعد سابقة حال ولا تفرد المقامات دون سابقة لاحوال واما لاحوال فمنها ما يصير مقاما ومنها ما لا يصير مقاما وقد ذكرنا ان الكسب في المقام ظهر والموهبة بطننت وفي الحال ظهرت الموهبة وبطن الكسب فلما كان في لاحوال الموهبة غالبية لم تعقيد وصارت لاحوال الى ما لا نهايتها له ولطف سنى لاحوال ان يصير مقاما ومقدورات الحق غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو اعطيت روحانية

عيسى ومكالة موسى وخلة ابراهيم لطلبت ما وراء ذلك لان مواهب الحق لا تنحصر وهذه احوال الانبياء فلا تعطى للاولياء ولكن هذه اشارة من الغافل الى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من امر الحق سبحانه لان سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزل بركة المزيد بقوله صلى الله عليه وسلم كل يوم لم ازد فيه علما يقرئني الى ربي فلا يورك لي في صبيحة ذلك اليوم وفي دعائه عليه السلام اللهم ما قصر فيه رايي وضعف فيه عملي ولم تبلغه فيتي وامنتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فانا ارفع اليك فيه واسالكم حتى تعلم ان مواهب الحق لا تنحصر ولا احوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله تعالى التي ينفد البحر دون نفاذها وتنفذ اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم المعطي

* فصل في ذكر الاحوال وشرحها *

* وشرح كلمات تشير الى تشييد صرحها *

قال الامام السهروردي رضى الله عنه وقد بدا منها بالحببة واسند في ذلك حديثا يصل به الى العرياض بن سارية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي وسمعي وبصري واعلى ومالى ومن الماء البارد قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب هو ان يحب الله بكليته وذلك ان العبد قد يكون في حال قائم بشروط حاله بحكم العلم والجملة تنقصاه بضد العلم مثل ان يكون راضيا والجملة قد تكرر ويكون النظر الى الانقياد بالعلم لا الى الاستعداد بالجملة فقد يحب الله ورسوله بحكم الايمان ويحب لاهل والولد بحكم الطبع والمحببة وجوه وبواطن المحبة في الانسان متنوعة فمنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر لاهل والمال والماء البارد استيعال عروق المحبة

بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله اغلب في الطبع ايضا والجملة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا خاصا لخواص يتعمر به وبنوره نار الطبع والجملة وهذا يكون حب الذات من مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه الى موطن القرب قال الواسطي في قوله تعالى يحبهم ويحبونه كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالحباء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات وقال بعضهم الحب شرطه ان تاحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فاذا الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامثال الامر وربما كان حبا من معدن العلم بالآلاء والنعماء وهذا الحب مخرج من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في المقامات فيكون النظر الى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل واما الحب الخاص هو حب الذات عن مطالبة اللوح وهو الذي فيه السكرات وهو لاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم احب الي من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح تلذذ بحب الذات وهذا الحب هو روح الحب الذي يظهر من مطالعات الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا الروح ولما صححت محبتهم هذه اخبر الله تعالى عنهم بقوله اذلة على المؤمنين لان المحب يدل لمحبيوه وهذا الحب الخاص هو اصل الاحوال السنية وموجبها وهو في الاحوال كالنوبة في المقامات فمن صححت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضى والتوكل على ما شرحناه هنالك ومن صححت محبته هذه تحقق بسائر الاحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب ايضا بمشابة الجثمان لانها مشتملة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن اخذ في طريق الحسبيين وهو طريق خاص من طريق المحبة يتكامل فيه ويجمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي يشتمل

يردها برضا وهذه الحركات من النفس بقايا وجودية تشتت الى سياسته العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو اداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب ومن اخذ في طريق الخاص عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بانوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعمه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضى كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى انه كيف تتقلب كان زاهدا وان رغب لانه بالحق لا بنفسه **داوي ربي** منه لالتفات الى الاسباب هو متوكل وان وجد منه الكراهة فهو راض لانه كراهته لنفسه ونفسه بالحق فكراهته بالحق اعيدت اليه نفسه بدواعيها وصفاتها مظهرة موهوبة محولة ملطوفا بها صادف عين الداء دواءه وصور الاعمال شفاؤه ناب طلب الله له مناب كل طلب من زهد وتوكل ورضى قالت رابعة محب الله لا يسكن حنينه وانينه حتى يسكن مع محبوبه وقال **ابو عبد الله القرشي** حقيقة المحبة ان تهيب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شئ وقال **ابو الحسين الوراق** السرور بالله من شدة المحبة والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس وقال **يحيى بن معاذ** صبر الحيين اشد من صبر الزاهدين وا عجباً كيف يصبر الانسان عن حبيبهم وقال بعضهم من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب ومن ادعى حب رسوله من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا لا طعنته ان الحب لمن يحب مطيع واذا كان الحب للاحوال كالعودة للمقامات فمن ادعى حالاً يعتبر حبه ومن ادعى محبة اعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قوامه بهذا القلب والاحوال اعراض قوامها بجواهر الروح وقال **سمنون** ذهب الصوبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من

على التوبة النصح وعند ذلك لا يتقلب في اطوار المقامات لان التقلب في اطوار المقامات والترقى من شئ منها الى شئ طريق المحبين ومن اخذ في طريق الجادة من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن قوله تعالى ويهدي اليه من ينيب اثبت كسب الانابة سببا للهداية ففي حال الصوب صرح بالاجتناب غير معلل بالكسب فقال الله يجتبي اليه من يشاء فمن اخذ في طريق المحبوبين يطوى بساط اطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها بانهم وصفها والمقامات لا تنقيدة ولا تحبسه وهو يعيدها وبحسبها بترقيتها واستتراء صفوها وخالصها لانه حيث اشرفت عليه انوار الحب الخاص خلغ ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية الزهد يصفيه من الرغبة والتوكل يصفيه من قلة الاعتماد المتولد من جهل النفس والرضى يصفيه من ضرر بان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود في النفس لم تشرق عليها شمس المحبة الخاصة فبقى ظلمتها وجمودها فمن تحقق بالحب الخاص **لقد** نفسه وذهب جموده فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة **لقد** احترقت رغبته وماذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل **لقد** حشرته وماذا يسكن فيه الرضى من مروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كليته قال **الروذباري** ما لم تخرج من كليتك لا تدخل في حد المحبة وقال **ابو يزيد** من قتلته محبته فديته رويته ومن قتلته عشقه فديته منادته فاذا التقلب في اطوار المقامات لغوام المحبين وطى بساط الاطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلقت عن همهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهي مواطن من يتعثر في اذيال بقاياها قال بعض الكبار لا يواهم الخواص الى ما اذا ادرك التصوف فقال الى التوكل قال تسعى في عمران باطنك اين انت من الفناء في التوكل بروية الوكيل فالنفس اذا تحركت بصفاتها متقلبة من دائرة الزهد يردها الزاهد الى الدائرة بزهده والمتوكل اذا تحرك يردها بتوكله والراضي

احب فهو مع الله تعالى وقال ابو يعقوب السوسى لا تلج لك المحبة حتى
 تخرج من روية المحبة الى روية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان
 له المحبوب في الغيبة ولم يكن هذا في المحبة فاذا خرج الحب الى هذه
 النسبة كان محبا من غير محبة وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول
 المحبوب على البدل من صفات المحب قيل هذا على قوله تعالى فاذا
 احببته كنت له سمعا وبصرا وذلك ان المحبة اذا صلت وكملت لا تزال
 تجذب بوصفها الى محبوبيها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة
 متصلة متأكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال
 وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تطفقا على المحب المخلص من
 موانع قادحة في صدق الحب ونظرا الى قصوره بعد استناده جهده فيعود
 المحب بلواند اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك
 انا من اهوى ومن اهوى انا فعن روحان حللا بسدا
 فاذا ابصرني ابصرته واذا ابصرته ابصرته انا
 وهذا الذي مر منه حقيقة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلعوا باخلاق
 لانهم نزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة
 موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية ان تزكى نفوس احبائه
 بحسن توفيقه وتأييده واذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه
 بجاذب المحبة خلق عليه خلق الصفات والاخلاق ويكون ذلك عنده
 رتبة في الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه الى ما وراء ذلك لكون
 عظيم امر الله غير متناه وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذي يسكن
 نار شوقه وبساعت الشوق تستقر الصفات الموهوبة الحقيقية رتبة عند
 المحب ولولا باعث الشوق رجع القهقري وظهرت صفات نفسه المحيلة
 من البرء وقلبه ومن ظن من الوصول غير ما ذكرناه او تخيل له غير هذا
 القدر فهو معرض لمذهب النصارى في اللاهوت والناسوت واشارات الشيوخ
 في الاستغراق والفناء كلها عائدة الى تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين

وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين يزيل اعوجاج البصيرة
 وانت اللوث الوجودي من بقايا صفات النفس واذا صحت المحبة توثبت
 عليها الاحوال وتبعها مثل الشبلى عن المحبة فقال كاس لها وهم اذا استقر
 في الحواس وسكن في النفوس تلاشت وقيل للمحبة طائر وباطن فطافها
 اتباع رضى المحبوب وباطنها ان يكون مفتونا بالمحب من كل شى فلا
 تبقى فيه بقية غيره ولا لنفسه فمن لاحوال السنية الشوق ولا يكون
 المحب الا مشتاقا ابدا لان امر الحق سبحانه لا نهاية له فما من حال
 يبلغها المحب الا ويعلم انه وراء ذلك ارقى منها واثم وانشد

حزني كحسنك لا لذا امسد ينهي اليه ولا لذا امسد

ثم هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وانما هو موهبة خص الله تعالى
 بها المحبين قال احمد بن ابي الحواري دخلت على ابي سليمان الداراني
 فرأيت يبكي فقلت ما يبكيك رحلك الله قال ويحك يا احمد اذا جن
 هذا الليل واقترب اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم اشرف
 الجليل جل جلاله عليهم من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي واني
 مطلع عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم يا جبريل نادى فيهم ما هذا
 البكاء الذي اراه فيكم هل خبركم محبوا ان حببا يعذب احباء بالذابل كيف
 يجعل بي افي اعذب قوما اذا جنهم الليل تملقوا لي بي حلفت اذا وردوا
 القيامة على ان اسفر لهم من وجهي وابيهم رياض قدسى وهذه احوال قوم
 من المحبين اقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة اذا
 استقرت التوبة ظهر الزهد واذا استقرت المحبة ظهر الشوق قال الواسطي
 في قوله تعالى وعجلت اليك ربي لترضى قال شوقا واستهانة بهن وراة فقال
 هم اولاءى على اثرى من شوقه الى مكالمته الله ورمى بالالواح لما فاته من
 وقته وقال ابو عثمان الشوق لمرّة المحبة من احب الله اشتاق الى لقائه
 وقال ايضا في قوله تعالى ان اجل الله لآت تعزية للمشتاقين معناه اني
 اعلم ان شوقكم الى غالب وانا اجلت للقائكم اجلا وعن قريب يكون

وصولكم الى من تشاققون اليه وقال ذو النون الشوق اعلى الدرجات واعلى المقامات واذا بلغها الانسان استبطا الموت شوقا الى ربه ورجاء للقاءه والنظر اليه قال ومضى ان الشوق الكائن في المحبين الى رتب يترقعونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقع ما بعد الموت والله تعالى يكشف اهل وده بعطايا يجذبونها علما ويطلبونها ذوقا فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرورة مقام الشوق استبطاء الموت وربما لاصحاء من المحبين يستلذون الحياة لله كما قال الخليل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين فمن كانت حياته لله فحقه الكريم لذة المناجاة والمحبة تملئ عينه من النقد ثم يكشفه من المنح والعطايا في الدنيا ما يتحقق بمقام الشوق من غير الشوق الى ما بعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال انما يكون الشوق الى الغائب ومتى يغيب المحبيب على المحبيب حتى يشاقق ولهذا سئل الانطاكي عن الشوق فقال انما يشاقق الى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته وانكار الشوق على لاطلاق ما ارى له وجهها لان رتب العطايا والمنح من انصبة القرب واذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى ما لم يجد من انصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا ووجه آخر ان الانسان لا بد له من امور يردّها حكم الحال اوضع بشريته وطبيعته ومدم وقوفه على حد العلم حكم الحال ووجود هذه الامور مثير لنار الشوق ولا نعني بالشوق الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الادنى والاعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كائنة في المحبين فالشوق اذا كائن لا وجه لانكاره وقد قال قوم شرق المشاهدة واللقاء اشد من شوق العبد والغيبوبة فيكون في حال الغيبوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوائد ومبار من الحبيب وافضاله وهذا هو الذي اراه واختاره وقد قال فارس قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا

تحركت اشتياقا اضاء النور ما بين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملكة ويقول هؤلاء المشتاقون الى اشهدكم اني اليهم اشوق وقال ابو يزيد لو ان الله حجب اهل الجنة عن رويته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار سئل ابن عطاء عن الشوق فقال احترق الحشى وقلوب القلوب وتقطع الاكباد من البعد بعد القرب وسئل بعضهم الشوق اعلى ام المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منه فلا يشاقق الا من غلب عليه الحب فالحب اصل والشوق فرع وقال النعمان اباذي للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام لاشتياق ومن دخل في مقام لاشتياق هـم حتى لا يرى له اثر ومن لا احوال لانس قال وقد سئل الجنيدي عن لانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وسئل ذو النون المصري عن لانس فقال هو انبساط المحب الى المحبوب قيل معناه قول الخليل ارنى كيف تحب الموتى وقول موسى ارنى انظر اليك وانشد لرويم

شغلت قلبي بما لديك فسلا ينفك طول الحياة من فكري
انستى منك بالوداد ففسد اوحشتني من جميع ذا البشرى
ذكرك لي مونس يعارضني يوعدني منك منك بالظفر
وحيث ما كنت يامدى همسى فانت منى بموضع النظر
وروى ان مطرف بن الشخير كتب الى عمر بن عبد العزيز ليكن انسلك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استيناسا من الناس في كثرتهم واوحش ما يكون الناس آنس ما يكونون وآنس ما يكون الناس اوحش ما يكونون وقال الواسطي لا يصل الى محل لانس من لم يستوحش من لاكوان كلها وقال ابو الحسين الوراق لا يكون لانس بالله الا ومعه التعظيم لان كل من استانس به سقط عن قلبك تعظيمه الا الله تعالى فانك لن تزيد انسا به الا ازددت منه هيبة قالت رابعة كل مطيع مستانس وانشدت
ولقد جعلتك في الفواد محدثسى وابحث جسمي من اراد جلوسى

فالجسم منى للجليس موانيس وحبيب قلبى فى الفؤاد انيسى
وقال مالك بن دينار من لم يستانس بمحادثه الله من محادثه المخلوقين
فقد قل عليه وعصى قلبه وصيغ عمره وقيل لبعضهم من معك فى الدار قال
الله معى ولا يستوحش من انس بربه وقال الخراز لانس محادثة الارواح
مع الحبوب فى مجالس القرب ووصف بعض العارفين صفة اهل المحبة
والواصلين فقال جدد لهم الود فى كل طرفه بدوام الاتصال وآواهم فى كنفه
بعقائق السكون اليه حتى انت قلوبهم وحنث ارواحهم شوقا فكان الحب
والشوق منهم اشارة من الحق اليهم من حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله
فذهب مناهم وانقطعت آمالهم عنده لما بان منه لهم ولوان الحق امر
جميع الانبياء يسألون لهم ما سالوه بعض ما اعد لهم فى قديم وحدانيته
ودوام ازليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ همهم له واجتماع
اهوائهم به فصار يحسدونهم من عبيدة العموم اذ رفع من قلوبهم جميع الهموم
وانشد فى المعنى

كانت لثلبى اهواء مفرقة فاستجمعت اذ رأتك العين اهواءى
فصار يحسدنى من كنت احسده

وصرت مولى الورى مذ صرت مولاهى
تركك للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادىنى ودينى
وقد يكون من لانس لانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر ابواب
القربات وهذا من لانس نعمة من الله تعالى ومحنة
منه ولكن ليس هو حال لانس الذى يكون للمحبين والانس حال
يكون عند طهارة الباطن وكشفه بصدق الزهد وكمال الزهد وكمال
التقوى وقطع لاسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندى
كس الوجود بشغل لائح العظمة وانتشار الروح فى ميادين الفتوح وله
استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمع به من الهيبة وفى الهيبة
اجتماع الروح وروبه الى محل النفس وهذا المقام الذى وصفناه انس

الذات وهيبة الذات يكون فى مقام البقاء بعد العبور على ممر الفناء وهما
غير لانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة ولانس قبل
الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وما
ذكرناه بعد الفناء فى مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات ومن لانس
خصوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان
ويفترقان بفرق لطيف مدرك بايماء الروح ومنها القرب قال الله تعالى
لنبيه عليه السلام واسجد واقرب وقد ورد اقرب ما يكون العبد من ربه
فى سجوده فالساجد اذا ذاق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوى
بسجوده بساط الكون وما كان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة
فيقرب قال بعضهم انى لاجد المحصور فاقول يا الله او يارب فاجد ذلك اثقل
على من الجبال قيل ولم قال لان الذداء يكون من وراء حجاب وهل رايت
جليسا ينادى جليسه وانما هى اشارات وملاحظات ومنازعات وملاطفات
وهذا الذى وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو وموذن
بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه فى نور وجهه لغاية سكرة وقوة محوة فاذا
صحح وافاق يتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من
العبد الى محله ومقامه فيقول يا الله ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة
الى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح يستقل بعبوديته وبكمال الحال
عن الاقوال وهذا اتم واقرب من الاول لانه وفى حق القرب باستقلال الروح
بالفتوح واقام رسم العبودية لعود حكم النفس الى محل الانشغال وحظ القرب
لا يزال يتوفر للروح باقامته العبودية من النفس وقال
الجنيد ان الله تعالى يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب
قلوب عباده منه فانظر ما ذا يقرب من قلبك وقال ابو يعقوب السوسى ما هام
العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن القرب بالقرب فاذا
ذهب عن روية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم
قد تحققتك فى السر فتناجك لسانى فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعانى

ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دافى
 قل ذو النون المصرى ما ازداد احد من الله قربته إلا ازداد هيبة وقال
 سهل ادنى مقام من مقامات القرب الحياء وقال النصراني اذى بانواع السنة
 تنال المعرفة وباداء الفرائض تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال
 المحبة ومنها الحياء والحياء على الوصف العام والوصف الخاص فاما الوصف
 العام فما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله استحيوا من الله حق
 الحياء قالوا انا نستحي يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن من استحيى من الله
 حق الحياء فليحفظ الراس وما وعى البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى
 ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله
 حق الحياء وهذا الحياء من المقامات واما الحياء الخاص فمن الاحوال وهو ما
 نقل عن منه ان رضى الله عنه قال افي لاغتسل في البيت المظلم فانطوى
 حياء من الله وقال ابو العباس الودب قال لي سرى احفظ عني ما اقول
 ان الحياء والانس يطوفان بالقلوب فاذا وجدا قلبا فيه الزهد والورع حطا
 ولا رحلا والحياء اطراق الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح
 بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو الغاية في النى والنهاية في العطاء قال بعض
 الحكماء من تكلم في الحياء ولا يستحيى من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج
 وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع حشمة ما سبق منك لربك
 وقال ابن عطاء العلم لا كبر الهيبة والحياء فاذا ذهب منه الهيبة والحياء
 لا خير فيه وقال ابو سليمان ان العباد عملوا على اربع درجات على الخوف
 والرجاء والتعظيم والحياء واشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما ايقن ان الله
 تعالى يراء على كل حال استحيى من حسناته اكثر مما استحيى العاصون من
 سيئاتهم وقال بعضهم الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما
 عند نظر الله اليهم وانشد شيخنا ابو الخبيب السهروردي رضى الله عنه
 اشتاقه فاذا بدا اطرق من اجلاله لا خيفته بل هيبة وصيادته لجمال
 الموت في ادبارة والعيش في اقباله واصد عنه تجلدا واروم طيف خياله

ومنها لاتصال قال النووي لاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الاسرار
 وقال بعضهم لاتصال وصول السراى مقام الذهول وقال بعضهم لاتصال ان
 لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه وقال سهل
 ابن عبد الله حركوا بالبلاء فتهكروا ووسكنوا لاتصلوا وقال يحيى بن معاذ
 الرازى العمال اربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محبوب
 بتوبته والزاهد محبوب بزهده والمشتاق محبوب بحاله والواصل لا يحجب
 شئ عن الحق وقال ابو سعيد القرشى الواصل الذى يصله الله فلا
 يخشى عليه القطع ابدا والمتصل الذى بجهده يصل وكلما دنا انقطع وكان
 هذا الذى ذكره حال الريد والمراد لكون احدهما مبادرا بالكشف وكون
 الآخر مردودا الى الاجتهاد وقال ابو يزيد الواصلون في ثلاثة احرف همهم
 الله وشغلهم في الله ورجوعهم الى الله وقال بعضهم الوصول مقام جليل وذلك
 ان الله تعالى اذا احب ان يوصل عبدا اختصر عليه الطريق وقرب اليه
 البعيد وقال الجنيد الواصل هو المحصل عند ربه وقال رويم اهل الوصول
 اوصل الله قلوبهم اليه فهم محفوظو القوى ممنوعون من الخلق ابدا وقال
 ذو النون ما رجع من رجع للامن الطريق ما وصل اليه احد فرجع عنه
 واعلم ان لاتصال والمواصلت اشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين
 بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة من الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من
 يعبد الله بطريق الافعال وهو رتبة في التخلي فيبقى فعله وفعله لوقوفه
 مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في
 الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس بما يكشف قلبه من
 مطالعة الجلال والجمال وهذا تسجل بطريق الصفات وهو رتبة في الوصول
 ومنهم من يرقى الى مقام الفناء مشتملة على باطنه انوار اليقين والمشاهدة
 مغيا في شهودة عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين
 وهذا المقام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في
 الدنيا للخواص لمع وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى

به روحه وقلبه ونفسه حتى قال به وهذا من اعلى رتب الوصول واذا
تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال الشريفة انه يعد في اول
المنزل فاين الوصول هيئات منازل طريق الوصول لا تنقطع ابد الاباد في
عمر الآخرة لا بدى فكيف في العمر القصير الدنيوى ومنها القبض والبسط
وهما حالان شريفان قال الله تعالى والله يقبض ويبسط قال رضى الله عنه
وقد تكلم الشيوخ فيهما و اشاروا باشارات هي علامات القبض والبسط ولم
اجد كشافا من حقيقةهما لانهم اکتفوا بالاشارة ولاشارة تنقذ لاهل فاحسبت
ان اشبع الكلام فيهما لعلهم يتشوف الى ذلك طالب ويحب بسط القول فيه
فاعلم ان القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتم لا يكونان قبله ولا
يكونان بعده ووقتهما وموسمهما في اوائل حال المحبة الخاصة لا في نهايته
ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو في مقام المحبة العامة الثابتة بحكم
الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وانما يكون له خوف ورجاء وقد يجد
شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس ذلك
هو وانما هو هم يخترع فيظنه قبضا ويعتريه اهتزاز نفسانى ونشاط طبعى
يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها
وما دامت صفة الامارة منها بقيت على النفس فيكون منها الاهتزاز والنشاط
والهم والهم وحج شاخوور النفس والنشاط ارتفاع مزج النفس عند تلاطم بحر
الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة الى اوائل المحبة الخاصة يصير
ذا حال وذا قلب وذا نفس لومة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك
لانه ارتقى من رتبة الايمان الى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه
الحق تارة ويبسطه اخرى قال الواسطى يقبضك مما لك ويبسطك مما
له وقال النورى يقبضك باياه ويبسطك لاياه واعلم ان وجود القبض
لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته والنفس
ما دامت لومة فتارة مغلوطة وتارة غالبية والقبض والبسط باعتبار ذلك
منها وصاحب القلب تحت حجاب نورانى لوجود قلبه كما ان صاحب

النفس تحت حجاب ظلمانى لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج
من حجاب لا يقيدده الحمال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض
والبسط حيثما فلا يقبض ولا يبسط ما دام مختلصا من الوجود النورانى
الذى هو بالقلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد
الى الوجود من الفناء والبقاء يعود الى الوجود النورانى الذى هو القلب فيعود
القبض والبسط اليه عند ذلك ومنها تخلص الى الفناء والبقاء فلا قبض ولا
بسط قل فارس اولا القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط
يقعان في الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة
لا فرط في البسط وذلك ان الوارد من الله يرد على القلب فيمتلئ القلب
منه روحا وفرحا واستبشارا فتستغرق النفس السمع عند ذلك وتأخذ بنصيبها
فاذا وصل اثر الوارد الى النفس صغت بطبعها وافرطت في البسط حتى يشاكل
البسط نشاطا فيقابل بالقبض عقوبة وكل القبض اذا فشى لا يكون الا من
حركة النفس وظهورها بصفتها ولو تادبت النفس وعدلت ولم تجر بالظفان
تارة وبالعصيان اخرى ما وجب صاحب القلب القبض ودام روحه وانسه
ورعايته لا اعتدال الذى يسد باب القبض متلقى من قوله تعالى ليكلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فرارذ الفرح ما دام موقوفا على الروح
والقلب لا يكشف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما اذا لطف الفرح بالوارد
بالايواء الى الله تعالى تطلعت النفس واخذت حظها من الفرح وهو الفرح
بما اتى المتنوع منه فمن ذلك القبض في بعض الاحايين وهذا من الطف
الذنوب الموجبة للقبض وفي النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة
موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء لا يعدهما صاحب القبض والبسط
ولا صاحب الانس والهيم لانهما من ضرورة الايمان فلا يعدمان واما
القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان لانه صان الحظ من القلب
وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على
الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط الا على قليل

الحظ من العلم الذي لم يحكم علم الحال وعلم اليقين ومن أحكم علم الحال والقيام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما كان يشتبه عليه سبب القبض والبسط يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وإنما علم ذلك من استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما نفسه مطمئنة لا ينقذ من جوهرها نار توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار لئلا هذا القبض والبسط في نفسه مطمئنة وما يغلبه قبض ولا بسط لأن القلب مكحص بشعاع نور الروح مستقر في دعة القرب فلا قبض ولا بسط ومنها الفناء والبقاء فقد قيل الفناء أن يفنى عن المخطوط فلا يكون له في شيء حظ يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى به وقد قال عامر بن عبد الله لا أبالي امرأة رايت أم حانطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عما له ويبقى بما لله وقيل الباقي أن تصير لأشياء كلها له شيئا واحدا فتكون كل حركانة في موافقة الحق دون مخالفة فكان فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات وعندى أن الذي ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح ليس من الفناء أو البقاء بشئ ومن الإشارة إلى الفناء ما روى أن عبد الله بن عمر سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد عليه فشكا إلى بعض أصحابه فقال له كنا يترأى الله لنا في ذلك المكان وقيل الفناء هو الغيبة من الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل وقال الخراز الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو المحصور مع الحق وقال الجنيد الفناء استعجام الكل عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال إبراهيم ابن شيبان لم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقه وسئل الخراز ما علامة الفاني قال علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله وقال أبو سعيد الخراز أهل الفناء في الفناء صحتهم أن يصحبهم علم البقاء وأهل البقاء في البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء وأعلم أن أقاويل الشيخ

في الفناء والبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا يقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص وكامل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى زوال الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف الحميدة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه على كون العبد وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن فاما الفناء الظاهر هو أن يتجلى الحق سبحانه بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت بعض من أقيم في هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتى يتجرد له فعل الله فيه ويقض الله له من يطعمه ويستقيه كيف شاء وأحب وهذا لعدم فناء لأنه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن أن يكشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظيمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من صورة الفناء أن يغيب إحساسه وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق قال وقد سألت الشيخ أبا محمد البصري قلت له هل يكون بقاء المتخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندى أن ذلك من الشرك الخفى فقال لي هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر أنه من الشرك الخفى أم لا لم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان في الصلاة فوجد أمطوانته في الجامع انزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه في الصلاة ولم يحس بالامطوانته ووقعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطنا وقد يتسع على الفاني فيكون محققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجري من قول وفعل ويكون أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله تعالى ويتنظر الأذن

في كليات اموره ليكون في الاشياء بالله لا بنفسه فتارك لاختيار منتظر لفعل الحق فان صاحبه الانتظار لاذن الحق في كليات اموره راجع الى الله بباطنه في جزئياتها فان ملكه الله اختياره واطلقه في التصرف يختار كيف شاء واراد لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للاذن هو باقى والباقي في مقام لا يحجب الحق من الخلق ولا الخلق عن الحق والفاى محبوب بالحق من الخلق والفناء الطاهر لا رباب القلوب والاحوال والفناء الباطن لمن اطلق من وثاق الاحوال فصار بالله لا بالاحوال وخرج من القلب فصار مع قلبه لا مع قلبه واما كلام مشايخ الصوفية رضى الله عنهم المشير الى بعض الاحوال من اصطلاحهم الذى تداولته الستتهم نفهيا من بعضهم للبعض واشارة منهم الى احوال يحدونها ومعاملات قلبية يعرفونها فتلى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من العلم كهيئة المكسور لا يعلمه الا العلماء الراسخون فاذا نظروا به لا ينكروه الا اهل العزة بالله وقال القشيري هي اسرار الله تعالى يهديها الى امناء اوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها الا الخواص وقال ابو سعيد الخراز للعارفين خزائن اودعوها علوما غريبة وانباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الابدية ويخبرون عنها بعبارة لازية وهو من العلم المجهول فقال رضى الله عنه فمن ذلك قولهم الجمع والفرقة قيل اصل الجمع والفرقة قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فهذا جمع ثم فرق فقال والمشكاة واولوا العلم وقوله تعالى آما بالله جمع ثم فرق بقوله وما انزل اليها والجمع اصل والفرقة فرع وكل جمع بلا فرقة زندقه وكل فرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد القرب بالوجد جمع في البشرية تفرقة وقيل جمعهم في المعرفة وفرقهم في الاحوال والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم في ذلك كثيرة والمقصود انهم اشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد واشاروا بالفرقة الى لاكتساب فعلى هذا لا جمع الا بفرقة ويقولون فلان في عين الجمع

يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد الى شئ من اعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالفرقة وصحة التفرقة بالجمع وهذا يرجع حاصله الى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بامر الله ولا بد منهما جميعا قال المزيدي الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها ببعض وقد غلط قوم وادعوا انهم في عين الجمع واشاروا الى صرف التوحيد وطورا لاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القلب فما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة وقال الواسطي اذا نظرت الى نفسك فرقت واذا نظرت الى ربك جمعت واذا كنت قائما بغيرك فانت بلا جمع ولا تفرقة وقيل جمعهم بذاته في صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه اذا ثبت لنفسه كسبا ونظر الى اعماله هو في التفرقة واذا اثبت الاشياء بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات ينبي ان الكون يفرق والمكين يجمع فمن افرد المكون جمع ومن نظر الى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا ثبت طاعته نظرا الى كسبه فرق واذا اثبتا بالله جمع واذا تسمى بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن ان يقال روية لانفعال تفرقة وروية الصفات جمع وروية الذات جمع الجمع ستل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال افنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من مرسى ثم كالم فران المكلم والمكلم هو وكيف كان موسى يطبق حمل الخطاب ورد الجواب لوبابيه سمع قال ومعنى هذا ان الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ما قدر على السمع ثم انشد القائل مثالا

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى بوق ثالث موهنا لمعانسه
يبدو كحاشية الرداء ودونسه صعب الذرى متمنع اركانسه
فبدا لينطركيف لاح فلم يطبق نظرا اليه ورده اشجانسه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه والماء ما سحت به اجفانسه
ومن ذلك التجلى والاستتار قال الجنيد انما هو تاديب وتهذيب وتذويب

فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهديب للخواص وهو التجلي والتدوير
للاولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجلي راجع الى
ظهور صفات النفس فيها الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس بكمال
قوة صفات القلب ومنها التجلي ثم التجلي قد يكون بطريق الافعال وقد
يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى ابقى على
الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم واغبرهم فاما لهم فانهم به يرجعون
الى مصالح النفوس وامسا فيهم فانه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم
لاستغراقهم في جمع الجمع وهرورهم لله الواحد القهار قال بعضهم علامة
تجلي الحق للاسرار هو ان لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه
الفهم فمن مر او فهم فهو صاحب خساطر استدلال لا ناظر اجلال وقال
بعضهم التجلي رفع حجة البشرية لا ان يتلون الحق عز وجل والاستتار
ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ومن ذلك التجريد
والتفريد للاشارة منهم في التجريد هو ان العبد يتجرد عن الاعراض فيما
يفعله لا ياتي ما ياتي به نظرا الى الاعراض في الدنيا والاخرة بل ما
كوشف به من حق العظمة يوديه حسب مبودية وانقياد والتفريد ان
لا يرى نفسه فيما ياتي به بل يرى منه الله عليه فالتجريد ينفي لاغيار
والتفريد ينفي نفسه لاستغراقه في روية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه
ومن ذلك الوجد والتواجد والوجود الوجد ما يرد على الباطن من الله تعالى
يكسبه فرحا او حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع الى الله تعالى وهو فرجة
يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها الى الله تعالى والتواجد
استجلاب الوجد بالذكر والتفكير والوجد اتساع فرجة الوجد بالخروج
الى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد
بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبت الجبال وقد قيل

قد كان يطربني وجدى فاذا قد نسي عن روية الوجد من في الوجد موجود
والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

ومن ذلك الغلبة والغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة
كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفئ سريعا والغلبة
تبقى لاسرار مضيعته ومن ذلك المسامرة وهي تفرد الارواح بخفي مناجاتها
ولطيف مناجاتها في سر السر بلطف ادراكها للقلب لتفرد الروح بها
وتلزمه بها دون القلب ومن ذلك السكر والصحو السكر استيلاء سلطان
الحل والصحو العود الى ترتيب الاعمال وتهذيب الافعال قال محمد بن
خفيف السكر غايان القلب عند معارضة ذكر الحبوب وقال الواسطي
مقامات الواجدين اربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو ومن سمع
بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم اخذته الامواج فعلى هذا من خفي
عليه اثر من سريان الحال فيه فعليه اثر من السكر ومن عاد كل شيء
منه الى مستقرة فانه صاحي فالسكر لارباب القلوب والصحو للكاشفين
بحقائق الغيوب ومن ذلك المحو ولائبات المحو بازالة اوصاف النفوس
ولا ئبات اثباتها بما انشا الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه
باثبات الحق اياه مستانفا بعد ان محاه عن اوصافه فقال ابن عطاء يمحو
اوصافهم ويثبت اسرارهم ومن ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من
طريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتكثيق الانفصال عن لوثات
الصلصال بورود رائد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين
اليقين هو العلم الذي اودعه لاسرار والعلم اذا انفرد من نعمت اليقين كان
علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما يشير اليه علم اليقين وعين اليقين
وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو ان يشاهد الغيوب كما
يشاهد المراتب مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما
اخبار الصديق حين قال لما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا ايقنت
لعمالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال المعرفة وعين اليقين حال
الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل اسم ورسم وعلم وعين وحق

فالاسم والرسم للعوالم والعلم علم اليقين للاولياء وعين اليقين للخواص الاولياء
وحق اليقين للانبياء وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ومن ذلك الوقت والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد
وأغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يهضم العبد بحكمه ويقطع
وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتمصرف فيه فيكون
بحكمه يقال فلان يحكم الوقت يعني ماخذا عما منه بما للحق ومن ذلك
الغيبية والشهود فالشهود هو المحصور وقتا بنعت المراقبة ووقتها بوصف
المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود او الرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال
المساعدة والمراقبة خرج من دائرة المحصور فهو غائب وقد يعنون بالغيبية
الغيبية عن الاشياء بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا الى
مقام الفناء ومن ذلك الذوق والشرب والرى فالذوق ايمان والشرب
علم والرى حال فالذوق لارباب البوادة والبوادي والشرب لارباب
الطوامع واللوامع والرى لارباب الاحوال وهي ان الاحوال هي
التي تستقر فما لم تستقر فليست بحال وانما هي لوازم وطوامع وقيل الحال
لا تستقر لانها تحول فاذا استقرت صارت مقاما ومن ذلك المحاصرة
والكاشفة والمشاهدة فالمحاصرة لارباب التلويين والمشاهدة لارباب التمكين
والكاشفة بينهما الى ان تستقر المشاهدة فالمحاصرة لاهل العلم والكاشفة
لاهل العين والمشاهدة لاهل الحق اى حق اليقين ومن ذلك الطارق
والبادى والبادء والواقع والقادح والطوامع واللوامع وهذه كلها الفاظ
مقاربة المعنى ويمكن بسط القول فيه ويكون حاصل ذلك راجعا الى
معنى واحد يكثر بالعبارة فلا فائدة فيه والمقصود ان هذه الاسماء كلها
مبادئ الحال ومقدماته واذا صرح استوعب هذه الاسماء كلها ومعانيها ومن
ذلك التلويين والتمكين فالتلويين لارباب القلوب لانهم تحت حجب القلوب
وللقلوب تخلص الى الصفات والصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لارباب
القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب واربابها من

عالم الصفات واما ارباب التمكين فقد خرجوا من مشاع الاحوال وخرقوا
حجب القلوب وباشروا رواحهم سطوع نور الذات فارتنع التلويين لعدم
التغيير في الذات اذ جل ذاته عن حلول الحوادث والتغييرات فلما
خلصوا الى مواطن القرب من تجلى الذات ارتفع عنهم التلويين فالتلويين
حيث يكون في نفوسهم لانها في محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها
والتلويين الواقع في النفوس لا يخرج صاحبه من حال التمكين لان
جريان التلويين في النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم في التمكين
كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين ان لا يكون للعبد تغير فانه
بشر وانما نعني به ان ما كوشف من الحقيقة لا يتوارى عنه ابدا ولا
يتناقص بل يزيد وصاحب التلويين قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور
صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الاحوال ويكون ثبوته على
مستقر لايمان وتلويينه في زوائد الاحوال ومن ذلك النفس ويقال النفس
للمنتهى فالوقت للمبتدى والحال للمتوسط فكانه اشارة منهم الى ان المبتدى
يطرقه من طارق ولا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه
والمنتهى صاحب نفس متمكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالغيبية
والمحصور بل تكون المواجيد مقرونة بانفاسه مقيمة لا تتناوب عليه وهذه
كلها احوال لاربابها واهم منها ذوق وشرب والله تعالى ينفع ببركاتهم
آمين

* فصل في ذكر القول في بعض المقامات *

* وما فيها من اشارات لاهل الكرامات *

وما رايت ايضا في ذلك احسن من كلام الامام السهروردي رضى الله
عنه التوبة قال قدس الله روحه هي اصل كل مقام وقوامه ومفتاح كل
حال وهي اول المقامات وهي بمثابة الارض للبناء فمن لا ارض له لا
بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام قال رضى الله عنه وفى

يبلغ على وقدر وسعى وجهدى اعتبار المقامات والاحوال فرايتها يجمعها
ثلاثة اشياء بعد صحة الايمان وعقودة وشروطه فصارت مع الايمان اربعة
ورائتها في افادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبقة الرابع التي جعلها
الله تعالى باجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الاربعة
يلج ملكوت السموات ويكشف بالقدر والآيات ويصير له ذوقا وفهما
لكلمات الله المنزلات ويحظى بجميع لاحوال والمقامات وكلها من هذه
الاربعة ظهرت وبها تهيات احد هذه الثلاثة بعد الايمان التوبة النصوح
والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله
ظاهرا وباطنا من غير فتور وقصور ثم يستعان على تمام هذه الاربعة باربعة
اخرى بها تمامها وقوامها وهي قلة الكلام وقلة المنام وقلة الطعام والاعتزال
عن الناس واتفق المشايخ والعلماء والزاهدون على ان هذه الاربعة بها تستقر
المقامات وتستقيم الاحوال وبها صار لا بدال ابدال لا بتأييد الله وحسن توفيقه
ونمين بالبيان الواضح ان سائر المقامات تندرج في صحة هذه ومن ظفر
بها فقد ظفر بالمقامات كلها اولها بعد الايمان التوبة وهي في مبدأ صحتها
تنتقل الى احوال واذا صحت تشتمل على مقامات واحوال ولا بد في
ابتدائها من وجود زاجر ووجدان الزاجر حال لانه موهبة من الله تعالى
على ما تقرر ان الاحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبتدأها قال
الاصمعي رايت اعرابيا بالبصرة يشكي عينه وهي يسيل منها الماء فقلت
الا تمسح عينك ففعل لا لان الطيب زجرني ولا خير فيمن لا ينزجر
فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ولا بد من وجوده للتائب ثم بعد
لان زجاري بعد العبد حال الانتباه لانه لا ينسب الى التائب اوائلا دلالات الخير
اذا انتبه العبد من رقدة الغفلة اذاه ذلك الانتباه الى التيفظ فاذا تيفظ
الزهد ينظمه الطلب لطريق الرشيد فيطلب واذا طلب عرف انه على
غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى باب توبته ثم يعطى بانتباهه
حال البسط وقيل اذا صحت اليقظة كان صاحبها في اوائل طريق التوبة

وقال اليقظة حركة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب
التوبة فاذا تمت يقظته نقل بذلك الى مقام التوبة فهذه احوال
ثلاثة تتقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج الى الحاسبة ولا تستقيم
التوبة الا بالحاسبة وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قوطاس
ويدع بين كل صلاتين يابضا وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة او امر
آخر خط خطأ وكلما تكلم او تحرك فيما لا يعنيه نقطة نقطة ليعتبر ذنوبه وحركاته
فيما لا يعنيه ليصيق بالحاسبة بمجاري الشيطان والنفس لامارة بالسوء
لموضع صدقه في حسن لا فتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام
الحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة قال الجنيد من حسنت
رعايته دامت ولايته وسئل الواسطي اى الاعمال افضل قال مراعاة
السرى والحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن ويكمل احدهما بالآخر وبهما
تستقيم التوبة والمراقبة والرعاية حالان شريفان ويصيران مقامين شريفين
يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبة بهما على الكمال فصارت
الحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورات مقام التوبة وكل هذا ملان لصحة
التوبة ملازم لها لان الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الافعال
والمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لان
من حصر الخواطر كفى مثبوت الجوارح لان المراقبة استيصال عروق ارادة المكارة
من القلب وبالحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة قال ابو عثمان المغربي
افضل ما يلزم للانسان في هذا الطريق الحاسبة والمراقبة وسياسة
بالعلم واذا صحت التوبة صحت الانابة قال ابراهيم بن ادم اذا صدق
العبد في توبته صار منيبا لان الانابة ثانی درجة التوبة والتمنيب على
الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم رجع من
رجوع رجوعه فيبقى شجاعا بين يدي الحق لا وصف له مستغفرا في عين
الجمع ومخالفة النفس وروية ميوب لافعال والاجتهاد تتحقق بتحقيق
الرعاية والمراقبة قال ابو سليمان ما استحسن من نفسي عملا فاحسبته

ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة ولا يصدق العبد في المجاهدة إلا بوجود الصبر قال رضي الله عنه الصبر على الله تعالى بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم الى فرض وفضل فالفرض كالصبر على اداء المفترضات والصبر على المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الاولى وكنعان المصائب والاوجاع وترك الشكرى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتمان المنح والكرامات وروية القدر والآيات ووجوه الصبر فرصا وفضلا كثيرة وكثير من الناس يقوم بهذه الاقسام من الصبر ويطبق عن الصبر على الله تعالى لزوم صحة المراقبة والرعاية ونفى الخواطر فلذا حقيقة الصبر كائنة في التوبة لكي تونة المراقبة في التوبة والصبر من اعز مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة قال بعض العلماء راي شئ افضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كلامه في نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيئا بهذا العدد وصحة التوبة تحتوى على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو ان لا بصرفها في معصية الله تعالى وهذا ايضا داخل في صحة التوبة وكان سهل يقول الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء وعن بعض الصحابة بلينا بالصبر فصبرنا وبلينا بالشرف فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب والصبر عن محبة الناس والصبر على الخمول والتواضع والذلة داخل في الزهد وان لم يكن داخلا في التوبة وكل ما فات في مقام التوبة من المقامات السنية والاحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الاربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر يظهر من طمانينة النفس وطمانيتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس اذا تزكت بالتوبة النصوح ذهبت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر وجود شراسة النفس واباء واستعصاء فيها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها عن طبيعتها وشراستها الى اللين لان النفس بالحسنة والمراقبة تصفو وتنطفئ نيرانها المتاجعة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمانيتها محل الرضا ومقامه وتطمئن في مجارى لاقدار وعن رسول

الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان خير ما اعطى الرجل الرضا بما قسم الله له والახبار والآثار والحكايات في فضيلة الرضا وشرقه اكثر من ان تحصي والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تختلف عبد من الرضا إلا لاختلافه عن التوبة النصوح فاذا التوبة تجتمع حال الصبر ومقامه وحال الرضا ومقامه والخوف والرجاء مقامان من مقامات اهل اليقين وهما كائنان في صلب التوبة النصوح لان خوفه حملته على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاءه ما خاف فالرجاء والخوف يتلازمان في قلب المؤمن ويعتدل الخوف للتائب المستقيم في التوبة ثم ان الخائف التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لان كل جوارحه من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة واي شاكر للنعمة اكثر من التائب المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فجمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة وروية عيوب الافعال والاذابة والصبر والرضا والحسنة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء فلذا صحت التوبة النصوح وتركزت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فحصل الزهد والزهادة يتحقق فيه التوكل لانه لا يزهد في الموجود إلا لاعتماده على الموعود والسكون الى وعد الله سبحانه وتعالى هو عين التوكل وكل ما بقى على العبد من بقية في تحقيق المقامات كان بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثالث الاربعة فاذا صح زهد العبد صح توكله ايضا لان صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استدرك سائر المقامات وتمكن فيها وتحقق بها وترويب التوبة مع المراقبة وارتباط احدهما بالآخرى ان يتوب العبد ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصي الى تطهير الجوارح عما لا يعنى فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركه فضول ثم تثقل الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن

وتستولى المراجعة على الباطن وهو تحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية عن باطنه لم خواطر الفضول فإذا تمسكن من رعاية الخطرات صمم من مخالفة لأركان والجوارح وتستقيم توبته وقيل لا يكون المرید مریدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود المعصية ولكن الصادق والتائب الندام إذا ابتلى بذنب يمتحن أثر الذنوب من باطنه في العطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا وإذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا حتى لا يهتم في غداقه لعشائه ولا في مشائه لغدائه ولا يرى لأدخار ولا يكون له تعلق به بعد وقد جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر زبادة لأن الفقر عادم الشيء اضطرابا والزهد تارك الشيء اختيارا وزهده يحقق توكله وتحقق رضاء ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس للمحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات والزهد والتوبة إذا اجتمعا مع صحة الإيمان عقودة وشروطه يعزز هذه الثلاثة رابع تمامها وهو دوام العمل لله لأن الأحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة ويستتر بعضها متوقفة على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الأحوال لتخلفهم عن هذا الرابع ولا يراد الزهد في الدنيا إلا كمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل لله والعمل لله أن يكون العبد لا يزال ذاكرة أو تاليا أو مصليا أو مراقبا لا يشغله عن ذلك إلا واجب شرعي أو مهم طبعي لا بد منه وإذا استولى العمل القلبي على القلب مع وجود الشغل الذي أداه إليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فإذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفصل

قال أبو بكر الوراق من خرج من قالب العبودية صنع به ما يصنع بالآبق وسئل سهل بن عبد الله التستري أي منزلة إذا قام العبد بها قام

مقام العبودية قال إذا ترك التدبير والاختيار فإذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله لزوال هواه وفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه قال يحيى بن معاذ الرازي ما دام العبد يتعرف يقال له لا تختبر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فإذا عرف وصار عارفا يقال له ان شئت اختر وان شئت لا تختبر لأنك ان اخترت فباختيارنا اخترت وان تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار إلا باحكامه هذه الأربع التي ذكرناها لأن ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله تعالى عبادة ورده إلى الاختيار تصرف بالحق وهذا العبد ما بقي لا تسلاخ عن وجود كان بالعبد إلى وجود يصير بالحق وهذا العبد ما بقي عليه من لا عوجاج ذرة واستقام طاهرة وباطنه في العبودية وعمر العلم طاهرة وباطنه وتوطن حضيرة القرب بنفس بين يدي الله تعالى متمسكة بالاستكانة والافتقار متحققته بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكلفي إلى نفسي طرفة عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك فاضيع واكلا نبي كلاء الوليد ولا تفلح عني والله الموفق لا رب غيره

- * وأما اشارتهم رضي الله عنهم في بعض
- * المقامات حسبما تقدم من التفهيم
- * والارشاد من بعضهم للبعض فنذكر في ذلك
- * من كلام الامام السهروردي رضي الله عنه
- * ما نراه لا ثقا بالمحل والله المستعان وعليه المتكل

قال رضي الله عنه فمن قولهم في التوبة قول رويم معنى التوبة ان تثوب

من الثوبة قيل معناه قول رابعة استغفر الله من قلته صدقي في قول
استغفر الله وقال ذو النون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من
الغفلة وتوبة الانبياء من روية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم مثل
ابو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء
بباله او يراه او يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد
من الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى وينكره
بقلبه ويلزم نفسه لانكار ولا يفارقه ويدعو الله ان ينسيه ذلك ويشغله
بغيره من ذكره وطاعته وان شغل عن الانكار طرفة عين اخاف عليه ان
لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه لانكار
ويحزن فانه لا يصبره شيء قال وهذا الذي قال سهل كاف بالغ لكل طالب
صادق مريد صحة توبته والعارف القوي الحال يتمكن من ازالة الحلاوة
عن باطنه ويسهل عليه ذلك واسباب سهولته ذلك متنوعة للعارف ومن
تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين
اي حلاوة تبقى في قلبه وانما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله ومن
قولهم في الورع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين الورع
وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا ينبغي لمن اخذ بالتقوى ووزن
بالورع ان يذل لصاحب دنيا وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على
حد العلم من غير تاريل وقال الخواص الورع دأبل الخوف والخوف دليل
المعرفة والمعرفة دليل التقرب وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه وقد تكلم في قول الصديق رضي الله عنه كننا ندع
سبعين بابا من الحلال مضافة ان نفع في الحرام اعلم ان مدد المقامات
سبعون وهي قد تحصل بضرب من الاكساب والاجتهاد والصديق خرج
عن مقامات العامة فلم يكن نيله منها بل من مقام موهبي لا وصف فيه
ولا مشاركة لان السالكين مع الاراد والعارفين مع الواردات وهي موهبة
فهذا مرمى الصديقين ومضاهاة هذه المقامات في سورة الاحزاب وهي قوله

ان المسلمين والمسلمات الى قوله والمتصدقين وهي السابعة فالحسنة بعشر
فهي سبعون لاصحاب المقامات وهم العموم والثامنة والصائمين فالصديق
صالم عن الكل ومن قولهم في الصبر قول سهل الصبر انتظار الفرج من الله
وهو افضل الخدمة واعلاما وقيل لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر
العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والعلم يدل والصبر يقبل
ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر والصبر والعلم متلازمان كالروح والجسد
ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان للاتحاد مصدرهما وبانفصال
احدهما عن الآخر اعني العلم والصبر ميل احدهما عن الآخر اعني النفس
والروح وبيان ذلك يدق وقال ابو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر
وصبار فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر
في الله والله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع
واما الصابر فذلك الذي صبر في الله والله وبالله فهو لواقع عليه جميع
البلاء لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم
والحليقة واشارته في هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة
رسئل السري عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله غارب فجعل يضربه
بأبرته فقيل له لم لا تدفعه فقال استحي من الله ان اتكلم في حال ثم
اخالف ما اتكلم فيه فقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة
ثم انتزعها فوضعه مما انتزع الصبر الا وما عوضه خسر مما انتزعه ومن
ذلك في الشكر قوله صلى الله عليه وسلم من ابتلى فصر واعطى فشكر
وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فما باله قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون
وقال داود عليه السلام كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا
بنعمة ثانية من نعمك فارحم الله اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني
وقال بعضهم الشكر هو الغيبة عن الشكر بسروية المنعم وقال يحيى بن
معاذ الرازي لست بشاكر ما دمت تشكر وغاية الشكر الحيرة لتسلسل
النعم اذ كل شكر نعمة متجددة ومن ذلك في الخوف قوله صلى الله عليه

وسلم راس الحكمة مخافة الله وقال بعضهم ليس الخائف من يبكي
ويسبح فيه لكن الخائف التارك ما يخاف ان يعذب عليه وقال
سهل الخوف ذكر الرجاء انشئ ابي منهما تتولد حقائق الايمان وقيل
ان الله تعالى جمع للخائفين ما فرقه في جميع المؤمنين وهو الهدى
والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى وهدى ورحمة للذين هم لربهم
يرهون وقال ذو النون لا يسمى المحب كاس الحب إلا بعد ان يصح
الخوف قبله وقال فضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت فانك
ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف الله ومن
ذلك في الرجاء قول شاه الكرمانى علامة الرجاء حسن الطاعة وقيل الرجاء
روية الجلال بعين الجمال وقيل تقرب القلب من ملاطفة الرب قال ابو
علي الروذبارى الخوف والرجاء كجناحي الطائر اذا استويا استوى الطائر
وتم في طيرانه ولهذا المعنى روى عن لقمان الحكيم عليه السلام انه قال
لا ينه خف الله تعالى خوفا لا تامن فيه مكره وارجه اشد من خوفك
فقال كيف استطيع ذلك وانما لي قلب واحد اما علمت ان المؤمن كذى
فليس يخاف باحدهما ويرجو بالآخر وهذا لانهما من حكم الايمان وقال
الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه وقد تكلم في قول يحيى
ابن معاذ يكاد رجاءى لك مع الذنوب يغلب رجاءى لك مع الطاعة اعلم
ان العبد في حال المعصية لم يبق له حسنة ولا وسيلة وانقطع الى ربه
من جميع جهاته والنجا اليه بذلته وفقره فكان عفوه اليه اقرب والله
ارحى له واما الاعمال والحسنات فالتعلق بها صعب شديد وحال المعصية
حال الفقر والسكنة والذل والصغار ومن ذلك في التوكل قول السرى التوكل
لاختلاص من الحول والقوة وقال سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل
فانها وجه بلا قفا وقال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس ولاختلاص من
الحول والقوة وقال ابو بكر الوراق التوكل رد العيش الى يوم واحد واسقاط
هم غد وقال بعضهم من اراد ان يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها

فيه وينسى الدنيا واهلها لان حقيقة التوكل لا يقوم له احد من الخلق
على كماله وقال حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله قال وليس للاقوياء
اعتداد بتصحح توكلهم وانما شغلهم في تقييب النفس بتقوية مراد القلب
فاذا غابت النفس انحصرت مادة الجهل فصحح التوكل والعبد غير ناظر اليه
وكما تحرك من النفوس بقية يرد على ضميرهم سر ان الله يعلم ما تدعون
من دونه من شئ فيغلب وجود الحق لا عيان ولا كوان ويرى الكون
بالله من غير استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا
يقدر في توكل مثل المتوكل ما يقدر في توكل الصعفاء من وجود الاسباب
والوسائل لانه يرى الاسباب مواتا لا حياة لها إلا بالوكيل وهذا توكل خواص
اهل المعرفة ومن ذلك في الرضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وقال علي كرم الله وجهه من جلس
على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه ومن جلس على بساط السؤال
لم يرض عن الله في كل حال وقال الفضيل الراضى لا يتعنى فوق منزلته
شيئا وقال ابن سمعون الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه فالرضا
به مدبرا ومختارا والرضا له الها وربا والرضا عنه قاسما ومعطيا وقيل
للحسين بن علي رضى الله عنهما ان ابا ذر يقول الفقرا احب الى من الغنى
والسقم احب الى من الصحة قال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل
على حسن اختيار الله له لم يتمن انه في غير الحالة التي اختار الله له

* فصل في كريم اخلاقهم التي اوقفهم عنوان *

* بواطنهم عليها وانهاهم غص ادبهم اليها *

واحسنها على ما قاله الامام السهروردى رضى الله عنه التواضع قال ولا
يلبس العبد لبسة اجمل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة
فقد استراح وراح وما يعقلها إلا العالمون والتواضع رعاية لا اعتدال بين
الكبر والصعته فالكبر رفع للانسان نفسه فوق قدرة والصعته وضع للانسان

نفسه مكانا يزرى به ويغشى الى تصبيح حقه وقد انفسهم من كثير من
 اشارة الشايخ في شرح التواضع اشياء انتهت الى حد اقاموا فيه التواضع
 مقام الصعته وادهم انحرافا من حد الاعتدال ويكون قصدهم في البسالة
 قمع نفس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فنقل ان ينفك مريد
 في مبادئ ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل من جمع من
 الكبار كلمات مؤذنة بالاعجاب وذلك لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في
 مطبق سكر الحال وادم الخروج الى فضاء الصحو في البداية فاذا حقق
 صاحب البصيرة نظره يعلم انه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد
 على القلب فتظهر لذلك بصفتها على وجه لا يخفى على الوقت وصلافة
 الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت
 خضراء السماء مثلى وقول بعضهم قد منى على رقبة جميع الاولياء وكقول بعضهم
 اسرحت والجمت وطفقت في اقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج
 الي احد اشارة منه الى تفردة في وقته ومن اشكل عليه ذلك ولم يعلم انه
 من استراق النفس السمع فلين ذلك بميزان احوال الصحابة رضى الله
 عنهم وتواضعهم وتجنّبهم امثال هذه الكلمات واستبعادهم ان يجوز للعبد التظاهر
 بشئ من ذلك قلت قد يفرق بين الصحابة رضى الله عنهم في علو
 مناصبهم وبين من ظهرت على لسانه هذه الشطحات من اكابر الاولياء بان
 الصحابة رضوان الله عليهم لعلو مدارهم وتمام شروق انوارهم ملكوا الاحوال
 وتصرفوا فيها فلم تظهر عليهم غلبة سلطانها لتملكهم اياها ومن دونهم من لا كابر
 ملكهم لا احوال فصرفت فيهم وظهرت غلبة سلطانها عليهم مغلوبين لا طاقة
 لهم بصرفها ومن آثارها تلك الشطحات الظاهرة عليهم فلا حرج عليهم اذا في
 ذلك والله اعلم وقد قال الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ
 ابو يعزى رضى الله عنهما ولا احوال مالكة لاهل البدايات فهي تصرفهم ومملوكة
 لاهل النهايات فهم يصرفونها ولا نزاع ان الصحابة رضوان الله عليهم اهل
 نهايات ومن دونهم بالنسبة اليهم اهل بدايات ثم قال يلتبس المخرج

رضي الله عنه ولكن نجعل لكلام الصادقين وجهها في الصحة ونقول ان
 ذلك طمع عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالشايخ ارباب التمكن
 لما علوا في النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع الى حد الحقوة
 بالصعته تدوايا للمريدين ولا اعتدال في التواضع ان يرضى لانسان بمنزلة
 دوين ما يستحقه ولو امن الشخص جموح النفس لا وقفها على حد تستحقه
 من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجموح في جبلته النفس لكونها
 مخلوقة من مصالح كالخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها
 الى مركز النار احتاجت الى التدوى بالتواضع واذا ارتفع التواضع من
 القلب وسكن الكبر ينتشر اثره في بعض الجوارح ويرشح لانهاء بما فيه فتارة
 يظهر اثره في العنق بالتمايل وتارة في الخد بالتصغير قال الله تعالى ولا تصاعر
 خدك للناس وتارة يظهر في الراس عند استعصاء النفس قال الله تعالى
 لو اوعسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون قالوا تواضع مجود والضعفة مذمومة
 والكبر مذموم والعزة مجودة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة
 غير الكبر ولا يحل للمؤمن ان يذل نفسه قال بعضهم للحسن ما اعظمك في
 نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز فالكبر جهل لانسان نفسه وانزالها
 فوق منزلتها والعزة معرفة لانسان حقيقة نفسه واكرامها ان لا يضعها
 لاقسام حاجاة دنياوية قال بعضهم من تكبر فقد اخبر من نذالته نفسه ومن تواضع
 فقد اظهر كرم طبعه ومن اخلاقهم المداواة واحتمال الاذى من الخلق قال رضى
 الله عنه كان من مداراته عليه الصلاة والسلام انه لا يلثم طعاما ولا يتنهر خادما
 فالمدارة مع كل احد من لاهل ولاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة
 من اخلاق الصوفية وباحتمال الاذى يظهر جوهر النفس وقال عليه الصلاة
 والسلام المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا
 يخاطبهم ولا يصبر على اذاهم والنفس لا تزال تشتم من يعكس مرادها
 ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداواة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها
 وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاء الله يوم القيامة على

رءوس الخلائق حتى يخبره في اى الحور شاء ومن اخلاقهم لا يثار والمواساة
قال رضى الله عنه ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً وقوة اليقين
شراً لانهم يوثرون بالموجود ويصبرون عن المفقود قال ابو يزيد البسطامي
ما غلبني احد ما غلبني شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال يا ابا يزيد
ما حد الزهد قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب
بلخ قلت وما الزهد عندهم قال اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا واهدى
لبعض اصحاب انس رأس شاة مشوية وكان مجهوداً فوجه به الى جاره
فتداوله سبعة انفس ثم عاد الى لاول فانزلت الآية ويوثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة وروى ان ابا الحسن الانطاكي اجتمع عنده نيف
وثلاثون رجلاً بقرية بقرب الري وله اربعة معدودة لا تشبع خمسة معهم
فكسروا الرغفان واطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام واذا هو
بحاله لم ياكل منه احد ايشارة منه على نفسه وحكى عن حذيفة
العدوي قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عمى ومعى شئ من الماء
وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا انا به فقلت استيك
فاشار اى نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به اليه فجيته فاذا هو
هشام ابن العاص فقلت استيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به
اليه فجيته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت
الى ابن عمى فاذا هو قد مات وقال بعضهم حقيقة لا يشار ان تؤثر لحظ
آخرتك على اخوانك فان الدنيا اقل خطراً من ان يكون لا يشارها محل
او ذكر ومن هذا المعنى ما نقل ان بعضهم راي اخاه لم فلم يظهر البشرى
الكثير في وجهه فانكر اخوة ذلك منه فقال يا اخى سمعت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة
تسعون لاكثرهم بشراً وعشرة لاقليهما بشراً فارت ان تكون اكثر بشراً منى
ليكون لك لاكثر وكان ابو بكر ابن ابي سعيد يقول من صاحب الصوفية
فليسحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمتى نظر الى شئ من اسبابه

قطعه ذلك عن بلوغ مقصده وقيل مرض قيس بن سعد فاستبطا اخوانه
في عيادته فسأل منهم فقيل انهم يستحيون بما لك عليهم من الدين فقال
اخذ الله ما لا يمنع لاهوان من الزيارة ثم امر منادياً بفادى من كان لقيس
عليه مال فهو منه في حل فكسرت عتبه بالعشى لكثرة العواد وروى
انس لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة واخا النبي صلى الله عليه
وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فقال له اقسامك مالى نصفين ولى امرئان
اطلق احدهما فاذا انتقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله
لك في اهلك ومالك فما حمل الصوفى على لا يثار للأطهارة نفسه وشرف
غريزته وما جعله الله تعالى صوفياً الا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل
من كانت غريزته السخاء يوشك ان يكون صوفياً لان السخاء صفة
الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون قال وليس العجب من وجود الشح
من الادنى فانه جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو الداعى
لنفس الصوفية للبذل ولا يثار والسخاء اتم واكمل من الجود ففي مقابلة الجود
البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما لاكتساب
بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كانا من ضرورة الغريزة فكل
سخى جواد وليس كل جواد سخياً والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لان
السخاء من نتائج الغرائز والحق تعالى منزلة عن الغريزة والجود يتطرق اليه
الرياء ويأتى به الانسان متطعاً الى عوض من الخلق او الحق بمقابلة ما
من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله والسخاء لا يتطرق اليه الرياء
لانه لا ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعراض دنيا وآخرة لان
طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولاً بطلب العوض فما تمخص سخاء
فالسخاء لاهل الصفاء ولا يثار لاهل الانوار ومن اخلاقهم التجاوز والعفو
ومقابلة السيئة بالحسنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايث قصورا
مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه فقال للكاطمين الغيظ والعافين

عن الناس وقال صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة يقولون ان احسن الناس احسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا فلا تظلموا وقال عليه الصلاة والسلام ليس الواصل المكافى ولكن الواصل الذى قطعت رحمه وصلها وقال سفيان الاحسان ان تحسن لمن اساء اليك فان الاحسان الى الحسن متاجرة كنفد السوق خذ شيئا مات شيئا ومن اخلاقتهم البشر وطلاقة الوجه فقال صلى الله عليه وسلم الله عنه الصوفى بكاه في خلواته والبشر وطلاقة الوجه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار انوار قلبه وقد ينازل باطن الصوفى منازل الهية ومواهب

منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن من القلب فاضت الى الوجه آثاره وجوه يومئذ مسفرة اى مصيئة مشرقة ومستبشرة اى فرحة قيل اسفرت من طول ما اغبرت في سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب فيض نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا نعم القلب بلذيق المسامرة ظهر البشر على الوجه تعرف في وجوههم نصرة النعيم اى نصارته وبريقه يقال انصر النبات اذا ازهر ونور فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصلقت مرأى قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال لازلى واذا اشرقت الشمس على المرأة المصقولة استنارت الجدران سيماهم في وجوههم من اثر السجود فاذا تائر الوجه بسجود الظلال وحى القوالب في قول الله تعالى وظلالهم فيها بالغدو والآصال كيف لا يتائر بشهود الجمال ومن اخلاقهم السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى اخلاقهم وطبائعهم وترك التكلف والتعسف قال صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اما انى امرح ولا اقول إلا حقا وجاءه عليه الصلاة والسلام رجل فقال يا رسول الله احملنى على جمل فقال احملك على ابن الناقة فقال اقول لك احملنى على جمل و تقول احملك على ابن الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم فالجمل ابن الناقة وروى صهيب قال اثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر ياكل منه فقال اصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فتعال تاكل من التمر وانت ارمد فقلت اذا امضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان عمر رضى الله عنه سابق زبيرا رضى الله عنه فسبقه الزبيير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة اخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروى عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقتها فقال هذه بتلك وقال عبد الله ابن عباس قال لى عمر تعال انافسك في الماء اى اطول نفسا ونحن محرمون وروى بكر بن عبد الله قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتباحثون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا رمى اى يترامون بالبطيخ وقالت عائشة رضى الله عنها اثبت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبخت له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلى فابت فقلت لها كلى او لا تطحن بها وجهك فابت فوضعت يدي في الخزيرة فاططخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخى وجهها فاططخت بها وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ايما فرح بالباب فتنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهي كما قالت عائشة فما زلت اهاب عمر لهيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف بعضهم بن طاووس فقال كان مع الصبي صبياء ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحمة اذا خلا قال فهذه الاخبار والابار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن اخلاقهم فيما يعتمدونه من المدامبة في الربط وينزلون مع الناس على حسب طبائعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا الرجال واكتسوا ملابس الاعمال ولا حوال ولا يقف في هذا المعنى على حد الاعتدال الا صوفى قاهر للنفس

عالم باخلاقتها وطباعها سائس لها برفور العلم حتى يتف في ذلك على صراط
 الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا يصلح لاكثر من ذلك للريدين المبتدئين
 لعلتهم ومعرفتهم بالنفس وتعليمهم حد الاعتدال فللنفس في هذه المواطن
 نهضات ووثبات تجر الى الانسداد وتخرج الى العناد وللصوفية العلماء فيما
 ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشئ اذا وضع للحاجة
 يتقدر بقدر الحاجة ومقدار قدر الحاجة في ذلك علم غاص لا يسلم لكل
 احد وقال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط منه يذهب
 البهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يغيظ الموانسين ويوحش المخالطين
 وقال بعضهم المزاج مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال
 في ذلك يصعب معرفة الاعتدال في الضحك وذكر فرق بين المداعبة والمزاح
 فقل المداعبة ما لا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده والحق ابو حنيفة
 رحمه الله القهقهة بالذنب وجعله ناقضا وقال نعيم لاثم مقام خروج الخارج
 ومن اخلاقهم ترك التكلف قال وذلك ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل
 على النفس لاجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفي بعضه خفي
 منازعة الاقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف
 ويقال التكلف التخلف وهو تخلف عن اشار الصادقين قال انبى بن
 مالك شهدت وليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيها خبز ولا لحم
 والتكلف مذموم في جميع الاشياء كالتكلف باللبوس للناس من غير نية فيه
 والتكلف في الكلام وزيادة التماق الذي صار داب اهل الزمان فما يكاد
 يسلم من ذلك الا آحاد وافراد وكم من تعلق لا يعرف انه تعلق ولا يظن
 له فقد يعلق الشخص الى حد يخرج به الى طريق السقاء وهو مبين
 حال الصوفي وفي حديث يونس النبي عليه السلام انه زار اخوانه فقدم
 اليهم كسرا من خبز شعير وجزلهم بقلا كان يزعمه ثم قال لولا ان الله لعن
 التكلفين لتكلفت لكم ومن اخلاقهم لانفاق من غير اقتار وترك الادخار
 وذلك ان الصوفي يرى خزائن فضل الله فهو بمثابة من هو مقيم على

شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربته وراوته
 وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من يوم
 الا وملكان يناديان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم
 اعط ممسكا تلفا وروى ان عيسى عليه السلام كان ياكل الشجر ويلبس
 الشعر ويبسيت حيث امسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب
 ولا يفسى شيئا فالصوفي كل حباياه في خزائن الله تعالى لصدق توكله
 وثقته بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربته ليس له فيها ادخار وليس له
 منها استكثار وروى ان جبريل عليه السلام قال ما في الارض اهل عشرة
 ابيات الا فلبتهم فما وجدت احدا اكثر انفاقا لهذا المال من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ومن اخلاقهم القناعة باليسير من الدنيا قال ذو النون
 المصري من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على اقرانه وقال بشر
 ابن الحارث لو لم يكن في القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه قال بنان
 الجمال الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع وقال بعضهم انتقم من حرصك
 بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق
 فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 كونوا اوصية الكتب وينابيع الحكمة وعدوا انفسكم في الموتى وسالوا الله
 رزق يوم بيوم ولا يصركم ان يكثر لكم وقيل في تفسير قوله تعالى فلنحيينه
 حياة طيبة هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع وجدو
 القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها وقال
 ابو سليمان الداراني القناعة من الرضا كالورع من الزهد ومن اخلاقهم
 ترك المراء والمجادلة والغضب الا بحق واعتماد الرفق والعلم قال وذلك
 ان النفوس تثب وتظهر في الممارين والصوفي كلما راي نفس صاحبه
 طاهرة تقابلها بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة
 وانطفت الفتنة قال الله تعالى تعلما لعباده ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
 بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ولا ينزع المراء الا من نفوس زكية انتزع منها

الغل قال ابو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائمتك بالله وانقمت على محبته واجتمعت على مودته وانست بذكرة فان تلك قلوب صافية من هوا جس النفس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا ونزعا ما في صدورهم من غل فهكذا قلوب اهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة من التلزم بشروط الطريق ولا نكباب على الظرف بالتحقيق والناس رجلان رجل طالب ما عند الله يدعوا الى ما عند الله نفسه وغيرها فما للحق الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه في طريق واحد وجهة واحدة واخوة ومعينة والمؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا ورجل مفتن بشئ من محبة الجاه والمال والرئاسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة لانه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفي ان ينظر الى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتا فلا ينطوي له على غل ولا يماريه في الظاهر على شئ لعلمه بظهور نفسه لامارة بالسوء في المراء والمجادلة وفي الخبر من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محقق بنى له في وسطها ومن حسن خلقه بنى له في اعلاها فانفس الصوفى تبدلت صفاتها وذهبت منه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة وروى انه جاء غلام لابي ذر وقد كسر رجل شاة فقال ابو ذر من كسر رجل هذه الشاة قال انا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال افيظك فتصر بنى فثام قال ابو ذر لا فيظن من حظك على فيظى فاعتقه وروى لاصمعي من امرابي قال اذا اشكل عليك امران لا تدري ايهما فخالف اقربهما الى هوك فان اكثر ما يكون الخطا مع متابعة الهوى قيل لبعضهم من اقهر الناس لنفسه قال ارضاهم بالمقدور وقال بعضهم اصبحت وما لي سرور الا مواقع القضاء فاذا اتهم النفس الصوفى عند الغضب تداركه العلم واذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وماد دم القلب الى واضعه ومقاراة واعتدل الحال وفاضت حمرة الخد وبانت فصيلة العلم قال عليه السلام السميت الحسن

والتوعدة والاقتصاد جزء من اربعة وعشرين جزء من النبوة وقال عليه السلام الغضب جمرة من النار الم ترائى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع ومن اخلاقهم التودد والتالف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال عليه السلام مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليمين تغسل احدهما الاخرى وما التقى مؤمنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا وقال ابو ادريس الخولاني لعاذ بن جبل اني احبك في الله فقال ابشر ثم ابشر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس ولا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قليل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون في الله وقيل لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وهذا المعنى كانت صفة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصلوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع بذلك المرید بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد اهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في كل اسبوع مرة اهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين واهل الاقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك الحكمة بالغة منها تأكيد لالفة والمودة بين المؤمنين والتالف والتودد تؤكد اسباب الصحبة والصحبة مع الاخيار مؤثرة جدا بل مجرد النظر الى اهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر في الصور يثير اخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون فانه يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر وقد قيل من لا ينفعك لحظته لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنته الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يقسدان بمقارنة الجيف

والزروع تنقي منها انواع العروق والنبات لموضع لافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الاشياء ففي النفوس الشريفة البشرية اكثر تاثيرا ومن اخلاقهم شكر المحسن على الاحسان والدعاء له قال رضى الله عنه وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطع النظر عن الاغيار ورويتهم النعم من المنعم الجبار اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول ما من الناس حدد امن علينا في صحبته وذات يده من ابن ابي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لا اتخذت ابنا بكر خليلا وقال ما نفعتي مال كمال ابي بكر فالخلق يحبوا من الله تعالى بالخلق في المنع والعطاء والصوفي في الاجتهاد يفنى من الخلق ويرى لاشياء من الله حيث طالع ناصية التوحيد وخرق الحجاب الذي مشع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا اعطاء او يحجب الحق من الخلق فاذا ارتقى الى ذروة التوحيد شكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا في النعم والعطاء بعد ان يرى السبب اولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجب الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجب الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطي والسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب ومن اخلاقهم بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة قال رضى الله عنه واذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتهما وشهواتها يتوصل الى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاشرة في اصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج الى مزيد علم لانها امور تتعلق بالخلق ومخالفاتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك الا لصوفي تلم الخصال عالم رباني روى زيد بن اسلم قال كان نبي من الانبياء ياخذ بركاب الملك يولفه بذلك الى قضاء حوائج الناس وقال عطاء لان يراى الرجل سنين فيكسب جاهها يعيش فيه مومن اثم له من ان يخلص العمل لتجاة نفسه قال وهذا باب غامض لا يؤمن ان يفطن به خلق من الجهال المدين ولا يصلح هذا الا لعبد اطلع على

باطنه فعلم منه ان لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولوان ملوك الارض وقتوا في خدمته ما طغى ولا استطال وسودخل الى تنور يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح الا لاحاد من الخلق وافراد من الصادقين ينسأخون من ارادتهم واختياراتهم ويكاشفون الله بمراده منهم فيدخلون في لاشياء بمراد الله تعالى فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بغيبة صفات النفس قال وهذا لا قوام ماتوا ثم حشروا واحكموا مقام اللناء ثم رقا الى مقام البقاء فيكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان واذن من الله تعالى على بصيرة من ربهم ليس فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف بالمراد في خطي الخطاب فياخذ وقته ابدا من لاشياء ولا تأخذ لاشياء من وقته ولا يسكرون هذا الا في كل قطر من لاقطار واحد متحقق بالاحوال قال ابو عثمان الحميري لا يكمل الرجل حتى يستوى في قلبه اربعة اشياء المنع والعطاء والعز والذل فليل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه لا يستحق لانسان الرئاسة حتى يجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله من الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في ايديهم ويبذل ما في يده لهم قال وهذه الرئاسة ايضا غير الرئاسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رئاسة اقامها لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله

* فصل في حقيقة الصحبة وما فيها *

* واداء حقوق الاخوة وعزارة مستوفيهما *

قال لامام السهروردي رضى الله عنه المتقاضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدمو اليها اخص لاوصاف فالدهاء باهم لاوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض والدعاء باخص لاوصاف كميل اهل كل ملت بعضهم الى بعض ثم اخص من ذلك كميل اهل الطاعة بعضهم الى بعض وكميل اهل المعصية

بعضهم الى بعض فاذا علم هذا الاصل وان الجاذب الى الصحبة وجود الجنسية
بالاعم تارة وبالاخص اخرى فليفتقد الانسان نفسه عند الميل الى صحبة
شخص وينظر ما الذي يميل به الى صحبته ويزن احوال من يميل اليه
بميزان الشرع فان رأى احواله مسددة فليشر نفسه بحسن الحال فقد
جعل الله تعالى مرآته يلوح له في مرآة اخيه جمال حسن الحال وان
رأى افعاله غير مسددة فليرجع على نفسه باللوم ولا يهمل - ام فقد لاح في
مرآة اخيه سوء حاله وقد يفسد المريد الصادق باهل الصلاح اكثر
مما يفسد باهل الفساد ووجه ذلك ان اهل الفساد علم فساد طريقتهم
فاخذ حذره منهم واهل الصلاح غره صلاحهم فمال اليه الجنسية الصلاحية
ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة
الصحبة لله فاكسب من طريقهم الفتور في الطلب والتخلف عن بلوغ
الادب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة وياخذ من الصحبة اصفى الاقسام
ويذر منها ما يسد في وجه البرام قال بعضهم هل رايت شرا الا ممن تعرف
ولهذا المعنى انكروا طائفة من السلف الصحبة واروا فضيلة العزلة والوحدة
كابراهيم بن ادهم وداود الطماي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص
وقال سبحانه وتعالى اخبارا عن خليله واحزلكم وما تدعون من دون الله وادعو
رأى استظهر بالعزلة على قومه قال ويجوز ان يقال الخلوة غير العزلة
فالخلوة من الاغيار والعزلة من النفس وما تدعو اليه ويشغل عن الله تعالى فالخلوة
كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود قال ابو بكر الوراق ما ظهرت الفتنة
الا بالخطاة من لدن آدم الى يومنا هذا وما سلم الا من جانب الخطاة
قال وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله وراوا ان الله
تعالى من على اهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال جل من قاتل فاصبحت
بنعمته اخوانا وقال والف بين قلوبهم الآية وقد اختار الصحبة والاخوة
في الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما وفائدة الصحبة انها
تفتح مسام الباطن ويكتسب لانسان بها علم الحوادث والعوارض قيل اعلم

الناس بالآفات اكثر آفات ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون
وتقوى جنود القلب وتستروح الارواح بالتشام وتتفق في التوجه الى الرفيق
لاعلى ويصير مثالها في الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرفت الاجرام
واذا انفردت قصرت من بلوغ المرام قال عليه السلام المؤمن كثير باخيه
وقال تعالى مخبرا عن لا صديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
والاصل في الحميم الهميم ابدلت الها بالهاء لقرب المخرج اذ هما من حروف
الحلق الهميم ماخوذ من كاهتمام اى يهتم بامر اخيه ولاهتمام بهمم الصديق
حقيقة الصداقة واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما لي
اراك متبذرا وحدانيا قال الهى قلت الخلق من اجلك فاوحى الله اليه
يا داود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافقك على
سرقى فلا تصحبه فانه عدو ويقسى قلبك ويبعدك عنى وقد ورد في الخبر
ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون والمومن آلف مالوف قال وفي
هذا دققة ليس من اختار الوحدة والعزلة لله يذهب عنه هذا الوصف
فلا يكون آلفا مالوفا فان هذه لاشارة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الخلق الجبلى وهذا الخلق يكمل في كل من كان اتم معرفته
ويقين واوثر عقلا واتم معرفته واستعدادا وكان اوفا للناس لانياء ثم لاولياء
واتم الجميع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكل من كان من الانبياء اتم
الفة كان اكثر اتباعا ونبينا صلى الله عليه وسلم كان اكثرهم لفة واكثرهم
تبعنا قال الله تعالى منها على كريم ذلك الوصف منه عليه الصلاة والسلام
ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك ومن كان هذا الوصف
فيه اقوى واتم طلب العزلة اكثر ولهذا المعنى حبيب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخلوة في اول امرة فكان يخلو في غار حراء ويتحنث الليالى
ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب كونه آلفا مالوفا وقد غلط في هذا
قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة
قال وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف وصفه من الانبياء ثم لا مثل فالامثل

ما اسلفنا ان في الانسان ميلا الى الجنس بالوصف لاعلم فلما علم الخذاق ذلك الهمهم الله تعالى محبة الخلوة والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف لاعلم لترقى الهمم العالية عن ميل الطباع الى ثالث الارواح فاذا رفقوا بالتصفية حققوا اشربت الارواح الى جنسها بتألف لاصل لاول واعادها الله الى الخلق ومخاطبتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بانوار الارواح وظهرت صفة الجبلية من لآلئة المكملات آتت مالفوفة وصارت العزلة من اهم الامور عند من بالغ ويولف وروى ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في راس العمود سبعون الف مروة مشرفون على اهل الجنة يصيرون حشدهم لاهل الجنة كما تضيئ الشمس لاهل الدنيا فيقول اهل الجنة انظروا بنا نظرا الى المتحابين في الله فاذا اشرفوا عليهم اضاء حسنتهم لاهل الجنة كما تضيئ الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم مولاه المتحابون في الله عز وجل وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ بن جبل اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس ولا يفرحون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هم يا رسول الله قال هم المتحابون في الله عز وجل وقد تقدم وقال خالد بن معدان ان لله ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج وان من دعائه اللهم فكسما الفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطغى النار ولا النار تذيب الثلج الف بين قلوب عبادك الصالحين ومن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يفيض في الله ما نفعه ذلك وعن ابي القاسم القشيري رضي الله عنه قال سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله ابن المعلم يقول سمعت ابا بكر الطمستاني يقول اصحبوا مع الله فان لم

تطبيقا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركة صحبته الى محبة الله تعالى الله قال واما اداء حقوق الصحبة والاخرة فقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وقال في وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشداء على الكفار رحماء بينهم فكل هذه الآيات تنبيه من الله الكريم للعباد على اداء حقوق الصحبة فمن اختار صحبة او اخوة فادبه في اول ذلك ان يسلم نفسه وصاحبه الى الله تعالى بالمسالة والدعاء والتضرع ويسال البركة في الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك اما بابا من ابواب الجنة واما بابا من ابواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو من ابواب الجنة قال الله تعالى لا خلاه يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وان فتح عليهما بالاخرة شرا فهو باب من ابواب النار قال الله تعالى ويوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لبنتي لم اتخذ فلانا خليلا وان كانت الآية وردت في قصة مشهورة ولكن لله تعالى تنبيه في ذلك لعباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله لا يقبل ان احد لاخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسال عن منزل صاحبه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى اخوه مثل منزلته فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي وله فيعطى جميع ما يسال لآخيه ويرفع اخوه الى درجته فالصلاح في الصحبة متوقع والفساد فيها متوقع وما كان بهذه الصفة كيف لا يحذر في اوله ويحكم الامر فيه بكثرة اللجاء الى الله تعالى وصدق لا تقفار وسوال البركة والخيرة في ذلك وتقديم صلاة الاستخارة لم ان اختيار الصحبة والاخرة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى حسن الخاتمة والحديث الطويل سبعة يظلمهم الله فذكر منهم ورجلان تحابا في الله فعاثا على ذلك وماتا عليه شاهد بان الاخرة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المواخاة قيل ما حصد الشيطان متعاونين على بر حسنة متواخين في الله متحابين فيه

فانه يجهد نفسه ويبحث قبيله على افساد ما بينهما وكان الفصل يقول
 اذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة والاخوة في الله مواجهة قال تعالى اخوانا
 على سرر متقابلين ومتى اظهر احدهما للآخر سوء وكرة منه شيئا ولم ينهم
 عليه حتى يزيله او يتسبب في ازالته فما واجهه بل استدبره قال الجيد
 ما تواها اثنان في الله فاستوحش احدهما من الآخر الا لعلة في احدهما
 فالمواربة في الله اصفى من الماء الزلال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تهدده موددا فتخلفه فقال ابو سعيد الخزاز
 صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف فقل له
 وكيف ذلك فقال لاني كنت معهم على نفسي قال ومن حقوق الصيحة
 انه اذا وقعت فرقة ومباينة لا يذكر اخاه الا بخير قيل كان لبعضهم
 زوجة وكان يعلم منها ما يكره وكان يقال له استخبرا عن حالها فيقول لا
 ينبغي للرجل ان يذكر في امله الا خيرا ففارقها وطلقها فاستخبر عن ذلك
 فقال امرأة بعدت عني وليست مني بشيء فكيف اذكرها وهذا من الخلق
 باخلاق الله سبحانه فانه يظهر الجميل ويستتر البسيع واذا وجد من احدهما
 ما يوجب التقاطع فهل يبغضه او لا يختلف القول في ذلك كان ابو ذر
 يقول اذا انقلب عما كان عليه فابغضه من حيث اصبحه وقال غيره لا
 تبغض الاخ بعد الصيحة ولكن تبغض عمله قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة
 والسلام فان عصوك فقل اني بروء مما تعملون ولم يقل اني بروء منكم
 وقيل كان شاب يلزم ابا الدرداء وكان ابو الدرداء يعيظه من غيره فابتنى
 الشاب بكبيرة من الكباير وانتهى الى ابي الدرداء ما كان منه فقيل له
 لو ابعذته وهجرته فقال سبحانه الله لا يترك صاحب لشئ كان منه
 وقيل الصداقة لحمية كاحمة النسب وقيل لحكيم ايما احب اليك اخوك
 او صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقي قال وهذا الخلاف وقع
 في المفارقة طاهرا وباطنا والملازمة باطنا اذا وقعت المباينة طاهرا وهو يختلف
 باختلاف الاشخاص ولا يطلق القول فيه من غير تفصيل فمن الناس من

كان تغيرة رجوما من الله وظهور حكم السابقة فيجب بعضه وموافقة الحق
 فيه ومن الناس من كان تغيرة عشرة حدثت وفترة وقعت يرجي عوده فلا
 ينبغي ان يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة المحاضرة ويلحظه بعين الود
 منتظرا له الفرج والعود الى اوطان الصالح وقد ورد ان النبي صلى الله
 عليه وسلم لما شتم القوم الرجل الذي كان اتى فاحشة قال مه وزجرهم لا
 تكونوا مونا للشيطان على اخيكم وقال ابراهيم الغضفي لا تقطع اخاك ولا
 تهجره عند الذنب بذنبه فانه يركبه اليوم ويتوب غدا وفي الخبر ادقوا
 زلة العالم ولا تقطعوا وانظروا فيتمه ويعلم خلوص المحبة في الله ان لا يكون
 فيها شائبة حظ عاجل من رفق واحسان فان ما كان معلولا يزول بزوال
 علته ومن لا يستند في خلته الى علة يحكم بدوام خلته ومن شروط
 المحبة ايشار الاخ بكل ما يقدر عليه من امر الدين والدنيا قال الله تعالى
 يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا
 يصدون اخوانهم على ما لهم وهذان الوصفان بهما يكمل وصف المحبة
 احدهما انتزاع الحسد عن كل شئ من امر الدين والدنيا والثاني الايشار
 بالمقدور وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرء على
 دين خليله ولا خير فيمن لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان ابو
 معاوية الاسود يقول اخواني كلهم خير مني قيل فكيف ذلك قال كلهم يرى
 لي الفضل عليه ومن فضائي على نفسه فهو خير مني وانشد بعضهم
 تذل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
 وجانب صداقة من لم يزل على الاصدقاء يرى الفضل له
 قال رضي الله عنه واما آداب الصيحة والاخوة فسل ابو حفص عن ادب
 الفقراء في الصيحة فقال حفظ حرمة المشايخ وحسن العشرة مع الاخوان
 والنصيحة للاصاغر وترك صحبة من ليس في طبعهم ملازمة الايشار
 ومجانبة الادخار والمعاونة في امر الدين والدنيا فمن ادبهم الغافل من
 زلل الاخوان والنصح فيما تجب فيه النصيحة وكنم عيب صاحبه واطلاعه

على عيب يعلم منه فقال عمر رضى الله عنه رحم الله امرأته اهدى الى
عيوبي والنصيحة ما كان في السر قلت ومما احفظه من المعاني
الصحيحة في تأكيد العمل باخفاء النصيحة قوله

تعمدني بنصحتك في انفراد وجنبني النصيحة في الجماعه
فان انت اعتدت به جهارا فلا تنصّب اذا لم تعط طاعة

ومن ادبهم القيام بحرمته لالاخوان واحتمال لاذى منهم قال فبذلك يظهر
جوهر الفقيه روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه امر بتلع ميزاب
كان في دار العباس بن عبد المطلب الى الطريق بين الصفا والمروة فقال
له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال
اذا لا يرد له مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فاقامه على
عائقه ورده الى موضعه ومن ادبهم ان لا يروا لانفسهم ملكا يختصون
به قال ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلى وقال احمد بن
الاناسى دخلت على قوم من الفقراء بالبصرة فاكرموني وبجلوني فملت
لبعضهم يوما ابن ازارى فسقطت من اعينهم وكان من اخلاق السلف
رضى الله عنهم ان من احتاج الى شئ من مال اخيه استعمله من غير
موارة قال الله تعالى وامرهم شورى بينهم اى مشاع هم فيه سواء قال
ومن ادبهم اذا استقلوا صاحباً يتهمون ذلك منهم ويتسببون في ازالته
ذلك من بواطنهم لان انطواء الضمير على مثل ذلك للصاحب وليحة في
الصحيحة قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل فكان على قلبي ثقباً فوهبت
له شيئا بنية ان يزول ثقبه عن قلبي فلم يزل فخلوت به يوما وقلت
له هع رجلك على خدي فابى فقلت له لا بد من ذلك ففعل ذلك
فزال ما كنت اجد في باطني قال الرقي قصدت من الشام الى الحجاز
حتى سالت الكتاني عن هذه المسألة ومن ادبهم تقديم من يعرفون فضله
والوسعة له في المجلس والايثار بالموضع قال وحكى ان علي بن بندار
الصوفى ورد على ابي عبد الله بن خفيف زائراً فتماشيا فقال له ابو عبد

الله تقدم فقال باي عذر قال بانك لقيت الجنيّد وما لقيته ومن ادبهم
ترك صحبة من همه شئ من فضول الدنيا قال الله تعالى فاعرض عن
تولى من ذكرنا ولم يرد إلّا الحياة الدنيا ومن ادبهم بذل الانصاف وترك
مطالبته قال ابو عثمان الخيري حق الصحبة ان توسع على اخيك من
مالك ولا تطمع في ماله وتنتصفه من نفسك ولا تطالب منه الانصاف
وتكون تبعا له ولا تطمع ان يكون تبعا لك وتستكثر ما يصل اليك
منه وتستقل ما يصل اليه منك ومن ادبهم في الصحبة ائني الجانب
وترك ظهور النفس بالصولة قال ابو علي الروذباري الصولة على من هو
فوقك فحمة وعلى من هو مثلك سوء ادب وعلى من هو دونك عجز
ومن ادبهم ان لا يجري في كلامهم لو كان كذا ما كان كذا وليته كان كذا
وعسى ان يكون كذا قال فانهم يرون هذه التقديرات عامية ومن ادبهم في
الصحيحة حذر المارقة والحرص على الملازمة قيل صحب رجل رجلا ثم اراد
المفارقة فاستاذن صاحبه فقال بشرط ان لا تصحب احدا إلّا اذا كان فوقنا
وان كان مماثلا فلا تصحبه ايضا لانك صحبتنا اولاً قال الرجل فزالت عن
قلبي نية المفارقة ومن ادبهم التعطف على الاصاغر قال رضى الله عنه كان
ابراهيم بن ادهم يعمل في الحصاد ويطعم لاصحاب وكانوا يجتمعون بالليل
وهم صيام وربما كان يتأخر في بعض الايام في العمل فقالوا ليلته تعالونا كل
فطورنا دونه حتى يعود يسرع فافطروا وناموا فرجع ابراهيم فوجدهم نياما فقال
مساكين لعلمهم لم يكن لهم طعام فعد الى شئ من الدقيق فانشبها وهو في
النار واضع محاسنه في التراب فقالوا له في ذلك فقال قلت لعلمكم لم تجدوا
فطورا فتمتم فقالوا انظروا باي شئ عاملناه وباي شئ عاملنا ومن ادبهم ان لا
يقولوا عند الدعاء الى اين ولم وباي سبب قال بعض العلماء اذا قال
الرجل لصاحبه قم بنا فقال الى اين فلا تصحبه وقال آخر من قال لاخيه
اعطني من مالك فمال كم تريد ما قام بحق الاخاء وقد قال الشاعر
لا يسألون اخاهم حين يندبهم في الثابت على ما قال برهاننا

ومن ادبهم عدم التكلف للاخوان قيل لما ورد ابو حفص العمراق تكلف له الجيد انواع لا طعمته فانكر ذلك ابو حفص وقال اصحابي مثل الاخائيث تقدم لهم الالوان والفتوة عندنا ترك التكلف واحضار ما حضر فان بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وبترك التكلف ربما يستوى مقامه وذهابهم ومن ادبهم طلب المداينة وترك المداينة قال رضى الله عنه وتشبه المداينة والمداينة والفرق بينهما ان المداينة ما اردت به صلاح اخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ما تكره والمداينة ما قصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ واقامة جاه قلت وقد يلوح في الفرق بينهما ان المداينة والمداينة قد اجتماعا في معنى المحاسنة والملايمة والملاطفة والملاينة لكن المداينة على البراءة لاصلية اظهر ما اجن وابرز من حسن المعاملة ما اكن والمداهن اظهر غير ما اضمرا وخفى خلاف ما اظهر لاقتضاء لفظ المداينة ذلك وهذا عين النفاق المرسوم وحقية الزور الذى هو بالمذمة موسوم فلذلك طلبوا المداينة وتركوا المداينة والله اعلم ومن ادبهم رعاية الاعتدال بين الانبساط والانقباض قال الشافعى رضى الله عنه لا انقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم ولا انبساط اليهم محلبة لافرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط ومن ادبهم ستر عورات لاخوان قال عليه الصلاة والسلام لاصحابه كيف تصنعون اذا رايتهم اخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احذركم يسمع في اخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيعها باعظم من هذا ومن ادبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاعتناء بهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم حكى ان اخوين اقبل احدهما بهوى فظهر عليه اخاه وقال انى ابتليت بهوى فان شئت ان لا تعقد على محبتي فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخائك لاجل خطيئتك وقد بينه وبين الله عقدا ان لا ياكل ولا يشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه فطوى اربعين يوما كلما يساله عن هواه يقول

ما زال فبعد لاربعين اخبره ان الهوى قد زال فاكل وشرب ومن ادبهم ان لا يخرجوا صاحبهم الى المداينة ولا ياجتوه الى الاعتذار ولا يكتفوا صاحب ما يشق عليه بل يكونون للصاحب من حيث هو موثرا مراد الصاحب على مراد نفسه قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه شر لا صدق من احوك الى مداينة او الجاك الى اعتذار وتكلفت له قال جعفر الصادق انقل اخواني علي من يتكلف لى والتحفظ منه واخفهم على قلبى من اكون معه كما اكون وحدى قال وآداب الصلحة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات في ذلك يطول جامعها قال وقد رايت في كتب ابي طالب المكي من الحكايات في هذا المعنى شيئا كثيرا وقد اودع كتبه من ذلك كل شئ حسن رحمة الله عليه

* فصل في ذكر الادب بين الشيخ والمريد *

* وبسط ذلك بان اراد السلوك والتجريد *

فلان رضى الله عنهم في ذلك ملاحظ جلية ومعاذها في سوق لا جادة غرر جميلة واهم في ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقد قال تعالى منها على قدره العظيم ومعرفا بما له من واجب البر والتعظيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وفي معنى التقدم بين يديه عليه السلام تاويلات كثيرة لا يسعنا الحل فيها لبسط الكلام قال الامام الاوحد شهاب الدين السهروردى رضى الله عنه ادب المريد مع الشيخ ان يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله الا بمراجعة الشيخ وامره وينبغي له في مجلس الشيخ ان يلزم السكوت ولا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن الا اذا استاذن الشيخ ووجد منه فسحة في ذلك وشان المريد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل البحر ينتظر رزقا يساق اليه فتطلع له الى الاستماع وما يبرزق من طريق كلام الشيخ بحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله وتطاعه الى القول بردة عن

منام الطلب والاستزادة الى مقام اثبات شئ لنفسه وذلك خيانة المريد
قال وينبغي ان يكون تطلعه الى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال
من الشيخ على ان الصادق لا يحتاج الى السؤال باللسان في حضرة الشيخ
بل يباديه الشيخ بما يريد لان الشيخ يكون مستنطقا انطقه الحق وهو
عند حضور الصادقين يرفع قلبه الى الله تعالى ويستمطر ويستسقى لهم
فيكون لسانه وقلبه في القول والنطق مأخوذين الى مهم الوقت من احوال
الطالبين المحتاجين الى ما يفتح عليهم لان الشيخ يعلم تطلع الطالب الى
قوله واعتداده به فاقول كالبدري يقع في الارض فاذا كان البذر فاسدا
لا ينبت وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها فالشيخ ينبغي بذر الكلام عن شوب
الهوى ويسلمه الى الله تعالى ويسال الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون
قوله بالحق من الحق للشيخ فالشيخ المريد يمين لالهام كما ان
جبريل امين الوحي فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ
في الالهام وكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى
كذلك الشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا لا يتكلم
بهوى النفس وهوى النفس في القول بشيئين احدهما طلب استجلاب القلوب
وصرف الوجوه اليه وما هذا من شان الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء
الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما يجري على لسانه
راقد النفس يشغله مطاعنة نعم الحق في ذلك واخذ الحظ من فوائده عن
ظهور النفس بالاستحلاء والعجب ويكون الشيخ فيما يجري الله سبحانه
على لسانه مستمعا كاحد المستمعين وكان الشيخ ابو السعود رحمة الله
عليه يتكلم مع الاصحاب بما يلقى اليه وكان يقول انا في هذا الكلام مستمع
كاحدكم فاذنك ذلك على بعض الحاضرين فقال اذا كان القاتل وهو يعلم
ما يقول كيف يكون كستمستمع ما يعلم حتى يسمع منه فرائ ليلته في المنام
كان قاتلا يقول له اليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف
في مخالاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه الا اذا خرج من البحر

ويشاركه في روية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام اشارة الشيخ في ذلك
فاحسن آداب المريد مع الشيخ السكون والجمود والجمود حتى يباديه الشيخ
بما له فيه الصلاح قولاً وفعلًا وقيل ايضا في قوله تعالى لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله لا تطلبوا منزلة وراء منزلته قال وهذا من محاسن الآداب
واعزها فينبغي للمريد ان لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ
بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنح وغرائب المواهب
وبهذا يظهر جوهر المريد في حسن الارادة وهذا يعز في المريد في ارادته
للشيخ تعظيمه فوق ما يتمنى لنفسه ويكون قائما بادب الارادة قال السري
رحمه الله حسن الادب ترجمان العقل وقال ابو عبد الله بن خفيف قال
لى رويم يابني اجعل علمك ملحا وادبك دقيقا وقيل المتصرف كله ادب
لكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن لزم الادب بلغ مبلغ
الرجال ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث
يرجو القبول وقد جاء في احد التاويلات في قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول اي لا تغلظوا له في الخطاب
ولا تقادروا باسمه يا محمد يا احمد كما ينادى بعضكم بعضا ولكن فخوة
واحترمة وقواوا يا نبي الله يا رسول الله قال ومن لهذا القليل يكون خطاب
المريد مع الشيخ واذا سكن الوفا القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما
كلفت النفوس بمحبة الاولاد والازواج وتمكنت اهوية النفوس والطباع
استخرجت من اللسان عبارات غريبة حتى نحت وقتها صاغها كالفنفس
وهواها واذا امتلا القلب حرمة ووقارا تعلم اللسان العبارة وقال ابو عثمان
لادب عند لا كابر وفي مجالس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى
الدرجات العلى والخير في الاول والعقبى الا ترى الى قول الله تعالى ولو
انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وفي هذا تاديب للمريد في
الدخول على الشيخ والاقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره الى ان يخرج
الشيخ من موضع خلوته قال رضى الله عنه سمعت ان الشيخ عبد الحماد

رحمة الله عليه كان اذا جاء اليه فقير زائر يخبر بالفقر فيخرج اليه ويفتح
جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ويرجع الى خلوته ولا يجلس
معه واذا جاء احد ممن ليس هو من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر
لبعض الفقراء نوع انكار بتركهم الخروج الى الفقير وخروجه لغير الفقير فانتهى
ما خطر للفقير الى الشيخ فقال الفقير رابطتنا بعد رابطة قليلة وهو اهل ليس
منه اخية فنكفى معه بموافقة القلوب ويقنع من ملاقة الظاهر بهذا القدر
واما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمتى لم
يؤف حقهم من الطاهر استوحش فحق المريد عمارة الباطن والظاهر بالادب
مع الشيخ قيل لابي منصور المغربي كم صحبت ابا عثمان قال خدمته لا
صحبتة فالصحبة مع الاخوان والاقربان ومع المشايخ خدمته وينبغي للمريد
انه كلما اشكل عليه شئ من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر
عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل اشياء ينكرها موسى فاذا اخبره الخضر
بسرهما يرجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لثقله عليه بما يوجد
من الشيخ وجهله بحقيقةه فللشيخ في كل شئ عذر بلسان العلم والحكمة
سال بعض اصحاب الجنيد مسالة من الجنيد فاجابه الجنيد فعارضة في
ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم
يعظم حرمة من تادب به حرم بركة ذلك لادب وقيل من قال لاستاذة
لا لا يفلح ابدا وقال ابو عثمان صحبت ابا حفص وانا غلام حدث نظردني
وقال لا تجلس عندي فلم اجعل مكافاتي له على كلامه ان اولي ظهري
اليه فانصرفت امشي الى خلف ووجهي مقسابل له حتى غبت عنه
فاعتدت افي احفر لنفسي ييرا على بابه وانزل واقعد فيها ولا اخرج منها
الا باذنه فلما راي ذلك مني قربني وقبلني وصيرني من خواص اصحابه الى
ان مات رحمه الله عليه قال ومن ادا بهم الظاهرة ان المريد لا ييسط سجداته
مع جريد الشيخ الا لوقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل للخدمة
وفي السجادة ايماء الى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك في السماع مع وجود

الشيخ الا ان يخرج عن حد التمييز وحية الشيخ تملك المريد عن الاسترسال
في السماع وتقيده واستغراقه في الشيخ بالظر اليه ومطالعة موارد فضل
الحق عليه انجع من لاصغاء الى السماع ومن لادب ان لا يكتم الشيخ
شئ من حاله ومواعب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابته دعوة
ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله منه وما يستحي من كشفه يذكره
ايما او تعريضا فان المريد متى انطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ
مريحا او تعريضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق وبالفعل مع
الشيخ تفعل العقدة وتزول ومن لادب ان لا يدخل صحبتة الشيخ الا بعد
علمه فان الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وانه اقوم بالتأديب من غيره وما
كان المريد يتطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبتته ولا ينفذ القول فيه فان
المريد كلما ايقن بتفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والحب
والتألف هو الوساطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سوية
الحال لان المحبة علامة التعارف فبالتعارف علامة الجنسية والجسدية جالبة
للمريد حال الشيخ او بعض حاله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه لا ينبغي ان يخذله ولا يستأثر
عليه فمن فعل ذلك فقصم عروة من عوا الاسلام ومن لادب ان يراعي خطرات
الشيخ في جزئيات الامور وكلياتها ولا يستهزئ كراهية الشيخ ليسير حركاته
معتددا على حسن خلق الشيخ وكمال حله ومداراة قال ابراهيم بن شيان كنا
نصحب ابا عبد الله المغربي ونحن شبان ويسافر بنا في البراري والفلوات
وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبته سبعين سنة فكان اذا جرى من احدنا
خطا وتغير عليه الشيخ يشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا الى ما كان
ومن لادب ان لا يستقل بواقعة وكشفها دون الشيخ فان الشيخ علمه اوسع
وبابه المفتوح الى الله اكبر فان كان واقع المريد من الله يوافقه الشيخ
وبعضه وما من عند الله لا يختلف وان كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة
بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالمريد

لعله في واقعة بخامرة كمون ارادة في النفس فيتشبك كمون لارادة بالواقعة
مناما كان ذلك او يقطعة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المرید باستیصال شافة
الكامن في النفس واذا ذكره للشيخ فما في المرید من كمون ارادة النفس
فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كمون
هو النفس يزول وتبرا ساحة المرید ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله
وصحة ايوائه الى جانب الحق وكمال معرفته ومن الادب مع الشيخ ان
المرید اذا كان له كلام مع الشيخ في شئ من امر دينه او امر دنياه لا
يستعجل بالاقدام على كلامه للشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال
الشيخ انه مستعد له واسماع كلامه ولقوله متفرغ فكما ان للدعاء
اوقانا وادابا وشروطا لان الدعاء مخاطبة الله فلقول مع الشيخ ايضا ادب
وشروط لانه من ادب الله تعالى ويسال الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ
التوفيق لما يجب من الادب وقد نبه الحق سبحانه على ذلك فيما امر
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به في مخاطبته فقال يا ايها الذين
آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يعني امام مناجاتكم
قال عبد الله بن عباس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا
حتى شقوا عليه واحفوه بالسائلة فادبهم الله تعالى وطمعهم عن ذلك وامرهم
ان لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان لاغنياء ياتون النبي صلى الله
عليه وسلم ويغلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم
طول حديثهم ومناجاتهم فامر الله بالصدقة عند المناجاة فلما راوا ذلك
انتهوا عن مناجاته فاما اهل العسرة فانهم لم يجدوا شيئا واما اهل
اليسرة فدخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت الرخصة وهو قوله تعالى اشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقة وقيل لما امر الله بالصدقة لم يناد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقدم دينارا فتصدق به وقال علي
في كتاب الله آية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدى وروى

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية دعا عليا وقال ما
ترى في الصدقة كم تكون دينارا قال علي لا يطيقونه قال كم قال علي لشكون
حبة او شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لزهيد ثم نزلت
الرخصة ونسخت الآية وما نبه الحق عليه بالامر بالصدقة فيه من
حسن الادب وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ والفائدة باقية وقال عليه
السلام ليس منا من لم يحجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقا فاحترام
العلماء توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان ومغشوق

* فصل في حال الشيخ وآدابه *

* وما يعتمد مع مرديه واصحابه *

قال الامام السهروردي رضي الله عنه اهم الادب ان لا يتعرض الصادق
للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام
محبة للاستباج فاذا راي ان الله تعالى يبعث اليه المریدين والمسترشدين
بحسن الظن وصدق لارادة يحذر ان يكون ذلك ابتلاء واختبارا من الله
تعالى والنفوس مجبولة على محبة قبول الخلق والشهرة وفي الحصول السلامة
فاذا بلغ الكتاب اجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله تعالى اياه
انه مراد بالارشاد والتعليم المریدين فيكلهم حينئذ كلام الناصح المشفق
والوالد لولده بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مرید ومسترشد ساقه الله اليه
يراجع الله تعالى في معناه ويكثر السجاء اليه ان يتولاه فيه وفي القول معه
ولا يتكلم مع المرید بالكلمة إلا وقلبه ناظر الى الله ومستعين به في
الهداية للصواب من القول قال وسمعت شيخنا ابا الخبيب السهروردي
رحمه الله يوصي بعض اصحابه ويقول لا تكلم احدا من الفقراء إلا في
اصلى اوقائك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع في سمع المرید الصادق
كالحبة تقع في الارض وقد ذكرنا ان المحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد
حبة الكلام الهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم ثم ينبغي للشيخ

ان يكون يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة ما يتلانى منه وقوة صلاحية واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وطريق الابرار ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للثوب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملات القلوب والمعاملات السنية ولكل من الابرار والمقربين مباد ونهايات فيكون الشيخ صاحب لاشراف على الباطن يعرف كل شخص وما يصلح له والعجب ان الصحرارى يعلم الاراضى والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعلم قطنها وما يتساقى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فمنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من يأمره بالامساك ومنهم من يأمره بالكسب ومنهم من قرر على ترك الكسب كاصحاب الصفة وكان عليه الصلاة والسلام يعرف اوضاع الناس وما يصلح لكل واحد فاما في رتبة الدعوة كان يعمم الدعوة لانه مبغوث لاثبات الحجّة وايضاح الحجّة يدعو على لاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ومن ادب الشيخ ان تكون له خلوة خاصة ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة طنسا منها ان استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لا يضره ولا يخذل منه وانه غير محتاج الى الخلق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع كمال حاله له قيام الليل وصلاة يصليها ويدوم عليها واوقات يخلو فيها وطبع البشر لا يستغنى عن السياسة قل ذلك اوكثر لطف ذلك اوكتف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك راس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترسل في الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخا للباطلين باقمة توكل عنده ورفق يؤخذ منه فية صده من ليس قصده الدين ولا بغية سلك طريق المتقين فافتتن وفتن وبقي في خطة التصور

ووقف في دائرة الفتور فما يستغنى الشيخ عن الاستعداد من الله تعالى والتضرع بين يديه فيكون له في كل كلمة الى الله رجوع وفي كل حركة بين يديه خضوع وانما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين للذة ولاسترسال في الكلام اقلية معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الوهمة وقلّة تاديبهم بالشيوخ كان الجنيد رحمه الله تعالى يقول لاصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لي افضل من جلوسى معكم ما جلست عندكم فاذا راي الفضل في الخلوة يخلو واذا راي الفضل في الخلوة يجلس مع لاصحاب فتكون جلوته في حماية خلوته وخلوته مزيدا لخلوته قال ومن وظيفة الشيخ وحسن خلقه مع اهل الارادة والطلب النزول من حقه فيما يجب من التجليل والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع حكى الرقى قال كنت بصروكنا في المسجد وجماعة من الفقهاء جلوس فدخل الزناق فقام عند اسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته وتقوم نسلم عليه فلما فرغ جاء الينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا اولى بهذا من الشيخ فقال ما عذب الله قلبي بهذا قط يعنى ما تقيدت بان احترم واقصد قال ومن ادب الشيخ وحسن خلقه مع اهل الارادة والطلب النزول الى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم فاذا فعل الشيخ ذلك من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك الى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم قال ومن ادب الشيخ التعطف على لاصحاب وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض ولا يترك حقوقهم اعتمادا على ارادتهم وصدقهم قال بعضهم لا تضيع حق اخيك بما يينك وبينه من المودة وحكى عن الحريري قال وافيت من الحج فابتدأت بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتى لا يتعنى ثم انيت منزلى فلما صليت الغداة التفت واذا بالجنيد خلفى فقلت يا سيدى انما ابتدأت بالسلام عليك لكى لا تتعنى الى ههنا فقال لي يا ابا محمد هذا حقك وذلك فضلك ومن ادب الشيوخ انهم اذا علوا من بعض المسترشدين طعفا في مراعاة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة ان يرفقوا به ويوقفوه على حد الرخصة

ففي ذلك خير كثير وما دام العبد لا يتعدى حريم الرخصة فهو بخير وإذا ثبت وخالف الفقهاء وتدرج في لزوم الرخصة تدرج بالرفق إلى أركان العزيمة قال أبو سعيد بن الأعرابي كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ وكان لايه نعمة فأنقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد الفلانسى فربما كان يقع بيد أبي أحمد الفلانسى شئ من الدراهم فكان يشتري له الرقاق والحلواء والشواء ويؤثره طينا ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب أن نرفق به ونوفر عليه ومن ادب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من لأوجه لأنه جاء لله تعالى فيجعل نفسه وإرشاده خالصا لوجهه مما يسدى الشيخ إلى المريد من أفضل الصدقات وقد ورد ما تصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يثمه في الناس وقد قال تعالى تنبيهها على خلوصها لله وحراسته من الشوائب إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فلا ينبغي للشيخ أن يطلب على صدقته جزاء لئلا أن يظهر له في شئ من ذلك علم يود عليه من الله في قبول الرفق به أو صلاح يترأى للشيخ في حق المريد بذلك فيكون التلبس بهالة والارتفاق بخدمته لمصاحبة تعود على المريد مأمونة الغائاة من جانب الشيخ فقال الله تعالى يوتكم أجوركم ولا يسالكم أموالكم أن يسالكموها فيجفكم تجلوا معنى يحفكم أى يجهدكم ويلج عليكم وهذا تأديب من الله الكريم والأدب أدب الله وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد أنه إذا خرج من الشئ يكسبه من الحال ما لا يتطلع معه إلى المسال فحينئذ يجوز له أن يفسح للمريد في الخروج من المال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقبل منه جميع ماله ومن ادب الشيخ إذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله أعوجاجا أو احس منه أو رأى أنه داخله عجب أنه لا يصح له بالمكروه بل يتكلم على أصحابه ويشير إلى المكروه الذى يعلمه ويكشف عن وجه المذمة مجعلا فتحصل بذلك الفائدة إلى الكل

فهذا أقرب إلى المداراة وأكثر أثرا لتألف القلوب وإذا رأى من المريد تنصيرا في خدمته ندب إليها ويحتمل تنصيره ويعفو عنه ويحضره على الخدمة واللين وإلى ذلك ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ابن عمر رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم أعف عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة ومن جملة مهام الأدب حفظ أسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمشون من أنواع المنافع فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحتمل الشيخ في نفس المريد ما يجده في خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شئ من خوارق العادات ويعرفه أن الوقوف مع شئ من هذا مشغل من الله تعالى بل يعرفه أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فإذا لاسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لإذاعة الأسرار يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب إذاعة السر أن للإنسان قوتين أخذة ومعطية وكلاهما يشوف إلى الفعل المختص به ولولا أن الله وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار فالكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ورزنها بالعقل حتى يضعها مواضعها فيجمل حال الشيوخ عن إذاعة الأسرار لرزانة عقولهم وينبغي للمريد أن يحفظ سره ففي ذلك صحته وسلامته وتأييد الله يتدارك المريدين الصادقين في موردتهم ومصدرهم والله الموفق والمعين

* فصل في حكم السماع قبولا وإشارا * وردا وإنكارا *
* وترفعاً واستغناء * وتاديباً واعتناء *

قال الأمام السهروردي رضي الله عنه قال الله تعالى فبشر مبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب قيل أحسنه أى أهده وإرشده وقال تعالى وإذا سمعوا ما أنزل إلى

الرسول ترى اعيانهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال هذا هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهذا سماع تزد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه نارة يثير حزننا والحزن حار ونارة يثير شوقا والشوق حار ونارة يثير ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات ممن هو صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عصرتا ماء فاذا الم السماع بالقلب نارة يخف المايم فيظهر اثره في الجسد ويشعر منه الجلد فقال الله تعالى تشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقارة يعظم وقعهم ويتصوب اثره الى فوق نحو الدماغ كالخبر للعقل يعظم وقع التجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع ونارة يتصوب اثره الى الروح فيموج منه الروح موجا يكاد يصيق منه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس ارباب الحال روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان ربما مر بالاية في ورده فتخذه العبرة ويسقط ويلزم البيت يوما اريومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمة من الله الكريم قرا ابي ابن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة وقال عليه الصلاة والسلام اذا اقشعر جلد العبد خشية لله تحانت عنه الذنوب كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وورد ايضا اذا اقشعر الجلد من خشية حرمه الله تعالى على النار قال وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها انما الاختلاف في سماع الاشعار بالالهام وقد كثرت الاقوال في ذلك وتباينت الاحوال فمن منكر ياحقه بالفسق ومن مولع به يشهد بانته واضح الحق ويتجاذبان في طرقى لا فراط والتفريط قيل لابي الحسن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنييد والسرى وذوالنون يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازوه وسمعه من هو خير مني وقد كان جعفر الطيار يسمع وانما المنكر لله واللعب في السماع

قال وهذا قول صحيح وعن عائشة رضى الله عنها ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريان تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه وقل دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد قال وذكر الشيخ ابو طالب المكي رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم قال وقول الشيخ ابي طالب المكي يعتبر لو فور علمه وكمال حاله وعلمه بحال السلف ومكان ورعه وتوقاه وتحريمه الا صوب والاوى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفسه مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية او زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب بمشاهدة معان تدله على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهو مباح هذا قول الشيخ ابي طالب المكي قال وهو الصحيح فاذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الاطلاق كفعل بعض المشتهرين المهملين شروطه وآدابه المقيمين على الاصرار قال ونفصل الامر فيه تفصيلا ونوضح المسألة فيه تحريما وتحليلا فاما الدق والشبهة وان كان في مذهب الشافعي فيها فسحة فالاولى تركهما والاخذ بالاحوط والخروج من الخلاف واما غير ذلك فان كان من القاصد التي في ذكر الجنة والنار والتشويق الى دار القرار ووصف نعيم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل الى الانكار ومن ذلك القبيل قصائد الحجاج والغزاة في وصف الحج والغزو مما يثير كامن العزم من الغاوى وساكن الشوق من الحاج واما ما كان فيه ذكر القدرود والحدود ووصف النساء فلا يليق باهل الديانات لاجتماع لمثل ذلك واما ما كان من ذكر الهجر والوصل والطبيعة والصد مما يقرب حمله على امور الحق سبحانه من تلون احوال المريدين ودخول الآفات على الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على ما فات او تجدد عنده

عزم لما هوات فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين كان
يقتات السماع ويتقوى به على الطي والوصال ويشير عنده من الشوق
ما يذهب عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد الى بيت من الشعر وقلبه
حاضر فيه وسمع الحادى مثلا يقول

فاما من هوى ليلي وحبي زيارتها فاني لا اتسبب

وطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات في امر الحق الى المنة
يكون في سماعه هذا ذاكرة لله تعالى مثل رويم من وجد الصوفية عند
السماع فقال يتشبهون للمعاني التي تعزب عن غيرهم فتشير اليهم الى
فينعمون بذلك من الفرح ويقع الحجاب للوقت فيكون ذلك الفرح بكاء
فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يبكي ومنهم من يصيح وقيل في قوله تعالى
يزيد في الخلق ما يشاء قال الصوت الحسن وروى عائشة رضى الله عنها
قالت كانت عندي جارية تسمى فدخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي على حالتها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله فحدثه حديث الجارية
فقال لا ابرح حتى اسمع ما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعه وذكر الشيخ ابو طالب المكي
رحمه الله انه كان لطاء جاريين تاحنان وكان اخوانه يستمعون اليهما
وقال ادركنا ابا مروان الناصي له جواريسمن التاحنين اعدهن للصوفية
قال وهذا قول نقلته من قول الشيخ ابي طالب وعندي اجتناب ذلك
هو الصواب وهذا لا يسلم الا بشرط طهارة القلب ونض البصر والوفاء بشرط
قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وما هذا القول من
الشيخ ابي طالب الا مستغرب عجيب والنزعة عن مثل ذلك هو الصحيح
وفي الحديث من مدح داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنباح
على نفسه وبشلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطيور لسماع
صوته وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز وقال عليه الصلاة والسلام

في مدح ابي موسى الاشعري لقد اطى مزمارا من مزامير آل داود ودخل
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقوم
ينشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا
مرة وانشد النابغة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا خير في علم اذا لم تكن له بواذر تحصى صفوه ان يكسدا

ولا خير في امر اذا لم يكن له حكيم اذا ما اورد الامر اسدرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنت يا ابا ليلى لا فض الله فك فعاش
اكثر من مائة سنة وكان احسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا
يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول عليه الصلاة والسلام ان روح
القدس مع حسان ما دام يتافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وراى
بعض الصالحين ابا العباس الخضر قال قلت له ما تقول في السماع الذي
يختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفو الزلال لا يثبت عليه الا اقدم
العلماء ونقل عن مشاد الدينوري قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما
انكره ولكن قل لهم يفتشون قلبه بقراءة القرآن ويختصمون بعده بالقرآن
فقلت يا رسول الله انهم يؤذوني وينبسطون فقال احتملهم يا ابا علي
هم اصحابك فكان مشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامسا وجه لانكار فيه فهو ان يرى جماعة من المريدين دخلوا في
مبادئ لارادة ونفوسهم ما تمرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم
علم بظهور صفات النفس واحوال القلب حتى تضبط حركاتهم بقانون العلم
ويعلمون ما لهم وعليهم حكي ان ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه

جماعة ومعهم قوال فاستاذنوه فاذن لهم فانشد النوال

صغير هواك عسى يذبي فكيف به اذا احتسكا

وانت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتبرا

اما ترى لمكتسب اذا صحت الخلق بسكى

فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على وجهه والدم يقطر من جبهته ولا يقع على الارض ثم قام واحد منهم فنظر اليه ذو النون وقال الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل فكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه انه غير كامل الحال الصالح للقيام متواجدا فيقوم احدهم من غير بصيرة وعلم في قيامه وذلك اذا سمع ايقاعا موزونا يسمع يودى ما يسمعه الى طبع موزون فيحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون ولا يقيع الموزون وينسبل حجاب نفسه المنبسط بانسباط الطبع الموزون على وجه القلب ويستغزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتصنع محرم عند اهل الحق ويحسب ذلك طيبة القلب وما راي وجه القلب وطيبته بالله ولعمري هو طيبة القلب ولكن قلب ملون بلون النفس ميال الى الهوى لا يهتدى الى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادة ولمثل هذا الرقص يقال الرقص نقص لانه رقص مصدره الطبع غير مقتون بنية صالحة لاسيما ان كان القوال امرد تجذب النفوس للنظر اليه وتستلذ ذلك وتضممر خواطر السوء او يكون للساء اشراف على الجمع وتتراسل البواطن الملوثة من الهوى بسفارة الحركات والرقص اظهار التواجد فيكون ذلك الفسق المجمع على تحريره فمن هذا توجه المنكر لانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمث وكم من نهضات تذهب رونق الوقت وهذا انكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع وزن من غير اظهار وجد و حال وجهه نيت في ذلك انه ربما يوافق بعض الفقهاء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها مالا وجدا يجعل حركته في طرف الباطل لانها وان لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محلاة بحكم الحال لما فيها من اللغو وتضمير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التي تجرى عليه من الطبع والدائمة وملازمة لاهل والا ولاد ويدخل ذلك في باب التزويج للقلب وربما صار ذلك عبادة بخس النية اذا نوى به استجدام النفس

كما نقل عن ابى الدرداء رضى الله عنه انه قال انى لاستجم بشئ من الباطل ليكون ذلك عوناً لى على الحق والموضع التزويج كرهت الصلاة في اوقات ليستزويج عمال الله وتوثق النفوس وتستطيب اوطان المهل فاذا يخرج هذا الرائق بهذه النية من انكار المنكر ويكون رقصه لا عليه ولا له وربما كان بحسن النية في التزويج يصير عبادة سيما ان اضمر في نفسه فرحا بربه ونظرا الى شمول رحمته وعطفه ولا يليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدى به لما فيه من مشابهة الله والله لا يليق بمنصبتهم واما منع الانكار في السماع فهو ان المنكر للسمع على لاطلاق من غير تفصيل لا يخلو من احد امور ثلاثة اما جاهل بالسنن والآثار واما مغتر بما اتبع له من اعمال الاخبار واما جامد الطبع لا ذوق له مصر على الانكار وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل اما الجاهل فيعرف ما اسلفنا من حديث عائشة رضى الله عنها والاخبار والآثار في ذلك وفي حركة بعض المتحررين يعرف رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحبشة في الرقص ونظر عائشة اليهم معه عليه الصلاة والسلام اذا سلمت الحركة من المكارة واما المغتر فيقال له تقربك الى الله تعالى بالعبادة لئلا تشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الاعمال بالنيات وكل امرئ ما نوى فالسامع من الشعر يتاخذ منه معنى يذكره ربه اما فرحا او خوفا او انكسارا او افتقارا كيف تقلب قلبه في انواع ذلك ذاكر لربه واو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى وتسويته حنجر الطائر وتسخير خلقه ومنش الصوت وتاديبه الى الاسماع كان في جميع ذلك الفكر مسجعا مقدسا فاذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلا باطنه ذكرا وفكرا كيف ينكر ذلك بلى اذا كان ذلك الصوت من امرد يخشى بالنظر اليه الفتنة او من امرأة غير محرم وان وجد من الاذكار والافكار ما ذكرنا يحرم سماعه لمخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة وكل

حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة واما جامد الطبع فيقال له العين لا يعلم لذة الوقاع والكفوف ليس له بالجمال استمتاع فما ذا تنكر من محب قد تربى باطنه بالشوق والحبّة ويرى انحباس روحه الطيارة في مضيق قفص النفس الامارة يمر بروحه نسيم انس الاوطان وتلوح له طالع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار الغربته بتكرير كاس الهجران يشن تحت اعياء المجاهدة ولا تحمل عنه بسوائف المشاهدة وكلما قطع منازل النفس بكثرة الاعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف له المسبل من الجمال فيستروح بنفس الصعداء ويرتاح للاتح من شدة البرحاء حكى بعض المشايخ قال رايت جماعة ممن يمشى على الماء والهواء يسمعون السماع ويجدون ويولّهون عنده وقال بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمر ويجي * حتى رجع الى مكانه ونزل ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها ونزل ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فاخذ شمعة فجعلها في عينه قال الناقل فقربت من عينه انظر فرايت نارا او نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة وحكى عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع ارتفع من الارض في الهواء اذعرا يمر ويجي في الهواء ويقول الشيخ ابو طالب المكي في كتابه ان انكرنا السماع مجعلا مطلقا غير مفيد مفصل يكون انكارنا على سبعين صديقا وان كنا نعلم ان الانكار اقرب الى قلوب القراء والمتعبدين إلا انا لا نفعل ذلك لانا نعلم ما لا يعلمون وسمعنا عن السلف من الاصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن مله الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريره الصواب ولكن نبسط لاهل الانكار لسان الاعذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يورث وسماع ينكر سمع الشبلي قائلا يقول

اسائل عن سلى فهل من مخبر يكون له علم بها اين تنسزل
فزمق وقال لا والله ما في الدارين منه مخبر قال وقول القائل ان هذه

الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة المنع منها بدعة تزاحم سنة مأمورة وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالفهم للداخل لم يكن وكان من عادة العرب ترك ذلك حتى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدخل ولا يقام له وفي البلاد التي هذا الفهم عادتهم اذا اعتمد ذلك لتطبيب القلوب والمداواة لا بأس به لان تركه يوحش القلوب ويورث الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لا بأس بها لانها لا تزاحم سنة مأمورة واما ردة وانكاره فحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه اقوام قلت اعمالهم وانفسدت احوالهم واكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب في السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركز اليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغلات وينقطع لذلك عن المرید طلب المزيد ويكون بطريقة تضعف الاوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا الى الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند اهل الصدق فكان يقال لا يصح السماع إلا لعارف مكين ولا يصلح لمرید مبتدى وقال الجنيد اذا رايت المرید يطلب السماع فاعلم ان فيه بقية البطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تسمع فقال مع من فقيل له تسمع انت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون إلا من اهل مع اهل فلما فقدوا الاخوان ترك فما اختاروا السماع حيث اختاروه إلا بشروط وقيد واداب يذكرون به الآخرة ويرغبون به في الجنة ويحذرون من النار ويزداد به طلبهم وتحسن به احوالهم ويتفق لهم ذلك اتفاقا في بعض الاحايين لا ان يجعلوه دابا وديدنا حتى يتركوا لاجله الاوارد قال الشافعي في كتاب القضاء الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وانفق اصحابه ان المرأة غير المحرم لا يجوز

الاستماع اليها سواء كانت حرة او مملوكة او مكشوفة الوجه او من وراء
 حجاب ونقل عن الشافعي انه كان يكره الطائفة بالقصيب ويقول وضعه
 الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين
 الصوت بها باي وجه كان وعن مالك رضى الله عنه اذا اشترى جارية
 فوجدتها مغنية فله ان يردّها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة وهكذا
 مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه سماع الغناء من الذنوب وما اباحه
 إلا نفر قليل من الفقهاء ومن اباحه من الفقهاء لم يراعلانه في المساجد
 والبقاع الشريفة وقيل في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو
 الحديث قال عبد الله بن مسعود هو الغناء والاستماع اليه وقيل في قوله
 تعالى وانتم سامدون اى مغنون روى عكرمة عن عبد الله بن عباس قال هو
 الغناء بلغته حمير يقول اهل اليمن سمع فلان اذا غنى وقال مجاهد في قوله
 تعالى واستغفر من استطعت منهم بضوتك الغناء والمزامير وروى عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس اول من ناح واول من تغنى
 وقال بعضهم اياكم والغناء فانه يزيد في الشهوة ويهدم الروعة وانه لينوب
 عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر قال وهذا الذى ذكره هذا القائل صحيح
 لان الطبع الموزون يفيق بالغناء ولاوزان ويستحسن صاحب الطبع عند
 السماع ما لم يكن يستحسنه من الفرقة بالاصابع والرقص والنصفيق
 وتصدر منه افعال تدل على سخافة العقل وما نقل عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انه سمع الشعر لا يدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام
 منظوم وغيره كلام منشور فحسنه حسن وقبيحه قبيح وانما يصير غناء
 بالألحان وقال عبد الله بن مروة بن الزبير قلت لجدتي اسماء بنت ابى بكر
 رضى الله عنهما كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون
 اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع اعينهم وتشعر
 جلودهم قال قلت ان انا ما اذا قرئ عليهم القرآن خر احداهم مغشيا عليه
 قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان عبد الله بن عمر رضى الله

عنهما مربي رجل من اهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا انه اذا قرئ
 عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر انما الخشعي الله وما
 نسقط ان الشيطان ليدخل في جوف احداهم ما هكذا كان يصنع اصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وليس هذا القول انكارا منهم على الاطلاق
 اذ يتحقق ذلك لبعض الصادقين وقد يكون ذلك من البعض تصنعاً ورياء
 ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل معزج بهوى يلم باحدهم يسير
 من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان
 ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقاً خفياً يخرج الوجد
 عن الحد الذى ينبغي ان يقف عليه وهذا يهتكن الصدق واما القول فيه
 ترفعا واستغناء فهو ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد وانما
 كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقدرايه فلو تمحص عبدا
 تمحص حرا ومن تمحص حرا افلت من شرك الوجد فشرك الوجد
 يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شئ من العطايا قال المحصرى رحمه
 الله ما ادون حال من يحتاج الى مزعج يزعمه فالوجد بالسماع في حق
 الحق كالوجد بالسماع في حق المبتل من حيث النظر الى انزعاجه وتائر
 الباطن به وظهور اثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال الى حال وانما يختلف
 الحال بين الحق والمبتل ان المبتل يجهل بوجود هوى النفس والحق
 ارادة القلب وسئل شيخان عن السماع فقال اجتمع سبعون شيخا فاتفقوا
 جميعا على ان السماع لا يورد على الباطن فائدة بل يشهر ما فيه
 ولهذا قيل السماع لا يحدث في القلب شيئا وانما يحرك ما في القلب
 فمن متعلق باطنه فيسر الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق
 باطنه محبة الله يجد بالارادة ارادة القلب فالمبتل محجوب بحجاب النفس
 والحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب ارضي ظلماتي وحجاب
 القلب حجاب سماوى نوراني ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولا
 يتعثر باذيال الوجود لا يجد ولا يسمع ومن هذه المطالعة قال بعضهم انما

ردم كله لا يثبت في قول ومحمد ساد الدينوري بقوم فيهم قول فلما راوه
امسكوا فقال ارجعوا الى ما كنتم فيه فوالله لو جمعت ملاهى الدنيا في
اذنى ما شغل همى ولا شفى بهض ما بى فالوجود صراخ الروح المبطل
بالنفس تارة في حق المبطل وبالعلة تارة في حق الحق فمشار الوجود الروح
الروحاني في حق الحق والمبطل ويكون الوجود تارة من فهم المعاني يظهر
وتارة من مجرد النغمات والالهام فما كان من قبيل المعاني تشارك النفس
الروح في السماع في حق المبطل ويشارك القلب الروح في حق الحق
وما كان من قبيل مجرد النغمات يتجرد الروح للسمع ولكن في حق المبطل
تشرق النفس السمع وفي حق الحق يشرق القلب السمع ووجه
استلذاذ الروح النغمات ان العالم الروحاني مجمع الحسن والجمال ووجود
التناسب في الاكوان مستحسن قولاً وفعلًا ووجود التناسب في الهياكل والصو
ميراث الروحانية فتمت سمع الروح النغمات اللذيذة والالهام التناسية
تأثر به لوجود الجنسية ثم يتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة ورعاية
الحدود للعبد عين المصاحبة عاجلاً وآجلاً قال ووجه آخر انما يستلذ الروح
النغمات لان النغمات بها نطق النفس مع الروح بالايماء الخفى اشارة
ورمز بين المتعاشقين وبين النفوس والارواح تعاشق اصلى ينزع ذلك
الى انوثته النفس وذكررة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى
بالطبيعة واقع قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وفي قوله سبحانه
منها اشعار تلازم وتلاصق موجب للاتلاف والتعاشق فالنغمات يستلذها
الروح لانها منفاة بين المتعاشقين وكما ان في عالم الحكمة كونت حواء
من آدم كذلك في عالم القدرة كونت النفس من الروح فهذا التالف
من هذا الاصل وذلك ان النفس روح حيواني تجنس بالغرب من الروح
الروحاني وتجسمه بان امتاز من ارواح جنس الحيوان بشرف القرب من
الروح الروحاني فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحاني في
عالم القدرة تتكون حواء من آدم في عالم الحكمة فهذا التالف والتعاشق

ونسبته لانوثته والذكورة من ههنا ظهر وبهذا الطريق استطاب الروح
النغمات لانها مراسلة بين المتعاشقين ومكاملة بينهما وقد قال القائل
تكلم منا في الوجوه عيوننا فتنن صوته والهوى يتكلم
فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعولة بالهوى وتحركت بما فيها
لحدوث العارض ووجد القلب المعلول بالارادة وتحرك ما فيه لوجود العارض
في الروح «وللارض من كاس الكرام نصيب» فنفس المبطل ارض لسماء قلبه
وقلب الحق ارض لسماء روحه فالبالغ مبلغ الرجال والتجوه المتجرد من
اعراض الاحوال خلق فعلى النفس والقلب بالوادي المقدس وفي مقعد صدق
عند ملك مقتدر استقر وعرس واحرق بنور العيان اجرام الالهام ولم يصغ
روحه الى منفاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه والهائم المشتاق
لا يسمع كشف ظلمة العشاق ومن هذا حاله لا يحركه السماع راسا
واذا كانت الالهام لا يلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفى لطف
منافاتها كيف يا حقه السماع بطريق فهم المعاني وهو اكتف ومن يضعف
من حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات ثم انه رضى
الله عنه قال بعد كلام تحسن مطالعته وتجمل بالخرىص على الاطلاع مراجعته
واعلم ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكي خوفا ومنهم
من يبكي شوقا ومنهم من يبكي فرحا كما قال القائل

طغى السرور علي حتى انسى من عظم ما قد سرني اباك انسى
قال ابو بكر الكتاني سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة
درهنة وسماع الاولياء روية الآلاء والنعماء وسماع العارفين على المشاهدة
وسماع اهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر
ومقام وقال ايضا الوارد يرد فيصادف شكلا او موافقة فاني وارد صادف
شكلا ما زجه فاني وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد اهل السماع
وما ذكرناه حال من ارتفع من السماع قال وهذا لاختلاف ينزل على
اختلاف اقسام البكاء الذي ذكرناه من الخوف والشوق والفرح واءلاه

بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على اهله بعد طول غربته فعند رويته لاهل
يبكى من قوة الفرح وكثرته قال وفي البكاء رتبة اخرى اعز من هذه يعز
ذكرها ويكثر نسرهما لقصور الانفس عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار
ويجلى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا او فهمها نظرا ومثولا
وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدث ذلك في بعض مواطن حق
اليقين ومن حق اليقين في الدنيا الملمات يسيرة فيوجد البكاء في بعض
مواطنه لوجود تغاير بين المحدث والتقديم فيكون البكاء رشحا هو وصف
المحدثان لو هج سطوة عظمت الزحمان ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر
الغمام بتلاقي مختلف الاجرام ثم قال صلى الله عليه بعد كلام ضاقت
حوصلي عن حملي وكل ذهني عن اطافت حلي ومن اقسام البكاء ما روى
ان رسول صلى الله عليه وسلم قال لابي اقرا قال اقرا عليك انزل فقال
لحب ان اسمعه من غيري فافتتح سورة النساء حتى اذا بلغ قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا فاذا عيناه
تهللان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه
ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكي وقال يا معر ههنا تسكب العبرات والتممكن
تعود اليه اقسام البكاء وفي ذلك فضيلة سالها النبي صلى الله عليه وسلم
قال اللهم ارزقني عيينين هطاليتين ويكون البكاء في الله ويكون لله ويكون بالله
وهو الاثم لعوده اليه بوجود مستأنف موهوب له من الكرم المنان في مقام
البقاء واما القول فيه تادبا واعتقادا فيعلم ان مبنى التصوف على الصدق
في سائر الاحوال وهو جدد كله فلا ينبغي للصادق ان يعتمد المحصور في
مجمع يكون فيه سماع الا بعد ان يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا
في لرادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشئ من هواها ثم يقدم للاستخارة
المحضور ويسال الله اذا عزم البركة فيه واذا حضر يلزم الصدق والوفاء
بكون لاطراف قال ابو بكر الكتاني المستمع يجب ان يكون في سماعه
غير مستروح اليه يهيج السماع منه وجدا او شوقا او غلبة والوارد عليه

يفنيه عن كل حركة وسكون فينبغي الصادق استدعاء الوجد ويجتنب
الحركة فيه مهمى امكن سيما بحضور الشيوخ حكى ان شابا كان
يصحب المجيد وكلما سمع شيئا زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شئ
بعد هذا فلا تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان يقطر من كل
شعرة منه قطرة عرق فلما كان يوما من الايام زعق وخرجت روحه قال
فليس من الصدق اظهار وجد من غير وجد نازل او ادعاء المحال من غير
حال حاصل وذلك عين النفاق قيل كان الصرا باذى كثير الولوج بالسماع
فعوتب في ذلك فقال نعم هو خير من ان تتعد وتغتلب الناس وقيل له
ابو عمر بن نجيب وغيره من اخوانه هيهات يا ابا القاسم زلت في السماع
شر من كذا وكذا سنة تغتلب الناس وذلك ان زلة السماع اشارة الى
الله تعالى وترويح الحال بصريح المحال وفي ذلك ذنوب متعددة منها
انه يكذب على الله تعالى انه وهب له شيئا وما وهب له والكذب
على الله من اقبح الزلات ومنها انه يفر بعض الحاضرين فيحسن
به الظن ولا غرار خيانه قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا
ومنها انه اذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح ويظهر منه بعد ذلك ما
يفسد عقيدة المعتقد فيه فتفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من امثاله
ويتشعب من هذا آفات كثيرة يقف عليها الباحث ومنها احراج الحاضرين
الى موافقته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا للناس بباطله فليق الله ربه
ولا يتحرك الا اذا صارت حركته كحركة المرتدش والعاطس الذي لا
يقدر ان يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذي يتنفس به قال
السرى رحمه الله تعالى شرط الوجد في زعقته ان يبلغ الى حد لو ضرب
بالسيف وجهه لا يشعر بوجع وقد يقع هذا في حق بعض الواجدين نادرا
وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالفنس بنوع
ارادة مزروجة بالاضطرار وهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات في
تمزيق الثياب اكد فان ذلك يكون اطلاق المال وانفاق المال وهكذا

رمى الخرقه الى الحادى لا ينبغي ان يفعل إلا اذا حضرته نية يجتنبها
التكلف والمرايات واذا حسنت النية فلا بأس بالقاء الخرقه الى الحادى
فقد روى ان كعب بن زهير دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد وانشد ابياته التى اولها « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » حتى
انتهى الى قوله فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به ~~منه~~ من سيوف الله مسلول
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله انا كعب بن زهير فرمى اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم برده كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث الى كعب بن
زهير بعنا برده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه اليه ما
كنت لا توثق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب
بعث معاوية الى اولاده بعشرين الفا واخذ البرده فقال وهى البردة
الباقية عند الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين اليوم قال رضى الله عنه
وللمصرفه آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الادب فى الصحبة والمعاشرة
وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه
وتواظفوا عليه ولا ينكروه الشرع لا وجه لانكاره فمن ذلك ان احدهم اذا
تحرك فى السماع وقعت منه خرقه او نازله وجسد ورمى مماثله الى
الحادى فاستحسن عندهم موافقة الحاضرين له فى كشف الراس اذا
كان ذلك من مقدم او شيخ وليس على الشيوخ موافقة الشبان فى ذلك
وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين فى ترك الموافقة للشبان فاذا
سكتوا عن السماع يرد الواجد الى خرقته ويوافق الحاضرين برد العمائم على
الرؤوس فى الحال للموافقة والخرقة اذا رميت للحادى هى له اذا قصد اعطاها
اياه وان لم يقصد اعطاء الحادى فبيل هى للحادى لانه الحرك ومنه صدر
الموجب لرمى الخرقه وقيل هى للجميع والحادى واحد منهم لان الحرك
بول الحادى مع بركة الجمع فان بركة الجمع فى احداث الوجد لا تقتصر

من قول القائل فيكون الحادى واحدا منهم فى ذلك روى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من وقف فى مكان كذا فله كذا
ومن قتل قتيل فله كذا ومن اسر فله كذا فتسارع الشبان واقام الشيوخ
والوجه عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان ان يجعل
ذلك لهم فقال الشيوخ كما ظهرا لكم ورد فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فانزل
الله يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فقسم النبي صلى الله عليه
وسلم بينهم بالسوية وقيل اذا كان القوال منهم يجعل كواحد منهم والا فما
له قيمة يؤثر به وما كان من خرقى الفقراء يقسم بينهم بالسوية
وقيل ان كان القوال اجيرا فليس له منها شئ وان كان متبرعا يؤثر بها وكل
هذا اذا لم يكن شيخ يحكم فذا كان هناك شيخ مهاسب يمثل امره فهو
يحكم فى ذلك بما يرى فقد تختلف الاحوال فى ذلك وللشيخ اجتهاد يفعل
ما يرى ولا اعتراض لاحد عليه وان فداها بعض المحبين او بعض الحاضرين
ورضى القوال والقوم بذلك وعاد كل واحد الى خرقته فلا بأس بذلك واذا
اصر واحد منهم على لا يثار بما خرج منه نية له فى ذلك يؤثر بخرقته
الحادى واما تمزيق الخرقه المجروحة التى مزقتها واحد صادق من غلبة
سلبت اختياره كغلبة النفس فيمن يتعمد امساكه فنيتهم فى تمزيقها وتفريقها
التبرك بالخرقة لان الوجد اثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقه اثر
من آثار الوجد فصارت الخرقه متنافرة باثر ربانى من حقها ان تغدى
بالنفوس وتترك على الرؤوس اكراما واعزازا

تضوع ارواح نجد من يساهم يوم القدوم لقرب العهد بالسدور
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الغيث فيتبرك به ويقول
حديث عهد بربه فالخرقة الممزقة حديثه العهد فتحكم المجروحة ان
تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من الخرق الصالح ان يحكم فيها
الشيخ فان خصص بشئ منها بعض الفقراء فله ذلك وان خرقها خرقا
له ذلك ولا يقال ان هذا تفريط وسرف فان الخرقه الصغيرة يستفعل بها

في موضعها عند الحاجات كالكيورة روى عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فارسل بها الي فخرجت فيها فقال ما كنت لا اكره لنفسى شيئا ارضاء لك فشعها بين النساء خيرا وفي رواية اتيتهم فقلت ما اصنع بها البسها قال لا ولكن اجعلها خيرا بين الفواطم اراد فاطمة بنت اسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية ان الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير قال وهذا وجه في السنة تمزيق الثوب وجعله خرقا حكى ان الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوخت الخرقه وكان شيخ الفقهاء ابو محمد الجويني وشيخ الصوفية ابو القاسم القشيري فتسمت الخرقه على عاداتهم فالتفت الشيخ ابو محمد الى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سوف واصاعة للمال فسمع ابو القاسم القشيري ولم يقل شيئا حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر لي الجمع من معه سجادة خرق اتنى بها فجاءه بسجادة لم احضر رجلا من اهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشتري في المزاد قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تسوى قال نصف دينار فالتفت الى الشيخ ابي محمد وقال هذا لا يسمى اصاعة للمال والخرقة الممزقة تقسم على الحاضرين كلهم من كان من الجنس او غير الجنس اذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للشرك بالخرقة وذهب بعضهم الى ان المخرج من الخرق يقسم على الجميع وما كان من ذلك صحيحا يعطى لقرال واستدل قائله بحديث من قتل قتيلا فله سلبه قال وهذا له وجه في الخرقه الصحيحة واما الممزوجة فتحكمها اسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم معهم قال ابو موسى الاشعري قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خيبر بثلاث فاسهم لنا ولم يسهم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره القوم حضور غير الجنس معهم في السماع كمتزهد لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر او صاحب

دنيا يحوج الى المداراة والتكلف او متكلف للوجود يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده ثم انه رضى الله عنه اسند حديثا بلغ به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ان فقراء امتك يدخلون الجنة قبل لاغنياء بنصف يوم وهو خمس مائة عام ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افيكم من ينشد هيتا فقال بدوى انا يا رسول الله فقال هات فانشد

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راقسنى
إلا الحبيب الذى شغفت بسـ فعدته رقيقى وترياقسنى
فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواجد معه الاصحاب حتى سقط رداؤه من منكبيه فلما فرغوا آوى كل واحد منهم الى مكانه قال معاوية ابن ابي سفيان ما احسن لعبكم يا رسول الله فقال ما يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب ثم قسم رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم على من حاضروهم باربعائة قطعة قال فهذا الحديث اوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم في صحته اصحاب الحديث وما وجدنا شيئا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاكل وجد اهل هذا الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيتهم إلا هذا وما احسنه من حجة للصوفية واهل الزمان في سماعهم وتفريقهم الخرق وقسمتها لوصح والله اعلم قال ويخالج سرى انه غير صحيح ولم اجد فيه دون اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم ويأبى القلب قبوله قال ابن عباس هذا حديث باطل لا يحتج به وهو من الاحاديث التي تذكر ليعلم انها موضوعة وفي اسنادها جماعة مجهولون لا يعتبرون وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه فيما يرجع الى فضل السماع واعلم ان سماع الاشعار بالالخان الطيبة والنغم المستلذة اذا لم يعتد المستمع محظورا ولم يسمع على مذموم في الشرع لم يتجرى زمام هواه ولم يتحرك في سلك لهوة مباح في الجملة ولا خلاف

ان الاشعار انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه سمعها ولم ينكر عليهم في انشادها فاذا جاز سماعها بغير الالحان الطيبة فلا يتغير الحكم بان تسمع بالالحان هذا ظاهر من الامر قال وقد سمع السلف والاكابر الايات بالالحان فمن قال باباحته من السلف مالك بن انس واهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء قال واما الحداء فاجماع منهم على اباحته وقد وردت الاخبار واستفاضت الآثار في ذلك قال وروى عن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له اذا اتى بك يوم القيامة ويوتى بحسناتك وسيأتك ففى اى الجنيتين سماعك قال لا فى الحسنات ولا فى السيآت يعنى انه من المباحات قال فاما الشاعى رحمه الله فانه لا يحرمه ويجعله فى العوام مكروها حتى لو احترف بالغناء وانصف به على الدوام فسماعه على وجه التلهمى ترد به شهادته ويجعله ممسا يسقط المروءة ولا يلحقه بالحرمت قال وقد روى ان رجلا انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

اقبلت فلاح لهما عارضان كالسراج
ادبرت فقلت لهما والفوادى وهج
هل علي ويحكم ان مشقت من حرج

فقال صلى الله عليه وسلم لا ثم قال رضى الله عنه الا وان حسن الصوت مما انعم الله به على صاحبه من الناس فقال عزوجل يزيد فى الخاق ما يشاء جاء فى التفسير ذلك الصوت الحسن وذم الله سبحانه الصوت الضعيف فقال ان انكر الاصوات لصوت الخبير واستلذاذ القلوب واستئناسها الى الاصوات الطيبة واسترواحها اليها مما لا يمكن جموده فان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسى تعب السفر ومشقة الجمولة فيهن عليه بالحداء قال الله عزوجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وحكى اسمايل بن عليته قال كنت امشى مع الشافعى رحمه الله وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول احد فيه شيئا فقال مل بنا اليه ثم قال ايظربك هذا

فقلت

فقلت لا فقال مالك حس وحكى ابو بكر محمد بن داود الدينورى الدقنى قال كنت فى البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافنى رجل منهم فرايت غلاما اسود مقيدا هناك ورايت جمالا مائت بفناء البيت فقال لى الغلام انت الليلة ضيف وانت على مولاي كريم فشفع لى فانه لا يردك فقلت لصاحب البيت لا آكل طعامك حتى تخلنى هذا العبد فقال هذا الغلام قد افقرنى واتلف مالى فقلت ما فعل فقال له صوت طيب وكنت اعيش من ظهر هذه الجمال فحملها احمالا ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام فى يوم واحد فلما حط عنها مائت كلها ولكن قد وهبته لك فحمل عنه القيد فلما اصبحنا احببت ان اسمع صوته فسألته عن ذلك فامر الغلام ان يحدو على جمل كان على بئر هنالك يستقى عليه فحدا فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم اظن انى سمعت صوتا طيبا منه ووقعت على وجهى حتى اشار عليه بالسكوت وسئل الجنيد ما بال الانسان يكون هاديا فاذا سمع السماع اضطرب فقال ان الله سبحانه لما خاطب الذرى الميثاق الاول بقوله الست بربكم استفرغت عذوبة سماع الكلام لارواح فاذا سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك وكان الحارث ابن اسد الحاسبى يقول ثلاث اذا وجدن متعن وقد فقدنا ما حسن الوجه مع الصيانة وحسن الصوت مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء وسئل ذو النون عن السماع فقال وارد حق يزنج القلوب فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق وقال الجنيد تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن عند السماع فانهم لا يسمعون الا عن حق ولا يقرءون الا عن وجد وعند اكل الطعام فانهم لا ياكلون الا عن فاقة وعند محاورات العلم فانهم لا يذكرون الا صفة الاولياء وحكى عن الجنيد انه قال السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء الزمان والمكان والاخوان وسئل الشبل عن السماع فقال ظاهرة فتنه وباطنة صبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبارة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية قيل ولا يصلح السماع

إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي فنفسه ذبحت بسبب المجاهدة
 وقلبه حي بنور الموافقة وقيل السماع لطف غذاء لأرواح لاهل المعرفة
 وقال الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله السماع طبع إلا من شرع وخرق
 إلا من حق وفتنة إلا من عبدة وقيل السماع على قسمين سماع بشرط
 العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الآسامي والصفات والإلّا وقع في
 الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية
 والتنقي من آثار الحظوظ بظهور احكام الحقيقة ومن أحمد بن أبي الحواري
 قال سألت أبا سليمان الداراني عن السماع فقال من اثنين أحب الى
 من واحد وسئل أبو علي الروذباري عن السماع يوما فقال لئيتنا تخلصنا منه
 وأسا براس وقال أبو عثمان المغربي من ادعى السماع ولم يسمع صوت
 الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح فهو مفتر مدع وجاء عن مجاهد في
 التفسير في قوله تعالى في روضة يحبرون انه السماع من الحور العين
 بصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن النائمات فلا نباس
 ابدا وكان أبو سهل الصعلوكي يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار
 يوجب التلهف والتجلى يوجب الترويح والاستتار يتولد منه حركات
 المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه سكون الواصلين
 وهو محل الاستقامة والتمكين وذلك صفة المحضرة ليس فيها إلا الذبول
 تحت موارد الهيبة فقال الله تعالى فلما حضروا قسأوا انصتوا وقال أبو
 سعيد الخراساني من ادعى انه مغلوب عند الفهم يعني عند السماع وان
 الحركات سالكة له فعلامته تحسين المجلس الذي هو فيه بوجده قال
 الشيخ أبو عبد الرحمن فذكرنا هذه الحكاية لأبي عثمان المغربي فقال
 هذا ادناه وعلامته الصحيحة ان لا يبقى في المجلس محقق إلا أنس به
 ولا يبقى فيه مبطل إلا استوحش منه وقال بندار بن الحسين السماع
 على ثلاثة أوجه منهم من يسمع بالطبع ومنهم من يسمع بالحال ومنهم من
 يسمع بحق فالذي يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعالم فان جبلة

البشرية استلذاذ الصوت الطيب والذي يسمع بالحال فهو يتأمل ما يرد
 عليه من ذكر كتاب أو خطاب أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تأسف
 على فائت أو تعطش الى آت أو وفاء بعهد أو تصديق لوعده أو نقص لعهد
 أو ذكر قلق أو اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو ما جرى مجراه وأما
 من يسمع بحق فيسمع بالله والله ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة
 بالمحظوظ البشرية فانها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء
 التوحيد بحق لا يحظ وقيل اهل السماع على ثلاث طبقات أبناء الحقائق
 يرجعون في سماعهم الى مخاطبة الحق وضرب يخاطبون الله تعالى بقلوبهم
 بمعاني ما يسمعون فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به الى الله وثالث
 هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم
 وهؤلاء اقربهم الى السلامة وقال الخواص وقد سئل ما بال انسان يتحرك
 عند سماع غير القرآن ما لا يجد ذلك في سماع القرآن فقال لان سماع
 القرآن صدمة لا يمكن لاحد ان يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول
 ترويح فيتحرك فيه وقال المجيد اذا رايت المريدي يحب السماع فاعلم ان
 فيه بقية من البطالة وقال ابن الجلاء كان بالمغرب شيخان لهما اصحاب
 وتلامذة يقال لاحدهما جبلة وللتاني زريق فزار زريق يوما جبلة في
 اصحابه فقرا رجل من اصحاب زريق شيئا فصاح واحد من اصحاب
 جبلة ومات فلما اصبحوا قال جبلة لزريق اين الذي قرا بالامس
 فليقرأ آية فقرا فصاح جبلة صيحة فمات القارئ فقال جبلة واحد بواحد
 والبادي اظلم وسئل ابراهيم المارستاني عن الحركة عند السماع فقال بلغني
 ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه
 فأوحى الله تعالى اليه قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وسأل أبو
 علي المغازلي الشبلي فقال ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى
 فتخصني على ترك الأشياء ولاعراض عن الدنيا ثم أرجع الى احوالي وإلى
 الناس فقال الشبلي ما جذبك اليه فهو عطف منه عليك ولطف وما

رددت الى نفسك فهو شفقة منه عليك لانه لم يصح لك التبرى من
الحول والقوة في التوجه اليه وحكى عن الجنيده انه قال دخلت على
السرى يوما فرايت عنده رجلا مغشيا عليه فقلت له ما له قال سمع
آية من كتاب الله فقلت يقرأ عليه ثانيا فقرأ فافاق فقال لي من اين
علت هذا فقلت ان قيص يوسف ذهب بسببه بصر يعقوب عليه السلام
ثم عاد به بصره فاستحسن مني ذلك وقال ابو نصر السراج حكى لي بعض
اخواني عن ابي الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي
من بغداد فلما دخلت اوى سالت عن منزله فكل من اسال عنه يقول
لي ايش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف
فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت جئت هذا البلد فلا اقل من زيارته
فلم ازل اسال عنه حتى دفعت الى مسجده وهو قاعد في الحراب وبين
يديه رجل ومعه مصحف يقرأ واذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللسجة
قد ثوبت وسلمت فرد السلام وقال من اين فقلت من بغداد وقصدت زيارة
الشيخ فقال لوان في بعض البلدان قال لك افسان اقم عندي حتى اشترى
لك دارا وجارية اكان يمنعك عن زيارتي فقلت يا سيدي ما امتحني
الله تعالى بذلك ولو كان لا ادرى كيف كنت اكون فقال اتحسن ان
تقول شيئا فقلت نعم وقلت

رايتك تبني دائما في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من
كثرة بكائه ثم قال يا بني اتلوم اهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين
زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا اقرا القرآن لم تنظر من عيني قطرة وقد قامت
علي القيامة بهذا البيت وقيل قام الدقي ليلة الى الصباح يقوم ويسقط
على هذا البيت والناس قيام يكون

بالله فارد فواد مكشوب ليس له من حسيه خلف

وحكى ابن سالم قال رايت سهل بن عبد الله مرة قروى بين يديه الملك

ويمنذ الحق للرحمن فتغير وكاد يسقط فثقلت له في ذلك فقال ضعفت
وهذه صفة لا كابر لا يرد عليهم وارد وان كان قويا إلا وهم اقوى منه وقيل
سمع الشبلي قانلا يقول الخيار عشرة بدائق فصاح وقال اذا كان الخيار عشرة
بدائق فكيف الشرار وقيل اذا تغتت الحور في الجنة توردت لاشجار
وسئل بعضهم عن السماع فقال بروق تلعب ثم تخدم وانوار تبدو ثم تخفى
ما احلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين ثم انشد

خطرت في السر منه خطرة خطرة بدائم اضمحل

اي زور لك لو قصدا سرى ولم بك لوحقا فمحل

وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع الى العين تبكي وما وقع الى
اللسان يصيح وما يقع الى اليد يمزق الثياب وما يقع الى الرجل يرتص
وقيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابنا له صغيرا فارادوا ان يبايعوه
فقالوا كيف نصل الى عقله وذكائه فتوافقوا على ان ياتوا بقول يقول شيئا
فان احسن لاصغاء علوا كياسته فاتوا بقول فلما قال النوال شيئا ضحك
الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه وقال ابو الحارث الاولاسى رابت
ابليس في المنام على بعض سطوح اولاس وانا على سطح وعلى يمينه جماعة
وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطيفة فقال لطائفه منهم قوالوا فقالوا وضنوا
فاستفرغنى ذلك وطيبه حتى هممت ان اطرح نفسي من السطح ثم قال
ارقصوا فرقصوا اطيع ما يكون ثم قال لي يا ابا الحارث ما اصببت شيئا
ادخل به عليكم الا هذا

* فصل في بيان عقيدة المشايخ العارفين *

* ولايمت الربانيين المكاشفين *

قال لاسناذ ابو القاسم القشيري رضى الله عنه التوحيد المحكم بان الله
واحد والعلم بان الله واحد توحيد يقال وحدته اذا وصفته بالوحدانية
كما يقال شجعت فلانا اذا نسبته الى الشجاعة ويقال في اللغة

وحد يحد فهو واحد ووجد ووجد كما يقال فرد فهو فارد وفرد وفريد
 واصل احد وحد فقلبت الواو همزة والواو المفتوحة قد تقلب همزة كـ
 تقلب المكسورة والمضمومة ومنه امرأة اسماء بمعنى وسماء من الوسماء
 ومعنى كونه تعالى واحدا على لسان العلم قيل هو الذي لا يوصف في وصفه الوضع
 والرفع بخلاف قولك انسان واحد لانك تقول انسان بلا يد ولا رجل
 فيصح رفع شيء منه والحق سبحانه احدى الذات بخلاف اسم الجملة
 الحاصلة وقال بعض اهل التحقيق معنى انه واحد نفى التقسيم لذاته
 ونفى التشبيه عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه في افعاله ومضروعاته
 والتوحيد ثلاثة توحيد الحق للحق وهو علمه بانه واحد واخباره عنه بانه
 واحد والثاني توحيد الحق للخلق وهو حكمه تعالى بان العبد موحد
 وخلق توحيد العبد والثالث توحيد الخلق للحق وهو علم العبد بان الله
 تعالى واحد وخبره وحكمه عنه بانه واحد قال فهذه جملة في معنى التوحيد
 على شرط الايجاز والتحديد قال واختلفت عبارات الشيوخ في معنى التوحيد
 فقال ذو النون المصري وقد سئل عن التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في
 الاشياء بلا مزاج وصنعه للاشياء بلا ملاح وعلة كل شيء صنعه ولا علة
 لصنعه ومهمي تصور في وهمك شيء فانه بخلافه وقال الجنيد التوحيد
 افراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال احدىته بانه الواحد الذي لم يلد
 ولم يولد بنفى الازداد والانداد والاشياء بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير
 ولا تمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقال الجنيد ايضا اذا تناهت
 مقول العقلاء في التوحيد تناهت الى الحيرة وقال ايضا وقد سئل عن التوحيد
 معنى تصحى في الرسوم وتندرج في العلوم ويكون الله كما لم يزل وقال
 المصري اصولنا في التوحيد خمسة اشياء رفع الحدوث وافراد القدم وهجر
 الاخوان ومفارقة الاوطان ونسيان ما علم وجهل قال وسمعت منصور المغربي
 يقول كنت في صحن الجامع ببغداد يعني جامع المنصور والمصري يتكلم
 في التوحيد فرايت ملكين يعرجان الى الساء فقال احدهما لصاحبه الذي

يقول هذا الرجل علم والتوحيد غيره قال يعني كنت بين اليقظة والنوم وقال فارس
 التوحيد هو اسقاط الوسائط عند غلبة الحال والرجوع اليها عند الاحكام وان
 الحسنات لا تغير الاقسام من الشفاعة والسعادة وقال السبلي التوحيد صفة
 الموحد حقيقة وحلية رسما وسئل الجنيد عن توحيد الخواص فقال ان يكون
 العبد شعبا بين يدي الله تعالى تجري عليه تصارييف تدبيره في مجاري
 احكام قدرته في الحج بحار توحيدة بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق
 له وعن استجابته بحقائق وجود وحدانيته في حقيقة قربيه بذهاب
 حبه وحركته لقيام الحق له فيما اراد منه وهو ان يرجع آخر العبد الى
 اوله فيكون كما كان قبل ان يكون وقال سهل بن عبد الله وقد سئل عن
 ذات الله تعالى فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة ولا مرئية
 بالابصار في دار الدنيا وهي موجودة بحقائق الايمان من غير حل ولا حلول
 وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته وقد حجب الخلق عن معرفة
 كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه
 المومنون بالابصار من غير احاطة ولا ادراك نهاية قال وقال الجنيد اشرف
 كلمة في التوحيد ما قاله ابو بكر رضى الله عنه سبحانه من لم يجعل لخالقه
 سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته قال لاستاذ رضى الله عنه ليس
 يريد الصديق رضى الله عنه انه لا يعرف لان عند المحققين العجز
 عجز عن الموجود دون العدم كالمقعد عاجز عن قعوده اذ ليس بكسب له ولا
 فعل والقعود موجود فيه كذلك العارف عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة
 فيه لانها ضرورية وعند هذه الطائفة المعرفة بالله تعالى في الانتهاء ضرورية
 فالمعرفة الكسبية في الابتداء وان كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق
 شيئا بالاضافة الى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانسباط
 شعاعها عليه وقال الجنيد التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو افراد القدم
 عن الحدوث والمخرج عن الاوطان وقطع الحجاب وترك ما علم وجهل
 وان يكون مع الجميع وقال يوسف بن الحسين من وقع في بحار التوحيد

لا يزداد على مر الاوقات الا عطشا وقال الجنيد علم التوحيد مبين لوجوده
 ووجوده مفارق لعلمه وقال الجنيد علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين
 سنة والناس يتكلمون في حواشيه ووقف رجل على الحسين بن منصور
 فقال من الحق الذى تشيرون اليه فقال معل لانام ولا يعتل وقال الشبلى
 من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف على حمل نفسه لثقل ما حمل وسئل
 الشبلى فليل له اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال ويحك
 من اجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ومن اشار اليه فهو ثنوى ومن اوما
 اليه فهو عابد وثن ومن نطق فهو غافل ومن سكت عنه فهو جاهل ومن تومأ انه
 واصل فليس له حاصل ومن اوما انه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو
 فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم في اتم معانيكم فهو مصروف
 مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم وقال يوسف بن الحسين توحيد الخاصة
 هو ان يكون بسره ووجده وقابه كانه قائم بين يديه سبحانه تجرى
 تصارييف تدبيرة واحكام قدرته في بحار توحيدته بالفناء عن نفسه وذعاب
 حسه بقيام الحق له في مراده منه فيكون كما هو قبل ان يكون في
 جريان حكمه سبحانه عليه وقيل التوحيد اسقاط اليماءات لا تقول لى
 وبى ونى والى فقال رويم التوحيد محو آثار البشرية وتجرد كاللوية
 قال وسمعت لاسناذ ابا علي الدقاق رضى الله عنه يقول في آخر عمره
 وكان قد اشتدت به العلة فقال من اشارات التاييد حفظ التوحيد في
 اوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو ان
 تقرضك مقاريض القدرة في امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن جامد
 وقال الشبلى ما سمع راتحة التوحيد من تصور عنده التوحيد وقال ابو سعيد
 الخراز اول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الاشياء عن
 قلبه وانفراده بالله وقال الشبلى لرجل اتدري لما لا يصح لك توحيد فقال
 لا قال لانك تطلبه بك وقال ابن مطاع علامة حقيقة التوحيد نسيان
 التوحيد وهو ان يكون القائم به واحدا ويقال من الناس من يكون في توحيد

مكاشفا بالافعال يرى الحادثات بالله ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة
 فيضمحل احساسه بما سواه فهو يشاهد الجميع سرا بسرو ظاهرة بوصف
 التفرقة قلت لا نزاع ان القوم رضى الله عنهم كما قال في حقهم الاستاذ
 ابو القاسم القشيري رضى الله عنه ومن تأمل الفاظهم وتصفح كلامهم وجد
 في مجموع اقوالهم ومتفرقاتها ما يتيقن به من تأمله ان القوم لم يقصروا في
 التحقيق عن شاولهم يعرجوا في الطلب على تقصير وقال ايضا واعلموا رحمكم
 الله ان شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد امرهم على اصول صحيحة في
 التوحيد وصانوا عقائدهم عن البدع وذانوا بما وجدوا عليه السلف واهل
 السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل عرفوا ما هو حق القدم وتعمقوا
 ما هو نعت الوجود عن العدم والذى يدل عليه مجموع كلامهم ومتفرقه
 وما اشتملت عليه مصنفاتهم في التوحيد ان الحق سبحانه وتعالى موجود .
 قديم . واحد . حكيم . قادر . عليم . قاهر . فاطر . رحيم . مريد .
 سميع . مجيد . رفيع . متكلم . بصير . متكبر . قدير . حي . احد . باق .
 صمد . وانه عالم بعلم . قادر بقدرة . مريد بارادة . سميع بسمع . بصير
 ببصر . متكلم بكلام حي بحياة . باق ببقاء . وله يدان هما صفتان يخلق
 بهما ما يشاء على التخصيص . وله الوجه هو صفة ذاته مختصة . بذاته
 لا يقال هي هو ولا هي اثار له بل هي صفات له ازلية ونعوت سرمدية
 وانه احدى الذات ليس يشبه شيئا من المصنوعات ولا يشبهه شئ
 من المخلوقات ليس بجسم ولا جوهر ولا صفاته اعراض ولا يتصور في
 الاوهام ولا يتقدر في العقول ولا له جهة ولا مكان ولا يجري عليه وقت
 ولا زمان ولا يجوز في وصفه زيادة ولا نقصان ولا تخصصه هيئة ولا قد
 ولا تقطعه نهاية ولا حد ولا يحله حادث ولا يحمله عن الفعل باعث
 ولا يجوز عليه لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون ولا يخرج عن قدرته
 مقدور ولا ينشك عن حكمه مفطور ولا يعزب عن علمه معلوم ولا هو على
 فعله كيف يصنع وما يصنع ملوم ولا يقال له ابن ولا حيث ولا كيف ولا

يستفتح له وجود فيقال متى كان ولا ينتهي له بقاء فيقال استوفى لاجل
والزمان ولا يقال لم فعل ما فعل اذ لا علة لافعاله ولا يقال ما هو اذ لا
جنس له فيتميز بامارة عن اشكاله يرى لا عن مقابلة ويرى لا عن معادلة
ويصنع لا بمباشرة ومزاولة له الاسماء الحسنى والصفات العلى يفعل ما
يريد ويذل لحكمه العبيد لا يحصى في سلطانه إلا ما يشاء ولا يحصل
في ملكه إلا ما سبق به القضاء ما علم انه يكون من الحوادث اراد ان
يكون وما علم انه لا يكون مما جاز ان يكون اراد ان لا يكون خالق اكتساب
العباد خيرها وشرها ومبدع ما في العالم من الاعيان والاثار قلها وكثرها ومرسل
الرسول الى لام من غير وجوب عليه ومتعبد لانام على لسان الانبياء عليهم
السلام بما لا سبيل لاحد باللوم والاعتراض عليه وموید نبينا صلى الله عليه
وسلم بالعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بما ازاح به العذر ووضح به
اليقين والذكر وحافظ بيضة الاسلام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بخلائفه
ثم حارس الحق وناصره بما يوضحه من حجج الدين على السنة اولياته صبر
الملة الخفيفة على الاجتماع على الضلالة وحسم مادة الباطل بما نصب من
الدلالة وانجز ما وعده من نصرة الدين بقوله جل جلاله ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى الله
عنه دلت هذه المقالات على ان عقائد مشايخ الصوفية توافق اقوال اهل
الحق في مسائل اصول قلست ولهم رضى الله عنهم الى شاو التحقق بذلك
اعز وصول وعقائدهم الماثورة شاهدة بان لهم في علم التوحيد القدم الراسخ
والتمكن الذى شغوف مكانته لتوهبات الجهلة ناسخ ومن عرائس عقائدهم
الجليلة ونفائسها التى هى بكل مدحة كفيلة عقيدة الشيخ المكين الحائز
تصب السبق في التمكن شرف العارفين ابى عبد الله محمد بن احمد
القرشى الهاشمى نور الله قبره واعلى في مقامات المئربين قدرة فقد
جمعت بين البلاغة وحسن الترتيب والمساق الحسن والاسلوب الغريب
والمعانى الجليلة في الالفاظ القليلة والبراعة الفائقة والعلوم الرائقة وهى

هذه صدق الله العظيم الحى القيوم الكريم الذى تقدست عن سمته
المحدث ذاته وتزهت عن التشبيه بصفات الجنة صفاته ودلت على
وجوده محدثاته وشهدت بوحدانيته آياته الاول الذى لا بداية لازيته
الآخر الذى لانهاية لا بديته الظاهر الذى لا شك فيه الباطن الذى
ليس له شبيه الحى الذى لا يموت ولا يفنى القادر الذى لا يعجز
ولا يعيب المريد الذى اصل واهدى وافقر واغنى السميع الذى يسمع السر
واخفى البصير الذى يدرك ديب النمل على الصفا العالم الذى لا يضل
ولا ينسى المتكلم الذى لا يشبه كلامه كلام موسى كلم موسى بكلامه القديم المنزه عن
التاخير والتقديم لا بصوت يقرع ولا بهدأ يسمع ولا بحروف ترجع كل
الحروف والاصوات والنداء محدثة بالنهاية والابتداء جل ربنا وعلا وتبارك
وتعالى له العظمة والكبرياء وله الملك والقدرة والسناء وله الاسماء الحسنى
والصفات العلى حياته ليست لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة قدرته
ليست لها نهاية فالنهاية بالتخصيص ماحقة ارادته ليست بمحاذرة
فالحوادث بالاضداد مطروقة سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة بصره
ليس بمحذرة فالحدقة مشوقة علمه ليس بكسبي فالكسب بالتامل والاستدلال
يعلم ولا بضرورة فالضرورة عن الارادة والالزام تلزم كلامه ليس بصوت
فالاصوات توجد وتعدم ولا بحروف فالحروف توخر وتقدم جل ربنا عن
التشبيه بخلقه وكل خافه عن القيام بكنه حقه بل هو القديم لازلى الدائم لا بدى
الذى ليس لذاته قد ولا لوجهه خد ولا ليد زند ولا له قبل ولا بعد ليس
بجهر فالجهر بالتخيز معروف ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء زمانين
موصوف ولا بجسم فالجسم بالمجهات مخوف هو خالق الاجسام والنفوس
ورازق اهل الجود والبوس ومقدر السعد والخوس ومدير الافلاك والشموس هو
الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس على العرش استوى من غير تمكن ولا
جلوس لا العرش له من قبل القرار ولا استواء عليه من قبل الاستقرار العرش
له حد ومقدار والرب لا يحل بالاقطار العرش مخلوق من مخلوقاته اظهر

فيه بعض مقدوراته العرش تكيفه خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول وهو مع ذلك مجول والقديم لا يحول ولا يزول كيف والعرش بنفسه هو المكان وله جوانب واركان وكان الله قبل ان يكون مكان ولا عرش ولا زمان خلق المكان والعرش والزمان وهو الآن على ما عليه كان ليس له تحت يتلوه ولا فوق يطله ولا جانب يعدله ولا خلف يسنده ولا امام يحده لو كان على شئ لكان مجولا ولو كان في شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان مخلوقا جل ربنا عن التحديد والتقدير والتكليف والتغيير والتأليف والتصوير والتشبيه والتظير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير هو الحمى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير وعلى آله وصحبه وسلم

* فصل في شرح الفاظ دائرة بين اهل الطريقة *

* وبيانها لمن لم ير من سيف الحقيقة الا بريقه *

* فلم تزل في مخاطبات هذه الطريقة دائرة *

* وبينهم متداولة كالمثل السائرة *

* وقد يحتاج الى الفحص عن معانيها بعض اهل *

* السلوك * فليست مخاطبة السوق كالملوك *

وقد ذكر منها الشيخ ابو الحسن الششتري في رسالته نحو من مائتين وخمسين اسما فاردت ان ارتها على حروف المعجم واعطى منها لكل حرف مشاكل قسما ليزول بذلك من المطالع التباسها ويسهل عليه عند الحاجة اقتباسها وبالله جل جلاله نستعين فهو حسبنا ونعم المعين

حرف الالف : الاسم حروف الاستدلال على الذات قيل وهو الحاكمة على حال في الوقت من الاسماء الالهية الاسماء علامات الحقائق الاشارة تكون مع القرب بحضور غير وتكون مع البعد الاثر كلما ظهر للحواس

ورود على القلب انا بلا انا ونحن بلا نحن يريد بذلك التخلي عن الافعال اى لا فاعل الا الله انا انت وانت انا هو ذهب رسم الحب في محبوبه وفيته بحضوره وكان مجنون بنى عامر يقول عن ليلى انا الامر يقال على ما يوجد في النفس من غير سبب وقيل هو السر الوارد على النفس الافعال كلها سوى الله تعالى الازل يعبر به عن الماضي والحاضر وقيل القدم الذى لا اول له الابد الدوام الذى لا انتطاع له الآمد لحوظ العقل الدهر وانقطاعه دونه وعجزه عن الاحاطة به الانزعاج ترك القلب الى الله بتأثير الوعظ والسماع فيه الاصطلاح نعت وارد يرد على القلب فيسكه بقوة سلطانه وقيل هو الوله الغالب على القلب وهو قريب من الهيمان الادب ادب الشريعة وهو الوقوف عند مرسومها وادب الخرقه وهو الفناء عن رويتها مع المبلغه فيها وادب الحق وهو موافقة الحق بالعرفه وقيل ان تعرف ماله ومالك الافراد الرجس الجاهلون عن نظر القطب اى مجاورته ونهايته الاوتاد اربعة رجال على اركان العالم لاربعة وهم في الرتبة قبل البداء الامامان رجلا احدهما عن يمين القطب والاخر عن شماله وقيل الذى عن يمينه نظره في الملكوت والذى عن شماله نظره في الملك وهو الذى يخلف القطب الامناء هم الملامية الانس اثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية وقيل الانس جمال الجلال الاسماء اقامة احكام العبودية الامان السلطان الزاجر الاتحاد تصوير الذاتين واحدة الانانية من قولك انا فهى نسبة لها وقيل لانانية الحقيقة التى يضاف اليها كل شئ من العبد كقولك نفسى وروحي وقلبي ويدى اربين محل الاعتدال في الاشياء الانتباه ايقاظ الحق للعبد الالهية كل اسم الهى اضيف الى البشر الالية كل اسم الهى اضيف الى روحانى حرف الباء : البادى ما يبدو على القلب البسط حال الرجاء في الوقت وهو وارد على القلب يشير الى الرحمة والانس ويرد الى تناول المناجاة وما منع منه القبض وقيل هو ما يسع

الاشياء ولا يسعه شئ البقاء روية العبد قيام الله تعالى على كل شئ
وقيل هو بقاء روية العبد قيام الله تعالى في قيامه لله وقيل هو اسم لما بقى
بعد فناء الشواهد وسقوطها البلاء لا اختبار وهو ظهور امتحان الحق للعبد
البون البينة بلا نفس قالوا هو الذي لا تظهر عليه شهوة ولا غضب البذل
سبعة وهم كل من سافر عن بلد او موضع وترك به خليفة على صورته حتى
لا يعرف انه فقد البعد لاقامة على المخالفة البوادة ما يفجا القلب
من الغيب فيوجب فرحا او ترحا البرزخ العالم المشهود بين عالم المعاني
والاجسام حرف التاء المثناة من فوق . التواجد استدعاء
الوجد وقيل اظهار حاله الوجد من غير حضور وجد التحقيق روية
الوجود بالحق التفرقة والفرق لاشارة الى الكون والمخلق وقيل مشاهدة
العبودية التجريد اماطة السوى والكون عن القلب والسوى هو خلق
التعنين وقيل الانخلاع عن شهود الشواهد التفريد وقوفك بالحق معك
وهو تفريد الشهود اتصالا التثبيته لا انصاف بمكارم الاخلاق وبصفات
الروحانيين الخلقى بالحاء العجمة قطع العلائق وهو قطع كلها تعلق
بالقلب من غير الله وقيل اختيار الخلو لاءراض عن الكون الخلقى
بالحاء المهمة التشبه بالصادقين بالاحوال واظهار الاعمال التجلى بالجيم ما
ينكشف للقلب من انوار الغيوب التلوين والتلون تنقل القلب في احواله
وهو عند الاكثرين مقام ناقص وعند الحقيقة من مقام كامل وحال العبد به حال
ازدياد التمكين حال اهل الوصول التكلف ذهاب العبد بملاحظة الوجود
التاميس فورية تشاهد معان من موجود قائم وهو تليس الحق على اهل التفرقة
بما يكون وعلى اهل الجمع بروية الغناء التدلى والترقى نزول المتربين
وصعودهم التلقى والتولى اخذك ما يرد عليك من الحق ورجيعك اليك
مذك التصوف الوقوف مع الاعمال الشرعية والمخلق لالهية ويقال بازاء
المخلق بمكارم الاخلاق وتجنب سفسافها حرف الجيم . الجمع لاشارة الى
الحق بلا خلق وهو غاية مقامات السالكين جمع الجمع لاستهلاك في

الله بالكلية وفناء لاحساس بما سوى الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى الجلال نعوت القهر من الحضرة الالهية الجمال نعوت الرحمة
والانس من الحضرة الالهية الجبروت عالم الارواح المجلوة خروج العبد
من الخلو بالنعوت الالهية حرف الحاء المهملة . الحدس اجمال
الخطاب بضرب من التهر الحق بالحق الله الله الحال ما يرد على
القلب من غير تعمد ولا اجتلاب وشرطه ان يزول ويعقبه المثل بعد المثل
ترقى الى ان يصفو وقد يعقبه الضد والاختلاف ومن قال بدوامه غلط وقيل المحل
تغيرات لا طوار على العبد الحضور حضور القلب بالحق عند غيبته من
المخلق وقيل مشاهدة الحضرة الالهية بعد الغيبة بالحق الخيرة وارد يرد
يتردد بين البقاء والفناء الحق هو الله تعالى ذلك بان الله هو الحق والحق
ما اوجبه على نفسه جل جلاله وما وجب على العبد من جانب الله
وقد يطلق على الوجد الحقيقية التي تنال بازاء الشريعة هي سلب آثار
اوصافك عنك باوصافه فانه الفاعل فيك منك لا انت وما من ذبته
إلا هو أخذ بناصيتها وقيل الحقيقة مشاهدة الروبية والحقائق في اللغة
النساء والحقيقة المرأة حقيقة الحقائق هي الذات لاصدية الجماعة
لجميع الحقائق وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود والحقيقة المحمدية هي
الذات مع التعيين لاول وله لاسماء الحسنى كلها وهو الاسم لا عظم المحسن
الرجوع الى التفرقة الحجاب هو السر وهو في اللغة السر حق
اليقين ما حصل من العلم لالهى بواسطة الشريعة وقيل هو شهود الحق
حقيقة في مقام عين جمع لاحدية الحرية اقامة حقيقة العبودية فيكون
العبد حرا عما سوى الله تعالى الحرف خطاب الوجود الحد حيث
منتهى العقل وقوفه حجاب العزة تحير العبد بما يلتقى على بصيرته
حرف الحاء المعجمة . الحاطر انبعث القلب بتحريك السر فاذا
خطر لا يثبت ويزول بخاطر آخر قال ابن العربي هو ما يرد على القلب
والضمير من الخطاب ربانيا كان او ملكيا او شيطانيا او نفسانيا وقيل الرباني

من فوق القلب والملكى عن يمينه والشيطاني عن شماله والنفساني من
تحتة الخصوص الذين خصهم الله تعالى بالحقائق والاحوال الخلق
عالم الملك ويقال على كل ما وجد من سبب الخضر والياس يعبرون
بالخضر عن البسط وبالياس عن القبض الخلوحة محادثة السر مع الله تعالى
الختم علامة الحق على قلوب العارفين فلا يلتفتون الى الخلق فان يشا
الله يختم على قلبك والختم في حق النفوس الطبع والغفلة حروف
الذال المهملة . الدهش سكرة تعدم عقل الحب من هيبة محبوبه
الدعوى ان تصيف النفس الفعل اليها الدفن والرسم لاحاطة بالقلب
والاستيلاء عليه بالحب حتى يغيب عن كل موجود الدرة البيضاء العقل
الكلى قال عليه السلام اول ما خلق الله درة بيضاء الحديث واول ما خلق
الله العقل حروف الذال المعجمة . الذهاب مغيب القلب عن
حص المحسوسات بالمشاهدة الذات الحقيقية الثابتة الذوق اول
مبادئ التجليات الالهية حروف الراء . الرسم عبارة عن البقاء
بعتب الذهاب وهو في اللغة بقية الحياة الرسم ما رسم الله به المخلوقين
في سابق علمه وقيل هو كون روية القلب والروح مشاهدة لا يحضرها
إلا المشهود الرسم ذكر في الدفن رب حال هو بمعنى صاحب قلب على
ما يذكر غير انه لا يثبت له المقام كشوته لصاحب القلب الراجس
هو الذي ينزل عن مقامه ليكمل غيره الرغبة والرهبة الرجاء والخوف
الرعونته الوقوف مع الطبع الرداء الظهور بصفات الحق الرويا
المشاهدة بالبصر حروف الزاي . الزوائد زيادة الايمان بالغيب واليقين
المرودة الخضراء النفس الكلية حروف الطاء المهملة . الطوالع
انوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين فتطمس غيرها الطارق ما
يجصره قلوب العارفين على طريق السمع فيجود لهم حقائقهم الطمس
عجز العقل وسد باب العزة في وجهه وهو البسائر الطريق عبارة عن
مراسم الله وحدوده الطبع ما سبق به العلم في حق كل شخص حروف الطاء

المشالة * الظل وجود الراحة خلف الحجاب حروف الكاف
الكشف بيان ما ينستر عن الفهم فيكشف للعبد كانه رآه عيانا الكون
اسم لما كون بين الكفى والنون الكمال نعت المحصرة الكاملة الكرسي
موضع النهي وكلام كلمة المحصرة هي كن حروف اللام . اللوائح
ما يلوح للاسرار الظاهرة من الزيادة في الارتقاء والصعود اللوامع ما يبدو
من انواع التجلي ويتبين ماخوذ من لمعان البرق اللسان البيان من
عالم الحقائق اللحظ ملاحظة القلوب ما يلوح لها من زوائد المن
اللطيفة كل اشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم لا تسعها العبارة ويقال على
النفس الناطقة اللوح محل التدوين والتسطير القلب ما غبط من
العلوم على القلوب المقلقة بالكون حروف الميم . المقام ما يقوم به
العبد كالنوبة والصبر والرضا وغيرها من انواع المقامات والمجاهدات وقيل
سمى مقاما مقام العبد فيه المكان عبارة عن منزلة في البساط لا تكون
إلا لاهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والاحوال وجاوزوها بلا صفة ولا نعت
المريد المتجرد عن ارادته وقيل هو الذي صح له الابتداء ودخل في
عبادة الله المنقطعين اليه وقيل الذي صح له الابتداء ولم يرسم بحال ولا
مقام المراد الجذب من ارادته مع تسهيل الامور له فجازو الرسم
والمقامات بحاله لا بعلمه ولم تنب له ارادة المسلوب الماخوذ بالجذب
في العالم الاول وقيل هو الذي كانت له حالة شريفة فسلبت
الماخوذ كالمسلوب إلا انه لا يكون إلا صاحب سكر المشاهد له
روية لاشياء بدلائل التوحيد قال القشيري هي وجود الحق من غير بقاء
تهمة فاذا اصححت سماء الشر من غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة
عن فرج الشرف المشهود هو الحق تعالى الموجود ما خرج من
العدم الى الوجود المنازلة ما خرج من الوجود الى العدم المناجاة
خطاب العبد للحق والمصلى يتاجى ربه المنازلات الرجوع الى المقامات
وهو قطعها للعبادة والترحمة للمريدين ومنازلات الاحوال منازعة العوالم

التليسية المحمداثمة خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة
المسامرة خطاب الحق للعارفين من عالم الملكوت والأمر المجد
ذهاب العبودية لقيام الله عليها بالوجود وقيل المجد رفع أوصاف العادة
وقيل ما شهد الحق ونفاه عنك من قبائحك وقال التشيوي من نفى من
أحواله الخصال الذميمة واتى بدلها بالافعال والأحوال الحميدة فهو صاحب
محو واثبات المقصود الغاية لكل واقع ورد على القلب المعدم ما
خرج كنز الوجود ثم لم يثبت الملكوت باطن الكون والملك
ظاهر الملكوت وذكر بعضهم عن الأجوبة المسكتة عن الاستئلة المبهمة للامام
ابن حامد انه قال عالم الملكوت ما بوجود الله بالأمر لازلي فلا

وبقى على حاله واحدة من غير زيادة فيه أو نقصان منه وهو
الباطن في العقول وعالم الملك ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله بعضها
من بعض وصحبه التغير وعالم الجبروت ما بين العالمين مما يشبه ان
يكون في الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة لازلية بما هو في عالم الملكوت
المبتدى الداخل في طريق الله المجذوب الذي اختطف ويسير به
على المقامات المسافر الذي عبر من العدو الدنيا الى العدو
القصورى اى خرج من الأوصاف الدنية الى الأوصاف العلية ويقال على
السالك وهو المسافر بقلبه الملامتية الذين لا يبدو على ظواهرهم ما
في بواطنهم شئ المجاهدة مخالفة الهوى المحسن ذهب التركيب
بحسب القهر المحاضرة الوقوف مع الله تعالى المكاشفة اتم من
المشاهدة وقيل المشاهدة اتم لانها سقوط الحجاب المكنى حالة المسلوب وهو
ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الأدب وقيل المكرفى النعم
الباطنة ولاستدراج في النعم الظاهرة المطالعات توقعات بين العارفين
المأخذ بضم الميم موضع ستر الغضب من الأفراد الواصلين المطلع
بشد الطاء البصر الى عالم الكون بعين الحق المثل لا نسان والمراد
صورته التي فطر عليها لانه عالم صغير مثل العالم الكبير حرف النون

النفس بفتح الفاء روح يرسله الله على نار القلب ليطفى شرها نحن
بلا نحن تقدم في انا بلا انا النقباء الذين يستخرجون خبايا النفوس
لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر وهم ثلاث مائة النقباء
المشغولين بحمل اثقال الخلق وهم اربعون النزلة الخلع التي تخص
الأفراد النون علم لأجمال والقلم علم التفصيل النور كل وارد الهى يكشف
لاكون على القلب والظلمة ضده ويقال الظلمة عن النظر في الذات لانها
لا ينكشف معها غيرها حرف الصاد المهملة الصفاء خلوص
الحقائق ممن معارجه الطبع وروية الفعل الصحو الرجوع الى الاحساس
بوارد قدم بعد الغيبة صاحب قلب هو الواجد في عبوديته المؤثر في
الكون صاحب مقام هو الذى اشتهر بخرق العادة الصفات
نعت القلب الصعق البقاء عند التحلى الصفة ما اوجب لوجه معنى
كالعالية للعالم اوجبه العلم حرف الضاد المعجمة الضياء الروية
بعين الحق حرف العين المهملة العارض ما يعرض للقلب من
الحوادث المذمومة بالقاء النفس والشیطان العقل هو الذى يقضى بخلع
الكون وبخلعه وفى الجملة عالم الملك هو الجسم العباد لاجتهاد فى اداء
الوظائف التكليفية العبودية روية البعد نفسه بالله العبودية مشاهدة
العبد نفسه من روية العبودية عين التحكيم اظهار الولى مرتبته بامر
يراه علم اليقين ما اعطاه الدليل عين اليقين ما اعطاه المشاهدة
والكشف العلة تنبيه الحق لعبده العرش مسند لأسماء المقيدة العبد
ما يعده على القلب من التجليات باعادة الأعمال العنقاء كناية عن الهوى
لانها لا ترى كالعنقاء ولا توجد الا مع الصورة فهى معقولة وتسمى العيول
المطاعة المشترطة بين الاجسام كلها العقاب القلم وهو العمل لازل حرف
الغين المعجمة . الغيب ثيب القلب من القلب عما يجرى من احوال
الخلق لشغل الحس فيه بما ورد عليه وقيل هى غيبة الحق فى شهود الخلق
العقلة قوة الهموم الغيرة غير الحق لتعدى الحدود وتطلق بازاء كتمان

الاسرار الغوث هو القطب اذا لما الوقت اليه ولا يسمى في غير ذلك الوقت غوثا الغيب والشهادة الملك والملكوت الغراب الجسم الكلى حرف الفاء . الفناء فناء روية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقيل اضمحلال ما دون الحق علما وهو فناء المعرفة في المعروف ثم فخرا وهو فناء العيان في المعاني ثم حقا وهو فناء الطلب في الوجود الفوائد ما يرد على القلب من المعارف عقب التوبة الفصل التفرقة بين القديم والحديث وقيل الفصل تمييزك عن محبوبك بعد حال الاتحاد الفرق سوي التفرقة المذكورة قبل الفترة خمود نار البداية الفتوح حب العباداة ظاهرا والخلوة باطنا ووجود المكاشفة البرهانية خطاب المكاشفة الوجودية الغفور نهاية الصوف وقيل البراءة من روية الملك حرف القاف . القادح يكون لاهل الغفلة اذا انقشع عن قلوبهم غيم الغفلة فقدح فيها قادح الذكر ما جوف من قدح الزناد القبض حال الخوف في الوقت وهو وارد يرد على القلب يشير الى مثاب وقد يرد على اهل المعرفة فيمنعهم عن تناول المباحات لاكل والشرب والكلام قطع العلائق قد مر في التجلي القطب اكمل اهل زمانه وهو موضع نظر الله من العالم القرب القيام بالطاعة القلم اسلفناه في النون النفس المعلم الذي يصون المحقق القدم ما ثبت في علم اليقين حرف السين المهملة السابح الوارد الذي ينظر على القلب ولا يثبت السكر غيبة بوارد قوى وهو يشار به الى سعة التمهالك في الطرب وهو من مقامات المحبين السر المعنى القائم على قلب العبد فلا يعلم به الا الحق وسر السر مما يعلم به السر السبب روية الوسائط السرمود لا بد السالك السائر بقلبه السائر هو الذي لا يقول بنهاية وفتح له باب الملا لا على السير توجه القلب للحق السمسمة معرفة لا تسعها العبارة السوى بكسر السين هو الغير حرف الشين العجزة الشاهد ما تعطيه المشاهدة من الاثر في قلب المشاهد

فشاهدك هو خاطر قلبك وقيل الشاهد الحق الشطح ترجمة اللسان عن وجد يفيض من معدنه مقرونا بالدعوى الشفيع وجود العبودية وهو الوسائط وقيل الشفع الخلق والوتر الحق الشريعة لا مبالاة العبودية الشرب اوسط التجليات واكملها يرى الشجرة الانسان الكامل حرف الهاء . الهاجس الخاطر الاول الرباني وهو لا يخص ابدا وقد يسميه سهل السبب الاول فاذا تحقق في النفس سمى ارادة فاذا زاد سمى هما فاذا زاد سمى عزما ويسمى عند التوجه للفعل قصدا ومع الشروع في العمل نية الهم جمع الاخبار الخبر واحد الهجوم سائرة على القلب بقوة الوقت من غير تمسك وقيل واراد يرد بقوة طلب في الزيادة وبه يكون فعل صاحب الغلبة هو بلا هو اشارة الى التفريد بذاته هو الهيبة اثر مشاهدة الله في القلب الهمته جمع الهم بصفاء الالهام حرف الواو . الوارد ما يرد على القلب من القبض والبسط من غير ان يستعمله العبد ويطلق بازاء ما يرد على القلب من كل اسم الواقع ما يثبت ولا يزول الا بواقع آخر مثله الوقت عبارة عن حالة في زمن الحال لا تعلق لها بالماضى ولا بالمستقبل الوجد مصادفة القلب الصفاء بذكر كان قد فقد الوصول خلع النعيلين وهو عبارة عن ورود ماء التوحيد الوسم ما طبع الله به على قلب عباده الوصل ادراك الفاتات الوطن بلوغ المقام الى جنب العبد الوتر اشارة الى جمع بلا ملاحظة له الواقف الذي لم يفتح له باب الملكوت الاعلى وقد يلبس عليه بالوصول الوحدة جمع الجمع الواقعة سائرة على القلب من خطاب او مثال الغيب الورقاء النفس الكلية وقيل التي هي قلب العالم وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين حرف الياء اليقظة الفهم عن الله في زجره اليدان هما اسماء الله تعالى المتقابلة كالفاعلة والقابلة ولهذا وبنج ابليل بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ولما كانت الحضرة الاسمائية تجمع حضرتي الوجوب والامكان قال بعضهم ان اليمين هما حضرتا

الوجوب والامكان والحق ان التعاقب اعم من ذلك فسان الفسالة قد
تتقابل كالجمل والجليل واللطيف والتهار والنافع والضرار وكذا القابلة
كالايس والهايف والراجي والخائف والمتفجع والمتضرر والله

معنى الذوق فيه قد ثبت عقله وما عسى ان تدركه من ذلك لافهام
الواقعة والاعمال النقية وعلوم القوم كلها في الحقيقة انما هي ذوقية لكن
متلقى احوالهم بطلاقة الوجه والبشر يقنع متى فاتته اللب من علومهم
بالقشر وبتمام ذلك تم من المقدمة المراد وان كان اطنا فيها جاوز القدر
الذي يراد فقد اتسع الخرق فيها على الراقع واميطت بها عن صور معاني
علومهم البراقع وتفرزنت بين اعداء الشاه منها البيادق وابي صحيح عزمي على
لايجاز فيها ان يصادق وما ذاك الا ان بعض اصفياء الاخوان استجاب
لاطناب وارضى عزيمه علي في ذلك لاطناب حرصا منه على انزال المعتقد
من عرفت المعرفة بين الجبل والسفح وارهاب المستقد عند بارقة سيوف
التخويف من الحد منها بالصفح وانما يحصل الغرض من ذلك بيسط المقال
ونشر بساط الانتقال فلا يزال الناظر فيها بين ابعاد وتقريب وتشويق في
معاني علومها وتقريب الى ان يفجاء الفتح المبين وتلوح له محجة الهدى
وتستبين فينبذ يميل مختارا الى كل مرشد ويرفع عقيرته وقد استغفرت
الطرب وينشد

الى سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباب

ان لم اكن منهم فلي في حبه من زوجنا

فيظفر لذلك بالقيمة الباردة ويتاهل لقبول المنح الواردة ويحصل الخير
الشامل بالافادة لكل من المستفيد والافادة وتغمرنا من الله العطايا وتصحبنا
برحمته العناية بحب الصالحين من البرايا فقد قالوا محبتهم ولايتهم وقد
اشتملت بحمد الله على نبذ من الالعب رائقة وجمل تمهد من كريم علم القوم

طرائقه توقف الناظر على شرف هذه الطريقة وتعرفه شغوف منزلة
اهل الحقيقة فان اقتصر عليها كفته عما سواها واغنته وان تطلع الى المزيد ادته
الى مراده واذا نته على انها في جنب علومهم وآدابهم كقطرة من بحر او
واسطة من جملة ساورك تنلدها نحر ولا يوحشك منها ان قرى وطن الغربة
قراها او باح بسر عبيرة بعد العشي عراها فتلك شكاية ظاهر عنك عارها على انها
ليست بمانعة جمع او مستحيلة وساء رشك ان استطلتها الى وجه الحيلة
هذا رياض فيه ما قد راقى من انواع ما نحوى جناه ونقطف
فاقرب على قدر اهتمامك والنقط من ذا وذا اوعد بما قد تخطف
فان كنت ممن يتشوف الى احوال الشيخ فهي في ابوابها بكل مليحة
موسومة او ممن يتطلع الى علوم القوم فهي في هذه المقدمة مرسومة وان
كنت ممن جهل جلالة مقدارها غير مفتقر في ذلك الى رابطه فلا تتعرض
لبدايات الضعفاء فلكل ساقطة لاقطة

وحسبي بهذا كله ان مهجتي لاهل الصفا والقرب سيرتها رقا
فان قبولها حبذا منهم الرضا ولست اذا ارضى وقد ملكوا متقا
وان هم ابوا ان يقبلوها معيبة فلست لصدقي في محبتهم اشقى
على ان لي الرضا معهم عمادا بما اهواه من رفته يلقسى
وطنى به الظن الجميل وانهم زعيم بآمالى كليل بها حقا
فلنعطف الآن الى ما قبضنا عليه بكلتا اليدين لنجز منه صادق وعدنا فان
الوعد دين ومن الله جل جلاله نستوهب العون والامداد فما للعبد من
كرم مولاه الكريم استبداد

* الباب الاول في التعريف بالشيخ رضي *

* الله عنه وذكر بدايته * وترتيب القول *

* في احواله الدالة على صلاحه وهدايته *

هو الشيخ ابو العباس احمد بن عبد الله بن محمد بن ابي بكر بن عروس

الهواري وكنت جمعت بالزاوية العروسية من نطن به معرفة نسب
الشيخ من سائر اصحابه وقرباته فانفقوا على صحة ما قبل ابى بكر من
آباء الشيخ واختلفوا في ابى بكر فمنهم من صححه ومنهم من قال انما هو
علي ولم يستند واحد منهم في صحة دعواه الى امر جلي فلما كثر بينهم في
ذلك لاختلف ولم يحصل منهم فيه على ما اكتبه ائتلاف صعودت الى
الشيخ رضى الله عنه مع بعض اصحابه متعرضين في المسألة الى جوابه
فقال وقد اطعم الله من امر اختلافهم على سره ما عرفوا راسه من رجله
من ظهوره منقبته له ظاهرة وكرامة باهرة

يخطبنا عن سرنا وهو غائب كانا باذن منه نستودع السرا
ويبدى لنا اخباره الامر لا نرى لاختلافه عن ذا وذا انه يسدري
فعلت بشارة الشيخ ان اختلافهم لا اثر لثقله واثبت من ذلك ما تراه
وعهدة القول على قائله وكان جده عروس المذكور من اكابر الصالحين على
ما ذكره قرابة الشيخ والله تعالى اعلم واما نسبه رضى الله عنه فالذى عند
قرابته فيه وعليه انعدت عقود اشريتهم وغيرها انهم هواره وحدثنى الثقة
انه سمع الشيخ في غير ما موطن يقول نحن من عرب تميم وكذلك سمعته
منه رضى الله عنه فهو على هذا تميمي والله اعلم ومولده بقرية بالجزيرة
القلبية على مسافة خمسين ميلا عن تونس اسمها المزاتين بوادي الرمل
حدثني الشيخ المسن ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن عروس وكان يهاجر
الشيخ رضى الله عنه في سنة وقد سالت عن بداية الشيخ رضى الله عنه
عندهم وحاله في صغره قال كان يدعى عندنا باحمد الرضاع من اجل
انه كان ملازما للرضاع وهو في سن من يلعب مع الصبيان ولقد رايت
يلاقى امه وعلى ظهرها جرة الماء قد استقنتها وهي منقلبة بها الى بيتها فيختلف
لها لترضعه فتحنى عليه وهو قائم وتناولته ثديها قال وامه مسراتية النسب
واسمها سامة تايمت بموت زوجها والد الشيخ وتزوجت وحملت معها
ليبت زوجها الشيخ لصغره منه دون اخويه لأكبرين ابى بكر وعبد المغيث

وابو بكر اكبر الثلاثة ولم يترك والده سوى الشيخ واخويه المذكورين
وما زال مع امه الى ان مات زوجها واولاده من غير امه لوباء استاصلهم
فرجع الى اخويه واهله وقال لهم حين رآهم جاءت في الثغر مات هو
واولاده يريد زوج امه وسلمت انا وامى فضحكوا منه لمقاتته هذه رضى
الله عنه قال قرابته كان ابغض الناس اليه ارباب الدنيا لا يبالغهم ولا
يدانيهم ولا يعاينهم ولا يجالسهم واحب الناس عنده اهل الخمول والفقراء
والمساكين ياوى اليهم ويألفهم ويتسول لهم الطعام بنفسه ويخدمهم ويبالغ
في اكرامهم وبرهم ما استطاع قالوا وكان على صغره هو الذى يقيم
المسجد ويقوم بسائر ما يحتاج اليه مبالغا في ذلك عاكفا عليه وكان اذا رآى
احدا من المسافرين القادمين على موضعهم يحمل على عنقه جرة بالماء
ويتلقاهم بها على مسافة بعيدة تخوفا عليهم من لحوق العطش قالوا وكان
اهل قريتنا يتوسمون فيه الصلاح والخير على صغره بحيث ينادونه
فيما بينهم يا مرابط قالوا وكان من امه انه اذا وجد بقرا او غيرها من المواشى
والدواب تحوم حول الماء من شدة العطش يأتى بسالدلو ولا يزال يملأ
الى ان يروى كل ما هنالك من الحيوان كثر او قل هذا دابه وشفته حنانا
ورحمته رضى الله عنه قالوا من قريب اتقايته في ذلك انه مر ذات
يوم برجل يسنى الماء على فرس له لسقى زهره فرأى بها من الجهد والتعب
ما حمله لفرط شفقتهم على ان قال لصاحب الفرس اليهائم في زرعك
ليصرفه بذلك عن العمل فبنفس ان غاب عنه شخص الرجل نزع الحبل
من صدر الفرس وردة في صدر نفسه بعد ان ابعدها وجعل يسنى الماء
مكانها وكان رضى الله عنه صحيح البنية سويا وجاء صاحب الفرس
فألقاه على تلك الحالة فانكر عليه ذلك فقال له دعنى اعمل لك في مكان
فرسك واترك سبيلا فانها تعبت مسكينة فسبحان من الهمه على صغر
سنة رشده ووقفه الى مسالك الخير وما بلغ اشده وخيب اليه اقتناء
ارباح هذا التجو وعرفه مدلول في كل ذى كبد وطية اجر عنساية له

سابقة شرح الله بها لاعمال البر صدره واطهر بعد حين من الدهر في سماء
الولاية بدره فلذلك كان يعمل ولا تكليف كانه الراغب الراهب ويسعى
كلها بما عجز عنه المكلفون سعى من شملته المواهب

زكت منه في اصل الخليفة طينة لها قلبه بالخير للخير يجنسح
فبانت لنا منه عليه شواهد وكل اناه بالذي فيه يبرشسح

ثم انه رضى الله عنه فر عن اهله قبل بلوغه وجاء الى تونس وآوى
منها الى زاوية الشيخ ابي عبد الله محمد المحبوب التي عند جامع الهواة
وصار يقرأ القرآن باللوح ويخدم الزاوية المذكورة في كل ما تحتاج اليه ثم
انتقل منها الى الزاوية التي بالسواوي وكان شيخها حينئذ الشيخ الصالح ابو
زيد عبد الرحمن بن البنا وكان ايضا يقرأ القرآن بها ويقوم بكلف خدمتها
كلها وحدثني ابن عوين قتل اخبرني من اثق به ان الشيخ رضى الله عنه
جود القرآن على الشيخ المقرئ ابي عبد الله محمد الحسيب بسويقة عساكر
من تونس قرا عليه ختمه كاملة لورش وانه رضى الله عنه كان يحضر

مجلس الشيخ الفقيه السيد ابي محمد عبد الله الباجي بمدرسة المعرض من
تونس قال واتفقت له مع هذا الشيخ اتفاقية عجيبة اخبرني بها الفقيه
الاكمل ابو محمد عبد الرحيم الحصيني وكان من طلبته الشيخ الباجي المذكور
قال كنا في جماعة من الطلبة نقرأ على الشيخ ونحن جالس عند باب
المسجد من داخل بحيث ان الداخل والخارج بهما منا فيبيننا نحن في
امر قراءتنا واذا بسيدى احمد بن عروس متوجه الينا واعصاه تظلم بالماء
وقد توضع في الميضاة وهو خارج من المسجد وما كان به قبل ذلك فسقط
في ايدينا حين رايناه خارجا وما كنا رايناه في المسجد قبل ذلك زاد الامير
لاجل ابو محمد الحسن ابن الامير لاجل ابي الذبيح اسمعيل ان الشيخ
المذكور قال لطلبته هذا الشاب من اولياء الله او قال ولي الله زاد غيره
انه قسال اما انا فلا اشك ان الحائط شق لهذا ودخل منه وكان رضى
الله عنه ملازما لخدمة مقام الشيخ الولي الرباني سيدى محرز بن خلف

نفع الله تعالى به ثم انه خدم نشارا للخشب بدار العود وخدم ايضا نجارا
بالزويجين خارج باب السويقة من تونس قال واخبرني والدى انه
راة يتجر الحمايرث بقرية لانصارين بجبل شعيب غربى تونس وخدم
وقفا بفرن الجمال بمقرية من زاوية الشيخ الولي الكبير ابي محمد عبد
العزيز المهدي رضى الله عنه ووقف ايضا بفرن زاوية الشيخ الصالح
ابي محمد عبد العزيز الطلبي بطبلية قرية من دمل المهدية وخدم في
عمل البنين ووقف بفرن القصية من بلد بنزرت مدة فكان قرابته على
ما حدثني به من ادركت من مشايخهم لحقتهم معرفة من وضعه نفسه بهذه
الواضع وامتهانها بوقوفه مع هذه الصنائع وما دروا انه يبني لهم بذلك
الشرف الدائم والفخر الصميم القائم فاجتمعوا ومضوا لباتوا به من قصية
بنزرت المذكورة دفعا لما توهموه من حقوق المعرفة وجلبا لما تخيلوه من عاجل
المسرة وليس مراد الله منه مرادهم ولا قدره القدر الذي يعلمونه ولكنهم قاسوا
سرائر غيبه بشاهدهم والسر لا يفهمونه فلما وصلوا اليه ووبخوه على ما
ارقف نفسه فيه من معاطاة هذه الصنائع ولا موه على ذلك وعزموا عليه
في اسعافهم الى مرادهم منه وتخليه عما تسلك به من هذه الامور فكانه
رضى الله عنه اظهر لهم لاسعاف فيما ارادوه منه وباتوا بالفرن عنده على
هذا واکرمهم معلم الفنون الكرامة الوافرة وجعل يحدثهم عن الشيخ متعجبا
من حاله وانه يعطيه لاجرة ولا يقبل منها الا ما يقيم له اوده فلما اصبحوا
وطلبوا منه الوفاء بما جاءوا من اجله والخوا عليه في ذلك استافى رضى
الله عنه على قفاء وقال لهم كروني من كراي ثم سكت عنهم وتركهم على
ما هم عليه من اعلان الملام وتوسيع دائرة الكلام

عابوا المحب وقد راوا لغرامه اثرا اعاد ربوعه آسارا
عذله ان خلع العذار ولو دروا سر الغرام لا وسعوا لاعذارا
كم ين من يستعذب التعذيب في مرصاة من يهوى ويصلى النارا
وخلى قلب ليس يعلم ما الهوى ابسدا ولا يدري الحمى والدارا

فدعوا الملام واعذوا ان الهوى ما بيننا قد اسبل الاستسارا
ولما وصلت من تونس الى بلد بنزرت المذكورة في شهر ربيع الاول
الشريف من عام ثمانية وستين وثمانمائة دخلت مع من كان في صحبتي من
فضلاء الاخوان للفرن المذكور لنقف به على معاهد من نهواه ونعفر
الوجنات في آثار من ملك القلب هواه ثم انه رضى الله عنه انتقل من
قصبة بنزرت الى باجة وكان اكثر جلوسه عند باب الجامع لاطم منها
وكان مدة اقامته بها يعتمد الى كافدة التي ياتيها الجزارون ايام رخص
اللحم عندهم فيفسلها ويجعلها في برمة ويطبخها اما على نار افران الجيارين
او يلقط ما لا به من القشب ولاعواد الملقاة ويطبخ على
نارها وغالب اقتياته من ذلك وكان رضى الله عنه ياكل المنبذات من
المحضر والكسر الملقاة ولا يتسول ولنا في معنى تجرده عن اسباب الدنيا
وتخليه وتزبيته بحلى الزهد فيها وتحليه

بانث له اعلام نجاد والحمى فتشوقت لوصاله لبلاء

فاشار مهلا فاللقاء مقسور ومضى سريعا في رضا مولاه

متخليها مسا سواه مجسدا ولكل شئ تاركها لآلاه

ثم انه رضى الله عنه انتقل الى ميله وجلس بها لتاديب الصبيان قال
ابن عون المذكور ولم نزل نسمع الشيخ غير ما مرة يقول كنت مودبا للصبيان
بميله قال ومن هنالك انصرف الى المغرب واقام بمقام الشيخ الولي الكبير
ابن مدين شعيب رضى الله عنه مدة بعباد التماسان فقال وكنا نسمع ما
يقصص انه دخل فاس في ايام ~~ووصل الى مراكش~~
ودخل سبعة اعاذها الله لاقامة كلمة التوحيد بها ومن كلامه الدال على
صحة ذلك المستفيض النقل منه قوله رضى الله عنه

جميع البلاد شولست حتى لسبتة المحمينه

انا مثل بنزرت ما رايت الوادى وسط المدينه

ثم يقول رضى الله عنه كذاب فرج كذاب من شكرلى بلد العناب بهذا

اللفظ وهذه الصيغة واقام بالمغرب لاقصى مدة طويلة ثم عاد الى تونس
وقد شب واكمل وعلى ما اهل له من المعارف الربانية اشتمل فاشرفت
بمقدمه الكريم بقاع الارض وصمت البركة القطر لا فريقي بالطول والعرض
ولكن انهم ذلك في طي خموله وانكتم وسر إلا عن اهل الخصوص الى
ان اكمل امره وتم ولو انكشف الحجاب المحائل وعلم ما اليه امره آيل
لانشد مغتبطا بقدمه كل انسان وكل جارحة منه لو امكنه ذلك لسان
عدتم فعادت ليالى الوصل اعيادا من قربكم ولذيذ الانس قد عادا
ابنتم الصبر ما ابنتم فانفسا لاجل ذلك ارى لاغواء ارشادا
واليوم سامحنى دهرى بوصولكم وصالح الصلح وفي بعد ان عادا
لا وحش الله عيني من جمالكم يا نورها لاقصى الدهر اسعادا
حدثني ابن عون المذكور عن الشيخ الصالح ابي الخير الزنجارى التونسي
تلميذ الشيخ الصالح ابي الفتح يعني رحمة الله تعالى عليه قال اجتمعت
بالشيخ رضى الله تعالى عنه بعد قدومه من المغرب بالسوق الجديد من
تونس المحروسة فقلت له اين كانت هذه الغيبة فقال لي رضى الله عنه
كنت اوعى الدواب فان هذه النفس ما وجدتها تصلح إلا لوعى الدواب
تصدى ليخص من امسره باين فابدا الجوى بالجواب
اذا كان يرضى ومقصدارة كما قد علمت برعى الدواب
فحق لنا بعده ان نرى بعين الحماقة وهو الصواب
قال ولم يكن السوق المذكور هنالك حينئذ وانما نشأ بذلك الموضع وعمره
الله تعالى فيما نراه ببركة حلول الشيخ فيه واقامته به فانه رضى الله عنه
كثيرا ما كان يارى اليه ويالف خرابه قالوا وتلك عادة الله تعالى التي هي
من الشيخ مالوفة ومن خوارقه الخارجة من السنن المعقول معروفة اذا
أرى الى خراب عاجلته باذن الله العمارة او احتل بمكان ظهرت فيه
من سره اماره كانا اليه يرشد من قبلنا ينشد

تحبى بكم كل ارض تنزلون بها سكانكم لبطاح الارض امطار

وتنظر العين منكم منظرا حسنا كاسكم لعيون الناس ابصار
 وكان رضى الله عنه حينئذ حسن الهيئة نظيف الحال يلبس عليه جبة بيضاء
 من صوف وشماته بيضاء ويلبس القبقاب في الشتاء والصيف ويعمل من
 الخلفاء زمامه وكان يشهد الصلوات كلها بجامع الزيتونة ثم انه رضى
 الله عنه اخذ يسترحل مقامه العالى بحال التلوين ويخفى بذلك عن
 امثاله قدره الشامخ المكين واول امره في ذلك تلوين الحال واظهار الحقيقة
 في صور الحال وقد انشدت في معنى امره وان كنت اجهل الناس بقدره
 ارتها حسنها المرأة يومها فبادرت الحجاب ومرتعت
 وواجهت الحب فكاد يصبو وفي شرك الهوى قد ارقته
 فابتدت غيرة منها لبوسها بيوس الحال منها ارقته
 فابصرها ففص الطرف منها فصانت حسنها واستدفعته
 ثم انه رضى الله عنه اتخذ الصرائر ولم يحملها دفعة واحدة ولا نقلها
 في آن واحد وانما كان الامر فيها على التدرج ليكون له بذلك على ادب
 السلوك بعض تعريج وان كان رياض رياضته شميم الخمائيل اريج فصر
 اولا في طرف كسائه صرة قدر النارجية ثم زاد فيها الى ان صادت قدر
 الصاع ثم قدر الويعة ثم كذلك الى ان عظمت جدا وصارت جملة
 صرائر فاخذ لنقلها خشبة عافها بطرفها وجعل يحملها على كتفه لايمن
 ثارة وعلى كتفه لايسر اخرى وهو رضى الله عنه يمشی بها في سائر ازمة
 تونس بحيث انه لم يترك منها شارعا الا مربيه ولا موضعا من عمرانها
 او خرابها الا سلكه او آوى اليه

كما يراه اخو بئ يمر به فيكشف البث مرآة ومنظرة

وتعمر الارض بالسر المتساح له ويترك التصدي في الدارين مبصرة
 وكانت هذه الصرائر حمولة عظيمة ومن اعظم الادلة على ذلك ما حدثني
 به ابن عون المذکور قال حدثني من اعتقد صدقه وسماه ان الشيخ
 رضى الله عنه مر يوما بسوق الجزارين من تونس المحروسة وانزل

صرائره وقام بازانها فاذا بعريف الحماليين الذين يحملون الزيت وهو
 الحاج عثمان الاسماعلى وكان آية وقته في حمل الانتقال فجاء الى رحل
 الشيخ رضى الله عنه وهذه ليحمله على وجه الامتحان فلم يقدر على ذلك
 فلما ان بان عجزه وظهر للناس انهم قد قدرته على ذلك قال يا جماعة
 المسلمين بلغت حلقى ثمانية قناطير او قال اكثر وعجزت عن هذه الصرائر
 كما ترون فما يحملها هذا الرجل بقوة انسانية ولا بقدره بشرية وانما
 ذلك بامر رباني وسر الهى وكان رضى الله عنه يحملها دين كلفة في
 حملها ولا مشقة يظهر اثرها عليه وربما يعلق بها برمة فيها ما يطبخ وهي
 على نارها كانما هي بالارض وهو يمشی بها كذلك وبها قد كان اشتهر بابي
 الصرائر وسارت به الرفاق كاشل السائر

وايس لهذا لقوة وانمسا لما سوف يبدى من خفى الصرائر
 فاهم ايهام التماثل امسره ليخفى سين السر صاد الصرائر
 حدثني الشيخ الصالح ابو الحسن علي المقدم بموضع من دخلت الجزيرة
 القبلية في شهر ربيع الاول الشريف من عام سبعة وستين وثمانمائة قال
 كنت ليلة من ليلى الشتاء الشديدة البرد الخارجة في ذلك عن الحد
 بتونس في علو مشرف على طريق الناس فادركني من البرد ما لم اقدر
 معه على العمل ورميت النهوض الى شئ من العبادة فما قدرت مع اني
 على فراش وعلي من اللباس ما يليق بمشلى فكافى خوطبت في حرى
 اخرج راسك من هذه الطاق فاخرجت راسي واذا سيدي احمد بن
 عروس تحت الطاق واقف وسط الطين وحمولة صرائره على كتفه وهو
 مستقبل القبلة فاخذني العجب منه ومن تجلده الذي لا يطيعه احد غيره
 وجعلت اعط نفسي به وقد صغرت عندي وما زال على هذه الحالة لا
 ينقل قدما عن موضعه ولا يحط حمولة وانا كلما آذاني البرد في وجهي بالنظر
 اليه عدت الى موضعي فاذا وجدت من نفسي قوة عدت اليه الى ان طلع
 الفجر فسمعت حينئذ قال لا اله الا الله ومد صوته بها ثم انصرف رضى

الله عنه حدثني الشيخ الثقة المسن ابو عبد الله محمد بن شجرة قال كان من امر الشيخ رضي الله عنه ايام حمله الصرائر اذا ادركه الاذان وبالقرب منه مسجد من المساجد يلقى رحله بالارض ويؤذن عند باب ذلك المسجد ثم ينصرف وحدثني الشيخ الكامل المسن ابو محمد عبد السلام بن محمد القطان وهو اقدم اصحاب الشيخ واكبرهم سنا ان الشيخ رضي الله عنه كان في اول امره الى بداية حمل الصرائر ملازما للجماعات والجمعات حريصا على ذلك مبالغا في مراقبة اوقات الصلوات وحدثني ايضا بذلك غير واحد قال وكان من سيرته رضي الله عنه انه يتوضا في ميصاة ابن عبد السلام القريية من جامع الزيتونة عمرة الله فاذا اكمل وضوءه عمد الى ابريق في رحله وملاء بالماء ليغسل به رجليه عند الخروج للنظافة فاذا فعل ذلك ولبس قباية ووصل الى باب الجامع المذكور وقف هنالك وجعل يروح رجليه في القباية يجففهما بذلك من الماء فاذا جفئا دخل الجامع وعنده على فم الابريق قاعدة ابريق آخر يضع تلك القاعدة للقطع بطهارتها وجفافها قريبا من مصلاة ويضع فيها ابريقه لئلا يصل الى فرش الجامع من ابريقه ما عسى ان يلوثه وحدثني ايضا الشيخ المسن المذكور قال كان من سيرة الشيخ رضي الله عنه وقد تنامت في الثقل صرائره انه ياتي الى معاصر الزيتون ايام العمل فيها فيجد هنالك الفيتور فيسال عن اربابه فاذا اخبروه بصاحبه سال منه الاذن في الاكل منه ولا بد ان يجيبه الى مراده فيجلس رضي الله عنه للاكل منه ويطلب الماء فيعطى الماء الذي لا يساغ لكونه ملحا اجاجا فيتناولوه فير سائل عن حقيقة امره ويأخذ في اكل الفيتور ويسيفه بذلك الماء وهو غير مشتمز النفس من شئ من ذلك وهم في حجب من امره فاذا قضى من ذلك نهمته حمل صرائره وانصرف رضي الله عنه وحدثني الشيخ المسن المذكور ايضا قال كان الشيخ رضي الله عنه ايام حمل الصرائر كثيرا ما يباسط النسوة ومن صغر سنها من البنات ويداعبن ويخاطبن في اثناء ذلك من الكلام الذي اجري الجدل

فيه مجرى الهزل بما ينهين الدهر اليه ويوقفهن بعد طول الامر عليه فتعين كل واحدة منهن ما خاطبها به برحان امره وتقف من ذلك على خفي سره رضي الله عنه فمن ذلك ما حدثني به الشيخ الحاج الناسك ابو عبد الله محمد بن محمد الربعي عرف المذغبي قال كان الشيخ رضي الله عنه ايام حمل الصرائر وطوافه بها كثيرا ما يتروى الى دارنا ويتعاهد الوقوف على والدق فانها كانت صالحة الحال وكانت معلمة للبنات تغزلن وكما نرى ان كثرة تردد الشيخ اليها انما كان لسمع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من افواه الصغار فانهم يغزلن مصليات على النبي صلى الله عليه وسلم حسبما هو معلوم في ذلك فندهن فكانت امي اذا راته تقول له الى متى تحمل هذه الصرائر فيقول لها حتى يريد الله يام الحجاج ثم يقول لها اسقني الماء يام الحجاج وكلما خاطبها يقول يام الحجاج ولا تلقى لكلامه هذا بالا قال وكان لي اخوان صغيران جدا فانلق بعد الامد الطويل ان حج اخي علي وهو اوسطنا مشر حجب وصار هو صاحب العلم بالركب وهججت انا بعده ثلاث حجج وحج اخونا يحيى حجة واحدة توفي فيها ودفن بتلك الاماكن الشريفة وحج ولده بعده اربع حجج قال فحيث فهمنا معنا اشارته ومدلول بشارته ونرجو من الله جل جلاله ان يبقى ذلك في عقبنا الى يوم القيامة ببركة الشيخ رضي الله عنه فهذا سر هذا الشيخ بساد ولكن من لنا باللهم منه نطالب بالدليل على مسلاه وقد ثبت الدليل عليه منه

وما زال امر كرامته رضي الله عنه دائم الظهور وحاله فيها في البداية والنهاية مشهور حدثني ابن عون المذكور قال حدثني الشيخ الصالح ابو القاسم القديدي وكان من اكابر الصالحين رحمة الله عليه بمسجد سولان من جبل مرسى تونس المحروسة قال كنت ايام الشبيبة لازم السواحل بقصد الرباط فحانت علي مرة صلاة المغرب برأس الحمراء مرسى من عمل بونة وهي من المراسي المعلومه فاذنت لها واقمت الصلاة وما معي هنالك احد

من الناس فلما دخلت في الصلاة واستفتحت القراءة وإذا بسيدي احمد ابن عروس قد اتى الى موضع قريب مني فاقام الصلاة وصلى فسلمت قبله وقصدته فلما رأى توجهي اليه ولى منصرا عنى فتبعته هو يمشى وأنا اجرى الى ان غاب عنى وقد كان الامر في هذا قبل ان يحمل الصرائر فلما حملها اجتمعت به يوما قريبا من السوق الجديد الآن بتونس وكان حينئذ خرابا فلما رأيته قال لي ايما اشد مشى او جريك رضى الله عنه اذا كان هذا في البداية امسره واحواله في الناس ليس لها رسم فكيف اذا حال الروح وقد غدا وكل المعالي من علاه لها رسم ومنه ايضا قال حدثني الفقيه ابو عبد الله محمد الحمي عرف حلال وكان احد طلبته الشيخ الفقيه الصدرابي العباس احمد الشماع رحمه الله قال كنت ساكنا بمدرسة جامع الهواء من تونس وكان لي مسجد اصلي به اماما فمررت اليه لصلاة الظهر فوجدت سيدي احمد ابن عروس حول معصرة العدة بموضع كان هنالك خرابا هو الآن زاوية عمرها الله تعالى ببركته وصرائره حوله رضى الله عنه وبرفته على النار وهو يدخل يده فيها ويخرج منها وياكل فناداني وقال لي كل ففهممت بادخال يدي في البرمة كما يفعل فلم اطق لحرارة البرمة فقال لي كل فقلت احترقت يدي فادخل الشيخ يده في البرمة واخرج منها الطعام ووضع في يدي معتدل الحرارة ثم اكل وقال كل فادخلت يدي واخرجت لقمة باردة واكبتها ثم قال لي كل فرمت ان ادخل يدي في البرمة كما ادخلتها اولا فما قدرت على ذلك واحترقت يدي قبل ان تصل الى الطعام فصحك رضى الله عنه وقال لي هكذا الرجال ياديون هكذا ثم قال لي تكون من اولادى فقلت له نعم فلزمت صحبته من يومئذ رضى الله عنه وحدثني الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد بن احمد المسلاقي الخراز شهر ابو خريصة قال كنت اماما بمسجد سيدي ابي عبد الله المغربي فاتفق ان كانت ليلة شديدة البرد كثيرة الامطار شديدة الظلمة مع كثرة الطين وكنت قليلا ما اجمع به فصلينا

العشاء الاخيرة واوترنا وخرج الناس ولم يبق في المسجد احد فيرى فسمعت حركة انسان في الميضاة فاخذني العجب من ذلك وقصدته فاذا هو الشيخ رضى الله عنه فقلت له ما هذا ياسيدي احمد فقال امض لشغلك فلم ازل عنده الى ان ثوضا وغسل ما تعلق به من الطين وحينئذ خرجت وتركته هنالك وصرائره حوله فقال لي اغلق باب المسجد علي فافلقت عليه الباب وانصرفت فلما كان آخر الليل قبل طلوع الفجر جمعت الى المسجد وفتحت فلم اجد له هنالك اثرا رضى الله عنه فحسب الجاهلين به وحسبي فخامة امرة عند البدايات فمن حسنت بدايته وصححت هدايته تصح له النهايات ثم انه رضى الله عنه لازم فندق الرصاص الذي هو بزاز حوانيت العدول مدة يسيرة ثم انتقل الى الفندق الذي هو اليوم زاوية الجليلة القدر المنيفة الخطر وهو حينئذ في ترتيب امرة كله كساتر القنادق بل كان فيه من الخناء وانواع الفسوق ما لم يكن بغيره من القنادق وما السر إلا هكذا ليس ان يرى وقد جل قدرا في مكان له قدر لان حل هذا النور موضع ظلمة ففي الليلة الظلماء يستحسن البدر اليس عجيبا حله وهو حفرة فعاد رياضنا منه ينشرح الصدر فكان جلوسه منه اولا عند الباب فاذا جن عليه الليل آوى الى سقيفته ثم انتقل الى وسط قاعته تحت سقف الطبقة العليا منه ثم كذلك على التدريب شيئا بعد شئ بامداد بما يهوى حشسى تملكه واظهر فيه نورا بامر الله والطف الحشسى حدثني الحاج ابو عبد الله محمد المسراق الجزري وكان محترقا للصدق على ما اخبرت به وقديما في معرفة الشيخ على ما حدثني به هو و غيره ان الشيخ رضى الله عنه كان يمازح من هنالك من الخرازين الذين حول الفندق المذكور ويصارعهم ويعاملهم بما يليق بقولهم ويوافق طباعهم استيلافا لهم وجبرا لتلويمهم ويدفعهم عند مجاوزة حد الادب بالتى

هي احسن وما يفتح به عليه من الطعام يطعمه لهم ولم يقدم عليه من
الواردين ولسكان الفندق مع مجاهرة بعضهم بالكذب اثر وعدم الوقوف معه
على حد الاحترام وقلة المبالاة بامر مع الارزاء بعظيم قدرة رضى الله عنه
لين هزهوا بمنصبه وازروا فسوف يرون عاقبة الامر
وسوف ترى الملهمة متبهما اذا امتاز البغاة من الصقور
فتحمل من لها في المحسن اصلا على يد ما جد سامي الظهور
وتلزم وكرها الاخرى وتقصي ويتشف ريشها بين الطيور

وطهرت له رضى الله عنه وهو بقاعة الفندق خوارق ولاحت من مقامه
العالى وهو بصفة ما ذكرناه بوارق منها ما حدثني به الشيخ المعتد ابو
الفضل قاسم بن احمد الزيات وكان من لا قدمين في معرفة الشيخ على
ما اخبرني به هو ومن اتق به غيره قال اخبرني انسان سماء ممن كان
يسكن الفندق المذكور ويرتكب فيه الكبائر مخبرا عن نفسه والحسن ما
شاهدت به لاعداء انه كان متعرضا لاذية الشيخ بالفعل والقول غير
متنه من ذلك قال فاتفق لي اني اغلقت باب البيت علي والقيت
نفسى في صورة النائم وانا يقظان واذا بالمخاط قد انشق وشاهدت ما كادت
تزحف عند مشاهدته نفسى واخذت من الخوف والذعر ما لا اقدر على
وصفه ولم يذكر ما رآه من ذلك قال واذا بقائل يقول لي ان عدت الى
اذاية سيدى احمد ابن هروس لا تلوسن لآ نفسك فخرجت في الحين الى
الشيخ وهو بقاعة الفندق وترايمت على رجليه وانا ابكى معتذرا مما سلف
منى من لاذية متغلصا من ذلك وهو رضى الله عنه يقول لي ايش رايت
وانا اقول يا سيدى اتى تائب الى الله تعالى لا اعود ثم انه لاطفى وصرفنى
رضى الله عنه ومن يومئذ انا على اعتقاده وتعظيمه رضى الله عنه ونفع
به واما المخنث الذى كان يوذى الشيخ رضى الله عنه فقد اختلف
النقل عندنا في حكاية بين القطان والجزرى المذكورين وان كان الراجح
عندى والظاهر كونهما قضيتين لعدم تواردهما على محل واحد في زمن

واحد مع ثبوت تعدد المخنثين فان حكاية الجزرى ذكرها والشيخ في قاعة
الفندق ولم يدخل بعد الى البيت وستبها بعد هذا في الباب الثانى ان شاء
الله وحكاية القطان ذكرها والشيخ في البيت قال فيها كان هذا المخنث يوذى
الشيخ غاية لاذية مستمرا على اسبابها فعلا وقولا الى ان بلغ من اذايته
انه اتى العذرة على الشيخ رضى الله عنه من كوة في البيت التى فوق
بيت الشيخ قال فلما اصابه ذلك لم يزد على ان قال ما هذا الكفر فقال
وطلب الشيخ الماء وغسل ذلك من نفسه واتفق ان اصاب المخنث
بلاء عظيم في جسده وتعلقت به رائحة لا يشم انفس منها واعينه الحيلة
في ذلك فاجا الى الشيخ معتذرا من ذلك متذللين يديه والشيخ يعرض
عنه في ذلك كله فلما طال عليه الامر وتفاقم حاله سافر الى باد العناب
ثم ركب منها البحر قاصدا للازدلس فاسر والعياذ بالله وصار في ايدي الكفرة
قال فبلغنا انه ارتد وانه مات على رذته والعياذ بالله تعالى ومن مستفيض خوارقه
رضى الله عنه ما حدثني به جمع كبير ان الشيخ رضى الله عنه كان اذا
راى احدا يبول في موضع في الفندق اعد لذلك يقول له لا تبيل في البئر
وكذلك اذا راى احدا اجتاز من ذلك الموضع يقول له دونك البئر لئلا
تقع فيه وما هنالك بئر بل ولا في الفندق كله بئرا وانما فيه الماهن الذى
هو اليوم في وسط قاعة الزاوية ولا يلتقى الناس لكلامه هذا بالا وانما يرون
ذلك من الكلام الذى لا محصول له فلما صار الفندق زاوية وبنييت
به البصاة وجدوا بئرا قديما في الموضع الذى كان الشيخ ينهاهم من
البول فيه وهو اليوم بئر الزاوية وما كان يعلمه احد قبل ذلك وجدنى
ايضا غير واحد من قدماء اصحابه وغيرهم انه رضى الله عنه كثيرا ما كان
ينادى على انسان كان يسكن من الفندق المذكور في بيت هو اليوم
في موضع المسجد وكان المسكين لاسرافه على نفسه يقترف المعاصى
في ذلك البيت مدمنا على ذلك يا عدو الله تعصى الله في بيت الله والناس
معرضون عن مدلول كلامه رضى الله عنه فاتفق ان صار ذلك البيت

مع سائر بيوت جهنم مسجدا وحقق الله كلامه عليه وطال عمر الرجل الى ان ادركته وقد عمى وهو يتسول في الاسواق والعيان بالله تعالى وحدثنى الشيخ ابو محمد عبد السلام القطان قال كان الشيخ رضى الله عنه ينادى اهل الفندق غير ما مرة يا فيران اخرجوا من الفيران وغاية امر الناس من ذلك سماع كلامه قل وما ظهر لهم مراد الشيخ الا بعد انتقال الفندق زاوية وخروجهم منها وهذا من لطيف كتابته رضى الله عنه عن فسقهم بجعلهم فيرانا فان النبي صلى الله عليه وسلم سمي الفارة فويسقته في حديث الامر باطفاء السراج وما زال رضى الله عنه على ما وصف من حاله بقاءة الفندق المذكور الى ان خلى بيت من بيوتهم فانتقل اليه وهو البيت الاوسط من الجهة الشرقية من سفلى الزاوية ويفتح للمغرب بحيث يراجه الداخل حديثي الجزرى المذكور انه اجتمع في دفع كرائته عنه اربعة نفر احدهم والد النقيب الصدر ابي عبد الله محمد البيدمورى متولى الاحباس للتاريخ بتونس الحرورية قال ثم ان من له الظرفى الربع السلطاني سمع بذلك فقال السلطان اولى بهذه المحنة واسقط مناب كراء البيت عن الذى اكثرى الفندق واقام به شيئا يسيرا ثم ادخل معه فيه صرائره واغلقه بالجماعة على نفسه ولم يترك سوى تشقيقا يسيرا بين دفقى الباب ومنه يتناول ما يبتنى به اليه من طعام وغيره قال الجزرى وامال الله تعالى اليه قلوب عباده فكانوا ياقونهم من كل ناحية افواجا واطلق الله له ايديهم بالعتاء الا انه لا يباخذ منهم الدراهم الا قليلا قال وكان يقول اذا مد انسان اليه شيئا من ذلك تعطوني واسألكم اما الطعام فيقبله من كل احد في غالب اوقاته ويعطى لمن حضر عنده وبعد ان اغلق البيت على نفسه لا يعلم له احد تصرفا في الطعام الذى يوتى به اليه على كثرته ولا يرد شيئا من الاواني التى ياتيها فيها الطعام واقام رضى الله عنه في البيت بعد فلقه على هذه الحالة مدة تقرب من سبعة اعوام ما خرج منها في هذه المدة قط الا ان يكون على وجه خرق العادة وما زال ما في البيت

من الحجر والنش والفخار يتراكم بعضه على بعض الى ان كاد يصل الى سقف البيت وصار يتناول ما يعطاه من فوق الباب مما يلى الاسكفة رضى الله تعالى عنه ونفع به

والناس عن سر هذا الامر في سنة لا يعلمون له ورذا ولا صدرا وكل احواله غيب وليس لنسا من علمها غير ما منه لنا صدرا وحدثنى غير واحد من ثقة العارفين بحال الشيخ رضى الله عنه انه كانت معه في البيت فيران كثيرة عظيمة الخلقة جدا وكانت لا تنفر منه ولا تنزعج من حركاته اخبرني ابن عون المذكور قال اعجب ما رايت معه للفيران انه رضى الله عنه اخذ الخبز وقتها بين يديه فاجتمعت عليه الفيران تتناهبه وبيدة قصيب يضرب به الارض ويقول مخاطبا لها على مهل واحد واحد ثم ان فارا من تلك الفيران صعد على الشيخ وتعلق بصدرة الى كتفيه وصعد الى سقف البيت والشيخ على حاله لا يتحرك ومما ظهر له وجوى البيت من المناقب واخبرني به من يتفقد احواله ويراقب ما حدثت به عن الشيخ ابي الفضل بن اسم بن غربال وكان على المعترف من امره ثقة ملحوظا رحمه الله عليه عارفا باحوال الشيخ رضى الله عنه قال اتيت الى الشيخ يوما وهو في بيته فلما رآنى قال النصارى نزلوا جربة فاعينى ذلك فلما كان بعد ايام ورد التعريف بنزولهم في اليوم الذى اخبرني فيه رضى الله عنه وعنه ايضا قال صليت صلاة عيد الاضحى عام سبعة وثلاثين وثمانمائة وجمعت لزوية الشيخ رضى الله عنه ولكتيل عليه فنظر الى وقال لي السلطان مات فقلت له سلطان النصارى ان شاء الله فقال لي ابو فارس يا ديوث هكذا فسقط في يدي وكنت فارغ الوقت من الطعام فشكوت له ذلك فقال لي لا تخف الحال يمشى بخير ثم ان الخبر واني بعد ذلك بموته رحمه الله يوم تعريف الشيخ بالمغرب على ازيد من مسيرة عشرين يوما عن تونس ومشى الحال بخير كما قال رضى الله عنه فاستقل بعده بالخلافة وقام باعبائها اوحد حفدته الاكبرين وتوجه من

المغرب لدار ملكه تونس وقد كان الخليفة المجدد المرحوم خلف بها نائباً عنه
في النظر في امور البلد وتواضعها صاحب وزارته فتغيرت بموت مخدومه
لامر اضمره في سريره وانطمست لما قدر من هلاكه بصيرته فاراد ان
ان يطفى من شمس الخلافة نوراً ويطلع اهله بدورا وكان امر الله قدرا
مقدورا فوجه الى الشيخ متجسسا عن غائب امره ودفين سره اعز بنيه
لديه واكرمهم عليه على ما حدثني به ابن عون المذكور عن ابن غربال
قال فلما وقف بين يدي الشيخ قال له الشيخ رضى الله عنه بعد ان
امرهم بنزع ما بسطوه لجلوسه اذا سالتك عن شئ تخبرني قال نعم قال
له انت هراو داخل فتاخر الولد عن الجواب وما زال الشيخ به الى ان
قال له هراو قتل له الشيخ علي الطلاق لو قلت لي داخل لقلت لك
كذبت ثم قال له انصرف والله ما بقي لكم فيها مغرزة فانصرف الولد
لا عز تحت امر لا يعلمه إلا الله واخبر بالوطن امه فجاءت الى الشيخ
مع بعض حواشيها من النساء بحيث لا يعرفن من الليل وحملت اليه
طعما وجعلت تبكي بين يديه والشيخ يقول لها هذا امر الله ايش اعمل لك
في حكاية طويلة واففق ان كان الوزير المذكور هرب آخر نهار استقبلته
تلك الليلة وكان اتفق ان خرج يوما من بيت الشيخ فاركبير لا ادري
قال قبل هروب الوزير المذكور او بعده وجعل يجري في قاعة الفندق
والشيخ رضى الله عنه ينادي في الحاضرين اقتلوه الخلوه هكذا ثم يقول لهم والله
ان منع منكم لامور المحججين لاصابنكم فما زالوا به الى ان قتلوه وتاملوا
عني لتحقق قول الشيخ فيه لامور المحججين فوجدوه امور العين كما قال
رضى الله عنه فاخذهم اعجب من ذلك واعجب من عجبهم ان الوزير
المذكور الذي هرب امور العين وان امره اياهم بقتل الفار انما كان كناية
عن قتل الوزير المذكور وكذلك كانت عاقبة امره في حديث يطول
جلبه ويصعد به من السامع لسرعة تقلب الايام قلبه
فسبحان من خص خلقا بمسا يشاء وخرولهم نعمته

وأظهر في الخلق تصرفهم ليظهر فيهم لنا حكمته
وزاد الثقة ان الشيخ رضى الله عنه قال لابن لاعز المذكور بعد الكلام
السابق ارني قبلك فزال لسلام العمامة عن رقبتى واراها له فجعل
الشيخ يقول خسارتك من رقيبته وبكره ذلك فلما امتحن بمحنة والده
قتل المسكين بفك رقبتى على ما قيل والله اعلم ثم ان الخليفة المذكور
قد استقر بدار ملكه وانتظمت فوائد المحاسن كلها بسلكه وكان الفندق
المذكور ملكا من الاملاك السلطانية التى لم فيها النظر التام والتصرف العام
فاسده الله تعالى وقد اعاده زارية بثوابه وشملت بحسن نية عناية من
ثوابه واصاف اليه من ربه الشريف جملة اصول فوصل الى مراده
من ربه بذلك ازكى وصول وللناس فى سبب امالة هتمت العلية الى
ذلك طرق تتجاذبها السنة الحاكين ومسالك ولم يصح لدى فى ذلك
ما ابني عليه او استند على يقين من امرى اليه وكل من الذلة الى صحة
نقله واكن ولم اقف من ذلك على ما يثلج صدرى ولكن
لا بد من سند لذلك وان خفت عنا بوارقه ومن برهــــــــــــان
فالامر جرد والعقول شريفة ان الملوك نقية لا ذهان
حدثنى الشيخ ابو سالم ابراهيم بن احمد عن الشيخ المعتد التالى لكتاب
الله تعالى الحاج ابى الشاء محمود بما حدثنى به الحاج ابو الشاء المذكور وقد
اجتمعت به عن نفسه كما كان حدثنى به ابو سالم المذكور قل جمعتنى
مرة بيت اللغاتف من الحلة المظفرة العثمانية مع الفقيه الارفع ابى سالم
ابراهيم السليمانى رحمه الله عليه وبعض كبار قواد الدولة الفاروقية
العثمانية فذكرنا سيدى احمد ابن عروس واخذنا نتفاوض فى امر كرامته
فقال الفقيه ابو سالم المذكور انا احدثكم بما وقع لى مع الشيخ رضى الله
عنه وجهنى اليه مولاي المتصر رحمه الله تعالى وامرنى ان اكتب جميع ما
اسمعه منه وارفعه اليه مكتوبا وكان رحمه الله قد اضمر فى نفسه سوال الشيخ
وتعرف ما عنده فى سبع مسائل قال الشيخ ابو الشاء المذكور فذكر لنا منها

ثلاث مسائل وطوى الذكر عن باقيها قال فقال لنا اول شئ بدلى به الشيخ
 رضى الله عنه ان قال لى وقد وقفت بين يديه جئت تكتب اجلس ثم
 قال اكتب الذين نزلوا مرج الزواغين لاتتهم منهم انا اكفيك مئونتهم واشارته
 بهذا رضى الله عنه الى عرب حكيم الذين نزلوا بالمرج المذكور لحصار تونس
 وقد كان الناس من امرهم في شدة فاصابهم من امر الله ما ازعجهم عن
 منازلهم تلك وما وصاوا الى القيروان الا بعد ايام من انفسهم واموالهم
 وذهب لهم من حيوانهم كثير وهذه احدى المسائل الثلاث ثم قال لى
 رضى الله عنه اكتب اردتها زاوية اعملها زاوية وهذه والله اعلم
 موامة في تحيس الفندق وعلم زاوية وهى ثمانية المسائل ثم قال لى
 رضى الله عنه اكتب وادخل راسه في ثوبه فاخرج سفرجلته في غير اiban
 السفرجل لا يرى احسن منها وقال لى تحمل له هذه ثم امسكها وقال
 ما معناه انها ليست كلها له ثم عنها فنزع منها شيئا يسيرا وناولته وقال
 ما له منها الا هذا والباقي شك الحاج ابو الشاء المذكور هل قال هو لاصيه
 او سكنت قال فكشيت كلامه رضى الله عنه في السبع المسائل ودفعت البطافة
 لولاى المنتصر واعطيته ما ناولنى من السفرجلته مصونا في كاشد وذكرت
 له انه اخرج سفرجلته صفتها كذا اطافى منها هذا ولم اذكر له بقية
 كلام الشيخ تخوفا من ايلامه بما انهيه اليه من تمام اعلامه فقال لى ما
 اطلاك منها الا هذا فقلت له نعم فقال لى قال لك ما له فيها الا هذه
 الكديمة السمع والطاعة الذى عمل الله مبارك قال ثم امر رحمه الله
 بتحيس الزاوية وتوابعها على الشيخ واقاربه واخرج الله تعالى منها اهل
 الاذاية وكلهم رهين لسعات افاعي فعله وعقاربه فكانت هذه احدى
 كرامات الشيخ التى لا يخبر نورها ولا يخفى على من تنورت بصيرته ظهورها
 فقل للعائنين له استقبلوا فان الشيخ واسطة السلوك
 وقد ظهرت خوارقه ويكفى اخا التحقيق اذعان الملوك
 ثم ان هذا الخليفة الحبس المذكور قد انطوت ايامه وعاجله لما يرجوه من

الروح والريحان حمامه وطار من قفص سجن الدنيا الى سعة الرحمة حمامه
 وانظمت بعده كلمة التوحيد باخيه الارضى الوارث سر الخلافة تعصيبا
 وفرضا وهو الامام ابو عمرو عثمان الذى تجملت اليوم بذكره الماهر وارثوت
 بشائه العطر افواه الافلام من امين النجار ومد الملك اليه ودادا بد لانتقاد
 وما كان استعجلمه واسفرت العاقبة انه في اشارة الشيخ هو صاحب
 السفرجلته وكان اتفق في اول دولته المباركة ان المزوار الهلالى اتى الى
 الشيخ رضى الله عنه زائرا وهو حينئذ في البيت السفلى فاخرج الناس
 ليخولوا مراده بالشيخ واراد اخراج خادم الشيخ ابو حوال فجزره الشيخ
 عن ذلك قال ابو حوال الخادم المذكور فامر الشيخ رضى الله عنه ان
 ياخذ جبلا كان ملائى بقاعة الزاوية ويربط احد طرفيه بوسطه ويربط
 طرفه الآخر بسارية من سواري الزاوية فلما فعل ذلك امره ان يدور
 مع السارية ففعل وجعل كلما دار قصر الجبل لالتفافه على السارية الى
 ان التصق الهلالى بالسارية فقال له الشيخ زد فقال صفيا يريد الجبل
 فقال له الشيخ صفت لك اى فرغت ايامك ثم قال له الشيخ ايش
 اعمل لك ثم قال له انا نردك مثل البندقى بالجماجل مرجز على الحدادين
 فجعل الهلالى يقول ما نزل من السماء حملته الارض وما بقى بعد هذا
 الوطن الا اياما يسيرة جدا واخذة الخليفة ومات بدار الشافى والعياذ
 بالله تعالى من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء ومن كراماته
 الظاهرة عنه وهو بالبيت ما حدثني به ابو عبد الله محمد حماد الغريانى
 قال حدثني فلان لرجل سماء ذكر انه ثقة قال اجتمعت بالشيخ رضى الله
 عنه وهو حينئذ بالبيت برخص باب السويقة من تونس في وقت الثالثة
 فاخذني العجب من ذلك وجئت مسرعا الى البيت لاقف على حقيقة الامر
 فيما رايت فلما رآنى رضى الله عنه قال وهو يضحك طى كأنه يعبث بى
 اليست خوارقه حسده تدل على قدرة الشامخ
 وان معارجه للعسلى معارج ذى قدم راسخ

ثم انه رضى الله عنه لما تراكمت عليه البيت امتلاء بما فيها فتح في سقفها منقاصا صعد منه الى البيت الذى فوقه في الطبقة العليا وشرى قاعة الذى انتقل عنه مربعين عظيمين من الخشب شاهدتهما وقد اعدوا البيت وما حواياه من البيوت ووضعت للدفن بموت اول دفين فيها وهو الشيخ ابو محمد عبد الله بكسر الدال نائيه بالزاوية وولد اخيه رحمه الله واستفاد ان الشيخ رضى الله عنه لم يطلع له احد من خدمته لاقربين واصحابه المقربين مدة اقامته بالبيت على فضلا غائظ ولا شاهدوا له شيئا من ذلك بالبيت المذكور بخلاف السطح وكانت اقامته بهذا البيت العلوى على ما اخبرني به غير واحد نحو من ثلاثين شهرا قالوا ومنها ظهر فوق السطح في عام احد واربعين وثمانمائة قالوا واقام فوق السطح سنة او قريبا منها وليس بينه وبين الحر والبرد حاجز من بناء او غيره ثم انه رضى الله عنه اتخذ كساء تكنه واقفها باعواد ثم جعل يضيف اليها المحصر ويرقيها ويرسها شيئا فشيئا الى ان عانت نواته على ما ادركناه عليه فانظر الى تقلبات هذا الشيخ في قوالب الطوارة وانكماش امثالننا عن ادراك خفيات اسراره اخمص روض رياضته وتاراج وما زال لديه ما حلا والف مرافقة رفاق الحيين فلا تراه الا راحلا

لسلى بسلع وادى النقصا فنى في الغرام هو لا عسزل
يرى اللوم لوما بحكم الهسوى وعن مذهب الحق لا يعسزل
ويهبوى التقل لكن مستقى يقال اطمان به المنسزل

وكانت سيرته المستفيضة المعلومة بعد صعود السطح ان الزائرين لا يصعدون عنده الى السطح كما يصعدون اليوم ولا يصلون اليه وانما يصل اليه اقاربه لمناولته ما عسى ان يحتاج اليه او تدموه الضرورة الى الخدمة في مهم يراه عنده فيصعد اليه اصحابه بقصد ذلك وكان يخاطب الناس من فوق سطحه وهم وقوف بالممر الذى امام الزاوية وتارة يشرف عليهم من العلو الذى في طالع السطح من الزاوية ويخاطبهم من

المنقاص المشرف على وسطه وكل ما ياتي به الزائرون من انواع الطعام وغيره يتناولوه رضى الله عنه بحبل رقيق اعده لذلك وربما يحمل به الاشياء الثقيلة بحيث يخيل للناظرين ان الشئ المحمول محقق السقوط قالوا وربما يطمع رضى الله عنه الواقفين في سقوط الشئ المحمول حتى يتهيأ بعضهم لتلقيه فاذا راي ذلك من فاعله باسطه بقوله طمّاع اقام على هذه الحالة مدة طويلة ثم سرح للناس السطح السفلى وكان اخفض ارتفاعا مما هو عليه فكان الناس يقفون هنالك بين يديه ولا يصل اليه حيث النواته احد الا من ضرورة وعلى هذه الحالة ادركت امره في شعبان عام سبعة وخمسين وثمانمائة ولما كان في اواخر عام خمسة وستين وثمانمائة وجدت الامر كما كنت اعهد تبديل الشيخ رضى الله عنه الى محاطة الناس تنزل فكان يصل الى نواته القريب والقاصى والمطيع والعاصى وامره ذلك معهم بين القبض والبسط دائر والناس الى محله لا رفح بين مهول وسائر وقد تم ترتيب البداية ههنا على وجهه الارضى وغايته التصوى ولم امر الا بالذى صح نقله لادى ولم اجنح الى كل ما يروى فنبتة حلو كثرى رحيقها يروى وما بالبحر ما حافت يروى وما الامر مما يزدرى بحديثه ولا الشيخ من حظه عندنا الدعوى وقد بعدت شاوا شامخة قدوة فما ان يسامها سماك ولا هوا ولا بد هنا من الاشارة الى التعريف بقدرة العالى ومقامه الشريف الحال وذكر من شهد له بالولاية واعترف من كان في زمانه من بحر المواهب اغترف فمن ذلك ما كاتبنى به امين المملكة العثمانية وصاحب الاشغال الافريقية السلطانية وهو الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن الكماد وكان له على مكانة من اسند اليه حديثه هذا اصح اعتماد وقد وجه اليانا ان لا نعيد في النقل عن نص كتابه فاعراضنا عن ذلك بعد الانصاح به تعرض لعتابه قال يقول كاتبه العبد الفقير الى رحمة الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن الكماد لطف الله به وعفاه عنه سمعت من سيدنا ومولانا وشيخنا

ويزكنا الولي بحق والنايت الندم بصدق سيدى سعيد الصفروى رضى الله
عنه غير ما مرة يقول ابو العباس احمد ابن عروس من اولياء الله تعالى وهو
من السبعة الابدال وكان والدى رحمه الله تعالى ينهائى عن الدخول للشيخ
رضى الله عنه وكنا محاورين للشيخ رضى الله تعالى عنه فحضر يوماً
مجلس السيد الشيخ الولي الصالح العارف الكبير الشهير ابى عثمان سعيد
الصفروى رضى الله عنه والقارى يقرأ بين يديه بعض كتب السادة
المصوفة رضى الله عنهم والشيخ يتكلم ثم انه قال فى اثناء كلامه رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقسالى ابو العباس احمد ابن
عروس ولى الله وهو من السبعة الابدال فرايت والدى رحمه الله يبكى
حتى اشفقت عليه ثم انه انكب على رجلي الشيخ رضى الله عنه بعد
افتراق المجلس وقابله رضى الله عنه بخير ودعسا له فلما خرجنا قال لى
يا ولدى اقول كما قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رضى الله عنه لما
سمع كلام الشيخ القطب سيدى ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه
هذا هو الكلام العجيب الغريب القريب العهد من الله واستغفر الله ورجع
الى اعتقاد الشيخ الصالح الولي الغيث الكبير سيدى ابو العباس احمد ابن
عروس رضى الله عنه وتعظيمه واقلع عن اعتقاده الاول والشكر لله على ذلك
وكان كلام الشيخ رضى الله عنه مكشفة لوالدى رحمه الله وههنا انتهى
كلامه وثم على شرطه اعلامه

فهل بعد هذا حجة لاخى الحجة
ولى روى عن سيد الخلق انهم
وزاد بعض الفضلاء فى الحكاية ان الشيخ الصفورى المذكور رضى الله عنه
جاء الى الشيخ رضى الله عنه فى بقية ليلى التى رآى فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره عنه بما ذكره فلما كان عند صومعة جامع الزيتونة
عمده الله ناداه الشيخ رضى الله عنه من فوق سطحه الى اين الى اين
بعد آش بعد آش

كانه قال فلا جئت زائرنا والسر منا بسر الله مكنه يوم
 اما وقد بان مما قد رايت بمنا رويته فعليك البر محتمل يوم
 وماله في المكتبة المذكورة من مقول وهو على الشريطة السابقة منقول
 قوله وسمعت من الشيخ الحاج الصالح سيدي ابي القاسم الفيتوري رضي
 الله عنه قال كان الشيخ الولي الشهير سيدي عبد الومن رضي الله عنه
 يقف تحت السطح الذي الشيخ الآن به والموضع حينئذ على الصفة
 التي كان عليها في المديم وقبل ان يظهر الشيخ رضي الله عنه يقول يا فداء
 هنا نحلف العنديل ويكرر هذا الكلام وفي رواية اخرى عن ثيرة انه كان
 يقول يا رب جاعك قد بيلك

فقد ظهر القنديل بدخ وعساد في توسطه بدرا وام العلى شمس
فان غابت الشمس المنيرة اطلعت حقيقة شمسنا فمنسى وما امسى
ومن الصريح في رفعة مقام الشيخ رضى الله عنه وعلى قدرة وسهو درجته
عند الله تعالى وتركية سره ان احد اصحاب الشيخ الولي ابي عبد الله محمد
الجلاد رضى الله عنه وكان شاذلى الطريقة ومن ارباب الحقيقة كان ربما
يصل الى منزلنا بتونس المحروسة فاتفق ان الفاء يوما عندنا بعض اصحاب
الشيخ رضى الله عنه فاسر الي فيه ان هذا الرجل ممن لا يعتقد الشيخ
رضى الله عنه فكان الرجل ككشف بمقالته فقال لى مقالنا اما الشيخ
سيدى احمد ابن عروس فهو من اولياء الله وقد كنت مرة مع شيخنا الجلاد
فذكروا عنده الشيخ رضى الله فلم يجب فى امره بشئ ثم اعيد من الغد
الكلام على الشيخ فقال لا تقواوا فيه الا خيرا فسالناه عن موجب سكوته
بالامس وكلامه اليوم فقال انكم لما ذكرتموه بالامس بقى فى النفس من
ذلك شئ فلما كان الليل وخلوت بوردى خاطبني مخاطب من وراء طهرى
اسمع الصوت ولا ارى الشخص ابن عروس . من الرعوس ذكره يحيى
النفوس . عطية الملك القدوس . فقلت هذا من الشيطان فاءد الثانية
ثم اعاد الثالثة فاستغفرت الله تعالى

فهو مثل هذا الامر يصدر عن هوى ويرز عن هزل ويه دو بلا سسر
وما امر هذا الشيخ عنده اولى النهى سوى الشمس اشراقا وان كان في ستر
ومن ذلك ما حدثني به غير ما مرة الشيخ المسن ابو محمد عبد الكريم
الغرياني الناطن بتونس الحروسة وكان كثيرا ما يتعاقد الاربعينية
وكان باخباره عن نفسه لا يعتقد الشيخ رضى الله عنه قال اتفق لي مرة
في خلوة اربعيني ان الروحانية خاطبوني في امر الشيخ وكان من خطايهم
ان قالوا لي ما عندك في امر الشيخ فقلت اى شيه فقالوا ابن عروس فقلت
لا اعتقده فقالوا ولم لا تعتقده وهو من اهل العلم الا انى فقلت ايضا انى
لا اعتقده فقالوا انه شيخ الوقت قال ثم انتقلوا معى الى الكلام في امر المحضر
عليه السلام وذكر ما لا حاجة بنا الى ذكره هنا قال ومع هذا كله فالتفلس
غير منشحة منى الى اعتقاده قلت والى الآن فقال والى الآن وهذا هو
العجب العجيب دعى الى رشده فابى ان يجيب

تبدى له الحق لكن ابى وصد لسابقة ابعثته
واولاح من رشده لائح فكانت سعادتة ساعدته

ومن ذلك ما حدثني به الحاج الناسك ابو الحسن على النفاثى وهو من
فضلاء اصحاب الشيخ الاقدمين قال وجهنى الشيخ رضى الله عنه الى
بلد الحامة صحبت بعض فضلاء معتقديه من اهل الطلب لرجل سماه
وقد كان قاضى البلدة المذكورة لم يعامله بالانصاف في مرتبه الجارى
له على يديه من البداة المذكورة وبعد اجتماعى بالقاضى المذكور وبلغنى
معه في مراجعة الكلام الى الحمد الذى امضى باطنى وازعجنى خرجت
الى نفازة لرؤية الشيخ الصالح الشهير الحجة الواضحة الولي الكبير ابى
عبد الله محمد الزنجارى النفاوى رضى الله عنه وكان من اهل التصريف
والمقام الشريف فقلت له وقد اجتمعت به انت سلطان موضعك ولو
كان فيك ربع ما بعثنى الشيخ رضى الله عنه من تونس الى هنا فقال لي
والله لو تغير من قلب الشيخ مكذا وجع بين طرفى سبابته وابهامه

لاهلك الله به اقلها لكنه رضى الله عنه تخلق باخلاق الرحمة بحيث
ينفع الناس كلهم البر والفاجر قال ثم ذكر لنا امر قدومه الى تونس فقال
لما قدمتها اقمتم بالمزناقية قرية غربي تونس ثلاثة ايام وقلت لا ادخل
حتى ياذن لي اصحاب البلد فقال لي اصحابي ومن اصحاب البلد فقلت لهم
سلطانها سيدى احمد ابن عروس ونقيبها سيدى احمد شوشو ثم استاذنت
فجاء النقيب للملاقاة ثم ذكر لنا امر اجتماعه هو والنقيب المذكور بقاضى
الجماعة حينئذ وهو الفقيه القسنطيني رحمة الله عليه في مجلس الخليفة
وانه قال للنقيب وقد امعن في ذكر الشيخ رضى الله عنه سيدى احمد
ابن عروس من اهل الاذن مع الله تعالى ومعنى يقول قلت لربى وقال لي
ربى وانما اجاب القاضى المذكور وقد انكر عليه هذه المقالة بعد نشر
نسطاط المفارقة ونشر احاديث المعارضة في ذلك والمنافضة سيدى
احمد ابن عروس سيد الناس كلهم في وقته من هنا الى باب المشرق
ومن هنا الى باب المغرب وانا من بعض خدمته وانا جلست باذن الله
ثم باذنه فانظر الى اعتراف هذا الكامل له بالمنزلة التي حازها اتصلا
وقربا والمكانة التي ساد بها كافة اهل زمانه شرقا وغربا

وهذا وما احدث حقيقة حاله استطاع للسمر من امرنا نسسولا
فلوشاهد اليوم المقام وشيخه ضاق به ذرعا ولم يستطع قولا
ومن ذلك عن الحاج الشافى المذكور قال دخلت بلد العناب واجتمعت
فيها بالشيخ الصالح ابى محمد عبد الوهاب المراكشى وكان من كبار اولياء الله
تعالى ومن اهل خرق العادة فقال لي انت بجوار الشيخ ابن عروس وفي
البيت الذى عن يساره والشيخ رضى الله عنه حينئذ في البيت السفلى
لم يصعد بعد الى السطح وجعل يخبرني عن حاله مع الشيخ الى ان
اخبرني عن اوانى البيت فقلت في نفسى وقد ادركني من امره العجب
هذا شيطان تصور لي فما اتممت الخاطر الا وهو يقرأ تلي سورة الواقعة ثم
قلبي في جيبى ثلاث مرات وقال انت اخي من الشيخ وان ادبناك

يكون ذلك سوء ادب مع الشيخ لسنا بشياطين ولا يتطور الشيطان علينا
ان شاء الله فقلت له يا سيدي صحيح ان الشيخ هو السلطان يريد
سيدي احمد ابن عروس فقال فقال لي السلطان القرآن لكن الشيخ
رضي الله عنه هو الاستاذ واذا عرضت لنا عنده حاجة نرسل عليه طوارق
فندعني منه حوائجنا وننصرف وكل واحد منا حاكم على موضعه
اذا كان هذا وامشاهم يرون الى محبته الامرال
فنحن على عجزنا منهم احق واول بل السسوال
ومن ذلك عن النفاق المذكور قال كنت منقطعا الى شيخ وقته الفقيه
العلم لادري سيدي قاسم العبدوسي رضي الله عنه ورحمه وكان يعلمني
آداب الشريعة وكان سيدي احمد ابن عروس ابغض الناس الي وكان
رضي الله عنه اذا رآني يقول يا زفيت اقم موبزنك ليدي ترجع قال
فبينما انا يوما اصلي على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد الصفصاة
من ربيع ثقات بتونس الحروسه واذا بقاتل يقول لي وانا متيقظ اسمع
الصوت ولا اري الشخص عليك بابن عروس تستنفع واعاد ذلك ثلاث
مرات فتعذرت بالله من الشيطان الرجيم وقرأت آية الكرسي فقال لست
بشيطان عليك بابن عروس تستنفع قال ثم اني رايتهم رضي الله عنه في
سبعة من المشايخ لا اعرفهم وكانوا معهم سلطاننا للتارين وكان اولئك
المايخ يقولون للسلطان المذكور ان سالت عن هذا واثاروا الى الشيخ
فما في الزمان من يلحق له درجة قال ثم رايتهم بعد ذلك في النوم
رضي الله عنه وكانى مربوط بوسطه ثم اني اتيته رضي الله عنه في
اليقظة فقال لي لا اله الا الله سمعنا في جامع الصفصاة وما صدقنا
ورائنا في النوم السبعة المشايخ وما صدقنا ورائنا ارواحنا مربوطين في
وسطه وما صدقنا ثم قرا رضي الله عنه واما من خلف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ثم قال لي رضي الله عنه مر شرق
او غرب خاطري برعائد ابن ما كنت قال فمن يومئذ وقفت عند مراسم

حدوده نهيا واما وتركت باذقطاعي الى منيع حماه زيدا وعمرا
اليس عجيبا انه شيخ وقتنا وليس له في عصره عندهم مثل
ونحن اذ لم الجهل اعين فهمنا فلسنا نرى شيئا وجهل الفتى قتل
ومن ذلك ما حدثني به المعلم ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن عرف
البزويش قال دخل سيدي محمد شوشو يوما للزارية العروسية فلاقاه بعض
المعتقدين من طلبة العلم لرجل سماه له عن الشيخ ابن هو فقال له
هو فوق سطحه فقال له سيدي محمد المذكور لازم النطرفي وجهه هذا
الشيخ فما من مطلع الشمس الى مغربها احد مثله
فمثل هذا في جلالة قدره ان قال يوما يتدى الفضلاء
واليك ما ابدى هنا للشيخ من شرف اليه قد انتهى الكملاء
وعنه ايضا قال مرض سيدي محمد شوشو المذكور رضي الله عنه لم نقه
فجاءه انسان من اهل قرطاجنة بقرص من الشعير وعشرين بيضة فتناول
منه ذلك وقال حين رآه هذه هدية قرياني فلما اراد الخروج قال له الى
ابن تمشي قال الى سيدي احمد ابن عروس قال فما حملت اليه قال
مثل ما حملت اليك فقال اذا وصلت اليه فقل له محمد شوشو لم عليك
يا ولي الله

فانظر اليه على علم مقامه وشرفه ام يدع استبدادا
بل امه متطلعا لمزيجته متطلبا من بحره استمدادا
وعنه ايضا قال اخبرني منشد الشيخ المذكور رضي الله عنه قال اثبت
مع الشيخ الى الشيخ ابن عروس رضي الله عنهما فلما وصلنا اليه قال له
شيخنا اجول لك كلاما تطلبه مني قال ما هو قال على بركة الله البس ثوبين
نظيفين وانزل الى جامع الزيتونة يجتمع عليك الاطفال ويدعون لك
بخير فقال له اني اشتييت برمة من لحم الوحش فقال له فبخشنا اولاد
ابن عبد العزيز يعضدونك وهم يطعمونك ما اشتييت قال ثم التفت الى
وقال لي عرفت ما وقع بيني وبين هذا فقلت لا فقال طلبت منه النزول

الى مخالطة الناس لينتفعوا به فقال لي لا اعرف الا الله فقلت له اقم
اعزك الله ومنه في المعنى عن المنشد المذكور قال وقفت مع شيخنا بين
يدي الشيخ رضى الله عنهما والناس ياثون به بانواع الاطعمة وغيرها فقلت
لشيخنا هذا هو الرجل ياتي به الناس بكل شئ مستهني وهو جالس في مكانه
وانت انما ياتيك ذلك بعد التعب الكبير فقال لي سبحان من اقام العباد
فيما اراد ابن عروس يرى انه لا يعرف الا الله ونحن نعرف الله ونعرف
الخلق ومن ذلك ما حدثني به الشيخ الصالح الولي ابو الحسن علي بن
علي عرف المتقدم وقد اجتمعنا بموضع من دخلة الجزيرة القبلية في اواخر
شهر ربيع الاول الشريف من عام سبعة وستين وثمانمائة وكنا اطلعناه
على كتابنا هذا فاستبشر لمرآه وذكر انه احسن كتاب في هذا المعنى راها
وكان من دعائه لي ان قال اسأل الله ان لا يعدمك بركة هذا الشيخ وان
ينور قلبك ويزيدك نورا على نور قال بينما انا في دارى يوما بتونس واذا
بسيدي محمد شوشور رضى الله عنه في جماعة من اصحابه يسألون عنى
فلما خرجت اليهم قال لي رضى الله عنه اعزم على زيارة الرى درديك
ومعناه باللسان الرومى السلطان الكبير فقلت ومن هو قال ابن عروس
فقلت على بركة الله وانصرفنا نحرة فلما قربنا من زاوية قال ادخلوا عليه
بالذكر فاخذنا نذكر الى ان دخلنا الزاوية وكان الشيخ رضى الله عنه
امرهم بطعام فحيثه قبل قدمونا عليه فلما وصلنا اليه امرهم باحضار ذلك
الطعام فاخذوا في الاكل وسيدي محمد شوشور رضى الله عنه لم يزل يذكر
فقال الشيخ في عدم موافقة اصحابه في الاكل وافراده عنهم بالذكر الناس
ياكلون يا حمار فسال رضى الله عنه عن مقالة الشيخ فلم يجبه احد
بذلك اجلالا له وميبة فقال لابد ان تخبرونى فاخبروه فقال لاصحابه
قولوا معى كما اقول وجعل يقول (آش قالت النحلة للذالاه انت القصيرة
وانا العاليه) ويكرر هذا الكلام واصحابه يتبعونه في هذا والشيخ رضى الله
عنه ساكت لا يزيدهم في ذلك شيئا

فهذا اعتراف منه للشيخ انه لديهم هو السلطان والعلم لارضى
وان له الامر المطاع وانسبهم مكنين يرى ذر الراى اعزاه فوصا
ومن ذلك عن الشيخ الصالح المتقدم المذكور قال اجاز سيدي محمد شوشو
رضى الله عنه امام الزاوية العروسية فاشرف عليه الشيخ رضى الله عنه
من فوق سطحه وقال له غلبتك لحيتك يا ديوت هكذا فقل له وايش
نعمل خاطرك خاطرك وانصرف وهو يقول خاطرك فانظر الى اعتراف
هذا الكامل له باليد البيضاء في احكام الولاية والقدم الراسخ في درجات
النهاية وهو في وقته من الصدور المحققين والاعلام الصادقين واحد من اظهرة
الله تعالى بافريقية الى الوجود وصرفه في الكون واره شواهد الغيب من
مشكاة الجود وانتهت اليه رئاسة هذا الشأن بتونس المحروسة واصبحت
بها احواله الخارقة من رياض الصالحين غروسة ولم لا حوال السنية العلية
والكرامات الواضحة الجليلة منها ما حدثني به قريبه ابو عبد الله محمد
الزويش المذكور قال قال لي يوما رضى الله عنه كنت في صحن جامع
الزيتونة يوما ومعنى الشيخ الصالح ابو العباس احمد ابو حوال ونحن
شابان صغيران واذا بالشيخ الجد يدى رضى الله عنه دخل علينا فتمت
اليه وقبلت يده وقلت يا سيدي ادع الله لي فامسك بذنبي وقال يا شوشو
يكون لك بتونس شان كبير ومنها عنه ايضا قال قال لي رضى الله عنه
خرجت مرة مع سيدي احمد ابو حوال المذكور ومعنا ثالث ذكر محمد بنى
انه نسيه ومعنا برمة فيها ما يوكل فلما دنونا من الزلاج وجلسنا للاكل واذا
بقارس معتجر لا يظهر منه الا سواد الحديق فسلم علينا ووقف ولم نعلم من
هو فدعونا له للاكل معنا فقال انا فارس وانتم جلوس فقامت اليه وانزاعه
فجاء يمشى وجلس بيننا ثم انه اسفر عن وجهه واذا هو شيخنا الامام
رضى الله عنه وكان مقعدا فلم نر به عاهة فادعشنا منه ذلك المشى فل
لا تخافوا انما كان هذا مفي بذن من الله ثم قال اما انت يا شوشو
اعطيتك تونس لتصرف فيها وتنظر في امر الناس والله الله

ومولانا محمد وامت يا ابا حوال ملزم من ملازم الدخلة اعطيناها لك
واعطينا مصر لفلان للرجل الثالث واسا ان شاء الله القى ربي في هذه
السنة فكان الامر في جميع ما ذكره كما قال رضى الله عنه ومنها ما حدثني
به الشيخ الصالح ابو الحسن علي المقدم المذكور رضى الله عنه قال كنت
يوما بجامع الزيتونة واذا بسيدى محمد شوشو رضى الله عنه يحوم في الجامع
وكلما وجد جماعة وقف عندها كالمباحث عمن ذهب عنه فقلت في نفسي
وانا بعد منه يا ليت شعري هل هذا الشيخ من البدلاء او هو صاحب
الوقت او نقيب فاذا به رضى الله عنه قد توجه نحوى واجتاز عني
كانه لا يريدني ثم رجع الي وقال وقد داسني بتقديمه من انت لانه
ضرب فقلت المقدم فجلس الي وقال فيما بيني وبينه انا نقيبها وانا من
البدلاء وانا صاحب الوقت وانا مجنونها وانت جهاد فقلت لبا كيف
ذلك قال تمزج وتقول الحق ومنهما عن الشيخ المقدم المذكور رضى الله
عنه قال كنت في دارى جونس واذا بسيدى محمد شوشو ناداني فلما
خرجت اليه قال لي هذا السلطان ابو فارس يعتدنا ونعتدة ويحبنا
ونحبه فاعزم على زيارته فقلت على بركة الله فلما دخلنا القسبة وقربنا
من المجلس تلقانا المزار الهلالي وردنا عن الوصول الى السلطان ردا
منكرا فيبيننا نحن معه على هذا واذا بصاحب التنفيذ حينئذ وهو ابن قليل
الهم قد ورد علينا فقال للهلالي المذكور ما لك مع هؤلاء فقال له انهم ارادوا
الانحول لمجلس السلطان وما لهم عنده حاجة واخذ يقبح فينا بكل منكر
من القول وزور فقال له المنفذ المذكور اصبحت في هؤلاء الدرابلية الكذا
الكذا وتكلم من قببح الكلام ما شاء الله فلما رأينا ذلك منهما جميعا خرجنا
فبلغ السلطان ما كان منهما لنا فوجه في طلبنا فلما دخلنا عليه مجلسه قال
له سيدى محمد سلام عليكم نصركم الله ثم قال لي يا مقدم بايع فقلت سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلطان علي وعليكم السلام ورحمة الله
وبركاته ثم قال سلام عليكم نصركم الله وقال لي يا مقدم بايع فقلت ايضا

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلطان علي كما تقدم هكذا مرارا
متعددة ثم سألني رضى الله عنه وكان صديرا عن السلطان فقلت هو الذي
يكلمك فقال له بعد ان امسكه ما لي بك يا امير المؤمنين خلافة فقال له
ولاى شئ يا حيبي وانا اعتقدك واحبك ثم مد يده رضى الله عنه فوثعت
على انسان فسألني عنه فقلت له هو مولاي ابو عبد الله فقال له مقالته
التي قال للخليفة والده ثم مد يده رضى الله عنه فوثعت على صبي صغير
كان بين يدي السلطان في سن من لا يلبس العمامة وعليه اذ ذلك شايبة
منصفة من ملف وعلى راسه شايبة كست راسه الى ان كادت تصل الى
حاجبيه فسأل عنه وما كنت اعرفه قبل ذلك فسالت عنه من كان قريبا
منى فتبين لي هو حفيد السلطان وابو مولاي ابو عبد الله واسمه عثمان
فاخبرته بذلك فضمه اليه وقال له سلام عليكم نصركم الله يا امير المؤمنين
ثم قال له يا امير المؤمنين يا مولاي عثمان يا حيبي ما تحكم لي في الهلالي
وابن قليل الهم فقال له وهو يصحك نعم نحكم لك فلما قال له ذلك قال
لي يا مقدم قم انقصت الحاجة فما زال امر الخلافة دائرا الى ان استقر بامر
الله لديه وكان هلاك من ذكر باذن الله على يديه وحقق الله قول وليه
فيما قاله وصدق قيه ويفعل الله ما يشاء مقالته ومنها ما حدثني به ابو سالم
ابراهيم المذكور قل حدثني الشيخ الكامل ابو عبد الله محمد السوقي ان سيدى
محمد شوشو رضى الله عنه اغتسل في ليلة شديدة البرد غزيرة المطر في فصل
الشتاء سبعين مرة كلما اخذته سنة احتلم وقام الى الميزاب فغسل بها يجري
منه من ماء المطر الى ان استكمل العدة المذكورة رضى الله تعالى عنه
ومنهما عن ابي سالم المذكور قال حدثني الشيخ السوقي المذكور قال حدثني
الشيخ ابو عبد الله محمد النويشى قال حدثني الشيخ الصالح ابو الفضل قاسم
الفيثورى رحمة الله تعالى عليه قال كان في حمام سوق الفلانة بتونس الحروسة
معلم جربى وكان بشر الحمام المذكور قد نزح فانتهى الامر فيه الى صاحب
الحبس ليقلبه او يرفق به فلم يجبه الى مراده من ذلك فاخبر بامره بعض

اصحابه وظهر له النوجع من مصابه فقال له الفكاك عندك في الحمام وانت في هذا الكوب العظيم فقال له صاحب الحمام ومن هو قال سيدي محمد شوشو فتجرد الحمامي من ثيابه وقصد الشيخ في داخل الحمام فوجده ملقى على طهرة وحوايه اولاد الدخان الذين يلذون به فجلس عند رجليه ورفع احدهما ووضعها على ركبته فصمها الشيخ ونهض قائما وقال من انت فقال له انا معلم الحمام يا سيدي وذكر له امره وبكى بين يديه فقال له رضى الله عنه مرادك في كثرة الماء او في لاقالة فقال له يا سيدي لا اقدر على ترك باب السبب ان امكنني ذلك فقال احمل في يدك قلة واملاها من بئر سيدي سفيان وافرها في البئر واذا خرجت من الحمام اجتاز من هنالك واكلمه من الطابق قال ففعلت ما امرني به وجلست في مكانى من الحمام واذا بالسواق الذى يسنى على البئر قد جاء الى وقال لي ارفعوا في الحبل فان البئر كثر فيه الماء فقمتم معه ووجدت الامر كما قال ونقصنا من طول الحبل لارتفاع الماء في البئر ورجعت الى مكانى فبينما انا جالس واذا بالسواق قد عاد الى وقال لي كثر الماء فارفعوا لي في الحبل فقمتم ايضا معه ونقصنا من طول الحبل وعدت الى مكانى فاذا به ايضا قد عاد وقال ارفعوا لي في الحبل فان الماء غابني ففعلت وما زال الماء يتزايد ونحن نقصر من طول الحبل الى ان بلغ الماء في ارتفاعه في البئر كذا كذا فامة تزود على العشر ومن يومئذ الى الآن ما نزع البئر المذكور ولا فرغ ماوه قال الحمامي المذكور وكان رضى الله عنه قال لي اوصيك ان تجعل فيه نصيبا لله تعالى ومن دخل اليك من هؤلاء لا تطلق يريده اولاد الدخان تعاملهم بخير فقلت له السمع والطاعة قال وكان يوصيني وهو يبكي رضى الله عنه ومنه ايضا عن الشيخ السوقي المذكور قال كان سيدي محمد شوشو رضى الله عنه يقول لي يا محمد لي اولاد بالشرق واولاد بالمغرب الود على الجميع بسر لطيف لا يعلمه الا الله تعالى قل وكان رضى الله عنه يقول اذا كان المتبوع ذليلا كان التابع اذل وكراماته رضى الله عنه كثيرة جدا

واحواله الخارقة لا تبلغ لغايتها حدا وفيما ذكرناه منها قصد التماس البركة بذكرها كفاية والله نسال به وباماله ان يسلك بنا لمرصاته سبيل التوفيق والهداية ومن المعترفين للشيخ رضى الله عنه برسوخ قدم الولاية وطوبى المقام ممن اثبت صدرا في ديوان الاكابر وعلى الطريقة استقام الشيخ الصالح القائم على قدم التجريد المحجة في زمانه على كل سالك ومريد ابو الفضل قاسم بن نافع لاندلسى الملقى وهو على ما حدثني به جماعة من ثقة العارفين به فقد سلطان المسافرين اليوم قالوا وذلك انه كان يقول في غير ما موطن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه هو سلطان المسافرين في وقته وانا اليوم في مقامى سلطان المسافرين في وقتي وسئل من استاذك فقال مالى استاذ انما استاذى ابو العباس الخضر عليه السلام وانا تحت دائرته قالوا ثم انتقل بعد هذا من تونس الى المشرق واقام به فحوا من اثني عشر عاما ثم عاد الى تونس فكان يقول انا تحت دائرة الشيخ سيدي احمد ابن عروس فقيل له انك كنت قلت لنا خلافا هذا فقال انما دخلت في دائرته باذن ابى العباس الخضر عليه السلام فان الشيخ رضى الله عنه خليفة في التصريف في الكون

ليس هذا بكفى في مكانته ورفعة القدر منه عند مسولاه

احله رتبة جلت ورفعه قدره فسبحان من اعطى واولاه

ومنهم الشيخ الصالح الولي الرباني ابو العباس سيدي احمد صيلته رضى الله عنه كان يقول كلما سئل من سبب حلقه لحيته ما لاحد مع ابن عروس لحية او ما هو قريب من هذا المعنى وحدثني ابن هون وابو الفضل ابن باقوش قال كان اصحاب الشيخ رضى الله عنه يعملون يوما في الطين بين يديه للبنيان وهو جالس ينظر فيهم ويتنصهم للعمل فاحتاجوا في عمل ذلك الى الماء وطلبوه من الشيخ فقال لهم اعملوا الساعة ياتيكم الماء فبينما هم كذلك واذا بالسقائين قد اتوا بالماء وقالوا بعثنا سيدي احمد صبيته وقال لنا احملوا الماء الى الزاوية فان السلطان عنده الحركة يريد سيدي احمد

ابن عروس وعن ابن عون ايضا قال حدثني منصور البنزرتي قال اجتمعت
بسيدي احمد عسيلة رضى الله عنه وشكوت اليه بعض ما كان اهدني
فاعطاني ربع دينار وقال لي سيدي ابو سعيد الباجي نفع الله به سيدي
احمد ابن عروس براءته نافذة في الشرق والمغرب وحدثني لامير لاجل
ابو محمد الحسن ابن لامير لاجل ابني الذبيح اسماعيل قال اجتمعت مرة على
زيارة الشيخ سيدي احمد ابن عروس ثم بعدة سيدي احمد عسيلة فزرت
الشيخ ولما جئت الى سيدي احمد عسيلة قال لي جئت من عند السلطان
فسكت وما كنت رايت في تلك المدة كلها فعلمت ان مرادة سيدي احمد
ابن عروس وحدثني الشاب الصالح ابو الحسن علي بن عبد الحليم قال
حملت الى الشيخ يوما خبزة فيها عسل جامد فلما دنوت من باب الزاوية
وجدت هنالك سيدي احمد عسيلة فرماني بالارض وجعل يضربني برجله
فاشرف عليه الشيخ من فوق سطحه وقال له اطلقه يا ثور ثم قال له هذا
الذي فعلته به انما فعلته بي ثم قال له اذا جرت من هذا الموضع فلا
سبيل ان تزيد على ان تقول السلام على السلطان في قصبتك وتنصرف قال
فما زال رضى الله عنه بعد هذا الكلام فحوا من ثمانية ايام يحرم حول
الزاوية ليلا ونهارا ثم انصرف رضى الله عنه
فيا من امالته الهواجس والهوى

من الرشد مل صدقا الى صاحب الوقت

ورد فيه ورد البربر لك الرضا والا فقد عرضت نفسك للمقت
وهذا الشيخ ممن له بافريقية المقام الشريف والاحوال الحارقة والتحكم فيها
والتصريف وقد انطوت طريقتة فيها على امور عجيبة وسيرة الى خطاب خطيب
رقة شمانها كل نفس زاكية محببة وله الكرامات الجليلة الوافرة والمنقب
التي هي من بديع جمال جلالة قدرة سافرة منها ما حدثني به ابن عون
المذكور قال حدثني الفقيه الشريف قاضي بني ياورار من عمل بجاية وقد
الى الخليفة محنة ابتلى بها قال اجتمعت يوما بسيدي

كان

احمد عسيلة رضى الله عنه فتصامل علي ولطم وجهي فحملتني حمية
النفس على ارادة الانتصار لها ثم اتى صرفت عن ذلك فانصرفت وفي
النفس منه امر عظيم فلما اكن بعد ايام اجتمعت به في مسجد من
المساجد او قال في غيره فلما رآني قصدني وقال لي يا سيدي ما لنا لا نقول
استغفر الله فقلت استغفر الله وازال الله ما كان في باطني منه ثم انه رضى
الله عنه ناولني قطعة صغيرة من الفخار وقال لي خذ هذه عندك للبركة
فتناولتها منه وجعلتها في جيبى فلما كان الليل فزعت ثيابي للزوم سبطت
من جيبى دنائير جديدة الصرب احسن ما يرى على عدد القطع التي
ناولني وتفتقدت القطع فلم اجدتها وعلمت انها هي الدنائير فقلت في نفسي
هذه تخيلات وسعود كما كانت ولم تطب نفسي بها وما زالت عندي
الى ان وصلت الى بجاية واطلعت عليها بعض مشايخي وهي دنائير
جيدة فاخبرته بالوطن فقال لي هذه منقبة عظيمة لهذا الشيخ فحينئذ
تصرفت في الدنائير المذكورة وصرفتها في مصالح رضى الله تعالى عنه
ومنها عنه ايضا انه قال حدثني الفقيه ابو سالم ابراهيم اللولو قال كان سيدي
احمد عسيلة رضى الله عنه في السنة التي مات فيها رحمة الله عليه
كثيرا ما يارى الى دارنا ويبيت عندنا فاتفق انه بات عندنا ليلة فلما
كان جوف الليل وهو معي في بيت واحد انتبذت منه ناحية من
البيت واخرجت من الخزانة لطائف المنن لابن طياء الله لانظر فيه
فلما امسكته في يدي قال لي هذا كتاب سيدي احمد الذي من لاسكندرية
يريد سيدي ابا العباس المرسى فقلت له نعم واخذني العجب من
اطلاعه على الكتاب ومعرفته له وما كان يعرفه قبيل ذلك ولا رآه في
يدي رضى الله عنه قال وكان قبل قتله بنحو من اربعة اشهر يقول لاهلي
كلما دننت منه لتعبرك به اليك عني الدم في حوائجي ويسعدهما من
نفسه بذلك فتقول يا سيدي ما ارى في ثيابك شيئا فيقول الدم في
حوائجي ثيابي ملطخة بالدم وما كان يخاطبها بمثل هذا قبل ذلك وما

علمنا مراده من ذلك حتى قتل رضى الله عنه ومنها عنه عن الشريف
العوانى قل كنت يوما في سقيفة دارى واذا بسيدى احمد عسيلة رضى
الله عنه قد دخل علي وقال لي يا شريف اشتر لي خسا بغير ا فخرجت
لارى من ارسله في ذلك فوجدت انسانا خارج الدار قد كان جاء معه
فاردت ان اوجهه لذلك فانتهرنى رضى الله عنه وقال لي يا سيدى مطلعا
على عادته في ذلك هذا اذا امسك الخس بيده يحترق هذا من اهل النار
مسكين فادهشني منه ذلك ثم انصرف فني فكان ذلك المسكين هو قاتله رضى
الله عنه وحينئذ عرفت مدلول كلامه وخفي ما بطن في ظاهر اعلامه
ومنها عنه وعن غيره ان قاتله المذكور لما سجن بعد قتل الشيخ رضى الله
عنه دخل عليه بعض اصحابه السجن وساله عن علته مصابه ورجاه في
الخلاص فقال له مخبرا عن نفسه هيات ان لا يمد يموت مرجوما بالحجارة
والعياذ بالله فقال له من اين علمت ذلك قال كان سيدى احمد صيلة
ناولني قبل هذه الايام حجرا وقال لي احفظ بهذا الحجر فانك تحتاج اليه فاخذت
الحجر منه واقام الله عندي في ذلك ما اخبرتك به فمات رجما بالحجارة
كما قال ولم يقدر احد على رداله امة عنه في ذلك قالوا واخبر المسكين عن نفسه
انه كان يبيت معه في غالب وقته يروم قتله قال فاذا قممت الى ذلك من
جوف الليل وقصدته لم اجد في مكانه وابحث عنه فلا اقف له على
خبر وحدث المسكين عن نفسه في ذلك قال خرجت معه الى زاوية سيجوم
ومعى المسكين التي اريد قتله بها فلما انفصلنا عن المدينة وقف وقال لي تريد
قتلى فقلت له اريد قتلك فنزع المسكين من يدي ولم اقدر على ممانعته
في ذلك واعطاه ليدوى اجتاز علينا ثم قال لي اذا اردت قتلى فاطرح لفعة
بها تقتلنى فطرحت سكيننا وجئت بها اليه فقال ما زلت تريد قتلى
ثم قال لي بقى لك لما تريد خمسة وعشرون يوما او قال سبعة عشر يوما
فكان كذلك قتل لهذه المدة رحمة الله عليه حدثني ابن عون المذكور
وغالب ظني ان غيره ايضا حدثني بذلك قال لما قتل سيدى احمد عسيلة

رضى الله عنه قال سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه يا رب شارب
بلا لحيمة يموت قتيلا وقال رضى الله عنه يريه (ابنى احمد راجل الزناقي
ميتوا ناداوا * في بستان الزهر مشاوا ابني احمد ميتوا وافاوا * في ريعان
الزهر ما شاتوا) هكذا بهذا الكلام وحدثني من اثق به من الفضلاء ان الشيخ
الصالح الاكمل ابا محمد عبد الكريم بن محمد النفاقي القاطن بالرومية شرقى
طرابلس المحروسة على نحو من خمسة عشر ميلا قام مرة بتغيير المنكر
واراقة الخمر بطرابلس المحروسة على عادته في ذلك فقال له قائد البلاد
حينئذ يباسطه بذلك يا سيدى احاف عليك من بعض هؤلاء المفسدين
الذين تقوم فيهم بتغيير المنكر ان يقتلك فقال للقائد المذكور واين لي هذه
السعادة اموت على الشهادة كما يموت عسيلة وكان بين كلامه هذا وبين
قتل سيدى احمد عسيلة اكثر من عشرة اعوام وكان هذا الشيخ المذكور في
وقته من الصالحين الاكامل القائمين بسر الله في اغاثة ملهوف ضعفة
الايامى والارامل ولم بطرابلس المحروسة وسائر عملها الكلمة الطاعة والمنزلة
التي ما زال من اتقى الله واطاعه حدثني ابن عون المذكور
قال وجه سيدى عبد الكريم المذكور للشيخ سيدى احمد ابن عروس كتابا
يسلم عليه فيه ويطلب منه المدد بالمخاطر والدعاء الصالح وارسل اليه
صحبه رمانا ففتحت ذلك الكتاب بين يديه رضى الله عنه وقلت
يا سيدى هذا كتاب ارسله اليك سيدى عبد الكريم النفاقي وفيه السلام
عليك وطلب المدد بالدعاء الصالح فما تقول له وقد كان سيدى عبد الكريم
المذكور وجه الى ان اعرفه بما يقوله الشيخ عند قراءة كتابه فقال لي قل
له لا تظلمى الكدبة ولا تدلولى حتى ترانى في المطار الاول ثم قال قل له
انت شيعة والشيعة ترجع دالية والدالية ما تنمر حتى تناقى الى هكذا
بص هذا الكلام

ففى المتنقول من هذا دليسل لسيدنا العماد ابى الصرائر
بان اليوم نحو علاه ساروا كما عقدوا على محبته الضمائر

ومن المعترفين للشيخ رضى الله عنه بالولاية الكاملة والمنزلة التي هي في شرفها واواهب الفتح شاملة الشيخ الصالح المسن ابو الحسن على الغري رضى الله عنه القاطن بقدرت احد قرى قرطاجنة من عمل تونس المحروسة وقد كنت زرتهم يوم السبت خامس العشرين من ذى القعدة عام ستة وستين وثمانمائة وانفق ان كنت يوم زيارته مجتازا بساحل موسى جراح فرايت هنالك من السمك الطرى ما اثار علي من بواعث الشهوة ما عجزت عن دفعه والوصول الى قضاء النهمة من ذلك لا يمكنني في ذلك الوقت فبنفس ان اجتمعنا به وجلسنا عنده احضر لنا السمك والخبز وجعل يناولني من السمك المرة بعد المرة ويلاحظني في اثناء ذلك ملاحظة مطلع على غيبي في ذلك ويخصني بذلك دون بعض اصحابي فرايت ذلك منه كرامة حيث كوشف بغائب امرى في ذلك رضى الله تعالى عنه ثم انا اخذنا في مذاكرة احوال الشيخ رضى الله عنه بذكر كتابنا هذا فجعل يشكراهمنا بذلك ويدعونا بصالح الدعاء ثم قال اما الشيخ سيدى احمد ابن عروس فلا يشك في ولايته إلا مخذول وكراماته اكثر من ان تحصى وذكر لنا منها ما سئله في محله ان شاء الله تعالى

فما عذر من ينفي ولايته التي بها اولياء الله قد اعلنوا القولا ودانوا له في كل امر واذعنوا وخصوه بالتكريم والمنزل الاعلى

وحدثني الحاج ابو عبد الله محمد بن سالم المسراقي الجزري قال كنت في حيرة من امر الشيخ رضى الله عنه فيما يرجع الى تصحيح اعتقادي فيه فسالت عنه الشيخ الامام حجة الاسلام الجامع بتونس المحروسة ببين لامامة والفتيا الحائز قصب السبق في ذلك ولا ثنيا سيدى ابا الفضل باقسام البرزلى رحمة الله تعالى عليه فسألني عما اراه موجبا في امرة للاعتقاد وسببا مشيرا لبواعث الاعتقاد فذكرت له ما اعلم من ذلك حسبما ادت معرفتي اليه فقال لي رضى الله عنه اذا كان على الحالة المرضية الحسنة الصالحة في بداية امرة فهو قرباى زمانه وإلا فالله يطف بـ

وبه فقلت انه كان على خير وهدى وصلاح وحوال وحسن سمت ومحافطة على القربات منذ كان وانما عرضت له هذه لاحوال وظهرت منه هذه الامور في الزمن القريب فقال لي اذا كان الامر كما ذكرت فهو قرباى زمانه وهذا الشيخ القرباى المشار اليه هو صاحب الوقت في زمانه وماسك امرة التصريف في اوانه وله لاحوال السنية العلية والامور الخارقة الجلية والتصرف الثام والقدم الراسخة والمكانة الجليلة والرتبة الشامخة وكان رضى الله عنه موسوما بتخريب العادات والاخلال في الظاهر بامر العبادات وله الكرامات الظاهرة والناقب السنية الباهرة وهو شيخ الشيخ المكين الحائز قصب السبق في التمكين ابي عبد الله محمد شوشو الذى بسطنا في هذا الباب امرة وعطرننا بذكر بعض كراماته ذكره وذكرنا حكاية معه التي رفع فيها من مقدارة واعلى وقلده باذن الله ولاية القطر لافريقى واولى وذكرنا ايضا امر تصريفه الخارق المغرب في اطعمه وهو بتونس من هو في اقصى المغرب وعجائب غرائب احواله رضى الله عنه كثيرة ومناقبه الجليلة لكل كريمة من قلوب المخلصين مشيرة منها ما حدثني به ابو سالم ابراهيم بن احمد المذكور قال حدثني الشيخ البلاغ قال حدثني رجل كان عندنا يقال له القفصى الزجاج قال كان سيدى عثمان القرباى رضى الله عنه مجاورا لنا فخرجت يوما من الدار وانا صبي صغير لا اقل فذهبت ولم تعلم امى اين ذهبت ولا وقفت لي على خبر فادركها من ذلك ما يدرك الام من فقد ولدها فجاءت الى سيدى عثمان واخبرته بذهابي وجعلت تبكي بين يديه رضى الله عنه وتقلى فقال لها اسكتي هذا امر قريب ثم امرها ان تشتري له بقرط من الحلواء وان يكون شراوها ذلك من الذى يبيع الحلواء تحت جامع الزيتونة دون غيره فقامت ممثلة لامرأة فلما وصلت اليه لم تجد اليه مسلكا من كثرة من احتف به من الناس وما زالت تتلطف في الوصول اليه الى ان امكنها ذلك فلما اشرفت عليه وجدته في حجره والحلواء في يدي يشغلني بهما عن البكاء فترامت علي وقالت

ولدى فتركتني لهما وقال الحمد لله الذي جبر صدعك فحملتني الى الشيخ
بعد ان اشرت له ما طلب من الخلواء فلما وصلنا اليه قالت يا سيدي
هذا ولدي وجدته عند صاحب الخلواء فقال رضى الله عنه الحمد لله
وعنه ايضا عن السوقي المذكور ان الشيخ الامام حجة الاسلام ابن مرفعة
رضي الله عنه ورحمه صلى العشاء الاخيرة بجامع الزيتونة وهو امامه
حينئذ وانصرف الى داره فوجد سيدي عثمان رضى الله عنه جالسا عند
باب مسجد عتبة التراب وهو مريان لا يستتره الا السراويل وكان ذلك
في ليلة باردة في فصل الشتاء قال فقلت في نفسي هولاء الفقراء هذا
شانهم اذا سالهم احد شيئا لا يجده عندهم نزعوا ما يكون عليهم من اللباس
ويعطونه ثم اني قلت في نفسي تعينت الآن على مواساته بما يصلح
من اللباس فاني قادر على ذلك واخاف عليه الهلاك من البرد ان تركته
فلما وصلت الى دارى اخذت ما يصلح له من اللباس وحملت اليه فلم
اجده حيث تركته ولم ادر اين اطلبه فاردت الرجوع الى مكافى واذا به
يكلمني من وراء الباب ارجع يا فقيه الحر والبرد آتسان من آيات الله
يرسلها على من يشاء ويصرفها ممن يشاء من عباده قال فاستغفرت الله
تعالى ورجعت بما معي الى منزلي ومنها من ابن مرون عن الشيخ الامام
السيد ابى الفضل بلغاسم البرزلى رحمه الله قال حدثني شيخنا الامام ابن مرفعة
رحمه الله قال قلت لاهل الدار اقطعوا شيئا من الطعام في صحفة لذلك
الرجل عثمان مسكين ففعلوا فلما حضر حملته اليه فجعل يقول وهو من
وراء الباب اقطعوا الطعام في صحفة لعثمان مسكين ويكررو هذا الكلام
محاكاة لما قال لاهل الدار فادعيتني ذلك ثم قال لي وانت يا ابن مرفعة
ما انت مسكين ثم فتح الباب وقال لي ادخل فدخلت فاذا عنده مائدة
عليها من اشرف انواع اطعمة اهل المشرق واهل المغرب وقال لي ما عند
عثمان ما ياكله الا طعامك اعمل طعامك وانصرف او ما هو قريب في
المعنى من هذا الكلام وكراماته رضى الله عنه كثيرة وفي المتناول منها كفاية

فلنصرف الى امر الشيخ وهو المقصود بالذات العناية فانت ترى اعلان من ذكر
من هولاء السادة باعلاء قدرة وابداء شغوف منزلته الشامخة وفخامته امره
واعترافهم له بانافته ورتبته العالية والكانة التي لا تسام لنفاستها بالقيم
العالية فلا مطمع بعد اعترافهم بالمنكر في تصحيح انكاره ولا محيد لمنصف
عن دخول جنة اعتقاده التي حفت بالمنكارة فالى كريم هدى هديهم في
ذلك يرجع الطالب وعند توجه القصد اليهم بخالصته لاخلاص تساعدة
المطالب ولا عبرة في ذلك بسواهم اعجم او اعراب اتى بما يولف من احوالهم
او اغرب وقد آن ان نذكر من شطحات الشيخ رضى الله عنه ما نغفر بذكره
المشاهد ونقيم به في اثبات شرف الشئ من نفسه عليه دليلا والشاهد
ما تشاهد ولا عبرة بالمنكر في ذلك فقد اصلنا ردة وحصلنا ابعاده عن مراده
وطرده حدثني ابن مرون قال امرني الشيخ رضى الله عنه يوما بانشاد
بعض كلام الشيخ الكبير محي الدين عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه فانشدته
يسقى ويشرب لا تلهيه سكرته من النديم ولا يلهو عن الكساس
اطاعه سكرة حتى تحكهم في حال الصحاح وذا من اعجب الناس
فقال رضى الله عنه هذا راجل فقلت له نعم فقال وانا عروسة زمانى ثم
استزادني فانشدته للشيخ المذكور رضى الله عنه اياتا منها

واهل الصفا يسعون خلفي وكلهم له حمة امضى من الصام العصب
ثم قلت له هذا الذى قال قدمي على رقبة كل ولى لله فقال لي رضى
الله عنه هذا راجل فقلت له نعم فقال وانا يدى ورجلى فوق الناس كلهم
وانا مسلط على من يقول انا ولا يقول احد انا وانا عبد من يطاعني وطاعا
الى ان بلغ حد الركوع رضى الله عنه وحدثني الشيخ ابو محمد عبد السلام
القطان قال كنت عند الشيخ رضى الله عنه يوما فنظرت الى سباطه في
رجله وعليه جبل قد لفه به فقلت في نفسي متعجبا من امره اين هذا
الشيخ من سيدي عبد القادر الذى قال قدمي هذه على رقبة كل ولى لله
فما اتممت هذا الا وهو رضى الله عنه بناديني يا محمد وكذلك كان بناديني

وانا سباطى على رقبة كل ولى لله فقلت الله اكبر ولما ذكرت هذا الكلام
للشيخ الصالح الولي ابي الحسن علي المقدم ونحن بموضع من دخلته
الجزيرة القبلية رايتهم اظهر لاذعان والسمع والطاعة لذلك وطاطا راسه
متواضعا وعنه ايضا قال كنت جالسا حول بيت الشيخ رضى الله عنه وهو
بها اذ ذاك وانا بحيث اشاهد المجتازين من امام الراوية فاجتزى سیدی
محمد شوشو رضى الله عنه فلما رايتهم قلت في نفسي هذا هو الرجل او ما
هو قريب من هذا الكلام يريد سیدی محمد المذكور فاذا بالشيخ ناداني من
داخل البيت انا راجلها من مطلع الشمس الى مغربها فاستغفرت الله تعالى
مما تحدثت به نفسي من ذلك ثم بعد مدة اجتاز ايضا الشيخ المذكور
وانا بمكان اشاهدة منه فعرض لي مسا كان عرض اولي في امر الشيخ وامره
فما تم لي ذلك الخاطر الا والشيخ رضى الله عنه يناديني فلما وقفت بين
يديه قال لي انا عقاب كل عتاب كل عقاب انا عقابه ثم بعد مدة طويلة
قال رضى الله عنه في بعض مفاخراته الدنيا كلها نساء وانا راجلها ثم بعد
مدة قال لي رضى الله عنه انا شيخ سبعين مدينة من قواعد الاسلام ثم
بعد مدة قال لنا رضى الله عنه انا راجل السطوح ثم بعد مدة خاطب ابنته
اخيه في امر تاتر له باطنها ولم تصبر كلمتك فما ارضاك كلامي وانا قلب
الدنيا قال ثم طرا لي في خاصة نفسي ما تخوفت منه فقلت لي تخاف
وانا قلب الدنيا وعنه ايضا قال اتته امرأة يوما وجعلت تتماق بين يديه
وتقول يا سيدى خاطرك فقل لها خاطرى مثل عين الشمس وحدثني
ابن عون المذكور قال لم ازل اسمع الشيخ رضى الله عنه يقول خاطرى
مثل عين الشمس وانا الغيث قل يا غيث اغثنى وعنه ايضا قال كثيرا ما
نسمعه يقول رضى الله عنه انا شيخ سبعين قاعدة من قواعد الاسلام وعنه
ايضا قال سمعت الشيخ رضى الله عنه في بداية امره كثيرا ما يقول انا
قلب الدنيا وكل اصبع من اصابع يدي ورجلي يشفع في سبعين الفا وعنه
ايضا قال من مستفيض كلام الشيخ رضى الله عنه جميع النساء تكذب

الا العجوز امي وانا الفيل حتى بعشرة وميت بالف وحدثني الثقة قال
اخبرني ولد اخي الشيخ رضى الله عنه وهو الشيخ عبد الله بكسر الدال
نائبه في الراوية رحمه الله تعالى ان الشيخ رضى الله عنه قال في مفاخراته
انا قرن الثور الذي عليه الدنيا وانا قلب الدنيا وانا سيد اهل قرني وانا
راجل كل راجل وانا الذي اراها من مطلع الشمس الى مغربها وحدثني
الشيخ ابو محمد عبد الله ولد اخي الشيخ رضى الله عنه قال سمعت الشيخ
رضى الله عنه يقول فقيرى يشفع في مائة الف وانا شيخ سبعين قاعدة
من قواعد الاسلام وانا قلب الدنيا وانا قرن الثور وقدمي على رقبة كل ولى
له وحدثني الحاج ابو الحسن علي بن محمد التلهاساني المناني قال تحامل
علي مرة ولد سیدی فتح الله في الدخول في دائرتهم والتمسك بطريقتهم
وقد كنت دخلت في دائرة الشيخ رضى الله عنه قبل ذلك فلما جئت الى
الشيخ ووقفت بين يديه واحد فقراء سیدی فتح الله معي قال رضى الله
عنه ارادوا ان ياخذوا اولادى وانا عجولى ومشرية لا يتعدى احد عليها
وانا مخلى السروج العامرة وانا مسلط على من يقول انا ثم قال رضى الله
عنه يريد ولد سیدی فتح الله المذكور ما فلاح الجراد يفلح بيضه وبمثل
هذا سواء حدثني ابن عون قال كنت من الحاضرين لهذا الموطن كله وما
خالفه في شيء مما حدثني به وعن الحاج التلهاساني المذكور قال صعدت يوما
الى الشيخ رضى الله عنه فسمعتهم يقول كل من طلع الي حسابي علي وكل
من يطلع الي حسابي علي وانا صباغ من زارني صبغته ومن دخل موضعي
كان محسوبا علي في الدنيا والآخرة وحدثني الفقير قاسم بن خلف الله قال
سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول انا امين الله ومن مطلع الشمس الى مغربها
رجالها وحجارها محسوبة علي وانا عساسهم وبمثل هذا حدثني ايضا الشيخ ابو
محمد عبد الله ولد اخي الشيخ رضى الله عنه وعن الفقير المذكور ايضا قل
سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول انا العوام وانا بوغطاس وانا البهيرة وانا
الجحر وانا القلب الذي لا ثانی لي في العقيان وعنه ايضا مع الحاج التلهاساني

المذكور قال سمعنا الشيخ رضي الله عنه يقول متجلى حصاد المناجل كلها
وجميع النساء يكذبن إلا العجوز امي وحدثني الحاج ابو الحسن علي النفاقي
قال كنت بوابا للزاوية العروسية وكنت اذا رايت موسوما بالخير والصالح
متشبها لم امنعه من الدخول واذا رايت معروفا بالسوء موسوما بما لا يليق
اصرفه عن الوصول الى الشيخ فقال لي رضي الله عنه لا تفعل موضعي مثل
الحمام من دخل اليه يطهر ويخرج فقلت له حمام في الليل والنهار فقال
نعم في الليل والنهار ثم قال لي رضي الله عنه من جاز عتبة موضعي مني والي
ومحسوب علي وحدثني ابن عون قال لما امر القاضي باغلاق الزاوية على
الشيخ من اجل دخول النساء اليه نزل رضي الله عنه وفتح الباب ودخل
الى قاعة الزاوية واخذ حبلا وجده هنالك فاحتزم به وجعل يقول مصارع
يا رجال الدنيا مصارع يا رجال الآخرة ثم قال انا ابو العباس السبتي انا ابو
مدين انا محرز بن خلف انا عبد القادر وعد رجالا مثل هؤلاء ثم قال انا
راجلها من مطلع الشمس الى مغربها وبالله الذي لا اله الا هو ما فيها
رجل مثلي رضي الله عنه وحدثني النفاقي المذكور قال كنت يوما عند
الشيخ رضي الله عنه فجاءته امرأة كانت وهدت درهما ناصريا لله تعالى
جعلت ثلثه للشيخ وثلثه لسيدى ابي العباس السبتي والثلث الآخر
لسيدى محرز بن خلف فصرفت الدرهم لقضاء ذلك وجعلت مصارفته
في يدها فلما وقفت بين يدي الشيخ رضي الله عنه قالت له يا سيدى
هذه وعدتلك فقال لها كم هي قالت ثلث درهم قال اريد الدرهم كله فاننا
ابو العباس السبتي وانا محرز بن خلف اولئك ماتوا وانا وارثهم فسقط في
يد المرأة لاطلاعه رضي الله عنه على خفي امرها في ذلك وناولته الدرهم
كله وانصرف وحدثني ابو الفضل بن باقوش قال كنت يوما بين يدي
الشيخ رضي الله عنه فدعا بالقمص والمرأة وقص شاربه وسوى لحيشته ثم
لبس العمامة وجعل ينظر في وجهه ثم ابدى اسنانه والمرأة في يده وجعل
ينظرها فيها ثم قال كانهن اللولو والمرجان ثم قال للحاضرين كل ما يفعله

السلطان ملج يشير الى نفسه رضي الله عنه وحدثني ابو عبد الله محمد بن محمد
الشرقي قال كانت عندنا بتونس شدة عظيمة فحدثت وانفقت بما حصل
لي من لاجرة نفقة وسعت بها على بعض قرابتي صلة مني لهم وجئت
الى الشيخ رضي الله عنه فلما وقفت بين يديه جعل يقول (يا ربنا باهل
التقى اخلف على من انفق) ثم قال وانا من اهل التقى وحدثني الامير
لاجل الاكمل ابو محمد الحسن ابن الامير لاجل ابي الذبيح اسمعيل ابن الامام
السلطان المقدس المرحوم ابي العباس احمد وكان على ما شاهدته منه وتعرفته
من حاله ملازما امام الشيخ رضي الله عنه قال ما زلت اسمع الشيخ رضي الله
عنه غير ما مرة يقول انا الغوث قال وسمعتة مرة يقول انا الحاكم في تونس فوقع في
النفس من ذلك مرض من جهة اني ارى له التصرف التام في تونس
وبغيرها فما استتم لي هذا الخاطر الا وهو يقول انا الحاكم في الدنيا كلها وعن
الامير المذكور قال سمعته رضي الله عنه يقول انا مريم بنت عمران يشير
والله اعلم الى مقام الصديقية فانها صديقة رضي الله عنها وحدثني الفقيه
الكاتب لاجل ابو العباس احمد الطبيب وهو من المعتقدين في الشيخ
رضي الله عنه ومن اهل دائرته المحبين قال سرت مرة مع بعض سادات
عرب افريقية فقال لي وقد انجز لنا ذكر الشيخ رضي الله عنه ما لكم
تزورون ابن عروس وتتركون سيدى فلان وسيدى فلان لرجال صالحين
سامم فساد في ذلك منه ولكن تجملت له وقلت الحمى اولى بالزيارة من
الميت وجئت الى الشيخ رضي الله عنه فقال لي ان كان للمدينة سلطان
فانا سلطانها وان كان للبحر سلطان فانا سلطانه وان كان للبر سلطان فانا
سلطانه وانا الغوث وعلى الغانجات جر الذبول وعنه ايضا قال سمعته
رضي الله عنه مرة يقول انا جبريل فكافي استكرهت في نفسي سماع ذلك
منه فقال دون ان يواجهني بالخطاب ان جبرتم كسر قلبي يا ثوران جبرتم
كسر قلبي يا ثور فاستغفرت الله تعالى وعلمت ان مراده بجبريل معنى
الجبر الذي تضمنه اشتقاق اسم الجبر من جبريل عليه السلام ففي

شطحاته هذه رضى الله عنه ما هو صريح في اثبات حجته البالغة وإثافة
مرتبته الشريفة الدامغة واكثرها انما صدر عن الشيخ في بدايته امره
ووجد منه في حل استفراقه بطفحات مكره وقد اسلفنا من كلام الامام
السهروردي رضى الله عنه ما هو كفيل بإقامة العذر عن ذلك والتماس
المخرج لارضى لمن سلك من الاكابر هذه المسالك حيث قال وقد
نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالاعجاب وذلك لبقايا السكر
عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو
في البداية فمن ذلك قول بعضهم ما تحت خضراء السماء مثلى وقول
بعضهم قدمي على رقبة كل ولي لله وكقول بعضهم اسرحت والجمت
وطفت في انظار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج الي احد اشارة
منه الى تفرد في وقته ثم قال ولكن نجعل لكلام الصديقين وجهها في
الصحة ونقول ان ذلك طفع عليهم في سكر الحال وكلام السكران يحمل
وجعل الياقي في كتابه نشر الحسن الغالية هذه الشطحات من انواع
التخريب فال ومعنى التخريب بالسطح ان يتكلم بكلام عظيم يدعى فيه
حالا عظيما فوق ما يظن به بحيث يسقط بذلك من القلوب ويساء به
الظن فيحصل المقصود في نفى الصلاح عنه والسطحة عندهم ترجمة
اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقررنا بالدعوى

فهذا طريق العذر عندك واضح من الشيخ فيما عنه قد ابرز السكر
وتلك يد ايضا له وعنايته وفضل علينا فيه لله نعم الشكر
وله رضى الله عنه كلام عال يدل على اتساع حقيقته وارتفاع منزلته الشامخة
وعلو طريقتة حدثني به عنه الشهاب الصالح ابو الحسن طي بن عبد الحليم
وكان صنيئا بعدم الافصاح في النقل عنه بساكن حرمنا منه على ان
يسدل اوردية الحصول على آثار رسمه فانه باخبارنا انما ورد من الشيخ
هذه الموارد وصدر عنها في حال غيبته بالموارد وان سماعه ذلك كان على
وجه مخصوص في مجالس اهل الخصوص فاعل من لا رسوخ لقدمه في

ارض لا اعتقاد يستبعد هذا القدر ويحقق لرمذ بصيرته بالسهب البدر ولا
يعلم انه قل ما حلى متحل بالاستبعاد إلا بالخبيثة والابعاد لكن راينا
اسعافه في هذا المطلب مشيرا لسوء الظن بالناسل وتجنب مواقع التهم
عندنا صفة العاقل وقد ذكر ذلك رضى الله عنه في صورة المراسلة كانه
خطاب ابن راسله وهذا عين كلامه ونصه وقد طابق الخاتم فيه فصه من
الرجل الميت ابو العباس احمد ابن عروس الذي لا يخاط قلبه احد غير
الله اما بعد فان الميت العتيق له سر رقيق فمن ذلك السر انه لا يصل
اليه احد من اهل الخصوص إلا بشق لانفس فكيف يدرك الوصول الى
ربه علامة الوصول قطع المالفات والخروج من الوكر بالزاد الى هجرة الله
ورسوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدرك الموت
فقد وقع اجرة على الله جلث في السر لا تعظم فوجدت عقيدتي ثابتة في
الرسول لاكرم او قال في النبي لاكرم على اني امر بالمعروف وانهى عن
النكر الآن قطعت عن قلبي كل حجاب وتركته لاهل ولاقارب والارلاد
من كان يعرفني حيا فانا اليوم ميت والميت لا يعرف الحي واتساع
حقيقتي اورثني كشم طريقتي اللهم اني عبد فقير اليك لا املك لنفسي
شيئا فارزقني السلوك والسياسة في ارضك كي افعل بالمحدث كن في
الدنيا كاتك غريب او غابر سبيل وعنه ايضا من كلامه الجاري على هذا
الاسلوب وسر الصدق في خلال حكايته يستميل القلوب الحمد لله على كل
نعمة والشكر لله على كل بلوى اما بعد نعرفك يا من لا يعرفني طريقتي
نعمة شديدة الخرم مجازها صعب على الذي يعرفها كيف من لا يعرفها
جعلت نظري متصلا في نبي المحبة كفى معرفتك في قلوبنا وانت
متجمل على حق حقائق سر سرائر علومنا والشرع واتباعه هو طريقنا المعتقد
لا ييوج بسر اعتقاده لانه صار سرا موثقا عليه ولا يشهد ذلك الامر إلا
بقلة البوح به منا وخصنا بغيره في الموت بشعة المخلوقين المتسكين
بالسنة صار الامر سليما في سابق علم الله سن الله علينا بنينا ومعرفته استاذنا

جعلناه واسطة في السلوك لربنا وامر المخلوق والله صعب علينا ولا طم
لذلك كلام إلا الزهد في كل شيء يحجبك عنك كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقد اضربنا عن بعض هذا الكلام لصعوبة
مجازة وغموض فهمه ومن لا ذوق لديه في علوم القوم كيف يطمع في
اصابة سهمه ومن كلامه ايضا رضى الله عنه ما حدثني به الشيخ ابو علي
منصور بن زيد خلداه قال انما يوما بعض اصحابه او قال بعض قرائه
وقال يا سيدى ان فلانا نكلم فيك بما لا يليق فقال رضى الله عنه اللهم اغفر
لمن نحسن اليه ويسئ الينا وما انا ببغاص لمن لا يريدنى ولا نمام ولا حسود
يكفانا الله شر الجاهل والمجاهلة قال وانشد يوما بين يديه رضى الله عنه انسان
قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من انشادها قال له
رضى الله عنه ما هكذا قال عندي قال وكيف قال فانشد رضى الله تعالى منه
يحبون محبوبى وما يعرفونه ولو انهم ذاقوا الغرام لهاموا

ثم قال رضى الله عنه سيدى ساكن في جناتى خير الرسل طريف المعاني
ثم قال يا حبيب قلبى يا واحد يا ربى لا زائد الرحمان الف
يا رحمان بارحيم يا الله نسالك التوبة والمغفرة والنجاة من النار يا الله اللهم
الطف بنا لطف الحبيب بحبيبهم قالها ثلاثا اللهم لا تجعل فينا شقيا ولا
محروما ثم قال يا فقراء الدعاء فتوح من الله ومن نفيس تليياتهم على النبي
صلى الله عليه وسلم المستفيضات النقل عنه رضى الله عنه قوله اللهم صل
على سيدنا محمد على قدر مقامه العظيم لا عظم عندك وحدثنى الحاج ابو
الحسن علي النفاثي قال اجتمعنا مرة بين يدي الشيخ رضى الله عنه
لندكر فاستفتح الذكر بنا رضى الله عنه وقال في الورد الاول مغفرتك
يا رب اوسع من ذنوبي ورحمتك يا رب ارجى عندي من عملى ثم قال
في الورد الثاني يا رب والطف بنا فيما قدرت علينا ثم قال في الورد الثالث
يا رب لا تفصحننا يا رب انت معنا ثم قال في الورد الرابع بالشاذلى والغزالي
يا رب واصلي حالى وحدثنى ابن عون قال كنت عند الشيخ رضى الله

عنه فائمه امرأة وفي يدها سحرة فاستدعاهما منها فلما استقرت في يده قال
للحاضرين سبحوا كما نسبح ثم جعل يقول سبح قدوس سبح قدوس
سبح مملوك المالك واما الشعر فيعجبه منه رضى الله عنه ما رقى معنى
وراق ويحركه من حسنه ما كان فيه ذكر المحب والمحبوب والوصل
والفراق والذي يجرى على لسانه منه في الغالب انما هو ما خالف
قانون الوزن واستوى فيه عند منشد السهل والحزن فمن مستفيض ذلك
عنه قوله

ما اهل من جا لبحر حاج وطمع بالعم يفقـ

صبي احوال الزجـاج يحب اللزمع الجـ

ومن ذلك وقد جاءه على ما حدثني به غير واحد بعض فضلاء تلمسان زائرا
وقد كان قال لمن معه هلم بنا الى هذا الشيخ لنرى حقيقة ما عنده وهل معه
شيء من العلم فلما دنا منه قال رضى الله عنه

ان جيت تشد من العلم ما ثم علم ان تجي لـ

وان جيت تشد من الشيخ شيخ العرب بالطويلـ

فاخذ الزائر المذكور حاجته من هذا الكلام وانصرف متعجبا من اطلاعه
على ما ابطن ومن ذلك ما انشدني ابو الحسن بن عبد الحليم

آه من طلة الفـ ومن جرح ما له مداوى

ومن عرض ما عاد يلتمس جا عند داس الشهـ

ومن رجل تمشى على قم ومن دهر ما صح يـ

ومن فاس تطل على وهم ويثلاثوا في الرسـ

ومن قلب واسق من الهم ومن حمل فوقه صـ

ومن غيظ ما له سبب علم سواتها في تهـ

ومن ذلك عنه

من كان له شور يمضيـ لمن يترك الصـ لا يـ

وان كان كاده يخليـ لا يعترض للفـ

ومن مستفيض ذلك عنه رضى الله عنه وهو اذ دل دليل على سعة علمه
وكمال صبره ومبذول جهده الشامل وحلمه قوله

تسعة وتسعين دوار في وسط راسي مقيم

النار ما تشبى النار ولا تعطش لنا بهيمة

وحدثني ابن زيد انه سمع من الشيخ مائة وتسعين دوار في وسط صبعي
مقيم ويشير رضى الله عنه الى المختصر من اصابع يده ومن ذلك عنه
وقد الح علي يوما في الوصول اليه رضى الله عنه بعض الفقهاء الواردين
لزيارته من طرابلس وقد كنت في شغل من هذا الكتاب بحيث لا يمكنني
في ذلك الوقت اسعافه فقلت له اما انت فاعزم على الوصول اليه
وسلم عليه باسمي وقل له العبد ماكف على خدمة امدادك واحفظ ما
يخاطبك به عني واكدت عليه في ذلك حرصا على استنشاق رائحة مقامى
عنده رضى الله عنه فعن قريب واذا به قد عاد الي وعليه طلائفة البشر
فاخبرني انه لما خاطبه عني كما امرته واستوعى عني كلامه قال رضى الله عنه
يا سيدى منك الحديث يغذي اذ جاني به من عندك سعي
ول غير خاطرك طير عيسىنى واعملها فيدة وخلافى كفى
قال ولم يزل رضى الله عنه يخاطبني بهذا الكلام ويعيده علي الى ان
انقشتم حفظا فلا جرم انه لم يدع السرور من قلبي لسماع ذلك محلا
إلا وحله ولا مقد هم احكم صرف الزمان عنده لآ توجه نحوه وحله
واطمئني بذلك حسن ظني انى متحصن بحرز امانه داخل تحت كفالة
كفاية ضمانه

فلى البشارة والهفسا ان تم لي منه المراد وهمنى ناديه

او نالني من فيض بحر سماحه رش فليد نزل الرجا واديه

وايضا

نلت المقاصد والمثي ان صح لي ما ارتجيه من سحائب غيشه

واكون ممن قد رعا بهسيرة وحماه من شر الزمان وغسيرة

فيث اذا لهج المرید بذكره نال السعادة والعلی من فضله
قاله اسال بالنبي وصحبه يمين علي بان ارى من حزبه
ومن ذلك عنه الا انه لا ينافر الميزان ولا يخرج لموافقة وزن الرجز عن
لاوزان وقد كان عنده رضى الله عنه جماعة من الزائرين واكثرهم علي
ماحدثني به ابن هون لا يعتقد لما يرون من ظاهر احواله التي لا تتقاس
عندهم فقال

انا هو البهاول من ياتى الي يلزم الصمت ولا يعتب علي

فان ثروا خيرا فذا ما قد جرى وان ثروا فيرا فسلم يا ذكى

وانما ذكرنا هذا القدر من كلامه رضى الله عنه تيمنا بذكره واقتباسا للبركة
من كتب ما جرى على لسانه او مر بفكرة

فلعل عينا نافرت طيب الكرى كلفا بهذا الامر دون تكلف

ان يستين لها الهدى فتبيل عن سبل الهوى بتودد وتالف

وترى المني واليمن في سعي الى دار القرار بذلة المخلوف

فاله جل جلاله وتقدست اسماءه ذو منة وتعطى سف

فقدّر هذا الشيخ الذى خدمت كماله عنده جليل وظنى به سبحانه وهو
اعلم بمكنون سرى جميل وحاشاه واليه منت الوجوه ان يقضى من باب
جوده من يرجوه

صفة الشيخ رضى الله عنه

ازهر اللون ضخيم العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر ربعة في فده
الى الطول كث اللحية اشهل العينين عريض الوجه مستديرة مع الجمال
البارع في البنية الكاملة السوية والصورة القويمة القوية

تقدس السر منه واستتم بما به تناسب منه السر والعلس
تشاكلت فيه اوصاف مكملة وطلعت المحسن ابدى وجهه الحسن
وكان رضى الله عنه على المستقر من سيرته لا يحلق شعر راسه في الغالب
ولا بقصرة بل يتركه مع كثرة تلبده الى حد يثرد في كونه شعرا مبصرة لم

لا يزال إلى أن يفصل مع طول الزمان من رأسه ويتجذب متداعيا إلى السقوط بنفسه فإذا انفصل بحيث لا يبقى له من أصله ماسك أو ثقل بخيوط يبقئ معها وهو بها متماسك ثم ان دعت الضرورة لازالة ما خرج من لحيته من حد لاعفاء أو لحد شاربه كان هو المتولى بنفسه من ذلك قضاء مأربه حدثني الثقة ان الشيخ رضى الله عنه استدعى يوما موسى وأصلح به من شأن لحيته وشاربه ثم نزع الخيوط التي كانت ماسكة لما تلبد من شعر رأسه فزال وكأنه اجنبي من رأسه وقال عند ما ازاله زال عنا الهم فاخذ شعرة ذلك ولد اخيه النائب عنه بالزاوية واهداه لبعض نساء ارباب الدولة الحفصية العثمانية فاعطته عنه سبعين دينارا ذهباً وهي اشد امثالها من ذوات القدر غبطة بما فاته من ذلك فانظر رحمك الله الى اتانفة هذا الشرف العزيز شعر ينافس فيه بزنته او اكثر من الذهب الابريز

وكم عند المزيين من شعور نمر وما لنا منها شعسور
سر الله الذى يورث اوليائه الاكرمين ظهر وقد كمله الله بكمال الخلق
الرضى والتخلق الكامل الرضى فنتحه رضى الله عنه مع اهل زمانه الصبر
والحلم والرافة والحنان والرحمة والتعطف والتودد وحسن المعاملة والشفقة
على سائر الامة فيدفع رضى الله عنه اساءة المسع بالتي هي احسن ويراه
بعين كماله كمن اليه احسن ولو انه قلم لنفسه في ذلك بطلب الانتصار
لحل بالمسعى من اليم اخذ الله ما هو في سرته هلاكه كنار في اعصار لكنه
رضى الله عنه يرى الصفح اجمل والعفو احسن ما به قادر تجمل ومن
نعمته رضى الله عنه القيام بالنصرة للنزول والرغبة الى الله فيما يكشف بوسه
ويزيل وبسط لامل لمن ام من الراجين جنبه او اناخ به مستجيها مما
نابه وقد انشعب فيه بوس الزمان مخله ونابه لكن مذهبه رضى الله
عنه تقديم الصدقة بين يدي نجواه في جلب نفع قاصده او دفع بلواه
سر به خص كالسبي قبل يرى تقديم ذاك شفيها غير مسرود

٢ كذا
بالنسبة
السبي
بايدينا
قاسم

في صورة البيع ذا يعطى لذاك وقد رقت معاني ذوى التصريف بالجلود
فنسال الله الذى اهلنا لنشر محاسنه الغالية ونشر طيب الكلم من محامده
العالية ان يتفعا به يوم لا ينفع مال ولا بنون ويغفر لنا بتركه في الدارين
وعند احتضار المنون

وهذا القدر في ذا الباب كاف لمن عرف الحقيقة والمجاز
فبحر الشيخ في الاحوال طام وقد اخفت حقيقته المجاز
وكانت وفاته نور الله تعالى قبره واعلى في مقامات المقربين قدره
صبيحة يوم السبت ثامن صفر عام ثمانية وستين وثمانمائة ولم يكن به
رضى الله عنه مرض وانما اصبح في اليوم المذكور وقد تفقده بعض قرابته
داخل نواته الكريمة وهو مستقبل القبلة بين المجالس والاضطجع واربتة
انفه الكريم على حجر وهو مخضوب الوسمه بدم رعاfe الذى كانت وفاته
فيما فعله منه وان كان عند الصرين بموته ودهشة صدمته لاولى توهم
اول من رآه انه جريح لتلطخ ثيابه وموضعه بذلك الدم لكن عند تفقد
حاله والبحث عن حقيقة امرة بنزع ثيابه عنه وهو على اعداد مغسلة
تين لمن رآه ان ذلك الدم انما خرج من انفه وقد حضرت غسله رضى
الله تعالى عنه وتاملت جسده المبارك لا قف على حقيقة ما قيل فما
تحققت الا انه دم رعاfe وما بسائر جسده كله رضى الله عنه اثر لغير
ذلك وكانت لورثه قدس الله تعالى روحه ونور صريحه نباء اذابت الاكباد
وافجعت الحاضر والباد واصمت كل سامع واصمت المسامع واصمت
الناطق وافزع الصامت والناطق ولم تدع قلبا الا واصرمت وقده وابرمت
يد لاسي لتوارد الاحزان بفقدته مقده

واولا الناسى والصبر لم تزل جفوني بطوفان المدامع تسسبح
لفقد ولي في رياض سماحه مدى الدهر ما بين الحمائل نمرج
وكان رضى الله تعالى عنه قد نعى لنا نفسه وهيا بالاذن في بناء تربته
رسمه واحيي بذكر الموت المبيد يومه وامسه ونحن في غفلة عما اراده

وراء حجاب يمنعا ان نفهم مراده وكان صحيح الاذن في كسب سره
صريحا بان الامر منه قد اقترب وحدثنى الشيخ ابن زيد خدام الشيخ
رضي الله عنه قال وجهني صاحب الاشغال بتونس الى الشيخ رضي الله
عنه وقد كان الخليفة دخل المدينة ذلك اليوم وبه مرض وقال لي قل
له يا سيدي ما الذي تطعم الضيف هذا اليوم يريد السلطان فقال لي
رضي الله عنه وقد اخبرته بمقاله قل له لا اله الا الله كلهم اذنين بهذا
اللفظ وانتم تنظرون في الناس كيف طلوعوا للحجبال وتحصنوا بالادوية
والشعاب وقد انصرفت عنها وتركها خربة ثم توجه بخطابه الي وقال
ان سالت عن نفسك امشي لتلك التربة يشير الى تربته الكريمة وابكي
فيها حتى تشبع وذلك قبل موته رضي الله عنه بازيد من شهر فاتفق ان
بلغ المرض بالسلطان الى حد اخافت فيه الاعراب السبل والرايا كما
اشار الشيخ لارجائف المرجفين بموته وعوفي بعد ايام من موت الشيخ
رضي الله عنه

ابان لنا السر المصون خطابه ولكن وصف الجهل قد عطل الفهما
ومن لم يجد بالذوق معنى حديثه فمثلي اصم لاذن عن سره اعمى
وكان رضي الله عنه في اول يوم من الشهر الذي مات فيه يقول
بالصوت العالي على صفة البريح وهو يمشي من طرف سطحه الى
الطرف الآخر وينادي على سائر اهل الصناعات يا خياطين لا يخط احد
ويا خرازين لا يخرز احد ولا ينسافر احد ولا يبيع احد ولا يشتري احد
السلطان مات وانا السلطان

اشار الى كف الاكف بفقدته عن الشغل شغلا بالصاب الذي حلا
فكان كذاك الامر يوم ممساته ومحطور محذور لاسي بعده جلا
وفي رابع الشهر المذكور اخرج رضي الله عنه جميع ما كان في النواله من
طعام وغيره ودفن كثيرا من خشبها ثم قال هذا خبايا اوقفناه وقطعناه وهذه
نواله صرناها وخليناها وهذه سارية اوقفناها وهدمناها ولا يدوم الا الله

وفي هذا صريح النعي بساد وابن الذوق يفهمنا المسرد
وعن ابن زيد المذكور قال امرني رضي الله عنه في يوم الجمعة الموالي
ليوم وفاته رحمه الله بتخميل بعض ما بقي في النواله وفي جملة حصر
فتمال لي رضي الله عنه ازل هذه الحصر ما بقي من يقعد عليها ثم اخذ
مكبا جاءه فوق قصعة طعام ووضع على راسه واخذ في امر النواله فسهط
المكب المذكور عن راسه فقال لي ايش هذا فقلت له طاح المكب فقال
لي رضي الله عنه اي والله طاح اي والله طاح اي والله طاح ثلاثا
وفي هذا لذي الفهم اعتبار وانذار بان الشيخ مات
قال وفي يوم الجمعة المذكور كان رضي الله تعالى عنه ينادي يا امة محمد
هذه راحة عظيمة انا فيها ويكرر ذلك وكان رضي الله عنه يقول في
ذلك اليوم وليته وفاته يا قمر علاي طال الهجر زارني محبوبي وصفا
الغيار هكذا بهذا اللفظ وبمعنى القول فيه

وكل يعنى التواصل في قلوب سقاها الحب كاس هوى غيارا
واخبرني الشيخ ابو محمد عبد الله ولد اخي الشيخ رضي الله عنه قال
اتيته ليلة موته رحمه الله بعشائه بعد العشاء الاخيرة فامرني بوضعه
بين يديه وقال لي اذا مات لفته في عباته هكذا بصمير الغائب
موت المحبة كالشهادة عندهم وكذا الشهيد بما عليه يسدفن
ولما اتصل بي خبر موته رضي الله عنه ضاقت ببني من جميع الجهات
لاركان ولم يلقني لثقل ما حملت من ذلك مكان وقصدت المقام لتحقيق
المسروع وانا الى تكذيبه اميل مني الى التصديق به تغلبا مني لجانب
الرجاء وطمعا في الحياة التي ترجى فاذا ما اطعته من لامل المطاع باطل
يرجيد رجاءه الذي قلده قلاود لاماني عاطل

واذا الصريح الشيخ مات وكل من تلقاه يخبر بالرزية سائله
والناس قد حشروا اليه وكلهم من دمه اجرى عيونا سائله
فعند ذلك حوتلت خروجا عن الحول والقوة واسترجعت والى اساة الناس

وجميل التحمل رجعت

على اننى بينى وبين تحملى مجال فسلطان الهوى مهجى ملك
ورمت الوصول اليه رضى الله تعالى عنه لرويته وحضور غسله فما قدرت
على ذلك لازدحام الخلق وخصوص بعضهم في بعض وذاكرهم على الزاوية
طمعاً في الوصول اليه وما امكنني ذلك إلا بعد ان تسورت السطح
من حائط تسوره قبلى جماعة من المحبين ولولا ان لفقاء الشيخ وقربته
عنائة بي ما تم لي ذلك ولم ازل بعد صعود السطح احاول بحسن التخلص
والسياسة الى ان وصلت اليه رضى الله تعالى عنه وقد انزلوه من نواكه
الى بيت من بيوت علو الزاوية فوجدتهم وقد ارادوا تجريدته للفصل
وهناك جماعة من اهل الامارة وارباب الدولة يمنعون الناس من
الوصول اليه بالضرب والرد العنيفين

وما في الاقوام إلا من بسكاه بدمع من ميون كاليسون

ومن نعم الله تعالى الوافرة واياديهِ المتظافرة ما تن به سبحانه علينا من
حضور غسله وتكفينه ومواراته والصلاة عليه بعد ما كان انعم به من
الدخول صريحاً في دائرته ولا تنظام في كريم سلكه واختياره لنا رضى الله
تعالى عنه لكتب سره الباهر وفخوره الظاهر وقد كان سال ذلك منه رضى
الله تعالى عنه جماعة من الفضلاء وكلهم متسبب لمنيع جنابه مومل محرم
جنابه فلم يبرز ذلك إلا على لسان ترجمان بياى ولم تتم محاسن طرور
طروره إلا بحركة بنائى

وهذه نعم جللت ففسالسه جل اسمه شكر ما اولى من النعم
وكنيت في قائم حياته رضى الله عنه اشد الناس حرصاً على تحصيل بعض
ما فيه البركة والخير من ملبوسه الكريم فما قدرت على ذلك ولا وصلت
اليه بوجه من الوجوه مع شدة الطلب منى لذلك وقوة البحث عنه الى
ان اتفق انا لما ادرجناه يوم وفاته في اكفانه رضى الله عنه وردت عليه
من قبل الخلافة اكفان امروا بدفنه فيها وعدم اسعافهم في ذلك لا يمكن

لتوجه

لتوجه وجوب امثال كلتهم المطاعة فنزعوا عنه بعض ما كان ادرج فيه
وعوضوا عنه مما وجه به الخليفة لذلك وكان في جملة ما نزعوه من ذلك
عمامة الكريمة التي كانت على راسه وطولها خمسة وعشرون ذراعاً
فكانت لنا من الشيخ رضى الله عنه غنيمة باردة وهديته على يد الموهبة
واردة وهي في خزائن تكميمى عوذة شافية وقيمة كافية

وها هي عندي للكاره جنسـة وما اتقى ارجو وأمل ان تنسى
وعزت لدينا ان تسام نفاسـة بما من نفيس الصفر والبيض اتقى
ولما فرغنا من فصله وتكفينه رضى الله عنه ولم يبق إلا التحدث في امر
الصلاة عليه ودفنه ورد علينا صاحب الاشغال من قبل من له الامر معرفة
ان السلطان امر بعد اخراج الشيخ للصلاة عليه الى جامع الزيتونة خوفاً
ما هو محقق الوقوع من الفتنة الناشئة عن ازدحام العامة على نعشه
وكان ذلك من الراى السديد والنظر الرشيد فانزل الى تربته الكريمة
في سجادة على اعناق الرجال وكاد لولا حضور اولى الامر يقع ما كان يخشى
بخروجه الى الجامع وصلى عليه رضى الله عنه على شفير قبرة وكان المتقدم
للصلاة عليه امام جامع الزيتونة حيثذ وهو الشيخ الفقيه الصالح المستقيم
على كمال فصله ودينه ابو العباس احمد المراتى وكان كامل الاعتقاد
والحبة في الشيخ رضى الله عنه وغالب ظنى انه لم يتخلف عن شهود
الصلاة عليه إلا من مسكه العذر الغالب او كان اعمى القلب مطموس
البصيرة عن شهود انوار الشيخ وكان له رضى الله عنه مشهداً رايته لاحد
قبله قط وما اظن انه وقع بافرقية لغيره وذلك ان الزاوية وما حوالها
وجامع الزيتونة وما حاذاه من جميع جهاته كل ذلك مفتص بالخلق على
اختلاف انواعهم وطبقاتهم ولم يستطع امام الجامع للصلاة عليه الوصول الى
الزاوية من كثرة الخلق إلا بتسور سطح الزاوية من مضاة السلطان ومع
هذا كله فقد كان المودنون يسمعون التكبير من صومعة جامع الزيتونة
وصومعة جامع الموحدين من القصبه فان الناس كانوا يصلون حيث

امكتتهم الصلاة من الدور والاسواق وغير ذلك حرصا على ان يكتبوا قيم
شهد الصلاة عليه رضى الله عنه واما الخليفة فلم يشهد جنازته لعذر المرض
المانع له من ذلك وما غاب عن شهودها احد من سائر اولاده وما زالوا
بعد الصلاة عليه على شفير قبره الى ان هالوا عليه التراب فيمن هاله ودفن
من تربته الكريمة في البيت الذى كان اقام به سبعة اعوام ومات رضى
الله عنه وهو صحيح البنية سويها ولم ارمخها بتاريخ مولده رضى الله عنه
ولا معرفا بمقدار عمره الا ما حدثني به الشيخ المعتقد ابو العباس احمد
الدقنى انه سمع من الشيخ رضى الله عنه في موطن عديدة ما يقتضى
انه يموت ابن تسعين سنة ولا بعد في ذلك هدى فان حال الشيخ
عند وفاته قريب من هذا الحد والله تعالى اعلم وقد سال منى بعض الحيين
انشاد بعض ما يقوله يوم الغراق فانشدته على قدم الاستعجال وما الى في
ميادين السلو بمجال

الله اكبر دمع العين قد وكفا فحسبنا الله ما قد دهي وكفا
وكم تهدم في ترشيش نبساته لرشقها كل قلب صيرت هدفا
كم ذا التحمل يا قلبي فذب اسفا هذا المنادى بنعى الشيخ قد هفا
ابو الصرائر شيخ الوقت سيدنا معنى الزمان اخو السر الذى لطفا
ذاذاه سرا منادى الموت حى على لى الحبيب وعيش بالخلود صفا
فقال ليك مشدود النطاق لما يراد منه وغض الطرف وانصرفا
واغضب الناس من ابلاس نباته ذعرا كما القطر من افلاسه رجفا
ودت قبيل سماع النعى انفسنا ان لم تكن خاقت اولم تنزل نطفنا
نصام بالامر نهييه اليه فما عنى وذا قط يوما لا ولا صفعنا
ويحدث الرقت في اثواب جدتنا خرقا فيرفع والمبتوس ما عرفنا
رزح اصم واصمى صوت صارخه فلم يدع مقلة الا بكى اسفا
يا سيد الوقت يا قطب الزمان لمن من بعد بعدك نشكو والزمان جفا
كما يسرك في امن وفي دعسة فالامر لله ذاك السركيف خفى

وكنف في الدهر كهفا لانصام به فبعدك الدهر منا نال وانصفا
كيف الصبر والسوان يا املى وربع انسى بكم لما ارتحلت عفا
يا قرة العين من اللنابات ومن يلقي عن الخلق من احوالهم كفا
ومن لربة خدر قل ناصرهما ومن لذى علة يرجو لديك شفا
ومن لذى امل قد هام فيك هوى واستعد الفكر في امداحكم كفا
وبالمقام اقسام اليوم وهو على ما انت تعلم منه قد اعتكفا
كسر قلب اسير في يديك على ساق البرة اجلالا لكم وقفنا
ما رام انسا بقرب منك يطلبه الا ترامت به ايدى الهوى شفا
ولا رثاك ودمع العين شافعه الا الى مجدك السامى الذرى انعطفا
منى عليك سلام لا يزال به ندى قبرك يهدى للورى تحفا
ثم رايتها بعد التامل قاصرة عن المراد قصيرة الباع في المطلب الذى
يراد فصرفت العناية الى انشاد اخرى واحتسبت ذلك عند الله ذخرا
وانشدت والعجز بي منوط ولى من قصورى مروط

ارى الدنيا وزخرفها محالا وحال محبها ان سر حالا
اذا والتك يوما بالامانى ثولت منك واستلبت نوالا
وان حسنت بما اولته حالا لابناء الهوى قبحت مالا
شراب نعيمها الفانى سراب يرى ماء ولا يروى نهالا
تسر بوصفها وتسرحجرا وتقطع جبل ود منك طالا
وحطة خطة الآمال فيها تقود به قود البلوى وبهالا
وفي يوم السرور بها شرور يكدر شربها المساء الزلالا
وكم فتكت بمن فتنت وفكت مقاطعة مدبرة مقالا
يصول بوصفها المزرى فتاما فان ولت دعا وبلا وقالا
ارى قدمي لنيل الوفرفيهسا اراق دمي ولم ادرك منالا
وفايته الزوال وان تراخى زمان المرء فيها واستطالا
بعين النقص ولازرا راءا رجال حق ان يسموا رجالا

كرام قد زكت منهم نفوس كما طابت معافهم جلالا
 جهابذة ملوك ان تراهم ترى المجد الذي عدم المشالا
 بدت لهم الحقائق فاجتلوها عرائس البست منهم جمالا
 وفوق منصة التخصيص سرا انيلوا القرب منها والوصالا
 سقوا خمر ابدن الحب منها تكاد الكلس تشتعل اشتعالا
 وعند بذاة العرييد هاموا بساقهم عن الدنيا اشتغالا
 ومالوا عن زخارفها وكونسها الى ما عند مولاهم تعبالا
 تحاموها وضوا الطرف منها وعن انصافها اعتاضوا الكمالا
 بهم تستدفع اللوى ويساوى اليهم ان طمى بحر وحالا
 لكل منول منهم زمسان يسوق الفتح فيه اليه جالا
 يصرف صارف التصريف عنا صروفا نخشى منها نكالا
 وذلك السر صار اليوم وقفسا على علم اليه الامر آلا
 سرث اسرارهم سرا اليهم فليل ابر السرائر قد تعالا
 واصبح مفردا لها معلى ومن في لارض نحو علاه مالا
 عروس جده لقبها وهذا عروس الفتح من وفاء نالا
 الى مليه لتتسب المعالى وتطلب منه قربا واتصالا
 ونحو كماله لاغتاق مالت خصوما بالعجة وامتنعالا
 اطاع الله والاسرار تبسودو على ذى السر قول او فعالا
 فساق وقد اطيع الخلق طوموا لطاعته ليكسبهم كمالا
 ودون مقامه ادبسا ويمسلا الى التعظيم قد خلعا النعالا
 علا قدرا على من قد يعسالى وسامى الفردين علا ومالا
 ارته كشفه اسرار غيب اليها سره الملكوت جالا
 وخول من بساط لانس قربا ونول منه انوارا تلالا
 والبس بالكرامة تاج فخر فلم يترك لمن ناوى مقسالا
 ولما ان توغل في بحر من العرفان قد رحبت مجالا

ونال السر ولا كبير لسا راي الاشياء تنفعل انفعالا
 واحرز طلسم لاسما بسر تحمل منه احمالا ثقالا
 وكان الكتم فندهم طريقسا تبوا كلهم منه الظلالا
 ثقلد مودة من سوء فسل ومن احواله ابدى الاحالا
 واطهر فتنة التخریب فينا ليوم في طريقته اعتسالا
 كفعل الموصلى وكان ممن يشد الواصلون له الرحالا
 وللكردى والعذنى فن من التخریب ذروته اطالا
 وللخواص بالحمام فعمل اثار النقص واستلب الكمالا
 وسفیان الجليل القدر فيهم دم الذمى فتكا قد اسسالا
 وللشيخ الكفى ابى يعزى حديث اورث الداء العضالا
 والسبى احوال رافسا كثير حين يديها مسالا
 لكل مقرب منهم حساب نرى البدر لائم به هلالا
 ونحسبهم لوصف الجهل منا من الخيرات اجمعها كسالا
 وهم قوم لسر الله فيهم اقيموا بين اظهرنا جببالا
 بهم يستعصم الجاني فيلغى من الدهر ابتهاجا وابتهاالا
 وقد رحلوا وبغضهم رابسا فقي بالفتح قام لنا احتفالا
 يرد طلائع المكره مهسلى تواجها اهتماما واهبالا
 واهل الوقت ان دعت صروى عليه بصرفها كل احالا
 لغنى مجسدة معنى لطيف اليه به القلوب هوى امالا
 افاق فطر الآفاق ذكرا واولى رفده كرمسا ووالا
 واصبح كعبة للناس تجلى بتونس والرقاب لها امتعالا
 اقام لحسنها حرما وركنا وادع فيه للتقبيل خسالا
 وكنا معشر الغرباء نساوى اليه ولا نرى منه انتعالا
 فقد طوى البساط اليوم منه وازمع من محبه ارتعالا
 وبالنادى نادى النعى نادى ابو العباس مات فمن يسوالا

وخلف بعده لا كعبلا منسا
 وقد سحت عيون العين تبكى
 فكم ساق الجملى لها مشرق
 وسار لكى يرى ذاك الجمالا
 وحث لها المريد السوق شوقا
 ليقتضى من مطالبه سؤالا
 فعادت حين عادتها اللبسالى
 فذاك المجد منها لا يبسالا
 وكانت والوفود بها مكوف
 فامست لا ترى فيها خيالا
 وكان لمجدها سر عجيب
 فيا لله كيف اليوم زالا
 فمن يرجسى اذا دعت دواء
 وحال الوقت للمقت استحصالا
 ومن يلقاك معجرا مجيسرا
 اذا الداعي الشوب قال يالا
 ومن يدعى اذا اصطدمت كرب
 وكف النكس قد صلت قذالا
 وشيخ الوقت بالارماس اسمى
 رهنا لا نفلك لم اعتصمالا
 وكل مقيم بالحب فيهم
 عليه التوب يوم الدفن خالا
 وما راعته هيبته لدينسا
 وشيئته التى كسيت جلالا
 فيا سدى الملقى ان دعى
 وقد حججوك ينهمل انهمالا
 ويا كهفى المعلى ان قلبى
 عليه الحزن بعدكم تسؤالا
 ولو انى بكم ذبت احتراقسا
 ومث اسى لما كان اغتيالا
 ولو ان الفواد كساة حزنى
 لبوس البوس بعدك ما استقالا
 لحى الله الفراق اراق دعى
 وحالى بعد من ادى احصالا
 ونوى قد اطسار جوى وحزنا
 وارقتى ويومى قد اطسالا
 تبالت بعدك الدنيا وانى
 جديد فيك حبي ما تبسالا
 اتيتك زائرا عن صدق قصدى
 ارم بمجذك السامى اتصالا
 فكنت لنا ابا برا رحيمسا
 بكل كريمته منكم نسؤالا
 وانى اليوم اذ حججوك عنى
 وراشوا بالامسى نحوى نيسالا
 اقمتم بمسائكم لاحزان موقى
 وقمت بها على سوقى احتفالا
 ولم اترك ملا يعلىك الا
 وقلت عليه اريكم مقالا

وقلنت البديع بديع نظمى
 بنظم قلنتى فيك ارجسالا
 وفوق منابر الامداح ابدى
 خطيب خطايا السحر الحلالا
 ولم اجنح الى من قص جهلا
 جناحا منك بالاسرار طسالا
 وقصدى ان يقال بكم شارى
 وما قصدى وسرك ان يقسالا
 وان لسان افصاحى لديكم
 قصاره القصور وان تغسالا
 ولكن ان كبا يوما جوادى
 فمثلك من لمثلى قد اقسالا
 ولولا ان لى فقد اعتقاد
 لما طال اللسان بكم ومسال
 فقابل بالرصاص عنى اقتراحى
 فعجزى وصف اعجازى ازالا
 وانجز بالاجازة لى وصودى
 فعودى قد ذوى والحال حسالا
 فلتست بمختلف للومد فينسا
 واست كمن يرى ما قلت فالالا
 وودى ورده قد طاب فيكم
 ومقدى لا اروم له انحصالا
 وقدى بعدكم قد قد حزنا
 ودعى لو ترى كالسيل سالا
 على افى وان حججوك عنى
 اراك مصورا عندى خيسالا
 ولست بميت والذكر باق
 وسرك لا يزول ولن يسزالا
 وكل معبر منا سيفنى
 ويبقى الله مولانا تعسالا
 فغلس سرك اليسرى ولولى
 ثواب الصبر من حرم الوصالا
 وفى غرفات عليين ارجو
 لك الخلد الذى امن الزوالا
 واهتم بالصلاة على رسول
 اليه الامر يوم الحشر آلا
 وهوتم الكرام وتابعيهم
 صلاة تكسب العبد الكمسالا

* الباب الثانى فى الكشف عن طريقته الباهرة * * والرد على منكرو ولايته الظاهرة *

ويشتمل على مقدمة وفصلين وهى بالنسبة لهما كفرع ثم محاسن اصلين
 فالمقدمة فى التحذير من التعريض بالاذابة لسائر اهل الكرامة والولاية
 والفصل الاول فى اثبات ما انتهجه رضى الله عنه من هذه الطريقة والاشارة

في ذلك الى ما يفهم الحقيقة والفصل الثاني في التماس المخرج لغرائب
تخريبه وتسديد الامر في ذلك وتقريره أما المقدمة فاعلم نور الله
بصيرتك وقرن بخالص اخلاص اليقين سريرتك انه يجب تعظيم قدر الولاية
والولي والتدابير مع ارباب ذلك المقام العلى والقيام بين ايديهم على
قدم المبرة والتكريم والوقوف معهم على حد السمع والطاعة فلكريم فخرهم
حريم اما من بضاعة اعتقاده فيهم مزجاة وحقته في ذلك اما له او عليه مرجاة
فسيبيل سلامته سلوك منهج التسليم ورد الامر فيما لا يعلمه الى الواحد
العليم واما مجاذبة احاديث الانتقاد عليهم فمقرونة بالهلك وخائض ذلك
البحر المردى لا ينجيه من هلاكه مواخر الفلك وكيف لا والقائم بامر
نصرتهم على المعادين لهم العادين مولاهم والمتولى خذلان من رام احتضام
جنايهم من اختصهم بما شاء واولاهم فهم غير مفتقرين لصدق التوكل على
الله في دفاع المعادى الى جلاله وضرب وكفى المستند نكاية قوله عليه
الصلاة والسلام حكاية عن ربه من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وهو
حديث مسند صحيح وبقيامه جل وعلا بالنصرة لهم صريح فإى رتبة
لاولياء الله انفس من هذه واشمخ واى قدم لهم امكن من هذه وارسخ
انالهم الذى طلبوا واعلى مكانة قدرهم فى العالمين
وعطر ذكركم فينا وائنى وقام لهم باخذ الظالمين
قال ابن مطاع الله رضى الله عنه فى لطائف المنن فاصغ رحمة الله الى
ما تضمنه هذا الحديث من عزارة قدر الولي وفخامة رتبته حتى همزله
الى سبحانه هذه المنزلة ويحمله هذه المرتبة لان الولي خرج عن تدييره
الى تدبير الله ومن انتصاره لنفسه لانتصار الله وعن حوله وقوته لصدق
التوكل على الله وقد قال الله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكان ذلك لهم لانهم جعلوا الله مكان هويهم
فدفع عنهم لاغيار وقام لهم بوجود الانتصار
ومن قام بالنصر مولا الله يوق ويحفظ بما املاه

وبالنور يكتب فى وجهه محياك سبحان من جملته
قال واخبرنى الشيخ شهاب الدين لابرقوهى قال دخلت على الشيخ ابي
الحسن الشاذلى رضى الله عنه فسمعت يقول يقول الله عز وجل مبدى
اجعلنى مكان هلك اكفك كل هلك مبدى ما كنت بك فانت فى محل البعد
وما كنت بى فانت فى محل القرب واختر لنفسك وقد جاء فى الحديث
من شغله ذكرى عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطى السائلين فاذا كان
الحق سبحانه قد رضى لهم ان يشغلهم ذكره من مسالته فكيف لا يرضى
لهم ان يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لنفسهم ومن عرف الله سد
عنه باب الانتصار لنفسه اذ العارف قد اقتضت له معرفته ان لا يشهد
فعلا لغير معرفته فكيف يتصور من الخلق من يرى الله فعلا فيهم وكيف
يدع اولياءه من نصرته وهم قد القوا انفسهم لديه سلما واستسلموا لما يورد
منه حكما فهم فى معادل عزه تحت سرادقات محبته يصونهم من كل شئ
لأن من ذكره ويقطعونهم من كل شئ إلا من حبه ويختارهم من كل شئ
لأن من وجود قربهم يستهم بذكره لهجة وقلوبهم بانوار محبة وطن لهم
وطنا بين يديه فقلوبهم جائمة فى حضرته واسرارهم محقة بشهود احديته
قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول ولى الله مع الله
كولد اللبوة فى حجرها اثرها تاركته ولدها لمن اراد اغتياله وقد جاء فى
الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض غزواته وامراة تطوف
على ولدها رضيع فلما وجدته احنت عليه والقمته الددى فنظر الصحابة
اليها متعجبين فقال صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبدة المومن من هذه
بولدها ومن هذه الرحمة برز انتصار الحق لهم ومحاربة من اذاهم اذ هم
جمال اسراره ومعادن انواره وقد قال سبحانه الله ولى الذين آمنوا وقال
ان الله يدافع عن الذين آمنوا غير ان مقاتلة الحق سبحانه لمن اذى
اولياءه ليس يلزم ان تكون معجلة لتصر من الدنيا عند الله ولان الله لم
يرض الدنيا اهلا لعقوبة اعدائه كما لم يرضها اهلا لاثابة احبابه وان

كانت معجزة فقد تكون قسرة في القلب او جمودا في العين او تعويضا
عن طاعة او وقوعا في ذنب او فقرة في الهمّة او سلب لذاتة خدمة
وقد كان رجل من بني اسرائيل أقبل على الله تعالى ثم اعرض عنه فقال
يا رب كم اعصيتك ولا تعاقبني فارحمي الله تعالى الى نبي ذلك الزمان ان
قل لفلان كم عاقبتك ولم تشعرا لم اسلبك حلاوة ذكرى ولذاذة مناجاتي
قال وفائدة هذا البيان ان لا يحكم لانسان أذى وليا من اولياء الله تعالى
بالسلامة اذا لم تر عليه محنة في نفسه وماله وولده فقد تكون محنته اكبر
من ان يطلع العباد عليها

فحسن على حينا فيهمهم ندافع بالله ما لم نطيق
ونسأل منه تعالى اسمه خلوص محبة أهل الطريق

قال وسمعت الشيخ ابا العباس يقول كان اذا أذاني انسان يهلك للوقت
وانا الآن لست كذلك فرأى رضى الله عنه مستشرفا لذلك فقال اتسعت
المعرفة وسمعت يقول لحوم الاولياء مسمومة لم قال واعلم رحمك الله وعلمك
من العلم الذي بذلك عليه وجعلك من الدائمين بين يديه ان انتصار
الحق لا وليا له ليس ذلك لهم لانهم طلبوه من الله ولكنهم لما صدقوا التوكل
عليه وارجعوا الامر اليه انتصر الحق لهم الم تسمع قوله سبحانه ومن
يتوكل على الله فهو حسبه ولا تقولن هم ممن ينتصر لنفسه بل قل هم ممن
ينتصر الله لهم فانه الغالب الذي لا يغلب والقادر الذي لا يعجز والقاهر
الذي لا قبل لاهل السموات والارض بذرة من بلائه وقهره ولو وضع ذرة
من ذرات بلائه وقهره على الجبال لاذابتها قال ومعنى قول الشيخ رضى
الله عنه اتسعت المعرفة ان المريد في مبدا ارادته بهيمته وفي نهايته
بوجود معرفته فاذا كان في مبدا ارادته بهيمته توجه بصدق الهمّة الى
الله لاجتأ اليه في الانتقام ممن آذاه فينتصر الحق له لتوجهه بصدق
الهمّة في طلب النصر ولصيق عطنه عن الصبر على تأخير الانتقام والعارف
اتسع عليه بحر المعرفة فانطوت همته واشاعته وتدبيره في اشاعة الحق

له وتدبيره آياه ومن شهد المشيئة فاي همّة تبقى له وايضا اذا اخرب
عقوبة من آذاه شهد حسن اختيار مولاه لان انتصاره لانه لا يخشى
عليه ما يخشى على المريد من عقوبة الله تعالى لان انتقام له وايضا ان
العارف لو توجه بطلب الانتقام ممن ظلمه قامت الرفقة والرحمة القاطنان
به لتخليقه بخلق معروفه فمغناه من الانتصار وان كان على ذلك قادرا
وكيف ينتصر من الخلق من يرى الله فعلا فيهم ثم اولياء الله اذا ظلموا
على طبقات داح يدعو على من ظلمه واستشار لاذى منه القرح واستخرج
منه لاضرار فهو الذي لا يرد دعاؤه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا
دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب والقسم الثاني وهم
الذين اذا ظلموا لجئوا الى الله سبحانه في طلب النصرة وتعجيل لاذى غير
انهم علموا ان الله سبحانه يعلم السر واخفى فرفعوا امرهم الى الله سرا بسر
وهؤلاء اولى بانتصار الحق لهم لتوكلهم عليه ولا رجاعهم بالامر اليه وقد قال
الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولقد ذكر ان امرأة كانت لها
دجاجة ليس عندها غيرها وكانت تنقوت بيضها فجاء سارق فسرقتها فلم
تدع عليه وارجعت الامر الى الله تعالى فاخذ العيارق الدجاجة فذبحها
وفنف ريشها فنبت جميعه بوجهه فسأل في ازالته ذلك فلم يستطع
وسال الناس فلم يتقدروا على ازالته ما نزل به الى ان اتى الى حبر من
احبار بني اسرائيل فقال لا اجد لك دواء إلا ان تدعو عليك المرأة التي
سرقت دجاجتها فان فعلت ذلك شفيت فارسل اليها من قال لها اين
دجاجتك التي كانت عندك قالت سرقت قالوا لقد آذاك من سرقتها
قالت قد فعل قالوا وقد فجعتك في بيضها قالت هو كذلك وما زالوا بها
كذلك حتى اثاروا الغضب منها فدمت فتساقط الريش فقبل لذلك الحبر
من اين ملئت هذا قال لانها لما سرقت دجاجتها لم تدع عليه ورجعت
الى الله سبحانه في امره فانصر لها فلما دعت انتصرت لنفسها فتساقط
الريش من وجهه القسم الثالث صاب لما ظلموا لم ياجتئوا ولم يدعوا

طلبوا للانتقام من ظلمهم ولكن فوضوا الامر الى الله فكان هو المختار لهم
القسم الرابع وهم الطبقة العليا الذين اذا ظلموا رحموا من ظلمهم قال
الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه واذا آذاك ظالم فعليك بالصبر
والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك
وظلمك لنفسك فاذا فعلت ما الزمت من الصبر والاحتمال اثابك الله سعة
الصدر حتى تغفر وتصفح وربما اثابك من نور الرضا من ترحم به من
ظلمك فتدعوه له فتجانب فيه دعوتك وما احسن ذلك اذا رحم الله بك
من ظلمك فتلك درجة الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب
المتوكلين ومن هذا القليل الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه ما اتفق لابراهيم
ابن ادهم رضي الله عنه انه قال له جندي اخبرني اين العمران فاشار
الي المعابر فظن انه يهزا به فصر به فشجه فطاطا راسه وقال اصرب راسا
طال ما عصي الله فليل للجندي هذا ابراهيم بن ادهم زاهد خراساني فاحتجني
على رجليه يقبلهما ويعتذر اليه فقال له ابراهيم بن ادهم والله ما رفعت
يدك عن ضربي لئلا وانا اسال الله تعالى لك المغفرة لاني علمت ان الله
تعالى يثيبني على ما فعلت بي ويواخذك على ما فعلت بي فاستحييت
ان يكون حظي منك الخير وحظك مني الشر فقال الشيخ ابو العباس
رضي الله عنه ليس هذا عين الكمال بل ما فعله الصحابي سعد احد العشرة
هو عين الكمال ادعت عليه امرأة انه احتاز شيئا من بستانها فقال اللهم
ان كانت كاذبة فاعمها وامتها في مكانها فعميت وجاعت يوما تمشي في
بستانها فوقعت في بثر فماتت فلو كان ما فعله ابراهيم عين الكمال لكان
اولي به ولكنه كان سعد امينا من امانة الله نفسه ونفس غيره عنده سواء فما
دعا عليها لانها آذته ولكن دعا عليها لانها آذت صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابراهيم بن ادهم لم يصل الى هذه الرتبة فترك الدعاء على
الجندي لئلا يكون ذلك انتصارا لنفسه وسعد رضي الله عنه قد خلصه
الله من نفسه وابرزته الى الخلق بخلص به من يشاء من عبادة والصوفي

لا يستقصى الحق لنفسه ولكن يستقصى الحق لربه ثم قال اعلم رحمك
الله تعالى ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم ان يسلط الخلق عليهم
ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا وكى لا يساكنوا الخلق باعتماد او
يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد اعتقك من رقى احسانه ومن احسن
اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم جبلت
القلوب على حب من احسن اليها وقال صلى الله عليه وسلم من اسدى
اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدرؤا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من
احسان الخلق ويتعلق بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم
يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير
لك من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب
يتطعن عن الله تعالى وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم منك نهارا الا ترى
انهم اذا قبلوا فتنوا وتسلط الخلق على اولياء الله تعالى في مبدء طريقهم
سنة الله في احبابه واوليائه ولذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
الهي ان التزم قد حكمت عليهم بالذل حتى مزوا وحكمت عليهم بالقد
حتى وجدوا فكل مز يمنع دونك فنسالك بداء ذلا تصحبه لطائف رحمتك
وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فعدا تصحبه انوار محبتك قال
وما يدلك على ان هذه سنة الله في احبابه واصفيائه قول الله سبحانه
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله
قريب وقوله مز وجل حتى اذا استياست الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا وقوله وفريد ان نحن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمه
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض وقوله تعالى اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
لئلا ان يقولوا ربنا الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى فمن
حالتهم في بدايتهم طاطا ابراهيم بن ادهم راسه حين ضربه الجندي فقال

اضرب راسا طال ما عصى الله وقوله ما ترحمت من عمرى إلا ثلاث
مرات كنت فى المسجد فاصابنى البطن فكنت اقوم واقعد فجاء صاحب
المسجد فامرني ان اخرج فلم استطع لقوة الضعف فاخذ برجلي يجزني
حتى اخرجني والمرة الثانية نزلت ما كان علي من ملابس فلم اراه لكثرة
القميل والمرة الثالثة ركبنا فى سفينة وكان هنالك مضحك فكان يقول كنا
ناخذ الملح فى بلاد العدو هكذا ويمد يده الى تخمى فيها فاعجبني اذ لم
يرى السفينة احقر منى قال وهذا شأنهم فى بدايتهم فلما منهم بوجود البقايا
فيهم فخافوا ان يتصوروا فيتصورون لانفسهم فيستطون من عين الله فرجعوا
الى وجرد الحلم كافين ايديهم عن الانتصار لعلهم بأفات لانتصار للنفس
وشرعة الحق وعادته فى اصفائهم ككثيرة الاهداء والنصرة منه لهم عليهم
قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه آذانى انسان مرة فضقت ذرعا بذلك
فكنت فرايت يقال لى من علامة الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالى بهم
ويجب ان تعلم ان النفوس شانها استخلاء لاقامة فى مواطن العز والرفعة
فلو تركها سبحانه وما تريد لهلكت فازعجها عن ذلك بما يسلطه عليهم من
اذى المودين ومعارضة الحاسدين وقال بعض العارفين الصيحة من العدو
سوط الله يضرب به القلوب اذا ساكنت غيره ولولا ذلك لوقد القلب فى
ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله عظيم وصدق رضى الله عنه وهذا الصنع
من حسن نظر الله لاوليائه واحبابه واظهارا لآثار ولايته فيها لقوله سبحانه
الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فاذا لامت انوارهم
وتطهرت من البقايا اسرارهم حكمهم فى العباد واداهم عليهم فحينئذ يكون
العبد المجتبى سيفا من سيوف الله تعالى ينتصرو به الله لنفسه ومن هذا
الباب دعا سعد على المرأة التى ادمت عليه كذبا اللهم اعم بصرها وامتها فى
مكانها فاستجيب له ولما دخل على عثمان رضى الله عنه الدار لطم انسان
زوجته فقال له عثمان رضى الله عنه قطع الله يدك ورجليك وادخلك
فى النار فرى ذلك الرجل بالشام وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يقول دعوة

عثمان استجيب له فى اثنان وبقيت الثالثة ولذلك قد تلبس احوال
الرجال على عموم العباد فلا تفضل وليا ظلم فصفح على ولى ظلم فانتصر
او دعا فمقد يكون صفح من صفح لعلهم بالبقايا فى نفسه ودعاء الداعي
لعلهم بتطهيرة من البقايا فدعا انتصارا لربه وقال الشيخ ابو الحسن رضى
الله عنه علم الله ما يقال فى اوليائه والصديقين فبدا بنفسه فغضب على
قوم اعرض منهم فانسوا اليه الزوجة والولد فاذا قيل فى صديق انمزديق
او قيل فى ولى انه غافل عن الله غوى فان ضاق الولي والصديق بذلك
ذرعا قيل له الذى قيل فيك هو وصفك لولا فضلى عليك وقد قيل فى ما
لا يستحقه جلالى وقال ايضا رضى الله عنه الهالك بهذه الطائفة اكثر
من الناجى ثم قال رضى الله عنه واعلم ان الله سبحانه ابتلى هذه الطائفة
بالتخلق ليرفع بالصبر على اذاهم مقدارهم وليكمل بذلك انوارهم وليتحقق
الميراث فيهم ليؤذوا كما اوذى من كان قبلهم فيصبروا كما صبر من قبلهم ولو
كان من اتى بهدى اطبق الناس على تصديقه هو الكمال فى حقه لكان الاولى
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صدقه قوم هدام الله بفضلهم
وحرم من ذلك آخرون حجبهم الله عن ذلك فاذا قسم العبادى فى هذه الطائفة
الى معتقد ومنقذ ومصدق ومكذب وانما يصدق بعلومهم وانوارهم من اراد
الله سبحانه ان ياحقه بهم والمعتزف بتخصيص الله فيهم وعنايته قليل لغلبة
الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكراهية الخلق ان يكون لاحد عليهم
شفوف فى منزلة او اختصاص بمنته ومن اين لعموم العباد ان يعلموا اسرار
الحق فى اوليائه وشروق نوره فى قلوب احبابه وسبب هلاك الهالك بهم
ان من اظهره الله منهم لا بد ان يظهر بباهر المنن وخوارق العادات
فتمتغرق عقول العموم ان يعطى احد ذلك غير الانبياء وان تظهر الخوارق
إلا فى اهل العصمة وهؤلاء لم يعلموا ان كل كرامة لولى فهى معجزة لذلك
النبي الذى هذا الولي تابع له فظن هؤلاء ان جويان الكرامات على الولي
مساهمة لمقام النبوة وحاشا لله ان يشترك النبي والولى فى مقام كيف وقد

قال أبو يزيد جميع ما اخذ الاولياء مما هو للانبياء كزق ملهى عسلا
فرشحت منه رشاخة فما انطوى عليه الزق فهو مثل علوم الانبياء وتلك
الرشاخة هي حظ الاولياء منهم ثم قال واعلم رحمك الله ان من اعز بعزير
لم يشاركه في العز فالولياء الله اعزوا بالانبياء الذين اعتدوا بهديهم واقتفوا
سبلهم فلا يشاركونهم في عزهم لان بهم اعتزازهم الم تسمع الى المولى يقول
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلم يكن اثبات العزة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وللمؤمنين من عباده يوجب شركة لله في عزة وحكمة الله اقتضت
عدم اتفاق العباد في الولي بل انقسم الامر فيه كما بيناه لما بيناه ولا مراً آخر
وهو انه لو كان الخلق كلهم مصدقين للولي فاته الصبر على تكذيب
المكذبين ولو كان الخلق كلهم مكذبين للولي فاته الشكر على تصديق
المصدقين فاراد الله سبحانه بحسن اختياره لاوليائه ان يجعل العباد فيهم
قسمين مصدق ومكذب ليعبدوا الله فيمن صدقهم بالشكر وفيمن كذبهم
بالصبر ولايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر واعلم انه لعزاة قدر الولي
عند الله لم يجعله إلا محجوباً عن خلقه وان ظهور بينهم لانه ظهر لهم من
حيث ظاهر علمه ووجود دلالة وبطن لهم ولايته وقد قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه لكل ولي حجاب وحجابي لاسباب فمنهم من كان حجابهم ظهوره
بالسطوة والعزة والنفوس لا تتحمل صحبة من هذا وصفه وسبب ظهوره
ذلك الولي بذلك تجلي الحق عليه به فاذا تجلى عليه بصفة ظهورها
فاذا غلبت عليه شهوداً غلبت عليه ظهوراً فلا يصحبه ولا يثبت معه إلا
من يحق الله نفسه وهواه قال ومن هذا الصنف كان شيخنا ومولانا ابو
العباس رضي الله عنه لا تجلس بين يديه إلا والرمب قد ملا قلبك ومن
خلصه الله من نفسه وهواه فلا يستغرب ظهوره بالعز فاي ملك اعظم من
هذا الملك هذا ملك امير الملوك ووجوده افلا ترى انه لم يزل في كل قطر
وعصر اولياء تذل لهم ملوك الزمان ويعاملونهم بالطاعة والاذعان ومنهم من
يكون حجابهم كثرة التردد الى الملوك والامراء في حوائج عباد الله فيقول

التصير لادرالك لو كان هذا ولياً ما تردد الى ابناء الدنيا وهذا جور من قاتله
بل انظر تروده اليهم ان كان لاجل عباد الله وكشف الضرر عنهم وتوصيل ما
لا يستطيعون توصيله اليهم مع الزهد والياس مما في ايديهم والتعزز بعز
الايمان وقت مجالستهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فلا حرج على
من هذا شأنه لانه من الحسين وقد قال سبحانه ما على الحسين من
سبيل قال وهكذا كان سبيل شيخنا القطب الكبير ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه حتى لقد سمعت الشيخ الامام مفتي الانام تقي الدين محمد
ابن علي القشيري رحمه الله يقول سبب جهل الناس وولادة الامر لقد
الشيخ ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كثرة تردده اليهم في الشفاعات
قال ويجب ان تعلم ان هذا امر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بخلق الله
قد بذل نفسه واذلها في مرضات الله وعلم وسع رحمة الله فعامل بالرحمة
عباد الله مثلاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقد يكون حجاب الولي كثرة
الغنى وانبساط الدنيا عليه قال بعض المشايخ رضي الله عنهم كان رجل بالمغرب
من الزاهدين في الدنيا ومن اهل الجهد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده
من البحر وكان الذي يصيده يصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فاراد
احد اصحاب هذا الشيخ ان يسافر الى بلد من بلاد المغرب قال له هذا
الشيخ اذا دخلت الى بلدة كذا فاذهب الى اخي فلان فاقرة مني السلام
وتطلب الدماء منه لي فانه ولي من اولياء الله تعالى قال فسافرت حتى
قدمت تلك البلدة فسالت عن ذلك الرجل فدللت عليه في دار لا تصلح
إلا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبتة فقبل لي هو عند السلطان فازداد تعجبي
اكثر من الاول قال فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت لا يمكنني
مخالفة الشيخ فاستاذنت فاذن لي فلما دخلت رايت ما هالني من العيود
والخدام والشارة المحسنة فثلث له اخوك فلان يسلم عليك قال جئت من
منده قلت نعم قال اذا رجعت عليه فقل له الى كم اشتغالك بالدنيا والى

كم اقبالك عليها والى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقلت والله هذا اعجب من
 الاول فلما رجعت الى الشيخ قال اجتمعت باخى فلان قلت نعم قال فما
 الذى قال لك قلت لا شئ قال لابد ان تقول فاعدت عليه ما قال فبكى
 طويلا وقال صدق اخى فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده
 وعلى ظاهره وانا اخذها من يدي وعندى اليها بقاءيا التطلع قال ومن حجب
 اولياء الله قبولهم من الخلق فاذا قبل الرجل ما يعطى صغر عند الخلق وهم
 لا يكبر عندهم الا من لم يقبل دنياهم ومن اذا اعطى رد عليهم ولعل فاعل ذلك
 انما فعله زندقة وزواقا واستيلافا لقبول العباد عليه وليتوجه بالتعظيم اليه
 ولينطاق بالاسنة بالشناء عليه وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه من
 طلب الحمد من الناس بترك لاخذ منهم فانما يعبد نفسه وهواه وليس من
 الله في شئ ومما قد يصد عتول العموم عن اولياء الله تعالى وقوع زلة
 ممن تزى بزيمهم وانتسب الى مثل طريقهم والوقوف مع هذا حرمان ممن
 وقف معه وقد قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فمن اين يلزم
 لما اساء واحد من الجنس او ظهر على عدم صدقه في طريقه ان يكون
 بغيته اهل تلك الطريق كذلك واشد حجاب يحجب عن معرفة اولياء
 الله تعالى شهود المائلة وهو حجاب قد حجب الله به الاولين قال الله تعالى
 حاكيا عنهم ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
 وقال سبحانه وتعالى مخبرا عنهم ابشرا منا واحدا نتبعه وقال سبحانه وتعالى
 وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى في الأسواق واذا اراد الله ان
 يعرفك بولى من اولياء الله تعالى طوى عنك شهود بشريته واشهدك وجود
 خصوصيته ثم قال رضى الله عنه في وصية له وارشاد اعلى بها صرح النصيحة
 وشاد اباك ايها الاخ ان تصغى الى الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين
 لثلاث سبب من عين الله وتستوجب العقاب من الله فان هؤلاء القوم جلسوا
 مع الله على حقيقة الصديق والخلوص والوفاء ومراقبة الانفس مع الله
 سلوا قيادهم اليه والقوا انفسهم عليها بين يديه تركوا الانتصار لانفسهم حياء

من ربوبيته لهم واكتفاء بقيومته فقام لهم باوى ما يقومون لانفسهم وكان
 هو الحارب عنهم لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم ولقد ابتلى الله تعالى هذه
 الطائفة بالخلق خصوصا اهل العلم الظاهر فقل ان تجد منهم من يشرح
 الله صدره للتصديق بولى معين بل يقول نعم نعلم ان لاولياء موجودون ولكن
 اين هم فلا تذكر له احدا الا واخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان
 بالاحتجاج عاريا عن وجود التصديق فاحذر من هذه صفتهم وفر منه
 فرارك من لاسد وقال التادلى رحمه الله تعالى قيل للشيخ ابي العباس
 السبتي رضى الله عنه ما للعلماء يكرهونك ويعادونك فقال لانى مومن بخبر
 الله تعالى حيث يقول وما انفقت من شئ فهو يخلفه وهم غير مومنين بذلك
 قال وكان يقول ركن العلماء الى الدنيا وبخلوا بها وغلبوا جانب الرجاء وفيهم
 يقول الله تعالى فخلف من بعدهم خلف الى قوله اجر الصالحين وقال
 الشيخ ابو الحسن الششتري رضى الله عنه في رسالته المنكروين على هذه
 الطائفة ثلاثة اصناف ارباب الدنيا واتباعهم والمتعمدون من الفروعية
 واتباعهم والمتعمدون في الاعمال المتنمسون واتباعهم اما ارباب الدنيا فان
 الفقراء اصداقهم لرثة ثيابهم وقلته جاعهم والصدى في ضده والدنيا تورث
 القساوة وطول لامل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور واتباعهم يمشون في
 مرضاتهم وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيل واما الجامدون
 من الفروعية فانهم يعتقدون لاحاطة بالشرعية وينكرون على من ترك
 طريقهم ويتبعهم العوام على ذلك ولاحاطة بالشرعية متعذرة وقد انصف
 الامام مالك رضى الله عنه حين قال له الرشيد اريد ان احمل الناس
 على ما في الموطا فقال لا فان الصحابة رضى الله عنهم تفرقوا في الامصار
 وعند كل واحد علم واما المتعمدون في الاعمال المتنمسون فقد فتتهم الشيطان
 بروية اعمالهم التي يتصنعون فيها ويرتكبون فيها ناموسا وطرقا يعظمهم
 الناس لاجلها وظاهرها الحسن فهم يبخسون الفقراء لعدم تصديقهم في
 اعمالهم فان الفقير اذا راي عمله اشرك واذا راي انه قد اخلص احتاج

الى الاخلاص يخلصه من شرك نفسه قلت وما ذكرناه آنفا في حق
 اهل العلم الظاهر من مقالات فيما يعتمدون به هذه الطائفة الجليئة من
 منافرة ومقالات لا يعتقد ان ذلك المرد كلهم على جهة العموم يردونه او
 انهم جميعا اذا ذكر التصوف بلسان عملهم يردونه بل فيهم المقبل والمعرض
 والمسلم والمعارض والناكص على عقبيه جريا على مقتضى انتقاده والعاكف
 على تعظيم القوم لصحة قواعد اعتقاده قال الامام الياقعي في روض رباحه ولم
 يزل العلماء الصالحاء رضى الله عنهم قديما وحديثا يعتقدون طائفة الصوفية
 ويزورونهم ويتبركون بمجالستهم ودمائهم وآثارهم من ذلك ما جاء عن
 الامام سفيان الثوري رضى الله عنه في مجالسته لرباعته رضى الله عنها
 وتادبه معها وبها وما جاء عن الامامين الشافعي واحمد رضى الله عنهما
 في مجالستهما لشيبان الراعي رضى الله عنه وحكايتهم المشهورة معهما قال
 فقد رويانا ان الامام احمد رضى الله عنه كان عند الامام الشافعي فجاء
 شيبان الراعي رضى الله عنه فقال احمد اريد يا ابا عبد الله ان انبه هذا
 على نقصان علمه ليشغل بتحصيل بعض العلوم فقال له الشافعي رضى الله
 عنه لا تفعل فلم يفتح فقال لشيبان رضى الله عنه ما تقول فيمن نسي
 صلاة من خمس صلوات في اليم والليل ولا يدري اى صلاة نسيها ما
 الواجب عليه يا شيبان فقال شيبان رضى الله عنه يا احمد هذا قلب
 غفل عن الله تعالى فالواجب ان يودب حتى لا يغفل من مولاة فغشي على
 احمد رضى الله عنه وفي رواية اخرى فالواجب ان يودبه بامادة الخمس فلما
 افاق الامام احمد رضى الله عنه قال له الامام الشافعي رضى الله عنه الم اقل
 لك لا تحرك هذا وفي رواية اخرى انه سأل عن الزكاة ايضا في كم تجب
 فقال شيبان رضى الله عنه اما على مذهبكم فتجب في الابل في كذا وكذا
 وفي البقر في كذا وكذا وفي الغنم في كذا وكذا وفي الفضة في كذا وكذا وفي
 الذهب في كذا وكذا واما على مذهبي فالكل له قال وكذلك رويانا انه
 اجاز ابو العباس ابن شريح الفقيه الامام الشافعي المذهب الملقب بالباز

الاشهب مجلس لامتاز ابي القاسم الجنيد رضى الله عنه فسمع كلامه
 فقل له ما تقول في هذا فقال لا ادري ما اقول ولكن ارى لهذا الكلام
 صولة ليست بصولة مبطل وما سات ابن شريح رحمه الله حتى اعتقد
 الصوفية واستحسن طريقهم رضى الله عنهم وقال بعضهم حضرت مجلس
 ابي العباس ابن شريح رحمه الله فتكلم في الفروع والاصول بكلام حسن
 عجبت منه فلما راي اعجابي قال اتدري من اين هذا هذا من بركة مجالستي
 ابا القاسم الجنيد رضى الله عنه وقيل لابي القاسم الجنيد رضى الله عنه
 ممن استفدت هذه العلوم فقال من جلوس بين يدي الله تعالى ثلاثين
 سنة تحت تلك الدرجة واشار الى درجة في داره وروى ان ابا المعالي
 امام الحرمين رضى الله عنه كان يدرس يوما في المسجد بعد صلاة الصبح
 فمر عليه بعض شيوخ الصوفية ومعه اصحابه من الفقهاء وقد دعوا الى
 بعض المواضع فقال امام الحرمين في نفسه ما شغل هؤلاء الا لاكل والرقص
 فلما رجع الشيخ من الدعوة مر عليه وقال يا فقيه ما تقول فيمن صلى الصبح
 وهو جنب ويقعد في المسجد ويدرس العلم ويغتاب الناس فذكر امام
 الحرمين انه كان عليه غسل ثم حسن اعتقاده بعد ذلك في الصوفية رضى
 الله عنهم وفي هذا القدر من هذه الزواجر اعظم نكاية للمعتقد واكرم كفاية
 يطمئن بها قلب المعتقد وتأخير القول فيها انسب الى ما انعقد له الباب
 وادعى الى استمالة قلوب ذوى الالباب ولكن لا بد من صرف العناية
 الى ارداف ذلك بحكايات صحيحة واخبار في هلاك المتعرض لاذية
 القوم رضى الله عنهم صريحة تلين لسماعها القلوب القاسية وتترك لها
 سفن الهمم التي هي في مراسي الغفلة راسية فمع الترغيب وترهيب ومع
 لابعاد تقريب والنفوس اذا سكنت الى مساكنة الكسل والتسويق انما
 تزاح عنها ظلم لاغيار ببارقة التخويف وبذكرها يعلم صدق انتصار الله
 لاوليائه وحقيقة معالجة الانتقام ممن تعرض لاذية اصفائه ونكمل
 طرز محاسن حلتها الفاتكة بذكر حكايات عروسية سابقة لها في الترتيب

ولا حقة فيحصل بذلك تمام النفع والدفع ويعلم المخدول قدر ما بين
 الخنص والرفع فمن ذلك عن شيخنا الكامل مفرع الايامي والارامل ما حدثني
 به الحاج ابو عبد الله محمد بن سالم المراتي الجزري وكان على ما تعرفت
 من حاله صدوقا ومن الاقدمين في معرفة الشيخ رضى الله عنه على ما حدثني
 به هو وغيره قال لما انتقل الشيخ رضى الله عنه في بدايته امره الى الفندق
 الذى هو اليوم زاوية المباركة وكان حينئذ عامرا بسكانه كسائر الفنادق
 وفيه مخنت بيده المفاتيح فكان المسكين كثير الاذاية للشيخ رضى الله عنه
 بالفعل والقول متعصبا لذلك في غالب اوقاته واحواله والشيخ رضى الله
 عنه مع ذلك كله يجامله ويحاسنه قال فلما رايت من المخنت المذكور
 ما رايت من قلة المبالاة بحال الشيخ وعدم اكترائه بامر ساعني ذلك
 فكنت اعم ان اوقع به المرة بعد المرة لكثرة ما ارى منه من سوء الادب
 مع الشيخ رضى الله عنه قال وكان عندي في حانوتي صانع له كفاية
 فقلت له يوما وقد ضاق من امره صدرى وعيل بتكرار ذلك منه صبرى
 اريد منك ان تمسك هذا المخنت وتضربه حتى لا تدع فيه حراكا
 فتكفل لي بذلك فلما كان في بعض الايام دخل الصانع المذكور للفندق
 والشيخ هنالك جالس فلم يزل مع المخنت الى ان اوغر صدره واطهر منه
 بسبب حمية نفسه ما فيه حروشة له فمد يده اليه والقاه بين رجليه
 في الارض ولم يزل يضربه الى ان كاد يقطع حراكه وخرج للمحانوت
 وتركه قال فخن في صمنا واذا بالمخنت افاق وجاءني للمحانوت ودعاني
 للمحاکم ليقيم له بزمه منى فحملني خوف العقوبة على ان نزلت للفندق
 واخبرت الشيخ بانه دعاني للمحاکم واطهرت له الجزع والخوف فقال لي
 رضى الله عنه اتركه يمشى في لعنة الله قال فوالله ما رىء المخنت من
 تلك الساعة ولا علم له خبر الى الآن ولم يعلم احد لامر عاقبة وكانما
 الارض ابتلعته وترك قشره وسائر حوائجه بالفندق وذهب الى حيث
 اقامت رحلها ام قشعم وارج الله تعالى وليه من اذاه وانتقم له ممن كان

آذاه فنعوذ بالله من سوء قضائه والتعرض لغضب اوليائه ويشهد لعدم
 تلافى تلافى هذا المخدول وقلة الثور من امره على خبر منقول ما ذكره
 الشيخ ابو محمد عبد الله الياقنى رضى الله عنه في كتابه في خلاصة الفاخر
 عن الشيخ لاصيل ابى الطاهر ابن الشيخ الجليل ابى العباس احمد بن
 ملي الصرصرى رضى الله عنه قال سمعت ابى رحمة الله عليه يقول
 مر الشيخ حماد الدباس رضى الله عنه ببعض قرى بغداد فرأى بعض امراء
 الدولة المستطهرية راكبا سكرانا فانكر عليه فخط عليه كلامير فقال الشيخ
 يا فرس الله خذيه فعدت به فرسه كالبرق الخاطف يسبق البصر وفقد
 ولم يعلم ابن ذهب وبعث الخليفة الخيل وراءه فلم يسمع له بخبر ولم
 يقف له على اثر فقال الشيخ تاج العارفين ابو الوفاء رضى الله عنه وعزة
 من له العزة لم تستقر به فرسه دون بر ولا بحر ولا سهل ولا وعر حتى
 ذهبت به الى وراء جبل قاف ومن ثم يبعث فاعر سمعك هذه الحكاية
 واعلم بها وبمثلها تصروف اهل الولاية ومن ذلك عن شيخنا الحجة وعمادنا
 الذى اوضحت مناقبه الحجة ما حدثني به ابن عون المذكور وغيره قال
 كان رجل قتال يجلس للعمل غربى جامع الزيتونة عمدة الله تعالى يلقب
 كثوث وكان يوذى الشيخ رضى الله عنه اذاية صريحة يواجه بها كلما
 رآه فكان اذا سمع كلام الشيخ رضى الله عنه يقول بهراى منه ومسمع الثور
 يزوك فوق السطح فيقول له الشيخ رضى الله عنه الثور يصبح مذبوحا
 فاصبح المسكين بعد مدة طويلا مذبوحا لا يعلم له قاتل والعياذ بالله تعالى
 نسال الله العافية من بلائه ولا من من سخطه لسخط اصبائه وذكر الشيخ
 الياقنى رحمه الله تعالى انه تخصصم خادم الشيخ ابى الغيث المشهور
 رضى الله عنه وغلام السلطان فضرب خادم الشيخ غلام السلطان فبلغ
 ذلك السلطان فامر بخادم الشيخ فقتل فبلغ ذلك الشيخ ابا الغيث رضى
 الله عنه فاطرق ساعة ثم قال ما لي وللحراسة انا انزل من الشباب
 واترك الزرع فقتل السلطان في ذلك الوقت فجاء ولده الملك المظفر الى

الشيخ المذكور رضى الله عنه مستغفرا ونعلاه على راسه او قال في عنقه فقال له الشيخ ما تريد قال الملك قال رضى الله عنه وليتك قال والمشباب بكسر الميم ثم الشيخ المعجزة ثم الباء الموحدة مكررة قبل الالف وبعدها يعنى مكانا عاليا من خشب منصوبة فوقها عريش يجلس عليه حارس الزرع فاحضر اصاحك الله قلبك لما نلتوه من هذه الزواجر عليك ونعليه طلبا لصلاحك على السنة افلام تنهيه اليك وقس رجاءك في ذلك بخوفك وسلامتك المرجوة بحتفك وارثككب انهم طريق تاحفك بالسلامة وتدخلك تحت كنف اهل الكرامة نسال الله لذلك سبيلا سائلة وهمة لا يفاظ فترات العزيمات قابلة ومن ذلك من شيخنا المكيين المطاع وعمادنا الذى تارج نشر عيبره رضاع ما حدثني به ابن عون المذكور عن الشيخ ابن غريال رحمه الله تعالى قال كان في بيت من بيوت الطبقة العليا التى فوق بيت الشيخ رضى الله عنه من الفندق الذى هو اليوم زاويته الكريمة رجل اندلسى قاجر وكان المسكين كثير الاذاية للشيخ رضى الله عنه مستهزئا به مزدريا بحاله ولم تزل به اذايته الى ان احتقر نقبا في قاعة بيته التى هي سقف بيت الشيخ والتى عليه من هنالك نجاسة في آنية عنده معدة لذلك فلم يزد رضى الله عنه على ان قال ايش هذا الكفر وسكت عنه ثم ان الاندلسى المذكور سافر في البحر للانندلس وترك من ماله بتونس قدرا له بال فاحذ اسيرا ومات في ارض الكفر تحت ذل لاسر واستولى من له الامر بتونس على متروكه كله والعباذ بالله تعالى فايين انت عن سماع هذا يامن اذا دعه العبر تهاوس وان بدت له انوار الهدى اطرق لرمذ بصيرته وتناص قد أن لك ان تراجع لطلب السلامة نهاك وتقبل يمين من من سوء ادبك نهاك وان انت ابيت إلا اذاية لاولياء الله وطعننا وتكاثف طبعك من المراد وقد قرب لك المعنى ففص الله اذا فاك وهيا لصنع النقم قفاك ونحن نعوذ بالله جل جلاله من اليم اخذه وموبق سخطه المبلغ الى سقوط العبد من نظر مولاه ونبذه وفي خلاصة الافاخر

للإمام اليافعى رحمه الله تعالى ان الشيخ العارف ابا عبد الله محمد بن ابي الحسين الخزومي ذكر بسنده المتصل انه كان رجلا من وجوه اهل سنجار كثير الوقعة في الاولياء السالفين رضى الله عنهم اجمعين فلما حضرته الوفاة جعل يتكلم بكل شئ إلا بالشهادة فاذا قيل له قل لا اله الا الله يقول لم يؤذن لي في ذلك فصح الناس واتوا الى الشيخ سويد السنجارى رضى الله عنه فاتاه وجلس عنده واطرق مليا ثم قال له قل لا اله الا الله فقالها وكررها مرارا فسال الشيخ انه عوقب بذلك لوقيعته في الاولياء السالفين وانى شفعت فيه فقيل لي قد شفعتك فيه ان رضى عنه اوليائونا السالفون فدخلت المحضرة الشريفة واستوهبت ذنبه من معروف الكرخي والسري السقطي والجنيد والشبلي وابى يزيد وغيرهم رضى الله عنهم فاطلق لسانه بالشهادة قال فقال الرجل انى كلما اردت ان اتشهد وثب شئ اسود وشد الثقل على لساني ومعنى النطق وقال لي انا وقيعتك في اولياء الله تعالى ثم جاء بعده نور يتللا فطرد ذلك السواد عنى وقل لي انا رضاء اولياء الله تعالى منك وها انا انظر الى خيول من نور بين السماء والارض قد ملأت الجو عليها ركباني من نور مطرقة رؤوسهم مليية يقولون سبوح قدوس رب الملكة والروح قال وما زال ذلك الرجل يلهم بالشهادتين حتى مات رحمة الله عليه فانظر رحمك الله بواردات حنانه وعطفه وعاملتك في الدارين بنفحات فضله ولطفه كيف هدد هذا بسوء الخاتمة والعباذ بالله عند راس المنقلب وكاد على اعز بضائعهم لولا العناية السابقة يغلب لكنهم رحم لحسن سابقته بشفاة هذا الكامل فكيف ايقظك الله حال موزي يحضر بين شفاعة الارامل نسال الله ان يجعلنا ممن صفا في محبة اوليائه ورده وخلص عن شوائب الكدر ولاوة الصميم ووده ومن ذلك من شيخنا الذى كمل في سماء السموات بدره وعلا في مقامات المقررين قدره ما حدثني به ابن عون المذكور قال كان الشيخ رضى الله عنه ربما يقول كالتعود انا معك يا ابن القلال ولا نعلم له في ذلك مرادا ثم انه رضى الله تعالى عنه

نادى يوما ولد اخيه الشيخ ابا محمد عبد الله بكسر دال عبد رحمه الله وهو
 ذاتيه حيث شذ في امر الزاوية فلما وقف بين يديه زجرة وقال يا عبد الله
 هكذا مرتين او ثلاثا هذه البطن المشومة احوجتك الى من يردنا حلالف
 وخنازير ثم قال رضى الله عنه انا حصدت ابن قليل الهم من الجدر قال فلما
 رايت انحراف الشيخ رضى الله عنه سألت النائب المذكور عن موجب
 ذلك فقال انه عرضت لى عند ابن قليل الهم حاجة وكان حينئذ صاحب
 التنفيذ بافريقية فكلتمته في قصائرها فكان من خطابه لى ان قال حصرتم
 لنا حلوقا في خشة وصرتم تنظرملون علينا به يريد الشيخ رضى الله عنه
 قال فلم يمس للمذكور الا ايام قلائل واوغر الله عليه صدر السلطان فاخذته
 اخذة رابية لم يترك له فيها سبدا ولا لبدا من جميع متمولاته وسائر
 ممتلكاته واهين الامانة البالغة ومثل به المثلة الدامغة وما زال المسكين
 في دار التقاف والتسكيل الى ان اخترعته منيته وحسبنا الله ونعم الوكيل
 فاصغ يا من يرى الجذب بين ازرائه عزلا وولاية الولاية لانطماس بصيرته
 عزلا واجهد وانا النذير العربيان في خلاص نفسك المسكينة وتلق بين
 ايدي صالحى عباده والقهم عليك الوقار والسكينة فلعمري ما لشمل
 صلاحك من مفرق وان جمعه ولا لسريوسودك من واضع ان رفعة
 من الله علينا بمحبتهم التي هي جماع الخير كله وجامعة ستائر النصف بها
 ومفرقة كتائب همومه ونكلمه وفي خلاصة المفاهيم من بعض الشيوخ
 الاجلة ان الشيخ الكبير يوسف ابن ايوب الهمداني رضى الله عنه يتكلم
 يوما على الناس فقال له فقيهان كانا في مجلسه اسكت فانت مبتدع
 فقال لهما اسكتا لا عشتما فمانا مكانهما قال وكان هذا الشيخ الجليل قد
 انتهت اليه تربية المريدين بخراسان وكان له القدم للراسخ في علوم
 المعارف والباع الطويل في الاحكام الشرعية ولايصاح الجلى عن مخفيات
 الخواطر والفعل الخارق في الصريف الظاهر نفع الله به واعاد علينا من
 بركاته فانظر سدد الله في مرامي التوفيق سهمك واجزل حظك من قسم

سعادته ووفر منها سهمك الى سوء عاقبة من ادبر عن اعتقادهم الحسن
 واعرض وتعرض بالطعن والرد لوفود كراماتهم الجليلة واعترض هل تجد له
 عند اخذ الله من دافع او تقبل فيه عند نفوذ سهم القدر بهلاكه شفاعة
 شافع نسال الله ان ياخذ بنواصينا الى ما فيه رضاء ويوفقنا من امر القوم
 الى ما يحبه ويرضاه ومن ذلك عن شيخنا الملاذ وكهفنا النبيع العياذ ما
 حدثني به فير واحد ان الشيخ الفقيه الاوحد ابا علي منصور ابن الشيخ
 الكبير الشهير ابي الحسن علي بن عثمان البجائي نور الله صريحه وقدر
 روحه كان كثيرا ما يقع في الشيخ رضى الله عنه ويصرح بالانكار الفضيع
 عليه ويشيع ذلك في المجالس الجمهورية والمشاهد السلطانية وتلك
 طريقته المعروفة وسيله التي هي منه مالوفة فانه رحمه الله كان شديد
 الصولة وله في ميادين الكلام اياما جولة وانتهى امره الى ان تكلم بالانكار
 على الشيخ في مجلس الخليفة مع الفقيهيين الجليلين الصبدرين الكاملين
 قاضي تونس اذ ذاك وقال لهما رجعت تونس قرية ثور فوق سطح
 يزوك وانتم سكوت يريد الشيخ رضى الله عنه فاما قاضي الجماعة منهما
 السيد القسطيني فلم يجبه من هذا بشئ واما قاضي لانكحة الفقيه
 الحجّة ابو علي صر القاجاني فانكر عليه بالتي هي احسن هذا التضييع
 وانفصل المجلس ثم بعد مدة اجتاز الفقيه السيد ابو علي المذكور مع بعض
 ارباب الدولة تحت مقام الشيخ رضى الله عنه فنادى مساترة فلما وقف
 قال له رضى الله عنه حصل رأس الكلب في الجرة وهو رحمه الله
 يسمع فلما انفصلا قال له يا سيدي ما اراد الشيخ بهذا الكلام الا انت فلو
 رجعت عن انكارك فلم يقع منه كلام الشيخ موقعه من قلوب الناجسين
 فكانت عاقبته عن قريب لما هو معلوم مشهور من اخذ الخليفة له والكبس
 عليه الى ان مات وهو بدار التقاف رحمه الله تعالى فانظر رحمك الله هل
 تجد منك لهذا الداهم اذنا واعية او قابلية قابلة نصائح هي الى ساحل
 السلامة داعية هذا رجل من العلماء لا كابر والفضلاء لا شاهر قد لسعته

عقارب الانتقام وهو يرى انه انما تحرك لله وقام وليته بعد على بساط التسليم اقام فما ظنك بمن طمس الجهل بصيرته وسودت بوائق الخذلان سريرته فان ادبر باحظ نفسه الامارة وان اقبل فما له في مأثر اهل التوفيق امارة وهو في اذية اولياء الله ابدا طلق اللسان كانما يرجو على جرائم اساءته غنائم الاحسان وهو انما يسعى كما قيل لختفه بظلمه ويجدع مارن انفسه بكفه نسال الله السلامة الدائمة والمئة التي لا تبقى معها لائمة وفي خلاصة المفاهر عن الشيخ العارف عبد اللطيف بن احمد البغدادى الفقيه رحمه الله تعالى قال قصد الى الشيخ عثمان رضى الله عنه رجلان من البطايح احدهما اعمى والآخر مجذوم ليدعولهما بالعافية فانيهما رجل معافى ليس به عاهة فسالهما عن قصدهما فاجبراه فقال لهما ان هذا الرجل ما هو عيسى بن مريم والله لو شاهدته وقد ابراكما لما صدقته واتى معهما فلما وصلوا الى الشيخ عثمان رضى الله تعالى عنه قال يا عيسى ويا جذام انتقلا عنهما الى هذا فابصر لاهمنى وبرئى المجذوم وعفى المعافى وتجهذم فقال له الشيخ رضى الله عنه ان شئت الآن صدق وان شئت لا تصدق فانصرفوا من بين يديه على هذه الحالة نسال الله الكريم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة قال وكان الشيخ عثمان هذا رضى الله عنه من اعيان العارفين واكابر الحقائق على المقامات كثير الكرامات بحر الحقائق والمعارف معدن الاسرار واللطائف له القدم الراسخ والتمكين الشريف والجلالة العظمى والمحل الاسمى والتصريف رضى الله عنه ونفع به فتامل عاملنى الله واياك بعوارف معروفه وكتب لى ولك الامان من نكبات الدهر وكرات صروفه ما يرمى به المؤذون لاولياء الله المعادون ويسلط عليهم من النقم المتلفة ولا جرم اولئك هم العادون فنسال الله جل جلاله هدايته وتوفيقه وثبات ما ندميه من محبة اوليائه وتحقيقه ومن ذلك عن شهابنا الارضى وصارمنا الاوحد لامضى ما حدثنى به ابن عون المذكور وهى قصيدة مشهورة قال كان الشيخ رضى الله عنه يمنع المتصرف فى دار

لايمة التى هى ملاصقة للزاوية من جميع ما يحدث فيها من بناء وغيره ويقول الدار لى فانفق انهم ارادوا ان يصاحوا فيها بعض ما يحتاج الى الرم والاصلاح فممنهم من ذلك على عادته فانهم علم منعه للشيخ الفقيه السيد ابى عبد الله محمد المسرائى رحمه الله وكان حيثما امام جامع الزيتونة فجاء الى الدار المذكورة وجلس على سطحها مواجهها للشيخ وامر البنايين بالعمل فرماهم الشيخ بالحجارة ومنعهم مما ارادوه فقال له الامام المذكور باى وجه تمنع بناء هذه الدار وهى حبس على لا يمة فقال له الشيخ ومن هو الامام ثم انه رمى الامام بحجر اراد الحيدة عنها فسقطت هامته عن راسه فانف لذلک وتحامل على الشيخ بالقول والفعل ودعا للقاضى وهو حيثما الشيخ الفقيه الصدر ابو عبد الله محمد بن عقاب رحمه الله فقال له الشيخ تدعبنى للمخيسى هكذا وانا ندعيك للاغوال ثم قال له الشيخ انت منك المخيسى وانا هذه الصومعة منى يريد صومعة جامع الزيتونة والجامع منى والزلاج منى والسموات منى والعرش منى والكرسى منى والماء منى ثم ان الامام انهى الامر الى القاضى فارسل الى نائب الشيخ وهو ولد اخيه المذكور وخاطبه فى المسألة فقال له لا قدرة لى على مراجعة الشيخ فى ذلك ولا طاقته لى بمعارضته فى امر من الامور فقال القاضى فاذا ينزل حسب او كره وتحكم فيه الشريعة فقال له ولد اخ الشيخ المذكور هذا شئ مجز عن القاضى القسطنطينى قبلك وقد كان لاقى منه امورا عظيمة فاوغر صدر القاضى بذلك فامر كل من كان بين يديه من الاعوان ان ينزلوا الشيخ من مكانه كرها فوصلوا اليه والغى بعضهم بيده فى حزام الشيخ وهو رضى الله عنه لا يزيد الامر عنده ولا ينقص وكان فى المسألة طويل وعريض وانفصلت ولم يصالوا منه الى ما ارادوه ثم ان الامام المذكور لم يرض له الا زمن يسير وايام قلائل دون العشرين يوما ومات رحمه الله تعالى وكان الشيخ رضى الله عنه قال له عند مكالمته اياه والله لولا انك منا لاهلكت اراد والله اعلم مراعاة والده فانه كان من الصالحين واما

القاضي المذكور فقال لي عنه كنت عند الشيخ يوما فامر احد خدمته
 باحتفار ساقية صغيرة بين يديه في تراب السطح وامره بايقاف حجرين
 عند طرفي الساقية ثم قال رضى الله عنه وقد صار ذلك في صورة قبر هذا
 قبر المخلصي يريد القاضي المذكور فعن قريب اصابه مرض البطن وطال
 به الى ان ادخله قبره وذلك لمدة اشهر من الواقعة رحمه الله تعالى قال
 وكان ولده محمد يتردد الى الشيخ رضى الله عنه في اثناء مرض والده باذنه
 لعلمه بان مصابه منه ويقول لي كلما سألته عن حال مرض والده ما اشوم
 علينا مسالة المسراق يريد الامام المذكور رحمه الله تعالى فتفقد رحمك
 الله من مصمرات خبايا شرك غيبك ولا تنس اذا نشرت لديك صحائف
 احاديث اهل الولاية عيبك واكتحل عند مشاهدة طلعة احوالهم بائم
 الاذنب وكن في مقدمات طلائع من بادر لغنائم رضاهم وانتدب ولا تكن
 ممن حججه في مذاهب القوم لسوء حفظهم منهم سقيمة واسلك بنفسك
 معهم في سائر تغلباتك طريقتك المستقيمة واياك ثم اياك من شوم
 التعرض لهم وارنگاه فكم فتى زلت به قدمه فكانت سبب عظمه وانتكابه
 نسال الله الكريم الذي بيده مفاتيح خزائن الفتح والمواهب ان يسلك
 بنا لرعا اوليائه اسعد المسالك والمذاهب وفي خلاصة الفاخر عن الشيخ
 ابي الحسن الجوهري رضى الله عنه قال حضرت سمعا مع سيدي الشيخ
 علي بن الهيثم رضى الله عنه وحضر جماعة من المشايخ والصالحين والفقهاء
 والقراء فلما اخذ المشايخ يحفظهم من السماع انكر عليهم الفقهاء والقراء
 بسواطهم فعلم الشيخ علي بن الهيثم ذلك فطاف عليهم وكلما قابل منهم
 رجلا نظر اليه فيفقد جميع ما في صدره من القرآن والعلم حتى اتى على
 آخرهم فانصرفوا ومكثوا كذلك شهرا ثم اتوا اليه كلهم وقبلوا رجليه واستغفروا
 الله تعالى فامرني فمددت لهم سماطا فاكلوا واكل الشيخ معهم واتم كلا منهم
 لقمة فوجد كل منهم ما فقده مع تلقيم الشيخ له تلك اللقمة وانصرفوا
 مسرورين والحمد لله رب العالمين فانظر شرح الله لتعظيم اوليائه صدري

وصدرك وطهر من ران الشكوك سري وسرك اذا كان السلب عندهم عقوبة
 اعراض مرض بالباطن فما عقوبة من هو على مستهجن اذيتهم قاطن اماذا
 الله واياك من ذلك وسلك بالجميع لمحبتهم احمد المسالك ثم اعلم اكرمك
 الله بطاعته وجعلك ممن خص بالتوفيق وبطاعته ان فيما ذكرناه من هذه
 الحكايات مقنعة لاولى الالباب وقمعة لمخذول عليه من التعرض لاذية
 اولياء الله جل باب وقد اوضحنا بها وبما قبلها من كلام اهل الحقائق طرق
 المهالك وكشفنا بيسير الصدق فيها عن محبي النصيحة فما يهلك بعدها على
 الله الا هالك ولنرجع الآن الى ما نحن بصدده مستوفيين الحق جل جلاله
 في هيب نسمات مددة فهو الكفيل باسعاد المقاصد واسعاد القاصد

* الفصل الاول في اثبات ما انتهج *

* رضى الله عنه من هذه الطريقه * والاشارة *

* في ذلك الى ما يفهم الحقيقه *

اعلم ايقظ الله عزتك وكشف عنك بفضل ازمته انا قدما أولا حسن مذهب
 الشيخ رضى الله عنه في بداية امره وذكرنا ما كان عليه من الخير والعبادة
 وصلاح الحال وملازمة الجماعات والجمعات وحضور مجالس العلم ومحبة
 العلماء والصالحين والزهد فيما في ايدى الناس ولاشتغال بتلاوة القرآن وابتدال
 النفس في خدمة المساجد والزوايا والاخوان ومواضع القرب كمدافن
 الصالحين وزبارة من يشار اليه منهم حيا او ميتا مع العقاف وطول الهمة
 من مشاكلة ابناء الدنيا ليل ما في ايديهم وملازمة الصمت والحياء والوقار
 والسكينة والفرار من الناس وانفرادا بما كن الخلوة والوحشة دون اماكن
 لا يناس مع ما كان عليه من الشفقة والرحمة والحنان والعطف والبرقة
 واللين وخفض الجناح لسائر عباد الله وتعظيم سائر اهل موضعه له وتوسيمهم
 الصلاح والخير فيه وعدم اشغال نفسه بامور الدنيا الا ما فيه نوع مجاهدة
 وقمع هوى وقهر نفس وكسر شهوة واستمارة على ذلك مع كمال الاستقامة

في حالي الظن والاقامة لا منازع لنا في اثبات حميد هذه الاوصاف له
 رضى الله عنه ولا مدافع وكل من يعرفه في بداية امره بهذه الصفات
 الجليلة هو عنده موصوف وبباهر حلاها هو لديه معروف ثم بعد طرو
 واردات الاحوال عليه وانتهائها اما بطريق الجذب او السلوك اليه خفي
 عن ادراك عقول الصغفة امثالنا امره وانهم عن سائر الخليفة الا ارباب
 الحقيقة سره لا سيما وقد اخذ في تخريب العادات وزايل في الظاهر ما عهد
 منه في كثير من العبادات فمن الناس من اخبره لظاهر ذلك عن الطريقة
 ومنهم الواقف لحيرته والمثيب له الحقيقة لكن حين اخفى الله سره بحائل
 كثف من مدركات العقول وظهر غيرة على نفيس احواله ستر التلون
 المخالف للسنن المعقول سري معنى من ذلك السر العجيب الى كثير من
 القلوب فامال بالشوف اليه لاحداق واغتردى رضى الله عنه وللناس به
 تعلق واحداق وامره الباهر كلما تقادم في ترقى وصعود وكوكب كماله في
 سماء سموه ابدا مقارن للسعود وحال الملبس البائس وان حسنت مبادئها
 فهي سريعة الاستحالة ودوام صلاحها مع تطاول الزمان لا يكون الا لمن
 له مع الله حالة فحسب المصدق بكرامات الاولياء في علوم مقام الشيخ
 هذا المقدار ولا حيلة لي في انبهاص من افعدته بعد ذلك المقدار ثم ان
 طريقته رضى الله عنه وان خلص في محكم النظر ابريزها فقد يعسر من
 على سائر طرق القوم تمييزها فاعلم جبر الله قلبك واعلى بمنه كعبك ان الشيخ
 رضى الله عنه في عزيز احواله دائر بين الملامية والقندرية فانا اذا
 اخذناه بمجرد وصف اخفاء اعماله دون وصف التخريب المتصف به قلنا
 انما لم يظهر الاعمال استلذاذا منه بكتهم واستيحاشا من ظهورها كما يستوحش
 العاصي من ظهور معصيته تمسكا منه في ذلك بالاخلاص والصدق او غيرة
 من اطلاع الغير عليها فان المحب يبلغ به صدق محبته الى حد يكره
 فيه ان يطلع احد على حبه احبوه فان هذه احوال الملامتي على ما قدمناه
 قبل من كلام الامام السهروردي رضى الله عنه فيكون بهذا الاعتبار ملامتيا

لا محالة وان نظرنا الى تحقيق وصف القندري على ما سبق ذكره عن
 الامام السهروردي ايضا وانه هو الذي ملكه سكر طيبة القلوب حتى خرب
 العادات وطرح التقييد بأداب المجالسات والمخاطبات وساح في ميادين
 طيبة القلوب قتلت اعماله من الصلاة والصوم الا الفرائض ولم يتناول
 شئ من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصر
 على رعاية الرخصة ولم يطلب حقائق العزيمة وهو مع ذلك متمسك
 بترك الادخار والجمع والاستكثار لا يترسم بمراسم المتقشفين والمتزهدين
 والمتعبددين وقنع بطيبة قلبه مع الله تعالى واقتصر على ذلك وليس له
 تطلع الى طلب مزيد سوى ما هو عليه من طيبة قلبه فهذا هو القندري
 منده وحواله هذه او اكثرها هي عين حال الشيخ رضى الله عنه فيكون
 بهذا الملاحظ المذكور قندريا ويوضحه ما زاده الامام السهروردي رضى الله
 عنه في الفرق بين الملامتي والقندري وان الملامتي يعمل في كتم العبادات
 والقندري يعمل في تخريب العادات فانت ترى كيف اعتمد ههنا في الفرق
 بينهما على ان تخريب العادات هو وصف القندري وان القندري ليس
 عنده اعز من طيبة قلبه هي مع الله راس ماله واعز احواله فلان قلت اذا
 كانت خلاصة حال الملامتي انما هي ستر اعماله بظاهر ما يديه من احواله
 فلامعنى لتخريب القندري الا هذا فانه يظهر من امره خلاف ما يضرر والا
 ولا تخريب فاذا كان كذلك فقد انسترت اعماله ايضا ابطنها في ظاهر
 احواله التخريبية كالملامتي فصار القندري والملامتي بمثابة واحدة في
 اخفاء الاعمال وسترها اما قصد الاخلاص والصدق او للغيرة من ظهور احد
 عليها فقد استويا ولا فرق قلت ليس الامر كما توهمته ولو اعمت النظر
 فيما اسلفناه ما انبهم الفرق منك فان في كلام الامام السهروردي رضى الله
 عنه ما يكشف قناع اشكالك وذلك ان الملامتي متمسك بكل باب من
 ابواب البر والخير ويرى الفصل في ذلك ولكن يخفي الاعمال والاحوال
 ويوقف نفسه موقف العوام في الهيئة والملبس وسائر حرركاته واموره ستر

للحال لئلا يظن له وهو مع ذلك متطلع للمزيد باذل مجهوده في كل مقرب
الى الله والفيلندري غير متبد بهيمة ولا يبالي بما يعرف من حاله وما لا
يعرف ولا ينعطف إلا على طيبة القلب وهي رأس ماله فصار مدة مطلب
الملاقي لأعمال لكن يخفيها وعمدة الفيلندري الوقوف مع طيبة قلبه فافترقا
والله اعلم فان قلت قد يتولد من هذا الفرق اشكال في حق الملامتي
وبيانه ان الفيلندري على ما قررتهم قد ملكه سكر طيبة القلوب ومن هذه
صفته له العذر في كل ما يصدر عنه في حال سكرة من تخريب العادات
وغيرها فانه ماخوذ بذلك عن حسه وما كان بهذه الصفة فوجه العذر
لديه في سائر تصرفاته السكرية واضح مستبين اغر الجبين واللامتي على
ما قررتهم ليس كذلك فانه بصفة وفور العقل وكمال الميزان اظهر من
نفسه من البلبه خلاف ذلك فله القدرة بالله على رد ميزة وحاله فما العذر
له في انزال نفسه منزلة العوام ورعاع الناس في سائر الاحوال والهيآت
وجبلت الامور كلها وتعرضه نفسه بذلك للقول والطعن والذلة والاهانة
وايقاع الناس معه في مثل هذه الاشياء وربما يوول الامر بمن آخاه غير
عالم بامره الى العطب والهلاك فيعرض نفسه بذلك لمواقع الذل والهون
والمومن لا يذل نفسه ويعرض الناس باذايته للهلاك اما عاجلا او آجلا
وذلك ينال ما جبل عليه من الرحمة والحنان والشفقة لسائر الامنة ودرء
المفسد اهم من جلب المصالح قلت هذا سوال وارد والجواب منه ان
يقال هذه طريقة درج عليها من الائمة الاكابر والاولياء المشاهير من لا يحصى
كثرة وكلهم ممن يجب ان يتحدى به لوفور على الظاهر والباطن لديه
وان لم يقع عليه اسم الملامتي لانه من لاوضاع الجديدة ثم ان هذه الامور
لا يرتكبها مع الله تعالى إلا صادق مخلص له القدم العالي في التمكن بالقيام
بحقوق سائر المقامات والاحوال ولا يرتكبها إلا باذن من الله تعالى فيرة
منه سبحانه عليه فانه
من بريته وخصائصه من خلقه
كي لا يظن له او يطلع عليه فيقابل لذلك السيئة بالحسنة ويتجاوز

من ظلمه ويصل من قطعه ويعطى من حرمه وينصر من خذله ويرفع
من وضعه ويدفع بالتي هي احسن واذا علم الله صدق عبده كان الناجي
به اكثر من الهالك على انه لا يرى لاشياء من الخلق وانما يشاهدها
من الواحد الحق ولا عبرة عنده بما ذكرته من اذية الناس واهانتهم
له لاستواء الاهانة والاكرام والذل والعز عنده من الخلق بل ذلك لديه
اعز شيء يطلبه واحسن امر بحالته تلك يجلبه ولهو افرح بذلك منك
بتعظيم الناس لك قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضى الله عنه سالت
الشيخ سيدى ابا محمد عن قوله عليه الصلاة والسلام المومن لا يذل نفسه
فقال لي يا علي لهواة ولكن يذلها لمولاه فمن كانت هذه حاله لا يسوءه
شيء مما ذكرته ومن لا يسوءه ذلك لا ينتصر لنفسه بوجه بل قد يدهو
لمن قد اساء اليه بصلاح الحال ويرغب الله تعالى في التوفيق له وذلك
منقول عن كثير والله اعلم واما ان اخذنا الفيلندري بصفة ما ذكره الشيخ
ابو الحسن الششتري رضى الله تعالى عنه من انه صاحب الخفاء وكشف
الراس والتكشف المحض دون نظر الى طيبة القلوب ولا تعريج على
ذكرها فما الشيخ رضى الله عنه بذلك من الفيلندري في شيء وانما هو
فيلندري بالنسبة الى ما قررناه من غلبة سلطان سكر طيبة القلوب عليه
والله تعالى اعلم ويتضح لك علو مقام الشيخ رضى الله عنه وشرف حاله
بمعرفته حقيقة سكر هذه الطيبة عند اهل الحقيقة قال الشيخ الكبير ابو
الحسن الشاذلي رضى الله عنه فيما ذكره الشيخ ابو محمد عبد الله الياقنى
رحمه الله في كتابه روض الرباعين قال مثل رضى الله عنه ما شراب
الحب وما كاس الحب ومن الساقى وما الذوق وما الشرب وما الرى
وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب
والكاس هو اللطف الموصول ذلك الى افواه القلوب والساقى هو المتولى
الخصوص الاكبر والصالحين من عباده وهو الله تعالى العالم بالمقادير ومصالح
احبابه فمن كشف له عن ذلك الجمال وحطى بشئ منه نفسا او نفسين

ثم ارخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ذلك ساعة او ساعتين فهو الشارب حقاً ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتى امتلات عروقه ومفاصله من انوار الله المخزونة فذلك هو الرى وربما غاب من المحسوس والعقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون الى الذكر والطاعات ولا يجيبون عن الصفات مع تراحم المقدورات فذاك وقت صحوهم واتساع نظرمهم ومزيد علمهم فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال وقال بعض المشايخ الكبار المحبة اخذ من الله تعالى قلب من احب بما يكشف له من نور جماله وقدر كمال جلاله قال ويكون الشرب بالتدريج بعد التدريب والتهديب فيسقى منهم على قدره فمنهم من يسقى بغيز واسطة والله سبحانه وتعالى يتولى ذلك ومنهم من يسقى من جهة الوسائط كالشكة والعلماء الكابر من المقربين والصديقين العارفين فمنهم من يسكر بشهوة الكاس ولم يذوق بعد شيئاً فما ظنك بعد بالذوق وبعد بالشرب وبعد بالرى وبعد بالسكر ثم بالصحو بعد ذلك على مقادير شتى كما ان السكر ايضا كذلك قلت الشرب لذة لارواح وللنفس والقلب والاسرار والعقل لذاذة غير هذه كل بحسب شغوف منزلته واكمل مقام مقال قال الشيخ العارف ابو الطاهر احمد الصرصرى رحمه الله تعالى فيما ذكر عنه الشيخ ابو محمد عبد الله اليافعى رحمه الله تعالى في كتابه خلاصة الاخيرة لذة النفس معرفة الرفيق لاعلى ومناجاة العلى العظيم ولذة القلوب من اميرانس النظر فى مقاصير قدس بالبحان توحيد فى رياض تمجيد بمطربات المعانى من تلك المثانى الرافعة لاربابها فى مدارج الامانى الى متعدد صدق عند مليك مقتدر ولذة لارواح الشرب بكأس المحبة فى ايدى عرائس الفتح اللدنى فى خلوة الوصل على بساط المشاهدة واليهام بين معالم الكون او قال عوالم الكون حيرة فى نور العزة

وقراءة ما كتب على صفحات الواح نسمات ذرات الوجود كلا بل هو الله العزيز الحكيم ولذة لاسرار مطالعة نسيم الحياة الدائمة والوصول الى حقائق الغيوب بسمائر القلوب والعناية بالافكار لاسرار ولذة العقول ملاحظة اسرار الملكوت الخفية من الابصار بالسرائر المحيطة بالافكار فتعابن القلوب حقائق الغيوب ويصحبها قبول شواهد لاسرار فتلج الصمائر بحصار لافكار وتطمئن النفوس الى ما التحفت به من العالم المحجوب فكما كشف عن الغيب اذبال دلالتها على اتقان صنع وابداع فطرة قابلة من العقول هيبة وفكرة ومخرج لاعتبار من القلب فاذا كان القلب طاهراً بعد الاعتبار بالشواهد رسمت به الهمة ورقى به الفكر ولم يمنعه مانع فالفكر طريق الى الحق ودليل على الصدق والفكر اصل ثمرته المعرفة والمعرفة ثمرة طبعها العمل والعمل طعمة لذاتها لالاخلاص ولاخلاص لذة غايتها النعيم والنعيم غاية ليس لها انقضاء وايدى العقول تمسك اعنة النفوس والنفس مسخرة للعقل والعقل يستمد من لائوار الالهية ومنه تصدر الحكمة التى هى راس العلوم وميزان العدل ولسان الايمان وعين البيان وروضة الارواح ونور الاشباح وجيد الحسن وميزان الحقائق وانس المستوحشين ومفكر الراغبين ومنية المشتاقين والحكمة اصابة الحق فاذا وردت على القلب دللت على مكان الهدى وجلت اصدية القلوب وامانت عيوب البواطن وقال ابو الفتح الهاشمى الواسطى المقرئ رحمه الله تعالى اذا كوشف العبد بوصف الجمال سكر القلب فطرب الروح وهام السر وقال الشيخ ابو الفاهر عدى رضى الله عنه من سكر بكأس المحبة لا يصحو الا بمشاهدة محبوبه فان السكر ليلية صلبها المشاهدة كما ان الصدق شجرة ثمرتها الجاهدة ومن نفيس كلام الشيخ الكبير الامام العارف بالله محى الدين عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فى ذلك قوله وقد ذكر السكر والشراب سقى بعض العارفين من هذا الشراب قطرة وافرغ ساقى القوم له نبذة فقامت روحه ترقص طرباً بين ندمائه واهتز جبل موسى شوقاً عند لمع برق التعللى فنظر سر الحبوب فقال من غلبته طفحعات عشقه انا الحق

سكر نديمه الآخر فقال سبحاني فارقت جماعة من طيور ارواح اقفاص
الاشباح وطارت باجنحة الشوق في فضاء الغرام وامت من بحر الوجد
برادى مبادئ الازل وطعمت ان ترعى من طور القدم حب المشاهدة فانقضت
على حمام طلبها بزة العظمة فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله قلت اراد بالغلوب بطفحات عشقه القائل انا الحق الحلاج وبالنديم الآخر
القائل لغلبة سكره سبحاني ابا يزيد البسطامي ولهما رضى الله عنهما حسن
التاويل في ذلك كما قال الامام السهروردي رضى الله عنه حاشا ان يعتقد
في ابي يزيد انه يقول ذلك الا على معنى الحكاية من الله تعالى قال وهذا
ينبغي ان يعتقد في الحلاج في قوله انا الحق ومن كلام هذا الشيخ المكين
الحائز قصب السبق والتمكين في معنى شطحية الحلاج التي اعبى الاساتذة في
حسم عليها العلاج قوله رضى الله عنه طار طائر عقل بعض العارفين من
وكر شجرة صورته وعلا الى السماء خارقا صفوف المشككة كان بازيا من
بزة الملك مخيط العينين بخيط وخلق لانسان ضعيفا فلم يجد في السماء
ما يحاول من الصيد فلما لاحث له فريسة رايت ربي ازداد تحيرة في
قول مطلوبه فاين ما تولوا فثم وجه الله عاد هابطا الى حصرة خطته لارض
طلب ما هو اعز من وجود النار في قعور البحار تلقت بعين عقله فما شاهد
سوى الآثار فكبر فلم يجد في الدارين مطلوبا سوى محبوبه فطرب فقال
بلسان سكر قلبه انا الحق ترنم بالحن غير معهود من البشر صفري روضة
الوجود صفيرا لا يليق ببنى آدم لحن بصوته لحننا عرضه لحتفه ونودي في
سره يا حلاج اعتقدت ان قوتك بك قل الآن فبابة عن جميع العارفين
حسب الواحد افراد الواحد قل يا محمد انت سلطان الحقيقة انت انسان
عين الوجود على عتبة باب معرفتك تخضع اعناق العارفين في حمى
جلالتك توضع جنبه الخلائق اجمعين وقد تقدم لنا في شرح لاحوال عن
الامام السهروردي رضى الله عنه ان السكر هو استيلاء سلطان الحال وانه
لا رباب القلوب والصحو العود الى ترتيب الافعال وتهذيب الافعال وانه

المكاشفين بحقائق الغيوب وقال الشيخ ابو الحسن الششتري رضى الله
عنه السكر غيبة بوارد قوى ويشار به الى سقوط التمالك في الطرب وهو
من مقامات الحبين والصحو الرجوع الى الاحساس بعد الغيبة بالوارد
القوى قلت وهذا كلام قريب في المعنى من الاول وان كان في هذا قد
جعل السكر مقاما وهو في الحقيقة حال لتحوله ما لم يثبت فيصير مقاما
لكن قد تتداخل المقامات والاحوال وتشتبه فيتراعى الشئ للبعض حالا
وللبعض مقاما وكلا الرويتين صحيح لوجود التداخل وان كانت المشايخ قد
تداولت السنتهم ان المقامات مكاسب والاحوال مواهب على انها في الحقيقة
كلها مواهب اذ المكاسب محفوفة بالموجبة والمواهب محفوفة بالكسب
فالاحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن في المقامات ظهر الكسب
وبطنت الموجبة وفي الاحوال بطن الكسب وظهرت الموجبة فالاحوال مواهب
علوية سماوية والمقامات طرقها وقد تقدم لنا تحقيق القول في ذلك
فليطالع المتطلع الى الوقوف على الحقيقة هنالك وقد بان امدك الله بتوفيقه
وجعلك ممن سلك لهدايته سواء طريقه شرف ما ذكرنا انه غلب على
الشيخ رضى الله عنه من سكر طيبة القلوب الذى هو عند الحبين العارفين اعز
مطلوب ولا ح لك من افق افاقته حاله الحالية لمح بارقة وبدت لك
من سماء سموة نيرات انوار هي لك بين الشك واليقين فارقة وفي ضمن
ذلك ما يحقق لكما له رضى الله عنه مقاما يقعد لديك شرفه ويقيم
وينتج لك مع التوفيق من قضايا حسن ظنك واعتقادك كل عقيم
ويخرج قيم جلالتهم من مارستان سوء ظنك ما لك به من مرض الخواطر
مقيم وسندى لك ذلك بحكايات تسند عن اهل الحقيقة توضح ما نحن
بصدده من اثبات انافته هذه الطريقة وتؤذن بارتفاع الحق من حظيظ
الجماعة الى شرف التطلع الى اوج المشاهدة وان الشيخ رضى الله عنه ما
هو بيدع في سلوكها وانه واسطة اجادت اجادتها انتظام سلوكها ومن الله
تعالى نستوهم الاعانة فمن حقق اللجا اليه اعانه قال الشيخ ابو محمد

عبد الله اليافعي رضى الله عنه في كتابه روض الربيحين ما معناه ان
لاولياء رضى الله عنهم في اظهار الوله والجنون والتخريب على طبقات منهم
من غلب عليه الوله ومنهم من زاد عليه حتى نسب الى الجنون وهم
كثيرون وهم المعروفون بعقلاء المجانين وحس كثير منهم وقيد فيحسب انهم
مجانين وهم العقلاء الالباء ولكن محبة الله ومعرفته وعظيم ما شاهدوا
من عظمة الله تعالى وجلاله وجماله وكماله حيرهم وهيمهم وشجاءهم
وتيمهم ومنهم من غلب عليه السكر بواج محبة الجمال المشهود فهم في حبه
وغاب عن الوجود ومنهم آخرون ايضا محبون ولكن تستروا بالجنون كما تقدم
ومنهم آخرون جمعوا في التستر بين الوله والتخريب يوهمون الناس انهم
لا يصلون ولا يصومون ويكشفون عوراتهم حتى يساء بهم الظن ولا يسبوا
الى الصلاح وهم يصلون ويصومون في الباطن فيما بينهم وبين الله تعالى
قال وقد شهد كثير منهم يصلون في الخلوات ولا يصلون بين الناس تعبهم
قال الامام اليافعي رحمه الله عليه في كتابه فشر المحاسن الغالية التخريب
هو ان يفعل من يظن به الصلاح وعمارة الباطن شيئا يوهم خراب باطنه
وعدم صلاحه وذلك باشياء كثيرة يدل فعل كل واحد منها على تهاونه
بالدين فالتخريب بالشطح هو ان يتكلم بكلام عظيم يدعى فيه حالا عظيما
فوق ما يظن به بحيث يسقط من القلوب ويساء به الظن فيحصل
مقصودة في نفى الصلاح عليه قال والى ذلك اشرت بقولي من قصيدة

وبعض الى التخريب مال تسترا لكيلا يرى فيه الصلاح ويحمدا

ثم قال وانواع التخريب كثيرة والمخربون كثيرون لا يزالون يتعاطون
ما يودى الى اساءة الظن بهم وسقوطهم من قلوب الخلق ورميهم لهم بالعظائم
فيوهم بعضهم اذا بات عند الناس انه نائم ويخرج الى بعض المزابيل
يوهمهم انه يبول وليس به نوم ولا بول بل يصلى الصبح بوضوء العشاء
وبعضهم يكشف عورته للناس وبعضهم يشتم الناس بالالفاظ القبيحة وبعضهم
يجعل قصبة بين رجليه يعدو عليها كأنها فرسه وبعضهم يشتغل ببعض

الحرف الدنية وبعضهم جاءه بعض الملوك يزوره في عسكر فاستدعى بطعام
وجعل يأكله اكلًا بشيعا شيعا فانصرف عنه الملك لما رأى ذلك وبعضهم
ياخذ شيئا للناس حتى ينسب للصومية وتزول عنه شهرة الصلاح قال
ومع هذا فلا ينبغي ان يقترب الحرام اصلا إلا اذا لم ينور الله اذنه ان لم
يقدم على الحرام المذكور دخل عليه من الفساد والضرر اكثرا مما يدخل
بارتكاب الحرام ومع هذا فيستدرك ذلك بالاستغفار بالغفران ظلمه بسبب
تخريبه بالسب ومجاوزة الحق الواجب عليه في ظاهر الشرع قال وفي
جواز ارتكاب الحرام للتخريب بمجرد ظن دخول الفساد والضرر الراجحين
على فساد الحرام وضرره عندى نظر ويترتب على هذا سوال فيقال اذا
تعارض مفسدتان صغرى قطعية وكبرى ظنية فايتهما اولى بالدفع قال
وكذلك اذا حصل الغرض بالتخريب بمكروه لا يجوز بحرام فمن المخربين
الشيخ ابو الحسن علي الكردي رضى الله عنه كان يظهر الوله والتخريب
ولا يصلى في الظاهر ويمشى مكشوف العورة في اكثر اوقائه قال الشيخ صفى
الدين ابن ابي المنصور رضى الله عنه كان يتحكم في اهل دمشق بحكم
المالك قال ولما دخلت دمشق كنت في حشكته من الغلمان واللباس
والاهل وانا ابن ثلاث عشرة سنة فقعدت في الجامع ساعة دخولى اليهما
واذا بشخص قد اقبل له راس كبير وعليه لباد مقطوع فشق ساحة الجامع
من باب جيرون الى ان جاءنى عند مقصورة الامام الغزالي رضى الله عنه
فمد يده الى مملوتين تفاحا وقال خذ فقزعت منه وتناخرت الى خلفي
فرماني بالتفاح واحدة بعد واحدة ومضى ثم جاءنى عقب ذلك الشيخ
ابو القاسم الصقلى رضى الله عنه وكان معتبرا ومعه الفقيه نجم الدين خال
والدى وكان مدرسا بدمشق فاخبرناهما بذلك فتعجبا منه عجبًا كثيرا
وقالا يابنى ابشر فيكون لك شان هذا الرجل قطب الشام يقال له علي
الكردي اتاك بالضيافة وعزيز ان يفعل مثل هذا مع احد فقامت ومشيت
اليه وسلمت عليه عند باب جيرون وقبلت يده فهش في وجهي وضحك

الي وسالت عنه سيدى الشيخ عتيقا رضى الله عنه فقال لى يابنى هو امام
وقته فى فنه فكان عاقبة الشيخ صفى الدين المذكور الى ما هو معلوم من
التخلى عن الدنيا والزهد فيها والاقبال على الله تبارك وتعالى قال ومما اتفق
اعلي الكردى المذكور من الكرامات انه قال فى بعض الاوقات لرجل من
اعيان دمشق يقال له بدر الدين اعمل للفقراء فى دارك سماعا واطعمهم
شيئا فقال له السمع والطاعة فرتب الرجل طعاما وقولا ودعا الفقراء
المعروفين بالجامع وغيره فهم مجتهدون واذا بالشيخ هلي قد جاء الى الدار
فراى فى صفة منها قوالب سكر فقال لصاحب الدار ارمها كلها فى البركة
قال نعم ثم رمى الجميع فى البركة فصار الفقراء يشربون الجلاب ويسمعون
الى آخر النهار ثم اكلوا وانصرفوا ثم قال الشيخ علي لصاحب الدار اخرج
القوالب فاخرجها ووجدتها كلها صحاحا لم يذهب من السكر شيئا ثم قال
لصاحب الدار اخرج واطلق علي الدار واقفلها ولا تات الا بعد ثلاثة
ايام ففعل ذلك وتركه فى الدار وحده فلما كان اليوم الثانى لقيه فى
الطريق فسلم عليه ثم ذهب الى داره فوجدها مغفلة على حالها ففتحها
ودخل فوجد اكثر رخام الدار مقلوبا فخرج الى الشيخ علي وقال له ياسيدى
لم قلعت رخام الدار قال يا بدر الدين تكون رجلا جيدا وتضيف الفقراء
على رحام حرام فقال ياسيدى هذه الدار ارثى عن ابى وجدى فتغيظ
الشيخ عليه وخلاه ففكر فى فعل الشيخ وعلمه بمكاشفاته فتذكر انها كانت
قد قلع رخامها واصلح فارسل الى الصنائع الذين رخموها وقال لهم عرفوني
ما صنعتهم فى ترخيم الدار والحق عليهم فى ذلك وامنهم وبسط نفوسهم فقالوا
رخامك بعنه ورخمناها بشئ من رخام الجامع قال وقال الشيخ صفى الدين
المذكور رضى الله عنه فى رسالته لما جاء الشيخ الامام شهاب الدين
السهروردى رضى الله عنه الى دمشق فى رسالة الخليفة الى الملك العادل
بالخلعة والطوق وغير ذلك قال لاصحابه اريد ان ازور الشيخ عليا الكردى
رضى الله عنه فقال له الناس يا مولانا لا تفعل انت امام الوجود وهذا

رجل لا يصلى ويمشى مكشوف العورة فى اكثر اوقاته فقال لا بد لى من
ذلك قال وكان الشيخ علي الكردى رضى الله عنه مقيما اكثر اوقاته فى
الجامع حتى دخل عليه موله آخر يقول له يا قوت فسائة دخوله من
الباب خرج الشيخ علي الكردى رضى الله عنه من باب دمشق وسكن
جبانته بالبواب الصغير وما دخلها بعد ذلك الى ان مات وباقوت فيها
يتحكم فقالوا للشيخ شهاب الدين هو فى الجبانة فركب بغلته ومشى فى
خدمته من يعرفه موضعه فلما وصل الى قريب مكانه نزل رجل واقبل يمشى
اليه فلما رآه علي الكردى رضى الله عنه قد قرب منه كشف مورتة فقال
الشيخ شهاب الدين ما هذا شئ يصدنا عنك وما نحن ضيفانك ثم دنا
منه وسلم عليه وجلس معه واذا بحمالين قد جاءوا ومعهم ما كول معتبر
فقبل لهم من ترديدون قالوا الشيخ عليا الكردى فقال لهم ضعوه قدام ضيفي
وقال للشيخ شهاب الدين سم الله وكل هذه ضيفاتك فاكل الشيخ رضى
الله عنه وكان يعظم الشيخ عليا الكردى رضى الله عنهما قال ومن جملة
الخبرين الشيخ ربحان رضى الله عنه كان فى عدن واطنه حبشيا
معتقا كان يصدر منه فى الظاهر شئ مما ينكره طاهر الشرع قال ولم
كرامات مشهورة منها ما اخبرنى به بعض الاخيار انه كان بعض الناس
فى ساحل البحر فاعلق الباب دونه فلم يقدر يدخل عدن فبات بالساحل
ولم يكن معه مشاء فراى الشيخ ربحان رضى الله عنه فى الساحل دابى
اليه وقال له ياسيدى اغلقوا الباب دونى وما عندى عشاء وانا اشتهى
منك ان تطعمنى هريسة فقال الشيخ ربحان رضى الله عنه انظر هذا قال
لك يطلب منى العشاء وما يريد ايضا الا هريسة كفى كنت مهرا اصنع
الهريسة فقال له ياسيدى لا بد ان تطعمنى ذلك قال فلم اشعر الا والهريسة
حاضرة حارة فى المحال فقلت له ياسيدى بقى السمن فقال انظر هذا
الفاعل التارك وما يرضى ياكل الهريسة ايضا الا بالسمن وانا كنت سمنا
ابيع السمن قال فقلت ياسيدى ما اكلها الا بسمن فقال اذهب بهذه

الركوة الى البحر واثنى بماء اتوصا به قال فذهبت الى البحر ففرت منه
بالركوة وجثته به فاخذ منى الركوة وصب منها سمناء على اليربسة فاكلت
من ذلك ولم اذق مثله قط رضى الله عنه قال ومن كراماته ايضا رضى
الله عنه ما اخبرنى به بعض الباركين قال ارسلنا شيخنا نشترى له تمرا
من سوق عدن فلم نجد في السوق شيئا منه فرجعنا اليه بغير شيء فلقينا
الشيخ ريحان رضى الله عنه في الطريق فقال انظر هؤلاء الرسل الملاح
ارسلهم شيخهم في شهوة اشتهاها فرجعوا بغير قضائها اذعوا الى بيت فلان
في المكان فلان في حاجة الشيخ عنده قال فذهبنا الى ذلك الشخص
في الموضع الذي سماه فرجعنا عنده التمر فاشترينا منه للشيخ وجثنا به
واخبرناه بما قال لنا الشيخ ريحان فصحك وقال انتهى ان ارى هذا
الشيخ ريحان فلم نشعر بعد الا بالشيخ ريحان رضى الله عنه قد دخل
عليه المسجد الذي هو فيه فخلا به وتحدثنا ساعة فلما خرج الشيخ ريحان
رضى الله عنه تعجب الشيخ مما راى منه واثنى عليه وعظمه فلما راى
هذا الشيخ المذكور هو شيخ شيوخنا الذي كان في عدن وهو الشيخ الكبير
العارف بالله تعالى الفقيه العالم ذو المناقب العديدة والسير الحميدة ابو
محمد عبد الله بن ابي بكر المدفون في موزع رضى الله عنه صاحب الشيخ
الجليل الامام العارف بالله عظيم الكرمات رفيع المقامات ابا الذبيح اسمعيل
ابن محمد المحضرمى رضى الله تعالى عنه قال ومن كراماته رضى الله عنه
ما اخبرنى به انسان ثقتة قال خرجت في شهر رمضان المبارك اشترى
لاهل شيئا من السوق بين العشاءين فلقينى الشيخ ريحان رضى الله عنه
فجرتنى وارفع يى في الهواء ارتفاعا كثيرا فبكيت عليه وقلت له رذننى
فردنى الى الارض وقال اردت ان افرجك فابيت قال ومن كراماته رضى
الله عنه ما اخبرنى به بعض الصالحين ايضا قال قلت للشيخ ريحان رضى
الله عنه خاطرك معى فقال ما دام هذا الراس صحيحا لا تخف واثار الى
رأسه قال فحسبت انه يعنى ما دمت حيا ولم يظهر لى مراده الا بعد موته

وذلك انه سقط بعد ذلك بمدة طويلة من الجبل فانكسر رأسه ومات
رحمة الله عليه قال ولقد سمعت بعض الفقهاء الكبار في بلاد اليمن يقول
رايت الشيخ ريحان رضى الله عنه يفعل بعض الاشياء المنكرة في ظاهر
الشرع جهارا فقلت في نفسى انظر هذا الفاعل التارك الذى يقال انه
صالح كيف يقدم على هذه المنكرات العرمة فلما كان الليل احترق بيتى
بالتارقال ومن المخربين الشيخ قصيب البان الموصلى رضى الله عنه كان
من احد الاولياء المشهورين ومن اهل الاحوال المذكورين صاحب كرامات
باهرة واشارات فاخرة ومقامات سنية ومعارف جلية ومواهب جزيلة
اجمع المشايخ والاولياء على ولايته عجا ومعارف الركبان بأذنه شوقا
وغربا وكان الغالب عليه في حال الاستغراق الوله وكان رضى الله عنه
يتردد في الرسائل بين الشيخ محى الدين عبد القادر وبين الشيخ عدى
ابن مسافر رضى الله عن الجميع ونفعنا بهم وكان لا يظهر الصلاة ايضا مع
ولهم وتخريبيه قال وعن الشيخ ابي حفص عمر بن مسعود البزار ببغداد
رحمة الله عليه قال ذكرت قصيب البان عند شيخنا محى الدين عبد القادر
رضى الله عنه فقال هو ولى مقرب ذو حال مع الله تعالى وقدم صدق عنده
عز وجل فليل له انه ما نراه يصلى فقال انه يصلى من حيث لا نرونه
ولا يخرج يوم وليلة وعليه منهما فرض ابدا وانى اراه اذا صلى بالواصل
او بغيرها من آفاق الارض يسجد عند باب الكعبة قال ومن كلامه رضى
الله عنه في كلام طويل واعلم ان التطلع لعالم النهايات لا يصح الا بتحقيق
البدايات وكان رضى الله عنه ينشد

يا ناهرى لما وقفت ببابهم والرفق بالشاكي هو لاولى به
اكذا جرى رسم الذين تقدموا يشكو المحب الجور من احبابه
قال اشتكاني بعد ما قربتمه وجعلت لمح الطرف بعض ثوابه
قو حق حاجته الي وفقره لاوصلن نعيمه بعدا بـ
ولا مزجن حياته بمئاته حتى يقصر وصفه عما بـ

لا تتعب الحبوب قبل محبته فاديه ما يغنيه من التعب
 وحياته لو سل سيف لحاطسه بلغ المني ويداه في الثواب
 فقال ومن مناقبه رضي الله عنه ما اخبر به به الشيخ ابو محمد المارديني
 رحمه الله تعالى قال كنت عند الشيخ الامام كمال الدين بن يونس شارح
 التبيين بمدرسته بالموصل فذكروا قضيب البان ووقعوا فيه ووافقهم ابن
 يونس فبينما هم في المجلس يخوضون فيه اذ دخل عليهم قضيب البان
 فبهتوا فقال يا بن يونس انت تعلم كلنا يعلمه الله تعالى قال لا قال فان
 كنت انا من العلم الذي لا تعلمه انت فلم يدرك ابن يونس ما يقول قال
 المارديني فقلت في نفسي لا بد ان الزمه اليوم والليلة حتى ارى ما يصنع
 فلزمته بقية يومى فلما كان العشاء اخترق الازقة واخذ منها سبع كسرواقي
 الى باب دار فطرقة فخرجت اليه عجزوز وقالت له يا قضيب البان
 ابطلت علينا فنارها تلك الكسروا نصرف حتى اتى باب الموصل وهو مغلق
 فانفتح له فخرج وانا خلفه ومشى يسيرا واذا نه بجري وعنده شجرة فخلع
 ثيابه واغتسل في ذلك النهر وعمد الى ثياب معلقة على تلك الشجرة
 فلبسها وانتصب يصلى الى ان طلع الفجر وغلب علي النوم فما استيقظت
 الا بحر الشمس وانا في صحراء مفقرة لا ارى بها احدا ولا يتراى لي بئان
 قريب ولا بعيد فوقفت متكيرا لا ادري باي ارض انا فمررتي ركب فاتيهم
 وسالتهم وقلت لهم انا من الموصل وخرجت منها الليلة وقت العشاء فانكروا
 امرى وقالوا ما ندري اين تكون الموصل فتقدم الي منهم شيخ وقال
 اخبرني بقصتك فاخبرته فقال والله لا يقدر على ذلك الى الموصل الا
 الذي جاء بك الى هنا يا اخي انت ببلاد المغرب وبينك وبين الموصل
 ستة اشهر فامكت ههنا لعله يعود ثم تركوني وساروا فلما كان الليل اذا
 انا بقضيب البان قد نزع ثيابه واغتسل وقام يصلى الى الصبح فلما
 طلع الفجر نزع تلك الثياب ولبس اهدامه وسار فتبعته فلم يلبث الا
 يسيرا حتى جئنا الموصل فالتفت الي وعرك اذني وقال لي لا تعد الى

مثلا وايدك وافشاء لاسوار قال فوافينا الناس يصلون صلاة الصبح بالموصل
 رضي الله تعالى عنه فقال ومن مناقبه رضي الله عنه عن الشريف ابي
 عبد الله محمد بن الحضر بن عبد الله الحسيني الموصلى رحمه الله تعالى عليه
 قال سمعت ابي رحمه الله تعالى يقول كنت سى الطن بقضيب البان
 على كثرة ما يبالغني من كراماته ومناقبه ومكاشفاته وكنت عزمت على
 ان اكلم السلطان على اخراجه من الموصل اذ رايت قضيب البان مقبلا
 من راس الرقاق على هيئة المعروفة ولم يكن ذلك الوقت في ذلك الزمان
 احد غيى وغيره فقلت في نفسي لو كان معي احد امرت باسمه فمشى
 خطوة واذا هو على هيئة كروى بصورة غير صورته الاولى ثم مشى خطوة
 اخرى فاذا هو على هيئة بدوى بصورة غير الصورتين المتقدمتين ثم مشى
 خطوة فاذا هو على هيئة فقيه بصورة غير الصور المتقدمتين وقال لي يا قاضي
 هذه اربع صور رايتها فمن قضيب البان منهم حتى تكلم السلطان في
 اخراجه فلم اتمالك الا ان اكبتت على يديه اقباهما واستغثرت الله
 تعالى قال ومن مناقبه رضي الله عنه عن الشيخ الاصيل ابي الفاجر علي
 ابن الشيخ ابي البركات بن صخر بسنده المتصل ان قضيب البان رضي
 الله عنه خرج يوما عند اذان الظهر من زاوية في لالش بالشين المحجمة
 على ما ضبط فقال له بعض الصالحين من الفقهاء هل لك في الصجبة فقال
 نعم يا اخي بشرط ستر المحال قال ذلك الفقير فقلت له نعم فمشينا غير
 بعيد فاتيينا الى مدينة لا اعرفها ولا ادري في اي ارض هي فقام اليه
 اهلها وتلقوه وبالغوا في اكرامه واذا هو من اكمل الناس ادبا وافرهم دلا
 واكثرهم خشوعا فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وخرجنا
 من عندهم وقت الاسفار ولا اكلما ولا شربنا فساغروا بعيد وصار يلقاني من
 انواع الفواكه والحلواء وسقاني ماء فوالله ما اكلت ولا شربت الذمما
 اطعمني قضيب البان وسقاني ولقد خرجنا من تلك المدينة وما معه
 شيء فلم يكن الا يسيرا حتى اتينا الموضع الذي خرجنا منه فقلت له

ما هذه المدينة قال يا اخي هذه مدينة من وراء بحر الهند اهلها مسلمون
ويصلي بهم كل يوم ولى من اولياء الله تعالى الذين في ذلك الزمان
وانه لا يدخلها عليهم الا ولى ولولم يردن لى فى مصاحبك لما استطعت
ان ترافقنى رضى الله عنهما ونفع بهما وقال ابو البركات بن صخر رضى
الله عنه وهو ابن الشيخ هدى بن مسافر رضى الله عنه مكث عندنا
قضييب البان بالزاوية شهرا لا ياكل ولا يشرب ولا يضع جنبه على الارض
وهو مستغرق وكان عمى الشيخ هدى بن مسافر يقف عليه ويقول هنيئا
لك يا قضييب البان قد اختطفك الشهود لالهى واستغرقك الوجد
الربانى ويقول لمن يرد عليه سلم على ولى الله حقا رضى الله تعالى عنهم
اجمعين وقال اليافعى ايضا فى كتابه نشر الحاسن الغالية عن الشيخ عبد
العزيز المنولى رضى الله عنه انه اشتهد عليه نفسه فى بعض سياحاته
شهوة والحث عليه فيها فعدل الى بعض القرى فاذا فيها ناس مجتمعون
فدعته نفسه الى الوقوف عليهم لينظر على اى شىء اجتمعوا فاذا فيهم
شيخ يضرب لهم بدوى او قال بطبل قال فثقلت فى نفسى ما لقي هذا
الشيخ الا هذه الصنعة فرفع الشيخ الى راسه وقال يا شيخ عبد العزيز
حاجتك التى جمعت اليها حاصلة قال فتعجبت من ذلك وسكت او قال
وخجلت فلما فرغ من ذلك الشغل وقام خلوت به وقلت يا سيدى ما
لقيم الا هذه الصنعة فقال لو لقينا صنعة انحص من هذه الصنعة دخلنا
فيها ثم مشى بى الى بيته فدق الباب فخرجت بنية له صغيرة وقالت
يا ابى ترى حاجة الشيخ عبد العزيز قد جهزناها له قال فمقت نفسى
ونويت انى ما بقيت آكلها فقال يا بنيتى هو قد خرج عنها قال فبت
عنده وبات معنا فقير ورد عليه فلما اصبحنا نويتا ان نخرج فنزور من لقينا
من الفقراء فخرجنا ثلاثتنا فلما مررنا ببعض القرى قالوا فى هذه القرية امرأة
صالحه فقصدنا زيارتها ودقنا عليها الباب فخرجت الينا وهى مستتره بثوب
فوقنا عندها فاخرجت الينا سبعة فاخذنا نذكر الله تعالى ونديرها بيتنا

فيينا نحن كذلك اذ مسكت السبعة فما بقيت تدور فقال الفقير الذى
بات معنا عند الشيخ ليس فى هذه السبعة شىء يذكر الله تعالى سوى هذه
الحبة واذا هو قابض على حبة منها ثم سال تلك المرأة من اين لك هذه
الحبة فقالت اعطانيها الشيخ ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه فقال لها
اعطينها كما اعطاكها فابت وجذبت السبعة كلها واقفلت عليها فى صندوق
فقال لها الفقير ان لم تعطينها اخذتها من اصلها ثم خطف بيده شيئا من
الهواء فاذا بتلك الحبة فى يده فلما رأت المرأة ذلك قالت له هبها لى حتى
اعطيها واجمع لك بين الشريعة والحقيقة فوهبها لها ثم اعادتها اليه رضى
الله عنهم اجمعين قلت ارادت بالشريعة والحقيقة الظاهر والباطن فانه
ملكها بالباطن وهو الحقيقة وبقى لها فيها حق بالظاهر الذى هو الشرع ولا
يزول حقها منها الا بتسليمها له مقدورا عليها قال فى الكتاب المذكور ومن
حكايات الخريجين ما روى عن بعض الفقهاء ببلاذ اليمن انه قيل له
ذات ليلة فى النوم انت من الابدال فلما اصبح قال فى نفسه اذا كنت انا
من الابدال فما بقيت اسلم للسلطان شيئا من خراج الارض الذى يكتب
على اهل الحرث ويؤخذ منهم للسلطان وكان الفقيه المذكور حرانا فأتى اليه
اعوان السلطان الذين يجمعون الخراج وطلبوه فابى ان يعطيهم شيئا فاعلموا
للامير بذلك فلاطفه الامير فى تسليم ذلك فامتنع فقال له يا فقيه نحن
نحترمك ونجلك وما نستهى لك اعانة فلا تحوجنا الى الشر والخروج
الى ما تكره فلم يفعل فقام مشاعلى يخدم ولاية الامر فقال للامير ومن عنده
من كبراء الديوان دعونى اخذوا بالفقيه واكلمه فقالوا ما جاء منه شىء
بكلامنا له يجيىء بكلامك انت فقال خلونى وما عليكم فقالوا دونك وتباعد
منهم ثم قال له يا فقيه هم قالوا لك الباحة فى النوم انك من الابدال قال نعم
قال فقالوا لك انك منهم الآن قال لا قال فاعطهم حقه الذى طلبوه منك
وانت سالم حتى يجيىء ذلك الوقت فاذا جاء فحينئذ اقطع وصل واول
واعزل وما يكون ذلك حتى اموت انا فاذا مت جعلت مكانى فقم الساعة

واعطهم الذى اثم مثل فيرك فقال السمع والطاعة ثم قام واعطاهم فتعجبوا
من ذلك وما دروا انه من الابدال السادة اولى التوفيق والسعادة ستر
بحمل المشعل حاله ولم يبال بكل ما من الذل والهون ناله لعلمه بما فى
ذلك من المصالح قال ومن ذلك ما اشتهر بزييد من ارض اليمن ان بعض
الكلابة كان يخرج كل ليلة وقت المغرب الى خمارج البلد بكلبين معه
فتبعه انسان ليلة عيد مستخفيا منه فلما وصل الى بعض الكشبان اخرج ثوبا
من جراب معه فلبسه وبات يصلى ثم جاء اسد فبات يلعب الكلبين
فلما اصبح دخل البلد بكلبيه وجعل يصيح كصياح الكلابة ومن لا يستحي
ثم اجتمع باصحابه من الكلابة فلما ارادوا الخروج من حصى حاشية السلطان
كما جرت عادتهم فى العيد قالوا له عسى نقول شيئا تغنى به يعنون شيئا
يطربون به كما جرت عادتهم فى الافراح فقال لهم نعم ثم انشد

قد علق قلبى بحبسه ولعب كلبي وكلبسه

باسكان القاف من علق والباء من لعب والهاء من آخر المصرعين معا وضم
الباء الثانية من قوله بحبه ماحونا مخرجا له مخرج شعر العوام فعند ذلك
جاء اليه ذلك الانسان الذى خرج خلفه وراى منه ما راي فسأله الدعاء
وعو يلعب مع الكلابة والناس ينظرون اليهم ففهم منه انه قد اطلع على
حاله بالليل فلما تحقق ان حاله قد انكشف مات فى الحال وفى رواية
اخرى ان ذلك الانسان اعلم السلطان فاستحضره وقال له نبى لك رباط
فقال كيف اصلح للرباط وانا كلاب فقال له السلطان قد رصينا بذلك
فامتنع فراجعهم فى ذلك مرارا فلما راي انه لا يتركهم قال امهلونى حتى
اعود ثم رجع الى بيته فدعا الله تعالى ان يستره بالموت فمات فى الحال
رضى الله عنه ونفعنا به وحكايات المخربين لا تكاد لكثرةها تحصى وقيم
حجتها القائمة عند اهل الحقيقة لا يعصى ولنا فيما اثبتناه منها بالنسبة لمقام
الشيخ رضى الله عنه اسوة وثبات نسبه تذهب آثار وثبات من فى قلبه
من مشار الشك قسوة وتصريح بك مجتلبة لهداك ما لك قد امالك من

الرشد هو انك اما لك بهؤلاء السادة فى اعتقاد الشيخ قدوة اما ان لك ان
تثنى لوقع الم تسوييف لاربة بين مساء وغدوة اما كفك وقد تراكم على
قلبك سحب الغفلة ما لك فى مجال سوء الظن من روحته وغدوة عج
على منازل اعتقادك المحسن فروض رياضته لاريض ريان ولا تملك عن
محنة حجتك اخبار من لاخبرة لديه فليس الخبر كالعيان واعلم بانك ان
فانك انتهاز فرص هذه الغنائم فقد اعنت على نفسك ولا عطر بعد عروس
وافق كمدل من تسترق شياطين اذيتك السمع عنه بانجم الرجم محروس
فعلام تعرض نفسك للهلاك وانت عن سعى قصدك مصدود وفيه تجددها
رباب مرادك من امعان الطلب فى امتصام الجنب مسدود فاجهد ساعيا
فى خلاصك من عقوبة عذاب اخذ ربك فهو اليم وان فانتك صدور
محاسن حسن اعتقادك فقف لسلامتك بباب التسليم وان ابيت الا حجاجا
فى ابرام امرك واضرام ما تحموة من لهب جمرتك فاعلم ان عين بصيرتك
عن اسباب نجاتها فائمة ومن انذر فقد اعذر وعليك من نفسك اللاتمة
تذليل واعلام بنصب حائل الام ان المنكرين قد عثروا فى اثناء كرات
لانكار واستنطاق مستعجم رائد الافكار على حكايات تنقل عن الاولياء لا كابر
اغرت المستهزئ بهلاكة واوغرت صدر المكابر واظهرت له بظاهر الوان التلوين
فانتهاز بغارة اذيتهم الفرصة واعرض عن صولة نظرة ان الله يدافع عن
الذين آمنوا فاستفرغ اطعنة تكالبه حرصه فهو فى فباى سفر اعتراضه غير
معرج على منازل التغاضى ولا ثائن عنان عايته الى ربوع سلمى سلم التراضى
واه فى مجال جلال الجدال باسقاط حسن التاويل اعلان ولنا الى الله جل
جلاله صدق الضراعة فى صرف بواعث الخذلان فلنذكر ههنا منها ما
فيه لاهل التخريب شاهد ونلتبس بعد طى بساط نشرها الخارج لاشكالها
كما تشاهد فعسى ان نجد ذلك لما نحن بصدده عونا ولما قام شيخنا الباهر
الكرامات صونا فمن ذلك من سيد الخواص ابراهيم الخواص وكان رضى الله
منه لا يقيم فى بلد الا اياما معلومة خوفا الشهرة فلما دخل بعض البلاد

اشتهر فيها فاراد ان يزيل عنه الشهرة وما يترتب عليها من الضرر فدخل
الحمام ووجد ثياب ابن الملك قد نزعها ووضعها عند الحمامي ثم غفل
الحمامي عنها فلبسها الخواص رضى الله عنه ولبس من فوقها ثيابه وخرج
يمشى رويدا حتى ياحقوة وينسبوه الى اللصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح
فلاحقوة واخذوا منه الثياب وضربوه وسمروه في تلك البلدة لص الحمام فقال
لنفسه ههنا ههنا طاب المقام قال المعتز ان ارتكبت معصية تمنع الثوبة
حيث مرض نفسه للتهمة والعقوبة ومن ذلك ما حكى عن الشيخ الولى
الذخر العماد ابى بكر الشبلى قال قال لى خاطرى يوما انت بخيل فقلت
ما انا بخيل قال بلى انت بخيل فقلت ما انا بخيل فقال بلى انت
بخيل فتوبت ان اول شئ يفتح به علي اعطيه اول فقير القاه فما تم
هذا الخاطر حتى دخل علي فلان لرجل سماء بخمسين دينارا فاخذتها
وخرجت فارول من لقيت فقيرا صريرا او قال اكمه بين يدي مزين
يحلق شعوه فتاولته ذلك فقال اعطه المزين فقلت انها دنائير فرفع راسه
الي وقال لي ما قلنا لك انك بخيل فتاولتها المزين فقال منذ قد بين
يدى هذا الفتيور عقدت مع الله تعالى عقدة ان لا آخذ على حلاقته شيئا
قال فاخذتها وذهبت الى البحر ورميتها فيه وقلت فعل الله بك وفعل ما
احبك احد الا اذله الله تعالى رضى الله عن الثلاثة ونفعنا بهم قال
المعتز ارتكبت بذلك ما لا يحل من تصييع المال ومال الى ما عنه
ظاهر الشرح العزيز امال ومن ذلك ممن سامى علوم مقامه مطالع الدرارى
شيخ العارفين احمد بن ابى الحوارى كان رضى الله عنه اسبحر التنوير
ليطبخ فيه خبزا فلما حوى جاء الى شيخه ابى سليمان الداراني رضى الله
عنه فقال يا استاذ حوى التنوير واكثر عليه من ذلك والشيخ مشغول القلب
فقال له الشيخ اذهب فادخل فيه وكان فاعده ان لا يخالفه في شئ
فدخله ومكث ثم قال ابو سليمان الحقوا احمد فاترو واخرجوه ولم يحترق
منه شئ رضى الله عنه قال المعتز مرض نفسه بذلك للتهلكة وارتكبت

بطاعة شيخه معصية ربه فيما سلكه ومن ذلك واقتطاف جنى الامانى عند
اشعب الطمع دانى حكاية ابى حمزة الخراساني قال رضى الله عنه
حججت سنة من السنين فبينما انا امشى اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي
ان استغيث فقلت لا فعا استتم هذا الخاطر حتى مر براس البئر رجلا
فقال احدهما للآخر تعال نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا
بقصب وطمسوا راس البئر فهممت ان اصيح فقلت في نفسي الى من هو
اقرب منهما وسكت فبينما انا بساعة اذا بشئ جاء وكشف عن راس البئر
وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في مهمة منه كنت اعرف ذلك
فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهب بي هاتك يا با حمزة اليس
هكذا احسن فجيئك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

نهاني حياتي منك ان اكشف الهوى واغيتني بالفهم منك عن الكشف
تطعلت في امرى فابديت شاهدي الى غائبى والطف يدرك بالطف
تراءيت لي بالغيب حتى كانما تبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبى من هيق لك وحشة فتونسني بالطف منك وبالعطف
ويحىي محب انت في الحب حنفة وذاعجب كون الحياة مع الخلف
قال المعتز القى بيده الى التهلكة اذ لم يستغث بابناء جنسه واعان
بذلك على اتلاف نفسه ومن ذلك من بعض الاكابر الواقفين على قدم
التجريد وهو رضى الله عنه حجة في ذلك لكل سالك ومريد انه سافر رضى
الله عنه للحج متجردا وعاهد الله تعالى ان لا يسأل احدا شيئا فلما كان في بعض
الطريق مكث مدة لا يفتح عليه بشئ فعجز عن المشى ثم قال هذا حال
ضرورة تودى الى التهلكة بسبب الضعف المودى الى الانقطاع وقد نهى الله
تعالى عن الالتقاء باليد الى التهلكة ثم هزم على السؤال فلما هم بذلك انبعث
من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم ثم قال اموت ولا انقض عهدا بيني
وبين الله تعالى فموتت القافلة وانقطع ثم استقبل القبلة مضطجعا ينتظر الموت
فبينما هو كذلك اذا بفارس قائم على راسه معه اداة فسقاه وازال ما به من

الضوء ورة وقال له تريد القافلة فقال واين منى القافلة فقال قم وسار معه
خطوات ثم قل قف ههنا والقافلة تتيك فوقف واذا بالقافلة مقبلة من
خلفه فقال المعترض هذا رجل خالف طهار الشريعة بترك الوقوف مع
الاسباب ودخل الى مدينة اقامت اود البشرية من غير باب ومن ذلك
عن الشيخ الذي بساحة جلالة قدره يستنعي كل ليث صاحب الكرامات
الباهرة اليمنى بالنسب ابي الغيث قال اشتبهى الفقراء يوما عليه لحما فقالوا
له على ذلك فقال لهم الى اليوم الفلاني وكان يوم سوق تائه الزوافل
فلما جاء ذلك اليوم جاء الخبر ان قطاع الطريق اخذوا القافلة ثم جاء
بعض القطاع الحرامية بحطب وجاء آخر منهم بثور فقال الشيخ للفقراء تصرفوا
فيه فتصرفوا واحضروا العيش فتغذى الفقهاء فدهاهم الفقراء للاكل فامتنعوا
فقال الشيخ للفقراء كلوا الفقهاء ما ياكلون الخوام فلما فرغوا من الاكل جاء
انسان الى الشيخ وقال يا سيدي نذرت للفقراء كذا وكذا من الحب
فاخذة الحرامية وجاء آخر اليه وقال نذرت للفقراء ثورا فنهب فقال لهما
الشيخ قد وصل الى الفقراء متاعهم فبقى الفقهاء يضربون يدا على يد متقدمين
على ترك موافقة الفقراء رضى الله عنهم ونفعنا بهم آمين فانت ترى كيف
حسن في الظاهر انتقاد هؤلاء واعتراضهم وبان عند نشر بصائع علم الغيب
انتقالهم عن وطن مالوفهم واعتراضهم وقد تكفأت الحكاية عن مثير الجوى
بالجواب وتجبرع من راي انه في الرد قد اصاب كاس صاب فلا تطلع من
نفس المرید في الجواب الا مزيد ومن الله جل جلاله نستمد العون على ما
نريد ومن ذلك وقل ان يقال كما يقال للبغاي عثار ما نقل من الشيخ
العارف بالله عيسى اليمنى المعروف بالهتار انه رضى الله عنه مر يوما على
امراة بغى فقال لها بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت وتعجب من
سمع منه ذلك فلما كان بعد العشاء دخل عليها فصلى ركعتين في البيت
ثم خرج فقالت له اراك خرجت فقال حصل المقصود فتمزقت عن حالها
وخرجت بعد الشيخ تائبة وخرجت عن كل ما تملكه لله تعالى فزوجها

الشيخ لبعض الفقراء وقال اعملوا الوليعة صيدة ولا تشتروا لها اداما ففعلوا
ذلك واحضروها فذهب انسان الى امير رقيق لتلك المرأة فقال له فلانة
تأبى قال ايش تقول قال اى والله تأبى وقد تزوجها بعض الفقراء واولوا
بصيدة وقد احضروها وما معهم ادم فلخرج له قارورتين فيهما خمر وقال
اذعب بهما الى الشيخ وسلم عليهما وقل له سرني ما سمعت وبلغني ان
ما عندكم ادم للوليعة خذوا هذا فتادموا به وارادى ان يستهزى بالفقراء
ويضحكهم فلما دنا رسول الامير من الشيخ قال له ابطأت ثم تناول احدي
القارورتين منه وخصهها ثم صبها على العيش ثم كذاك فعل بالآخرى ثم
قال للرسول اجلس فكل قال الرسول قطعمت سمنا لم ار اطيب منه ثم
رجع الى الامير واخبره بالقضية فجاء الامير فرأى شيئا حيرة فتاب ابتضا على
يد الشيخ المذكور نفع الله به وذلك فضل الله يرثيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم يقول المعترض ارتكبت منهيات في هذه المسألة مجمعة
التعرض للتهمة والكلام مع الاجنبية والخلافة بها وكلها بظاهر الشرع ممنوعة
ومن ذلك عدن له على اساس الولاية اشبه بنيسان وهو الشيخ الكبير
اليعنى العارف بالله سفيان دخل رضى الله عنه عدن في وقت فقيل له
هنا يهودى ولاة السلطان على بعض الجهات الكبيرة المناصب عنده
فحصلت له منزلة عالية ومنصب كبير وصار المسلمون يمشون تحت
ركابهم واذا جلس يقومون على راسه فمضى الشيخ سفيان رضى الله عنه
وهو يرمئ في الرياضة والتجرد في زى فقير فوجده جالسا على كرسي
والمسلمون تحته على الارض قائمون في خدمته فلما وصل اليه قال له قل
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فصاح اليهودى واستغاث
بجنده عليه فلم يقدروا ان يفعلوا شيئا ثم اعاد عليه الشهادة ثانية وثالثة
وهو في كل ذلك يصرخ بالجند ولا يقدرون على شئ ثم بعد المرة الثالثة
اخذ الشيخ بجمرة اليهودى او قال بذراية بيده اليسرى واخذ سكينها
صغيرة كانت معه بيده اليمنى وقال باسم الله والله اكبر ونقرب بذبحه

الى الله تعالى ثم رجع الى مكانه حيث يتعدى في الجامع فبلغ الخبر الى الامير فلم يصدق واستبعد ذلك لكون المقتول غلام السلطان ومن خاصته لا سيما والقاتل ذكروا انه مسكين ثم تواتر الخبر عند الامير فقال لغليانه اثرتني به فذهبوا الى الجامع فلم يقدر احد منهم على الدخول اليه فرجعوا الى الامير فركب في عسكرة حتى بلغ باب الجامع فلم يقدر على الدخول الى الجامع فضلا عن ان يمدوا اليه يدا بسوء فعرف الامير انه محصى من قبل الله تعالى فرجع وخاف على نفسه الشدة من قبل السلطان لكون البلد في دركه فاستشار اهل العقل والراي ما ذا يفعل فقال له بعض الالباء هولاء لاولياء ما لهم الا بعضهم بعض وفي الحجج بالحاء المهملة ثم الجيم على نحو مرحلة من عدن رجل من لاولياء يقال له العائدي بالعين المهملة وبعد لائف ياء مثناة من تحت ثم دال مهملة فارسل اليه ياتيك واشك اليه الحال فارسل اليه فجاءه فشكا اليه وتلزم به وقال له اشتهي ان لا يخرج القائل من البلد حتى اعرف السلطان ويأتيني الجواب قال له نعم ان شاء الله تعالى ثم خرج العائدي من عنده وجاء الى الشينين سفيان رضى الله عنه وكان بينهما صحبتة وود فشكره العائدي على ما فعل وقال قلعت حجرا من طريق المسلمين ثم قال اخرج بنا نتماشى فخرجا يتماشيان حتى بلغا باب الحبس فقال العائدي للحباس دونك قيده واحبسهم فمد سفيان رضى الله عنه رجله للقيد وقال السمع والطاعة فقيده وبقي في الحبس مدة ايام ان شاء ترك القييد في رجله وان شاء فتحه ورمى به فلما جاء يوم الجمعة وحضر وقت الصلاة خل القييد وذهب الى الجامع فوجده قد امتلأ بالناس فدخل حتى وصل الى قريب من الامير ثم نظر الى الناس وقال اصلى على هولاء الموتى اربع تكبيرات الله اكبر ثم خرج ورجع الى الحبس واقام به حتى جاء كتب السلطان وهو يقول اطلقوه فتحن نطلب السلامة منه فقد كان قبل هذا ادعى ان البلاد بلاد له وان الملك له دوننا فخرج من الحبس ولم يكن للسلطان ولا للشيطان عليه سلطان رحمة

الله عليه ورضوانه وقد كان جرى له مع السلطان قضية فدخل على السلطان يوما وقال له اخرج من بلادى وكان ذلك في ايين بالباء الموحدة ثم الباء المشناة من اسفل بلد بينها وبين عدن نحو من مرحلتين فخرج السلطان منها خائفا من عقوبته رضى الله عنه واعاد دليانا من بركاته يقول المعتز هذا فلك دم لا فسخ عندنا لسفكته وواتك بهن لا نرى بظاهر الشريعة وجهها لابساحة فتكته وكل آيل الى اهتمام جناب الشرع العزيز وتكته فلا نزاع في منافرتة لدعوى صلاح مرتكبه ونسكته ثم لا بد لنا بعد ارتسام هذه الحكايات من الوفاء بعدة حظ نقاب اشكالها وابتسام صور معاني اشكالها لنُدفع بذلك في صدور المعترضين ونرفع به علم الارشاد لارشاد من وفق من المعترضين ونريح من شبه المتشككين كل دبير وقيل ونريح من وسواسها صدور المعتقدين وعلى الله قصد السبيل اما حكاية ابراهيم الخواص رضى الله عنه فقد ذكر الياقنى رضى الله عنه في كتابه روض الربايع ان بعض الفقهاء سأل عنها بعض الفقهاء وقال اريد ان تقيم على جوازها دليلا ظاهرا من طاهر الفقه ولا اقبل ما يذكره الفقهاء فقال له الفقير المذكور ما طلبت من الدليل حاصل مشهور قال وما هو قال اليس يجوز في ظاهر الفقه استعمال بعض المحرمات عند بعض الضرورات قال الفقيه بلى يجوز ذلك قبل الفقير فكذلك في هذه المسألة داوى قلبه بهذا المحرم فاعترف الفقيه وقال هذا الجواب هو الفقه بعينه قال الياقنى رحمة الله عليه واما انما ازيد في هذا الجواب بعض بيان وهو ان يقال اذ اجاز ان تدانى الاجسام من الاستقام بشئ حرام فلان يجوز ان تدانى القلوب التي هي محل المعرفة والنور بشئ محذور اولى وابتعد من المحذور وشئان ما بين الموضعين فمرض الاجسام نعمة وحسنات ومرض القلوب فاقة وهلاك واين هلاك الابدان من هلاك الالديان وفي هلاك الالديان سخط الملك الديان والبعد من الرحمان والقرب من الشيطان وليس كذلك هلاك الابدان فظهر ان مداواة القلب من مرض ضرر الشهوة

وغيرها أولى وأحرى ثم الأمراض إنما تداوى بإصداق عليها والحرارة تداوى
بالبرودة والبرودة تداوى بالحرارة فكذلك مرض شهرة الصلاح دواء الخواص
بدواء شهرة الطلاح قال وهذا واضح لا يحتاج إلى زيادة إيضاح وقد نبه
النبي الكريم على شرف القلب بقوله صلى الله عليه وسلم إلا أن في الجسد
ثمة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا
رضي القلب وأما حكاية الشبلي رضي الله عنه والقائه الدنانير في البحر
فقال أيضا في روض الرياحين الجواب فيها عن أنكار المنكر واعتراض المعارض
وزعمه أن هذا اضاعة للمال من ثلاثة أوجه أحدها أن يكون فعل ذلك
في حال حال ورد عليه وذو الحال الغائب غير مكلف الثماني أن يكون
أشهد فيها بما يهلك كل من صارت إليه فأنلفها كما يتلف لافعاء الثالث
أن يكون بإشارة مؤذنة بالأذن اضطرت به إلى ذلك بحيث لم يجد عنه
محييا والله أعلم قلت وفي الوجه الثاني نظر وذلك أنه لو أشهد فيها
ما يهلك من صارت إليه ما عرضها على الفقير ثم على المزين باذن الفقير
وكيف يعرض عليهما ما فيهما تلافهما ثم إن السياق يقتضي أنه إنما أقام
لما اكسبه عدم قبول كل واحد من المزين والفقير للدنانير من ذلته عدم
القبول منه حتى قال فعل الله بك وفعل ما أحببت أحد إلا أن الله تعالى
فأنه رضي الله عنه رأى أنهما أتم تخليا منه من الدنيا وأنه لبقائهما في
يده دونهما كالحب لها وإن كان من الزاهدين المتخلين عن الدنيا وأسبابها
ويكون ذلك كالادب له من معارضة خاطرة جازما بنفى البخل عن نفسه
والله أعلم وأما حكاية أحمد ابن أبي الحواري رضي الله عنه في القائه
نفسه في النور فقال أيضا في روض الرياحين الجواب عن ذلك أنه علم
بقوة يقينه أن مراعاته للعهد المذكور وقيامه بالوفاء به يدفع عنه كل مخوف
ومحذور وكسب حلالا من الله تعالى هو فيه عن حرارة النار مستور وقد روى
من بعض العارفين أنه قال الصادق إذا ارتكب المهالك عن صدق حماة
صدقه عن الهلاك وانقلب ذلك الهلاك نجاة باذن الله تعالى ومن ذلك

قوله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم قال وهذا عين الجواب عن
حكاية الذي سافر للحج على قدم التكرير وعاهد الله تعالى أن لا يسأل
أحدًا شيئا إلى أن بلغ الأمر به إلى حد أشرف منه على هلاك نفسه وأما
حكاية أبي حمزة الخراساني رضي الله عنه حيث لم يستغث من قهر
البر ببناء جنسه وقد أمكنه ذلك فقد قال أيضا في روض الرياحين ما
زعمه القائل من أن هذا الذي فعله أبو حمزة رضي الله عنه لا يجوز
ليس بصحيح لأن أبا حمزة المذكور صدر منه هذا وقد منح ويتينا كاملا وقلبا
مشاهدا وحالا غالبا وحبا زاجرا له وحاجزا عن أن يلتفت إلى غير مولاه
أو يرى معه سواه كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنا لا
نرى مع الحق من الخلق أحدا أن كان ولا بد فكالهباء في الهواء أن فتنته
لم تجده شيئا قال ولو حصل المنكر عليهم بعض ما حصل لهم ما أنكر عليهم
والعجب من المنكر المذكور في إنكاره مثل هذا مع أنه يعتقد القوم ويطرز
كلامه بكلامهم وحكاياتهم وكلماتهم قلت أراد بهذا الكلام أبا الفرج ابن
المجزي فإنه هو الذي بالغ في الإنكار وقال وقام طافنا بمثل هذه الحكاية
كانما نشط من فقال وأكد إنكاره على أكبر الطائفة بتأليف تأسيسه وإن كان
من مشايخنا من يرى أنه من دسات المنكر وتلبسه فإنه رحمه الله
كثيرا ما طرز بمناقبهم الجليلة مواعظه واستثار بانوار نيرات حقائقهم كلما
نوى نظة والله سبحانه أعلم بحقيقة ذلك وهو جل وعلا مرشدنا لأحمد
المسالك قال وكيف تنكر مثل هذه الحكاية على من صار فانيا عما عسى
الحق صاحب قلب مشاهد لا يرى في الملك والمملوك إلا من هو أقرب
إليه من نفسه كاشف الضر الاله الواحد قسأل والعجب كل العجب
أن هذا الذي أنكره لم شاهد في الشرع أي شاهد وذلك ما جاء من
إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم لما التقى في النار عرض له جبريل عليه
السلام في الهواء بأمر الله تعالى فقال له أ لك حاجة فقال له أما إليك
فلا قال فأسأل الله تعالى ربك قال حسبي من سواي علمه بحالي وقال حسبي

الله ونعم الوكيل فهل كان هذا من ابوابهم عليه السلام إلا كمال يقين ومقام رفيع مكين قللت وفي بهجة الاسرار انه قال فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلائنا الى سوانا فسكت فلا مقال للمتعرض على هذا والله اعلم قال وايضا فقد ذكر العلماء رضى الله عنهم ان الناس في التوكل على ثلاثة اقسام **القسم الاول** قوم قد سلموا نفوسهم لله تعالى فلم يجلبوا لها نفعا ولا دفعوا عنها من الضر دفعا وطرادوا ذلك في كل شئ من الضرورات وغيرها فلم يتحفظوا من عدو ولا سبع ولا تسبوا لنفوسهم بسبب من الاسباب حتى كان بعضهم يمر بالشجرة فتلزم ثوبه بشركها فلا يتسبب في تخليص الثوب حتى تهب الريح فتخلصه وقد قال قطب مقامات اليقين وجة الله تعالى على العارفين ابو محمد سهل بن عبد الله رضى الله عنه اول مقام في التوكل ان يكون العبد بين يدي الله تعالى كاليت بين يدي الغاسل يتلمه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير **القسم الثاني** من لا قسم الثلاثة قوم تسبوا في الضرورات دون غيرها جلبا ودفعنا ضرا ونفعا وهذه الطريقة عليها الجمهور من الانبياء والاولياء ومن هذا القبيل ما احتج به المنكر من احتراز النبي صلى الله عليه وسلم من الاعداء الكفار في هجرته واختبائه في غار ثور وغير ذلك فهذه طريقة جمهور الانبياء كما ذكرنا فليس في ذلك للمنكر حجة لان بعض الاولياء لا يحتززون ولا يتسبون لنفوسهم في شئ اصلا كما قدمنا وقد تصدر منهم اشياء في حال احوال غالبية عليهم تسلبهم الاختيار فلا يقاسون بغيرهم ولا نقول ان تارك التسبب في الضرورات افضل من المتسبب فيها من الاولياء بل قد يكون الامر بالعكس ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم محتززا في كل شئ بل قد كان يواجه بعض المخاوف وهذه كنوز حنين وغيرها وكذلك اصحابه رضى الله عنهم وذلك كثير في الاحاديث التي يطول جلبها واما قوة احوال بعض الاولياء وما اعطوا من اليقين والكرامات فكلها مستمدة من فيض فضله صلى الله عليه وسلم ومنسوبة اليه وقد كان صلى الله عليه وسلم مشرعا يسلك

الطريق السهلة التي يقوى على سلوكها العام والخاص ولو سلك مقدم الركب والقوافل طريقا وعرة يقوى ذو على سلوكها دون كثير منهم لم يكن بهم رغوفا رحبما ولكنهم صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رغوفا رحيم حزا الله عنا افضل الجزاء وقد يسلك بعض الاقرباء من القوافل بعض الطرق العرة لمصاحبة ولا يمنعه المقدم **القسم الثالث** من لا قسم الثلاثة قوم دخلوا في الاسباب كلها في الضرورات وغيرها لكن مع اعتمادهم على السبب دون السبب اما حكاية الشيخ ابي الغيث اليماني رضى الله عنه فقد احتويت على جوابها وتكملت بقضاء اربها واما حكاية الشيخ عيسى الهماني المعروف بالهتار رضى الله عنه مع المرأة البغي وكلامه معها والتعرض بذلك للثمة والحياة بها فلم اقف فيها على جواب ولكن ارى ان الكلام معها بحسب اسفار العاقبة من صلاحها وتوبتها وجها وهو انه اذا كان يجوز عندنا النظر الى الاجنبية والكلام معها في غير ما مسالة من مسئلة الفقه والمحجوج الى ذلك في الغالب انما هو مراعاة صلاح الدنيا والحظ العاجل منها فلان يجوز ذلك لضرورة صلاح الدين اولي واهم واقوى اعتبارا وان كانت الشرعية انما تعبدتنا بالامور الظاهرة لان حكم الباطن منوط بخصوص وافراد لكن انكشفنا العاقبة لنا في هذه المسالة الحقها بالامور الظاهرة فيلتبس له فيها بعد بروزها من احسن الخارج ما ياحتها في الجواز بما يدانيها من ظاهر الشرع ويلانم ما ذكرناه انه رضى الله عنه اقتصر في مكالته على محل الضرورة والقدر الحاجي الموصول الى المقصود من حصول صلاحها وتوبتها حسبما كوشف به واطلع عليه ويقتضى امر الخلو بهما فاصح شئ عندى في التماس المخرج لذلك انه رضى الله عنه لم يقدم على ذلك على الوجه الذي فعله إلا لما وجب اذن اقتضاء على الوجه المأمور به بحيث انه لم يجد عن ذلك محيصا والرجل كان من اهل الاذن مع الله تعالى وحسن العاقبة في المسالة متم لما اردناه ومكمل للغرض الذي قصدناه

والله تعالى اعلم واما حكاية الشيخ سفيان اليماني رضى الله عنه في قتله اليهودي وهو من اهل الذمة وان قلنا انه بصفته نقض العهد العاصم ادمه وماله فليس اليه قتله وانما ذلك لمن قلده الله تعالى امور عبادة في طاهر الشريعة لكن مثل هذا الكامل انما يقدم على ذلك باذن من الله تعالى في اباحة اراقته دمه لامر اطعمه الله تعالى منه على باطنه وكشف له عن حقيقته على معنى حكاية المخضر عليه السلام وشاهد ذلك كف ايدي المنتقمين عنه وعدم قدرتهم على الوصول الى شئ مما ارادوه من لايقناع به مع وصف خموله وقلته ناصره رضى الله تعالى عنه وانجعل هذا الكلام من هذا الفصل الغاية فيما قصدناه والنهاية فيما المننا به من البات عظام الشيخ وادناه وفي ذلك للسالك والورد اقناع ولا داعي للاطالة وقد انكشف للمصنف القناع فلنرجع وبين ايدينا بركة السبع المثاني الى انجاز الوعد ببسط الكلام في الفصل الثاني ونسأل الله تعالى المزيد من عونه ودوام المند برعايته التامة وصونه

* الفصل الثاني في التماس الخروج لغرائب *

* تخريبه * وتسد يد الامر في ذلك وتقريبه *

اعلم انا قد اثبتنا للشيخ رضى الله تعالى عنه مع وصف التخريب مقاما شريفا وحالا توجب لمنصبه السامى تعظيما وتشريفا ووضحنا ان طريقته التي انكرت عليه قد سلكها اعلام من الاكابر السادة وصدور من اولياء الله الاكرمين الفادة ممن له مع وصفى تخريب العادة والاخلال في الطاهر بامر العبادة ما لا يكاد يحصى من الكرامات الوافرة والمناقب التي هي عن غرر رسوخ القدم سافرة وان هذا التخريب قد صار لاهل ذلك المقام عنوانا وكلهم يبدى منه بحسب واردات احواله الوانا واسلفنا جملة حكايات عن اهل الحقيقة ممن اسست على قواعد مباني هذه الطريقة وان كانت الحكايات لا تثبت بمقتضاها لاحكام ولا يعتمد عليها في الرد والقبول المحكم ولا اثر

لها في نفى عارض التمويه فهي تزيد الحق وضوحا وتقويه وقد تبلغ بالتوارد على الحال الواحد مبلغ الاخبار المستفيضة المشهورة او تلتحق بالتواتر المعنوي المحصل للعلم ضرورة قال المجيد رضى الله عنه الحكايات جند من جنود الله يقوى بها قلوب المريدين قيل له هل في ذلك من شاعد او قيل هل لذلك مصداق في كتاب الله تعالى فقال نعم قوله تعالى وكلا نقض عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك ثم انه رضى الله عنه لما حلى به جيد الزمان العاقل وموه على الناس باظهار الحق في صورة الباطل كسرت في امرة الاقاريل وامتدت اليه اسنة كلاسنة بالتاويل واجتمع الناس في امرة واقترقوا واعدوا لاستهطار سحاب حاله وابرقوا واشاموا طالبيين الكشف من غيم غيبه واعرقوا وانعقدت بارباب الشورة للنفس عن امرة المحاول واستاسدت السحال وانتهبه له الخامل الغافل واثبت الطائنون باحتضام جنباه العالى الرسوم وجعلوه بغير واحدة من العظام موسوم وخاضوا مستغدين في امر تخليه عن الخلق واختزاله وراموا بكل حيلة الوصول الى حطه عن عريشه وانزاله وتوارث القيام بهذا الشكر عليه من علماء وقته كابر عن كابر وهو رضى الله عنه على ما يرمى به من هذه الدواهي العظيمة محتسب صابر الى ان اطلع الله جل جلاله الكثير ممن سعى في احتضامه على ما يوجب عنده ايل الى اكباره واعطاه اما لخارق اطعمه الله تعالى لبراءة وليه طيه او لسارق من التخويف اوصله سفير لانهذار اليه ومنهم من لسنه من اجله افعى افعاله فالتحق سريعا بروسه ولم يغنه وقد استولى الندم على اقليم قلبه فقطيع خمسة هذا والغالب عليه رضى الله عنه معاملة الناس بالصبر والاعتناء والحلم وتعظيم جناب ايمته لامة الواقفين في امرة مظاهر العلم لكن لم تزل سنة الله جاريت بالانقصار لاوليائه ولا انتقام ممن تعرض بالاذية لاحبائه على ان الغالب في المتعرضين لاذيته الباحثين عن غاية امرة وبدايته انما هم الذين هو بين اظهروهم مقيم ومقامه الجليل لديهم يقعد شرفه ويقيم وانوار بركاته الشاملة لكافهم غامرة وربوع آمالهم

بمكان المن عامرة ويد ضرارته من اجالهم لربه مبسوطة وسائر نواحي
قطره لسريان سيره بامر الله محوطة لكن من لتنوير قلب تراكم عليه رانه
وقد دنست نوره ادرانته وازهد الناس كما قيل في عالم جيرانه وانما
سميهم العام في المصادر والموارد مصروف الى من هو عليهم محققا او مبطلا
وارد هذا الذي يقفون له على قدم التعظيم الشام ويعملون من سائر احواله
المبدأ والختم وتطلق بالتناء الجميل عليه السنة الرئيس منهم والمرعوس
وخصوصا ان برز لهم في محال احوال اهل الناموس وراسخ قدم الولاية
وهو منهم لا يوبه به ولو قال من ابوك يا با بوس قال الشيخ ابو الحسن
رصى الله عنه العامة اذا راوا انسانا ينسب الى طريق الله جاء من البرارى
والافتقار اقبلوا عليه بالتعظيم والتكريم وكم من بدل وولى بين اظهرهم ولا
يلقون اليه بالا وهو الذى يحمل افعالهم ويدافع اغيارهم عنهم فمطلبهم في
ذلك كمثله جار الوحش يدخل به البلدة فيطيف الناس به متعجبين لتخطيط
جلده وحسن صورته والجمهر التى بين اظهرهم وهى التى تحمل افعالهم لا يلتفتون
اليها واما الواقفون عليه من اقامى النواحي والامصار القادمون لزيارته
من سائر الجهات والافطار فله رضى الله عنه فى طى افتد منهم مكانة راسخة
القدم ومقدار لا يلتفتون فى استقلامهم الى فزغات المعترضين ولا يشبهون
لسماع شبه من استغروهم من المعترضين وائس عندهم شئ اعز من بضائع
وعتاق والوقوف معه على سنن الادب ومقتضاه فهم لورودهم منهل التماس
بركانه على جادة الاستقامة صادرون عن ذلك المورد العذب بكل كرامة
انطبعت فى مرآة قلوبهم الصئيلة من احواله الجليلة انوار وبدت لهم
لصفاء سرانهم عن شوائب الاكدار اسرار واحكموا قواعد مبادئ الشارب
واقفين بين يديه على قدم التعظيم فانه لبوا بنعمة من الله وفضل لم
يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

وماد الذى عادى كمال جلاله يخفى حنين دائم الحسرات
فها هو مكلوم الحشا بين لاسى قريح جريح ظاهر الزفسرات

ثم اعلم شرح الله لطاعته صدرك واعلى فى مقامات المقربين قدرك ان
العجب ممن يتعرض لاحواله رضى الله عنه بعد تسليم ايمته اهتدائه
واذعان علماء الوقت الذين بهعارفهم اشراق نيرات اقتدائه ابرى انه
منهم بذلك الامر اولى او يوجوه على اذابة اولياء الله نولا او يظن انه
اقربهم توخيا للحق وحاشا لله وكلا هذا وحاصل امر هذا المتكلف لتغيير
الناكر المتكلف فى ذلك به ايقف عنده المكاثر المناكر اما ان يكون اهلا لذلك
اولا والثانى هو احق بصحة لانكار نحوه واولى والاو اما ان يثبت
للشيخ رضى الله عنه هدى او ضلالة وما له عن احدى الصفتين من محيد
لا محالة فان اختار كونه موصوفا بالهداية ملتقفا بأكابر اهل الولاية فما
له اذا واقتحام مخالفة الاذاتية وقد فحمت منها النهاية والبدائية وان
وصفه بالضلال وثبت دعواه واقتضى فى النكير عليه وازع هلم وتقراد
ولم ينهض الى ذلك بمجرد اتباع هواه قيل له انفرادك بهذا الامر الخطير
وقيامك له دون الجم الغفير لاي سبب كان وبأى تقدير فان قال انهضت
لذلك من بينهم واقعدوا وقربت من دونهم لصفة كمالى وابعدوا قيل له
لقد قطعت بهذا عن نفسك السنة الام وهذا مادح نفسه يقولك السلام
وصار طعنه اذ ذاك منصرفا الى علماء وقته وانكاره انما هو لظاهر موجبات
مقتته فانه الزمهم وهم اهل كل قبيل من الحامد وديبر كونهم عالمين بالمشكر
معرضين لا لموجب عن التغيير ففض الله فاه ما ابعد ما نطق به وفاه وان
قال كم لهم فى ميادين الانكار عليه من كره ومن شن اغارة على حصن
كماله المنيع غير ما مرة لكن صد كل بطل منهم دون افنية ابنيته طائعا
او كارها وازعجه من ذلك ما يزعم الطير عن اوكارها قيل له هلا ايتظت
لذلك عبرتك واجريت ما انت بصدده من الجهالة عبرتك وعلمت انك
اقصر منهم باعا عن ادراك ما طلبوه واعجز فسلكت طريق التسليم فهى
اقرب فى ايصالك الى منازل السلامة وانجز وان زعم انه لدعوى انفراد
باخبار الشيخ اتعد منهم بحاله واعلم بما يزعمه وهو المبطل من ثبوت

محاله فقد انذر السامع بنقصان عقله وكفاه كذبا انفرادا بما تتوفر الدواعي
على ذلعه وهذا كله ان كان الشيخ عند هذا المنكر بصفة التكليف متصف
والا فما هو في اقامة قسطاس النكير على من لا يميز عنده بمنصف وهل
شاهد وهو ايسر الفطنة كامل عقل يتعرض لاجنون او يعرض فرائد فوائده
ان لا يفرق بين الصب والنون على ان هذا المعترض البائس وان ادار
من نفسه على قمر كماله هالة فمن عنصر عقله الوافر انبعثت جداول
الحق والجهالة فانه حين آن له ان يصلى بال وحيث كان له ان
يسكت قال ولا وجه مما قررناه يعتمد في انكاره عليه وينتهي عذره عند
مناقشة الحساب اليه ومن له بالقي فيها السلامة والتخلص من بوائق
اللامة وتصديه لاذابة ولي الله في صورة لانكار هو المنكر وتعرضه لذلك
مع قيام المانع وعدم مقتضى انكر ما انكر نسال الله ان يسلك بنا سبيل
لاستقامة ويجعلنا ممن اوقفه في محبة اوليائه واقامه

فقب وانشد وارجع الى الله ضارعا عسى نسمات العفو عنك تضوع
وبين يدي اهل الكرامة والتقوى تادب فمن ينبغي المطيع مطيع
وهذا اوان صرف العناية الى ذكر موالب الاعتقاد ومثيرات نفع بعث
لانتقاد مما هو السبب في تسريح لسان المقال وانطلاقه والموجب لتعميم
القول بالانكار على الشيخ واطلاقه لثرتب عليها ما يقتضيه المقام من مبذول
لاعدار ويرجع عند تصحيحه الى مقتضى احكام التلومات ولاعدار فتكون
جسنا حيثد على نظر حاكم لانصاف موقوفة والى ولاية العدل بيننا وبين
المنكرين مصروفة فان ذلك عندنا هو المقصد لاهم والمطلب الذي هو من
كثير قد انبهم ومن الله تعالى نستوهم المدد لاكمال الغرض وصرف ما
عسى ان يكون من شوائب الشكوك قد عرض فاعلم ارشدنا الله واياك الى
طريق الصلاح واسمعنا واياك داعي الرشد والفلاح ان الشيخ وصى الله
تعالى منه على ما يظهره من التخريب ويديه مما لا يقبله عقل المريب قد
كله الله حيث صرف منه بصرف حب العاجلة همومه وطهره من كثير

من الخصال المذمومة كالحقد والحسد والرياء والعجب والكبر وطول لامل
والغيبة والنميمة والكذب والتصنع والسمعة والخيلة والغش والخديعة
والنفاق وغير ذلك من سائر رذائل الاخلاق وليس لديه رضى الله عنه مما
ينقص كماله او يشين جماله سوى انهم لا يشهدون صلاته وصيامه
قالوا ويمازح النساء ويمزج بالفحش كلامه ولولا ذلك لاجمع الناس على
ولايته واجتمعوا على صلاحه وهدايته فعد المنتقد ذلك فيه نقضا وجعله
في نصاب كماله وقضا والتمس المعتقد لهذه الامور احسن المخارج والتزم ان
الخرب مع ظهور الكرامة وحسن البداية عن طرق الحقيقة غير خارج
قال الشيخ ابو محمد عبد الله اليافعي رحمه الله في كتابه روض الرياحين
اعاموا رحمكم الله واياي ان من امتلا قلبه ايمانا باحوال الفقراء والصالحين
منهم والصديقين ومحبتهم والعلم بسيرتهم سلم لهم ما يسمع منهم وحمل ما
جاء عنهم مما لا يمكن حمله على طاهرة على محامل صحيحة واوله تاويلا
لاقتبا باحوالهم المليحة ومن جملة التاويلات ان لا يسلم نسبة ذلك اليهم
حتى يصح عنهم وبعد الصحة يلتبس له تاويلا يوافق العلم الظاهر فان
لم يوجد له تاويل قيل لعل له تاويلا في الباطن يعرفه علماء الباطن
العارفون بالله تعالى ويذكر عند ذلك قضية موسى عليه السلام مع الخضر او
يقدر ان ذلك صدر عنهم في حال السكر والغيبة والسكران سكرامباحا غير
مكلف في ذلك الحال فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق
نفوذ بالله من الخذلان وسوء القضاء ومن جميع انواع البلاء قال واما
من لا يعرف احوالهم ولم يشرب من مشروبهم ولم يذوق من مذوقهم ولم
يطلع على علومهم وطريقهم ولم يخاطبهم ولم يكمل حسن ظنه بهم فانه بلا
شك ان لم يوفق ينكر عليهم اقوالهم وافعالهم واحوالهم ولقد احسن القائل
حيث قال

ايقدح فيمن شرف الله قدره وما زال مخصوصا به طيب الثنا
رجال لهم سر مع الله صادق ولا انت من ذاك القبيل ولا انا

فانت ترى حسن هذه الحامل من كلام هذا الكامل فما الذى يبعد
ان يكون ظهور ما ابعد المنكر واحال انما كان من الشيخ على تسليمه في
وقت سكر الحال وهو حينئذ غير مخاطب بالقيام بكلف التكليف ولا
مطلوب ولا وجه للاعتراض حيث لم يتعرض لغيبته عن نفسه بادخال
ذلك عن نفسه بل هو فيه مغلوب دخل الشبلى على الجنيد في حال سكر
ورد عليه وهو جالس في بيته وعندة زوجته فارادت ان تستتر فقال لها
الجنيد لا عليك به وغائب لا علم له بك فصعق الشبلى على رأس الجنيد
وانشأ يقول

ودونى الوصال والوصل عذب ورمونى بالصد والصد صعب
زعموا حين عاتبوا ان جرمسى فوط جي لهم وما ذاك ذنب
لا وحسن الخضور عند التلاقي ما جزا من يجب إلا محسب
فاهتز الجنيد وقال هو ذاك يا ابا بكر فخر مغشيا عليه ثم بعد ساعة بكى
الشبلى فقال الجنيد لامراته استرى فقد افاق فانظر كيف اخرجته عن
حد التكليف بغيبته سكرة ولم ياذن باحتجاب حليته وهو المنوة بين ارباب
الصدور بذكره علما منه بحقائق احوال القوم وما يوجب منها محبة او اليم
اللوم وكيف لا وهو سيد اهل الطريقة والجامع بين الشريعة والحقيقة وبمثله
في امر هذه الطائفة يحسن الاقتداء وبسنا هدايته تلوح للسالكين محبة
هتداء نفع الله به واعاد علينا من بركاته وقد آن ان نذكر من احوال
الشيخ رضى الله عنه ما جعله المنكر وسيلة الى قصده وسبيلا موصلة
ولكن الى ابعاده وصده ونسب القول في كل واحدة من تلك المسائل
بانفرادها طالين العون من الله تعالى في حالى اصدارها وايرادها فهو الكريم
المستعان واجل من ارشد واعان اما عدم اطلاعهم على صلواته ونوافل قربه
وصلواته فقد ذكرنا عن الشيخ اليافعى رحمه الله انه قال وقد شهد كثير
منهم يصلون في الخلوات ولا يصلون بين الناس وان هؤلاء لهم مذهب
معروف يظهرهم المساوى ويخفون المحاسن ولا يبالي احدهم بكونه بين

الخلق زنديقا اذا كان عند الله صديقا لانهم لم يزالوا يبالغون في نفى روية
المخلوقين واسقاطهم من قلوبهم وعدم الاحتفال بمدحهم وذمهم استجلابا
لكمال الاخلاص واستبراء للنفس من شوائب الشرك الخفى الذى لا يسلم
منه إلا الخواص قللت وما يشهد ان الشيخ رضى الله عنه اعتبر هذه
المقاصد واخفى اعمال برة وهو لها متطلع قاصد ما حدثني به الحاج الناصب
ابو الحسن علي النفاثي المذكور قال كنت بين يدي الشيخ رضى الله عنه
ايام اقامته بالبيت وقبل ان يرقا السطح فجاءت جماعة من الزائرين
فيهم الفقهاء وغيرهم فجللوا يتاملون في امره وينظرون الى حاله ثم قالوا
هذا رجل لا يحل لاحد ان يراه ولا يزوره فقلت لهم ولم ذلك قلوا انه لا
يصلى فجعلت اعظمهم في ذلك وارشدتهم فقال لي الشيخ رضى الله عنه لا تقرا
على الحرومين ثم قال لهم انا اعرف ان فيكم معتقدا ومعتقدا فان كانت الصلاة
لكم فواجب علي ان اطهرها لكم وان كانت لله فارجو الله ما يراه احد إلا
الله ثم قال لهم لكن اشتغلوا بالبلاء الذى جاءكم النصارى نزلوا جربة او كلام
هذا معناه قال فلم يمض لنا غير ثلاثة ايام وجاء التعريف بنزولهم جربة كـ
قال رضى الله عنه فانت ترى حسن ما ابداه من هذا المخرج الجميل والملاحظ
الذى هو باظهار وجه العذر لا غير كفيل على ان خطابه هذا رضى الله عنه
انما هو بحسب ما تدركه القول الصعيفة وتنااله ايدى مواد الافهام الكثيفة
وللا فلتقوم رضى الله عنه في ذلك وراء العقل احوال وموارد امور او فقتها
لاقدار على ارباب الهمم العوال وقد كان الشيخ الجليل محي الدين عبد القادر
الجيلاني رضى الله عنه يقول انا من وراء عقولكم وانتم بين يدي كالفوارير ابصر
ظاهركم وباطنكم وكان يقول قال الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وانا مما
لا تعلمون قال اليافعى رحمه الله في كتابه روض الربايع سمعت من
بعض اهل العلم الظاهر ان بعض الفضهاء كان ينسكروا على بعضهم بعض
لاشياء المعقولة فقال له يا فتية ان هنالك اشياء وراء العقل فانظر اين
تراني الآن فنظر اليه فاذا هو في الهواء واذا هو في مكانه ايضا رضى الله

عنه قال وكذلك اخبرني بعض اهل العلم ايضا ان بعضهم كان لا يرى يصلي فلما كان بعض الايام اقيمت الصلاة وهو قاعد فقال له بعض الفقهاء قم صل مع الجماعة منكرا عليه فقام واحصر معهم وصلى الركعة الاولى والفقير المنكر بجنبه ينظر اليه فلما قاموا الى الركعة الثانية نظر الفقير اليه فرأى فيه يصلي مكانه فتعجب من ذلك وفي الركعة الثالثة رأى والثا غير الاثنين الاولين فازداد تعجبا وفي الرابعة رأى رابعا غير الثلاثة فاشتد عجبهم فلما سلموا التفت فرأى صاحبه الاول الذي انكر عليه جالسا في مكانه وليس عنده احد من الثلاثة فتعجب مما رأى فنظر الفقير المولى اليه ثم ضحك وقال يا فقيه اى الاربعة صلى معكم هذه الصلاة

قاس الفقيه الامر في انكاره بظواهر من علمه تنقاس فبدا له غول التشكل لا بسا الثوابه فاستعجم المقياس وغدا الحيرته بذلك تاتها في ليل جهل ما له نيسراس

وقد ذكرنا في الفصل قبل هذا يليه حال قضيب البان رضى الله عنه على جلالة قدره وفخامة امره انه كان لا يرى يصلي وانهم ذكروا للشيخ الكبير محي الدين عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه حاله وعدم اطلاعه على صلاته فاجابهم من ذلك بقوله انه يصلي من حيث لا ترونه ولا يخرج يوم ولا ليلة وعليه منهما فرض ابدا وانى اراه اذا صلى بالموصل وغيرها من آفاق الارض يسجد عند باب الكعبة وذكرنا ايضا قضيبته التي تطور فيها على قاضى الموصل وقد كان سعى الظن به بحيث انه اراد ان يكلم السلطان في اخراجه من الموصل وانه اجتمع به في بعض الازقة على هيئته المعروفة فمشى خطوة واذا هو على هيئة كروى بصورة غير صورته الاولى ثم مشى خطوة واذا هو على هيئة بدوى بصورة غير الصورتين المتقدمتين ثم مشى خطوة فاذا هو على هيئة فقيه بصورة غير الصور المتقدمة وقال له يا قاضى هذه اربع صور رايتهن فمن قضيب البان منهن حتى تكلم السلطان في اخراجه فانكسب القاضى على يديه يقبلهما واستغفر الله تعالى

راى خارقا اخفى سناء طومه ولم يدوما يديه حين تحيرا فمال الى التسليم والتمس الرضا ويمناه للتقبيل ايضا فخيبرا وفي كتاب مناقب الشيخ الجليل ابى عثمان سعيد الصفورى رحمة الله عليه ما نصه وقع للشيخ المولى الكبير سيدى عثمان القرنبالى رضى الله عنه ان بعض الطلبة اراد ان يختبره هل يصلى الجمعة ام لا وكان معه اثنان من الطلبة فلما قربوا من داره قال احدهم اما انا فلا اشرب السم للتجربة وانصرف والثانى انصرف من سقيفة دار الشيخ وجلس الثالث بين يدى الشيخ وخرج كتابا ينظر فيه والشيخ رضى الله عنه جالس في موضعه على كرسيه فاخذت الطالب سنة فلزم ثم استيقظ فرأى الشيخ جالسا فقال له ما تصلى الجمعة فقلبه النوم ثم استيقظ ايضا فوجد الشيخ على حاله فقال له ما تصلى الجمعة يا زفت وما زال هذا امره مع الشيخ حتى رجع الناس من صلاة الجمعة ودخلوا على الشيخ فجعل رضى الله عنه يقول لكل من يدخل من الناس رايتهم هذا الزفت ما صلى اليوم جمعة والطالب لا يقدر على القيام من موضعه ولا يتحرك فدخل عليه صاحبه فقال لهما الشيخ هذا الزفت ما صلى اليوم جمعة فاوما اليه صاحبه ان يقوم فلم يستطع حتى امتلأت الدار بالناس فنظر اليه الشيخ وقال له قم يا زفت فقام وخرج خاسئا ذليلا مقوئا فقال له صاحبه هلا قمت حين دخلنا عليك فقال لما دخلت على الشيخ واخرجت التهذيب لانظر فيه ارسل الله عليه النوم وصمرت كلها استيقظت وجدت صفته يقول لى يا زفت ما تصلى وهذه غايقت واما القيام فما قدرت عليه حتى قال لى قم وفيه ايضا ووقع ان بعض المخربين ممن تظهر عليهم الكرامات والناس في امره بين معتقد ومتنقد فاتفق ان رجلين كان احدهما يعتقد هذا السيد والاخر لا يعتقد فقال المتنقد للمعتقد فى يوم جمعة اليوم اختبر هذا الرجل هل يصلى الجمعة ام لا فقال له صاحبه لا تفعل فقال والله لا بد من هذا فاقى الى موضع ذلك الفقير ووقف عند بابيه ينتظره فخرج بعد

آذان الجمعة وتبعه ذلك المسكين الى اطراف البلد فغاب عنه ولم يره
فرجع مبادرا ليدرك الجمعة فادرك الناس وقد صلوا فاتى الجامع ووقف
مع صاحبه ولم نفس مال فقال له ذلك المعتقد ما فعلت فقال له تبع
ت الفاجر وما صلى اليوم جمعة لاني تبعته من خروجه من موضعه
بعد الاذان الى اطراف البلد وغاب عني في موضع كذا في هذه الساعة
واتيت مبادرا فوجدت الناس في الاربع وقد خرجوا من الصلاة فقال له
صاحبه سبحان من اشقاك والله انه في هذا الموضع من حين جئت انا
الى الصلاة عند الزوال لم يتحرك من مكانه ومن شوم الانتقاد انك حرمت
مسألة الجمعة والرجل هاهنا انت تنظر اليه فنظر فاذا الرجل مستقبل
القبلة يذكر الله تعالى وهو جالس وذكرنا ايضا عن الشيخ علي الكردي
رضي الله عنه انه كذلك كان لا يراه احد يصلي مع اعترافي الناس له
بالولاية وتعظيمهم اياه واجدالهم لقدرة وحكمه فيهم بحكم الملك والمالك
واعتناء حجة الرأى وامامه شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه
بامره وحرصه على رويته وزيارته وعدم التساهل الى ظاهر تخريبه
لعلمه باحوال النوم واختلاف تلوناتهم وكثرة تطوراتهم ابقاء للستر على
مقاماتهم النفيسة بظاهر ما يبدونه من احوالهم الغير الميسته وانه قال
له وقد واجهه بكشف عورته هذا شيء لا يصدنا منك وترجل عن بغلته
للقاتله ولا حرج على من كان بمثل هذا الكامل اقتداؤه وبانوار معارفه في
ليل الجهالة اعتداؤه ولا يحيل العقل جواز هذه الامور الغريبة ووقوع هذه
الحوادث الثورية العجيبة فان النوم لهم وراء العقل امورا لا تكاد تدركها
الافهام ولا تصل الى غالبها الفكر ولا رهام قال الياقبي رحمه الله في روض
الرياحين قال بعضهم كنت بمصر وكان بي فاقة فدخلت بعض المساجد
فاذا انا بشاب جالس فدفع الي صرة فيها قطع وقال لي خذ شعرك واغسل
ثيابك فجئت الى حمام فاخذ من شعري فدفعته اليه قطعيتين فلما صارتا
في كفهما قبلهما وقال مرحبا انا خرجت في طلبك منذ ثلاثين سنة من اين

لك هذه القطع فانها ليست من قطع الدنيا لها نور وهي من القدرة فحدثته
بقصتها فاخذ بيدى ومضينا الى ذلك المسجد فلم نجد الشاب فصار الحجام لي
صديقا فقال يوما سمعت سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول علامة الولي
ثلاث اذا اراد موضعا يكون به من غير حركة واذا اراد اخا من اخوانه
يحمل اليه واذا اشتغل بعبادة او بسبب من الاسباب يجيى ملك فيتكلم
على شهيه فيحسب الناس انه ذلك وهو الملك فقال فلما كان بعد ايام
قال لي سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا صليت العصر فتعال حتى تأخذ
من شعري وثنقص من دمي فلما صليت العصر مضيت معه الى مسكنه
فاخذت من شعرة وثنقصت من دمه وقعدت انا وهو ثم طبخنا له قدرا
فلما اذن المغرب قال لي اذا صليت المغرب فتعال حتى تأكل معي فلما صليت
المغرب جاءني رجل من اصحابه وقال لي اى شيء فاتك قد تكلم علينا سهل
رضي الله عنه من العصر الى هذا الوقت بكلام لم اسمع قط مثله فقلت
له احتفظوا بما سمعتم فانه ليس من كلام سهل بل هو من كلام ملك وعلمت
ان سهلا تكلم ب مقامه رضي الله عنه ولهذه الحكاية في هذا المعنى نظائر
وحاصلها على اقامة العذر للشيخ رضي الله عنه دائر فمئها ما في روض
الرياحين للياقبي رحمه الله تعالى قال بلغني ان الشيخ المعظم الكبير الشأن
المعروف بمفرج من اهل الصعيد رضي الله عنه رآه بعض اصحابه يوم
عرفته بعرفته ورآه آخر من اصحابه في مكانه لم يفارقه في جميع ذلك
اليوم فذكر كل واحد منهما ذلك لصاحبه ثم تنازعا وحلف كل واحد
منهما بالطلاق من زوجته انه كما ذكر فاختمنا الى الشيخ وذكر كل واحد
منهما يمينه فافترهما على حالتهم وابقى كل واحد على الزوجية قال الشيخ
صلى الدين بن ابي المنصور رضي الله عنه فسالت الشيخ مفرجا رضي
الله عنه عن حكمه في هذه القضية بعدم حنث الاثنين مع كرون صدق
احدهما موجب حنث الآخر وكان معنا في وقت سوالي له جماعة فيهم
رجال معتبرون لهم معرفة بالعلم فقال لنا الشيخ قولوا يعني تكلموا في هذه

المسألة وكان ذلك اذا منى لنا بان نتحدث في سر هذا الحكم فتحدث كل منهم بوجه غير كافى وكانت المسألة قد انضحت لى فاشار الشيخ الى بايضاحها فقلت الولى اذا تحقق فى ولايته ومكن من التصور فى روحانيته يعطى من القدرة فى التصور بصور عديدة فى وقت واحد فى جهات متعددة على حكم ارادته فالصورة التى ظهرت لمن رآها بعرفته حق والصورة التى رآها فى مكانه فى ذلك الوقت حق فكل واحد منهما صادق فى يمينه فقال الشيخ مفرج هذا هو الحق او هذا هو الصحيح يشير الى صحة ما اوضحته فى صورة ما حكم به بين المتنازعين فى امره رضى الله عنه قال وهذا الجواب يوضح ما يشكك من مثل هذا كما فى قضية الاربعة الذين صلوا صلاة واحدة كل واحد منهم صلى ركعة وقضية الواحد الذى رآه الفقيه فى الهواء وفى الارض فى وقت واحد وقضية الشخص الذى كان يتكلم فى صورة سهل وسهل فى منزله فى ذلك الوقت ومنها ما فى خلاصة المفاسر للياقنى رحمه الله تعالى عن الشيخ العارف ابن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى الشهير بحاكير رضى الله عنه قال جاء تاجر من اهل واسط الى والدى وكان يحبه وله فيه اعتقاد واستاذفه فى ركوب بحر الهند بتجارة له فلما ودعه قال له اذا وقعت فى شدة لا تقدر على دفعها فنادى باسمى فسافر الرجل لم بعد ستة اشهر وثب والدى قائما ونحن حوله وصفق بكيمه وقال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومشى خطوات يمينا وشمالا ونحن نشاهد منه ذلك ثم جلس فسالناه عن سبب ذلك فقال كاد فلان وسمى التاجر واسطى يغرق الآن لولا ان نجاه الله تبارك وتعالى فارخنا ذلك اليوم ثم بعد سبعة اشهر وصل ذلك التاجر فاكب على رجل والدى يقبلها ويقول له يا سيدى لولا انت لهلكنا فى ذلك اليوم والذى يتبسم فلما خلونا بالتاجر سالناه عن امرة فءال انا اوغلنا فى لجة البحر المحيط فى طلب بلاد الصين وتنها عن الطريق وايقن كل من فى السفينة بالهلاك ثم لما كان وقت كذا من يوم كذا وذكر الوقت الذى

ارخناه عندنا عصفت علينا الرياح العواصف من جهة الشمال فهاج البحر وتلاطمت امواجه واضطربت واشتد علينا الامر واشرفنا على الفرق فذكرت قول الشيخ فنهضت قائما واستقبلت جهته ونسألت باسمه يا فلان ادركنا فلم تتم كلامى حتى رايتهم قائما عندنا فى وسط السفينة وشار بكيمه الى جهة الشمال فسكن الريح ثم وثب من السفينة واستقبل على متن البحر وصفق بكيمه وقال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ومشى على الماء خطوات يمينا وشمالا فسكن البحر وهدت امواجه ثم اشار بكيمه الى جهة الجنوب فهبت علينا ريح طيبة اقلعنا بها من ذلك المكان حتى وصلنا الى طريق السلامة ومشى الشيخ على متن البحر حتى غاب عنا ونجانا الله عز وجل ببركة الشيخ من الهلاك قال فحلفنا له بالله العظيم ان الشيخ لم يغيب عن ابصارنا فى ذلك الوقت بل كنا جلوسا معه فاقسم بالله العظيم انه كان حاضرا معهم ولو لم يحضر معهم لم ينج منهم الا من شاء الله تعالى فسبحان من اختص اولياءه بغرائب هذه الاسرار واتحفظهم بطرائف هذه الاخبار ومنها فى خلاصة المفاسر ايضا عن الفقيه ابى العباس احمد بن قريش التلمسانى قال سمعت شيخنا ابا محمد صالح الدكالى رضى الله عنه قال قامت الحرب بالمغرب مدة بين المسلمين والافرنج فى حياة شيخنا ابى مدين رضى الله عنه وكان لافرنج قد ظهوروا فيها على المسلمين فاخذ الشيخ سيفه وخرج الى الصحراء مع نفر يسير من اصحابه وانا معهم وجلس على كتف من رمل فاذا بين يديه خنازير قد ملئت البرية من كثرتها فوثب الشيخ حتى صار بينها واستل سيفه وهلا به وعوس الخنازير حتى طرح منها كثيرا ولوا بين يديه هاربين ورجع فسالناه فقال هولاء لافرنج وقد خذلهم الله تعالى وارخنا الوقت فجاء الخبر بكسر لافرنج فى الوقت الذى ارخناه فلما قدم المجاهدون اكبوا على اقدم الشيخ يقبلونها واقسموا بالله العظيم انه لو لم يكن معهم بين الصفيين لهلكوا واخبروا انه رضى الله عنه انه كان يعلو بسيفه راس الفارس من لافرنج فيضربه

وفروسه فسانه قتل فيهم مقتلة عظيمة ولولا مدبرين وانهم لم يروه بعد
انقضاء الحرب قال وكان بين الشيخ وبين موضع القتال اكثر من شهر
فسبحان الفاعل المختار يخلق ما يشاء ويختار ومنها في خلاصة الفاخر
ايضا عن الشيخ ابي محمد عبد الله البطايعي رحمة الله تعالى عليه قال
حضر مجلس شيخنا الشيخ محي الدين عبد القادر رضي الله عنه ابو المعالي
محمد بن احمد البغدادي التاجر فاخذته حنة شديدة متعبة وبلغت
منه الجهد فنظر الى الشيخ فنزل الشيخ مرقاة فظهر على المرقاة العليا
راس كراس الادمي ثم نزل اخرى فظهر كنفان وصدران وما زال ينزل
مرقاة مرقاة ويظهر من الجسد شئ فشيئ حتى تكمل على الكرسي صورة
كصورة الشيخ يتكلم على الناس بصوت مثل صوته وكلام مثل كلامه ولا
يرى ذلك الا هو ومن شاء الله تعالى وجاء يشق الناس حتى وقف عليه
وفطى راسه بكمه وفي رواية بمنديله فاذا هو في صحراء متسعة فيها
نهر عند شجرة فعلق فيها مفاتيح كانت في كفه وازال حقنته وتوصا من
ذلك النهر وصلى ثم ركعتين فلما سلم منهما رفع الشيخ كفه او منديله فاذا
هو في المجلس واعضائه مبتلة بالماء ولا حقنة به والشيخ على الكرسي كان
لم ينزل فسكت ولم يذكر ذلك لاحد وتفقد مفاتيحه فلم يجدوها معه ثم بعد
مدة جهز قافلة له الى بلاد العجم وساروا من بغداد اربعة عشر يوما ثم نزلوا
منزلا في بوية فيها نهر فذهب فيها ليزيل حقنته فقال ما اشبه هذه الصحراء
بتلك الصحراء وهذا النهر بذلك النهر وذكر شانه في ذلك اليوم فاذا هو بذلك
النهر وبذلك الشجرة وبحقنته يعني ما خرج منه في ذلك اليوم يعرف ذلك
ولا ينكر منه شيئا ووجد مفاتيحه معلقة بالشجرة فلما رجعوا الى بغداد
اتى الشيخ ليخبره فامسك باذنه قبل ان يخبره بشئ وقال له يا ابا المعالي
لا تذكره لاحد وانا حي ولازم خدمته الى ان مات رضي الله عنه فسبحان
من ايد اولياءه واكرم بالصدق اصفياه ومن ذلك في روض الرياحين عن
سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال توصات في يوم جمعة ومضيت

الى الجامع في ايام البداية فوجدته قد امتلا بالناس وهم الخطيب ان
يرقى المنبر فاسات لادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى
الصف الاول فجلست واذا عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة
عليه اطمار صوف فلما نظر الي قال كيف تجدك يا سهل قلت بخير اصاحك
الله وبقيت متفكرا في امره ومعرفته لي واذا لم اعرفه فبينما انا كذلك اذ
اخذني حرقان البول فاكرمني فبقيت على وجل خوفا ان اتخطى رقاب
الناس وان جلست لم تكن لي صلاة فالتفت الي وقال يا سهل اخذك
حرقان البول قلت اجل فاخذ حرامه عن منكيه فغشاني به ثم قال
اقض حاجتك واسرع تالحق الصلاة قال فغشي علي وفحت عيني واذا
بباب مفتوح فسمعت قائلا يقول لي ليج الباب يرحمك الله فولجت واذا
بقصر مشيد على البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة والى جنبها مطهرة
مملوءة ماء احلى من الشهد وموضع اراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فخللت
لباسي وارقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعت يناديني ويقول
ان كنت قضيت اربك فقل نعم فقلت نعم فنزع حرامه عني فاذا انا
جالس في مكاني ولم يشعر بي احد فبقيت متفكرا في نفسي وانا مكذب
نفسى فيما جرى فاقبعت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لي
شغل الا الفتى لاعرفه فلما فرغ تبعت اثره فاذا به قد دخل الى درب
فالتفت الي وقال يا سهل كانك ما ايقنت بما رايت قلت كلا قال ليج
الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة
والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله فقال يا سهل من
اطاع الله تعالى اطاعه كل شئ يا سهل اطلبه تجده فتغرغرت فيناى بالدموع
فمسحتهما وفحتهما فلم ار الفتى ولا القصر فبقيت متكبيرا على ما فاتني
منه ثم اخذت في العبادة رضي الله تعالى عنهما قلت ففى هذه الحكايات
وامثالها لمن ارشده الله ارشاد والمريد الصادق بمطالع انوارها الزاهرة
استرشاد فقد احتوت على ما يزيل الشك والريب وتضمنت ما يزييم

عن مقام شيخنا الكامل كل شين وعيب وتكفلت له بالاعذار المقبولة عن
 الاحوال التي هي بظاهر الامر معلولة وردت ايدي المتكبرين الى اعناقهم
 مغالولة واوضحت العذر لمن اعمل في الظاهر لتخريبه نوافله وفروضة
 واخفى من اعين الناس ايقاع صلاته المفروضة وان كانت هذه الحقائق
 عند امعان النظر فيها مهولة وهي عند غير العارف بالله تعالى مجهولة
 بان لنا في تحتم اعتقاد الشيخ بهولاء السادة اسوة ومن اسلك سبيل
 تعظيم المخربين من ائمة الامة قدوة فانه رضى الله عنه واحد من ذلك
 الجمع الكثير وفرع باسق من شجرة ذلك الشرب لاثير وكلهم رضى الله
 عنهم في وصف الولاية تماثلا واختلافا مشتركون وفي معنى ما خصوا به من
 العناية الربانية كالفصل المثقفة مشبكون اورد جميعهم موارد تخصيصه
 من ادناهم من حضرة جلاله وقربهم فما منهم صادر الا وله ملء حوصلة
 قد علم كل اناس مشربهم فلا معنى لدعوى تخصيص الماذهب الا بنص في
 ذلك صريح او ما حظ في نظر العلماء الراشحين له مستند صحيح حدثني
 صاحب الاشغال بتونس للتاريخ وهو الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن
 عبد الكريم بن الكماد قال تكلم علينا يوما الشيخ الصالح الولي ابو عثمان
 سعيد الصفوري رضى الله عنه في مجلسه الجمهوري فقال الناس يقولون
 ابن هروس لا يصلي والله انه يصلي خلفه من الخلق صفوف لا
 يعلمها الا الله والذي يراه الناس في اوقات الصلوات ليس هو ذاك فانه
 من الابدال وحقيقة البديل اذا كان في عبادة او في شغل يخلفه في مكانه
 من يتكلم بكلامه في صورته حتى لا يعلم انه فقد فاعتبر رحمك الله
 كلام هذا الولي الذي يعتبر بمقاله ولا تعدى عند رواية اخبار الولاية
 انتقاله فقد ازال عن صور مطلوبنا ملابس الالباس ولم يبق في انسان
 ميم كمال مخدومنا الكامل من باس والشيخ رضى الله عنه في عدم اطلاقنا
 على اداء فرضه ليس بمعرض لجواز هذه المحامل في حقه للطعن في مصون
 عرضه فانا اذا جعلناه مآخوذا من حسه لقلبة سكر الحال فلا تكليف

حيث ومثبه في هذه الحالة قد احوال وان كان ذلك لتخريبه الذي هو
 عن كثير من الاولياء منقول فما هو يبدع في ذلك وحبل طريقته بكثير من
 الاولياء موصول وللشيخ فيما اوقفناك عليه من تطورات القوم وتشكلاتهم
 اشرف وصول وشاهدة ما استفاض عنه في كثير من مواطن بسطه من
 قوله انا الغول والكرامة الدالة على ولاية الغير هي ايضا عنه مع حسن
 بدايته ظاهرة مستفيضة واحاديثه في ذلك على اختلاف اجناس الدعاة
 وانواعهم طويلة عريضة

فلم يبق الا ان يحسن ظنهم فتي ينبغي نحو المحامد ان يرقى
 والا فتسليم له وهو ح—— من نوافله بعد الغيبة ما ينبغي
 قال في روض الرباحين وقد ذكر حكاية سهل بن عبد الله رضى الله عنه
 هذه الحكاية وامثالها مما يشكل على غير العارفين بالله تعالى واما العارفين
 بالله تبارك وتعالى فلا يشكل عليهم ذلك ولا يمنعهم ما راوا من التخريب
 عن حسن الاعتقاد في المخربين كما تقدم من زيارة الشيخ الامام استاد
 لانام شيخ شيوخ الاسلام امام الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة
 مولانا شهاب الدين السهروردي للشيخ علي الكردي رضى الله عنهما ومجيئهم
 اليه وتطفله عليه مع كونه وحيد دهره وفريد عصره ولم يصدده عنه ما قبله
 به من كشف عورته وما نسب اليه من ترك الصلاة وغير ذلك لما
 عرف فيه من الولاية التي سبقت بها العناية ثم قال وانظر الى كثير من
 الناس كيف يطعنون في مثل الشيخ علي الكردي وينسبونه الى الزندقة
 والشجور الا الموفقين فانهم يعتقدونه وما يعرفونه كما يعرفه العارفين بالله
 انتهى فانظر رحمك الله الى ملاحظ اهل الكمال وحسنها الذي تم به نصاب
 شرفهم وحصل له الاكمال هل امالتهم عن كمال حسن الاعتقاد عواصف
 التخريب او ازعجهم عن ذلك ما يملأ الاسماع من الابعاد في الطعن
 والتشريب وكيف لا وقدم التقدم في ارض رياضتهم راسخ ومتواتر حس
 ظنهم لخبر آحاد الطاعنين ناسخ فبمثل هولاء يتحقق المريب وبسنادهم

يهتدى الرجل لأريب نساله جل وعلا اذالة التوفيق والهداية الى سواء الطريق وأما تخريبه رضى الله عنه بايهام الأكل في رمضان وعدم الصيام فان كان ذلك لمريض مبيح أو لغلبة سكر الحال فلا طعن ولا لوم ولا فروية الناس لذلك من التخيلات العجيبة والتطورات الخارقة الغريبة وقد استندنا عنه رضى الله عنه حكايات تصح نسبة هذه الخوارق اليه وتصرب في صدر المتطفل بالرد والانكار عليه فمنها ما حدثني به ابو عبد الله محمد بن جاد الغرياني قال جئت يوما في شهر رمضان الى الشيخ سيدي أحمد ابن عروس رضى الله عنه فوجدت بين يديه جنب شاة مشويا وهو يأكل فيه اكلًا مستبشعا ويمضغ مضغًا منكرا كرمها بحيث اخذني العجب من ذلك ثم ان الله تعالى كشف عن بصري فاذا ذلك الجنب المشوى الذى رأيته يأكل منه قد عاد في نظري قطعة من خشب الزيتون عليها قشرها لا اشك في ذلك ولا ارتاب فيه فادركني من ذلك ما هالى امره وحيرنى شهده فلما خرجت من عند الشيخ ناداني انسان ممن كان بين يدي الشيخ وهو يأكل في ذلك اللحم وقال لي هل رأيت الذى رأيته أنا فقلت له وما ذاك قال الذى كان بين يدي الشيخ وهو يأكل منه ما هو لحم أو غيره فقلت وعرضى ان اثبت ما ظهر لي بكلامه هو جنب شاة مشوى فقال اما انا فوالله ما كشف لي إلا عن قطعة من خشب الزيتون عليها قشرها وفيها هو يظهر لاكل فقلت له وقد علمت ان الذى رأيته صحيح الامر والله كما قلته ولقد اطمأنى الله تعالى على ما اطلعك عليه وكشف لي عما كشف لك عنه وافترقنا ونحن في عجب من امره رضى الله عنه ومنها ما في كتاب مناقب الشيخ الجليل ابى عثمان سعيد الصفورى رضى الله عنه وقد استورد الكلام في حال شيخنا رضى الله عنه مولفه الشيخ ابو العباس أحمد الزبير فقال ولقد حدثني من اثنى به انه كان مع جماعة في شهر رمضان في القيسارية التى تقابل الشيخ الولي الصالح صاحب الخوارق سيدي أحمد ابن عروس رضى الله عنه

ونفعنا به قال فرايناه رضى الله عنه يأكل تمرا ويشرب اللبن وهو يقطر على لحيته الكريمة وصدره ونحن نرى ذلك عيانا واذا بصبي من اهل تلك الحواشيت نظر اليه وقال لنا ما هو يشرب والعبار الذى فيه اللبن مغطى بجلدته فنظرنا فلا شئ مما كنا نراه وما بالحيتة وصدره شئ واذا عبّار اللبن مربوط بجلدته فلما علم رضى الله عنه ذلك منا دخل الى نواته وتركنا رضى الله عنه ومنها ما حدثت به عن الفقيه المتصوف ابى عبد الله محمد الحبيب النابلى رحمه الله قبل دخلي في شهر رمضان يوما على سيدي أحمد ابن عروس فوجدت في يده آنية باللبن وهو يشرب فيه واثر اللبن على شاربته وشفتيه فقلت له منكرا عليه ما هذا الهم الذى تفعل يا سيدي تفسد عقائدنا فيك فالتفت عني وهز نفسه فرايت اثر اللبن على كتفيه وليس على شاربته وفيه من الاثر الذى كنت رأيته شئ فقلت له هكذا تفعل تسقى غيرك وتلبس علينا بذلك فضحك منى وسكت رضى الله عنه ومنها ما حدثني به الشيخ الصالح العتق لاكمل ابو الحسن على بن محمد الترمذى قال كنت في اول امرى مصرعا بالانتقاد على سيدي أحمد ابن عروس اخذا على من يعتقدونه فقد رآنى صعدت اليه رضى الله عنه يوما وانا مصر على عدم اعتقاده فوجدت بين يديه قصعة فيها الكسكس وهو يتناول منه فاذا رفع اللقمة الى فيه رأيت كفا تمتد من وراء ظهري وتتناول اللقمة فعل ذلك مرارا متعددة والناس الحاضرون يرون انه يضع اللقمة في فيه لا يشكون في ذلك ولا اشك ان الكف الذى تمتد من وراء ظهري هى التى تتناول اللقمة وما وضع في فيه من ذلك لقمة واحدة فادركني من ذلك ما هالى وحيرنى ورجعت الى اعتقاده وتعظيمه رضى الله تعالى عنه فمن اقدره الله تعالى على مثل هذا كيف يقال في حقه اكل او صام او نام عن نوافل قرباته او قام ومنها ما حدثني به بن عون قال كنت بين يدي الشيخ رضى الله عنه يوما في شهر رمضان فاذا بجماعة من طلبة العلم من اهل

المغرب قد وردوا على الشيخ زائر بن فلما وقفوا بين يديه ورأهم نادى رضى الله عنه ولد اخيه النائب عنه بالزاوية وقال له اريد الآن ثلاثة اصوع من دقيق السميد بالكيل فأتاه في الحين بذلك فجعله الشيخ في قصعة ولته بالماء وحده وجعل ياكل فيه اكلا ذريعا الى ان اتى على جميعه ولم يترك منه سوى القليل التافه ثم قال يخاطب نفسه اى والله فضيخ اى والله ما يستهى ياكل في رمضان والناس ينظرون فيه فقال احد الطلبة المذكورين اما انا فوالله ما فى نفسى من ذلك شئ ولا اعلم ما عند غيرى ثم ان الشيخ رضى الله عنه اراهم بطنه وكانها السوط من فراغها من الطعام وقال والله ما اكلت الطعام منذ عشرة ايام رضى الله عنه فاين انت عن سماع هذا الخارق يا من بلا يزايل مركزا اعتراضه ولا يفارق ومنها ما حدثني به الشيخ الاكرم ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابي الفضل قاسم حفيد الشيخ الصالح الكبير سيدى معاوية بن عتيق رضى الله عنه وقد كنت اجتمعت به في موضعه من دخلة الجزيرة القبلية من عمل تونس الحروسة في واسط شهر ربيع الاول الشريف من عام سبعة وستين وثمانمائة وتذاكرنا خوارق الشيخ رضى الله عنه فقال حدثني اخى صالح رحمه الله تعالى عن اخ له في الله من تجار السوق الاحمر من تونس قال كنت اتعاهد الشيخ رضى الله عنه بالطعام في كل ليلة من ليالى رمضان فاتفق انى اتيته بذلك نهسا فتناوله منى وجعل ياكل منه وانا واقف بين يديه فساء ظنى به لاكله في نهار رمضان ثم انى سافرت حاجا بعد مدة فلما وافينا مصر اذ قال لاسكندرية في قولنا الى المغرب دعانى بعض الفقراء الى طعام صنعته لي فلما قدمه لنا عرفت القصيدة التي كنت حملت للشيخ فيها الطعام الذي اكله في نهار رمضان فقلت للرجل من اين لك هذه القصيدة فقال وما دعائك الى السؤال فقلت انها لي فقال لي من اى بلاد المغرب انت فقلت من تونس فقال انى كنت مفطرا في شهر رمضان لمرض اصابني فاشتبهت طعام كذا بلحم كذا عليه من البقول كذا وذكر عين ما

كنت حملته فيها للشيخ قال وسالت الله تعالى في ذلك واذا بسيدى احمد ابن عروس ناولني هذه القصيدة بما اشتبهت وجعل يطعمني بيده وذلك في ساعة كذا من يوم كذا من شهر رمضان سنة كذا فذكر ذلك على نحو ما كان عندنا مع الشيخ رضى الله عنه فصدقته في مقاله واستغفرت الله تعالى مما كان في نفسى من الشيخ رضى الله عنه ومما يويد هذا المعنى ويرشد اليه ويهدي الى الرشد ويرفق عليه ما حدثني به ابن عون المذكور قال اخبرني الفقيه القاضى لاكمل ابو الفضل بلقاسم العقبى رحمه الله تعالى وكان من المعتقدين لاولياء الله تعالى قال من غريب خوارق الشيخ الصالح الولي الشهير ابي عمرو عثمان القرنبالى رضى الله عنه ان رجلا ممن كان يعتقد ويتردد اليه اثناء بصحيفة فيها طعام عليه دجاجة في يوم من ايام رمضان وكان له اخ لا يعتقد الشيخ ويوبخه على اعتقاده فيه فاتفق ان جاء معه الى الشيخ صحبة الطعام المذكور فكشف رضى الله عنه عن الطعام وجعل يقول كانه يخاطب نفسه نصير الى المغرب لا والله ثم اكل فخذنا من تلك الدجاجة وقال والله لتاكلن التخذ الآخر فاكله ثم قال والله لتاكلن دجاجة كلكها كانه يخاطب نفسه ثم قال والله لتاكلن من هذا البازين واكل منه ما شاء الله وصاحب الطعام واخوه المنتقد يشاهدان فلما خرجا من عند الشيخ قال المنكر لاختيه المعتقد ما بقى لك ما تقول بعد هذا ياكل في رمضان من غير ضرورة تدعوه الى ذلك فلم يجد المعتقد جوابا ثم بعد سنة او قال سنتين صنع للشيخ طعاما وجاء به معه اخوه المذكور فلما وصلا الى الزاوية وجدا انسانا من اهل المغرب قد قدم لزيارة الشيخ وهو يسال عن الزاوية ومعه حمل على فرس فقيل له هي هذه الزاوية قال واذا بالشيخ ينادى من داخل الزاوية يا مقربى والله ما تدخل حتى تخبرهم بمسالتك قال فخيرناه بدعائه الشيخ وسألناه عن مسالته فقال انى من اهل مراکش وقد كانت الحمى لازمتني سبعة اعوام وانا منها فيما لا يعلمه إلا الله فبينما انا في شهر رمضان من سنة كذا

في يوم كذا في وقت كذا فذكر اليوم الذي اكل فيه الشيخ الدجاجة المذكورة وتلك الساعة منه قال واذا برجل قد دخل علي وقد انزلت عني الحمى في تلك الساعة ومعه قصيعة بالبازين وعليها دجاجة فعرض علي لا اكل من ذلك فتمانعت فحلف لي فاكلت وما زال يحلف لي الى ان اكلت الدجاجة كلها واكلت شيئا من البازين ولما نهض لينصرف عني سألته بالله من انت فقلت انا عثمان القرنبالي بتونس فعافاني الله تعالى مما كان يبي من الحمى ببركته وما كنت اري قط انها تفارقني او انني اعافى منها وعاهدت الله تعالى اني ازوره وبهذه النية خرجت اليه من بلادى وهذا الحمل من البرنس له وعدة منى قال فتاب الاخ المنكر واستغفر الله تعالى ورجع عن انكاره الى اعتقاد الشيخ رضى الله عنه واكباره وفي كتاب مناقب الشيخ الصفروى رضى الله تعالى عنه قال الشيخ محي الدين رضى الله عنه اذا اراد الولي ان يصرف عنه احدا اقسام من روحانيته صورة على صورته حتى يرى الرائي انه فعل الشيء وهو لم يفعل كما يرى الانسان في النوم انه فعل اشياء ولا حقيقة لذلك ثم قال يحكى من بعض المخربين ان جماعة جاءوا الى زيارته فواووه وقد اخذ ذكره في يده وجعل يرش وسط موضعه بالبول فانكروا عليه ذلك فقال بعض من كان معهم ما لكم فقالوا له ما رايت هذا الرجل يكشف عورته ويرش الموضع بالنجاسة فقال لهم لا والله ما رايت كشف عورته ولا رش بنجاسة وانما في يده آنية صغيرة ياخذ الماء بها ويرش وانا انظر اليه وذكر ايضا ان امرأة ممن لها حظ من الجمال جاءت مع ولد لها مراعى لزيارة الشيخ سيدى عثمان القرنبالي رضى الله عنه فرأى الولد الشيخ رضى الله عنه قد امسك بفيه شفة امه وهو يمصها فادركته الغيرة من ذلك وانف مما رآه فلما انصرفا قال لامه ما هذا الفعل الذي فعل معك هذا الشيخ فقلت وما الذي فعل يا ولدى فقال رايت قام اليك بفعل كذا وكذا فقلت له امه والله يا ولدى ما تحرك من موضعه ولا

مسنى يد رضى الله تعالى عنه فاليك النظر بعد هذا فيمن هذه الخوارق منتهى وصفه ولا يفرق غير العارف بالله تعالى بين ربحانه وصفه هل يتعرض في كافة اموره ذو عقل سليم او يعارضه في سائر احواله بسوى مجرد التسليم اذ لا معنى للطعن فيمن حقيقة عندك ليست بمعلومة ولوامح احواله كلها لديك غير مفهومة فان انت بعد هذا غلبت نفسك لامارة وصحت عقد اعتقادك فقد انصغت ولك السلامة ان وقتت بساحل التسليم والا فانك وحدك الباكي وقد بذلت النصيحة فيما وصفت وبالله جل جلاله على ارشادنا نستعين فهو حسينا واجل ناصر ومعين واما ما يذكر منه رضى الله عنه من حديث مازحة النسوة فانما ذلك ان ثبت لامر خفي عنا ثم لنا في التسليم بمن اجتمع على ولايته اسوة هذا حجة الاولياء وشيخ مشايخ المغرب الاق من فنون الكرامات الباهرة بكل فن مغرب ولا و احد الذي ضربت اليه اكبدا لا بل في زمانه الشيخ ابو يعزى كم رام الطاعنون قد نيس عرضه المصون بما ينسب اليه من ذلك ويعزى وهو الكامل السرى والتقى البرى ففى التشوف للتادلى رحمه الله تعالى قيل للشيخ ابى يعزى رضى الله عنه ان فقهاء فاس انكروا عليك لمس صدور النساء والنظر اليهن فقال اليس يجوز عندهم ان يلمس الطيب تلك الواضع ويراه للضرورة فهلا عدوني واحدا من اطباهم وانما المس ذوى العاهات للتداوى بذلك فانظر هل في هذا العذر لاحد مقال او هنالك لطاعن ما مى ان يقال وفي التشوف ايضا من اوجد عصرة وشيخ رجال الغيب الحجة الواضحة ابى مدين شعيب قال رضى الله عنه قالت لي جماعة من الفقهاء المجاورين لابي يعزى ثبتت عندنا ولاية ابى يعزى ولكن نشاهده يلمس صدور النساء ويطونهن ويشغل عليهن ونرى ان لمسهن حرام فان تكلمنا ملكنا وان سكتنا حرنا فقلت لهم ارايت لو ان ابنته احدم او اخته اصاها داه لا يطلع عليه الا الزوج ولم يوجد من يعاينها الا طبيب يهودى او نصرانى اكنتم تجيزون ذلك مع ان دواء اليهودى او

التصرائى مطنون وانتم من معاناة ابى يعزى على يقين من الشفاء ومن معاناة غيره على شك فبلغ كلامى ابا يعزى فكان يقول اذا رايتهم شعيبا فقولوا له عسى ان يغتافى كانه استحسن جوابى منه ولا نزاع انه رضى الله عنه بلغ بجوابه الحسن الغاية القصوى والنهاية التى على نفاسة قدرها صفات اهل الحقائق تطوى وازال بذلك الاشكال العارض وقطع لسان توفيقه لسن المعارض وفى التشرف ايضا عن الحاج ابن هارون وكان خديما للشيخ ابى يعزى رضى الله عنه قال رايت ابا يعزى يوما وقد اثتم صبيته بها علة لتشتفى بمسه فادخل يده الى جسدها ليمسح عليه فوجدت من ذلك فى قلبى شيئا فكرهت المقام عنده فاستاذنته فى الانصراف عنه فقال لى لا تنصرف حتى آمرك فنصرفت قبل ان ياذن لى فظلمت عن الطريق وكنت بها عارفا واخذت فى طرق مشعبة خرجت منها الى مكانة اوسلا وقد اجهدتى التعب والجوع وكان الناس حينئذ يقتلون على ترك الصلاة فى اوقاتها قال فقبض على جماعة كنت فيهم فحملنا لنقتل فلما كان فى تلك الساعة قال ابو يعزى لاصحابه ارفعوا ايديكم الى الله تعالى وادعوا ان يخلص صاحبكم من الحنة التى اصابته فلما قدمت للتل وانى رجل كان يعرفنى فقال للوالى ليس هذا ممن يترك الصلاة ولو لم يصل احد لصلى هذا وحده ومن شأنه كذا وكذا فامر الوالى باطلاقى فانطلقت ورجعت من فورى الى ابى يعزى فلما ابصرنى قال لى ابيت ان يزول ما فى قلبك لالا بعد الحنة فقلت له تبث الى الله تعالى فانظر الى عقوبة اعتراضه على منعه سره وشدة التى لاقى وما اظهر على لسانه شرا وقد كاد ياحقه شوم انتقاده بحقه لولا ان الله تبارك وتعالى تداركه بلطفه فكيف تكون عقوبة من جمع فى الاذانية بين السر والجهر واسترسل فى ذلك كل يوم وجمعة وشهر نسأل الله العافية والسلامة والتوفيق الى تجنب سلوك سبل الملامة وقد ذكر التادى ايضا عن اوجد زمانه الولى الكبير الحائز قصب السبق فى وانه ابى العباس السبكي الشهير انهم كانوا يقولون فى حقه يستبيح الفروج بغير

ما تنبأ به شرعا ويسلبون منه وصف الولاية اصلا وفرا حتى قال خادمه وقد اوغر رضى الله عنه بطواهر تخريبه صدره خدمت ابا العباس السبكي اربع سنين وانى لا اعتقد كفره فى حكاية فذكرها فى هذا الفصل طويلة اقتضت بسط الخطاب فى التماس المخرج لتخريبه وتطويله ثم انى تعود بعد الى اقامة العذر عن تخريب شيخنا الكمال وحمل ذلك منه على احسن المخرج والحامل فقول والله المستعان واجل من ارشد واعان اذا كان رضى الله عنه فى ايام صباه عن هذه النقائص محظوظا وبعين الكمال عند البر والفاجر حيث ما حل ما حظوظا فاليوم حين ضعف منه الجاذب والدافع واستوى لديه الخافض والرافع ومحت مجاهدته من نفسه هذه الرسوم وبدا كماله وهو بكل صالحة موسم وانتشرت فى سائر الاقطار كراماته وظهرت من صدق سره على صفحات وجهه علامات تظن بكماله هذه الظنون وينسب اليه الخوض فى تلك الفنون هذا امر وان كان من مجوزات العقول فهو لعمرى بعيد وظنة لا يحقق نسبتها لارلاء الله رجل سعيد ابعد الولاية والطنن فى السن صبوة ام بعد التخلى عن الكبر والفر يخلصى على الجواد كبرية ام يرتقب والسيف فى قوايه شين لا بد للصارم من نبوة لقد ضاعت ان كان ذلك الحكمة وسارى الصحيح فى جودة النظر لا كنه فالواجب التماس المخرج له فى ذلك وحسن التاويل ان ثبت عنه سلوك تلك المسالك والذى انتهى اليه فى امره اعتقاد البراءة الكاملة والنزاهة التى هى اصفات الكمال فى حقه شاملة وما يبقى فى النفس من مخالطة النسوة يحمل على قصد الاستشفاء بهمه ولا استفاد لما عسى ان يكون من العلل ببركة مسه فيكون فى ذلك بمنزلة الطبيب المزاوول فى جواز النظر واللمس للعضو الذى يحاول علم ان العلل ليست كلها فى الجسمانية محصورة ولا معاناته هذه على مجردة مقصورة بل العلل الباطنة وهى اشد ايلاما اكثر ومزاوتها الا على ارباب القلوب اعسر وقد يكون بالمرأة من الادواء ما يستغرق باطنها بوسا وهما ولا يطلع على ذلك منها ابا ولا اما

فجعل الشيخ وسيلتها الى الله تعالى في كشف ما بهما وتوقف عليه لحسن
 نيتها جميع اسبابها فيبدي لها ما تستشوق من تسمائه العافية وان كانت
 طريق ذلك في ظاهر الشروع عندنا عافية واما ما وراء ذلك من وساوس
 الصدور ففي تحقيق نسبتهم الى اولياء الله اكبر محذور حدثني الحاج التاسك
 ابو الحسن علي النفاثي قال وقع في بعض الايام من الشيخ رضى الله عنه
 تخريب كثير بحيث انه امسك ابنة بكرا بهوى من الناس وعندة خلق
 كثير فجعلت البنت تستغيث بهن يفكها من يده فجاء احد اصحاب
 الشيخ ليفتكها من يده فقال له يا ترجمان انت فضولى ثقل شاتى من يدي
 الدنيا كلها غمى اعطاه الله لي اقلها حيث اشاء باذن الله تعالى فحملوا
 تلك البنت لقاضى الجماعة حينئذ وهو الفقيه الامام حجة الاسلام ابو علي
 عمر الداجاني فسالها عن امرها وهل كشفها الشيخ فقالت لا والله حاش الله
 فقال القاضي المذكور للحاضرين الشيخ بحر زاهر والذي يذكر لي منه شيئا
 بعد اليوم اعاقبه قال ثم اني اخبرت بالموطن امرأة من جيراننا فقالت
 اطلب من الله ان يفعل بي كذلك ووعدت زيارته فاتفق انها زارت
 الشيخ ابن طاع الله وجاءت الى الشيخ بعد ذلك فلما وقفت بين يديه
 امسكها منده ولم يقدر احد على افتكاكها منه قال فصعدت الى الشيخ
 وسالته ان يخلى سبيلها فقال انها تحتاج لادب زارت ابن طاع الله قبل
 وكانت وعدت ان تزورني فنقضت العهد وزارت الميت وتركت الحي
 رضى الله عنه تعالى عنه وحدثني غير واحد ان امرأة وقفت بين يدي
 الشيخ رضى الله عنه فلما رآها خاطبها بما يقتضى مرادتها على قبلها وادخال
 يده تحتها فانكر منه الحاضرون ذلك واستعظموه وكادت المرأة يغشى عليها
 لسماح ذلك واصابها ما اذهل دلالها فسالها بعضهم عن امرها والحج عليها في
 ذلك فقالت انه لثبني الساعة رجل كان بيني وبينه شيء فالتقى نفسه
 علي وقال لا اخلى سبيلك حتى تقبليني وادخل يده تحتي وذكر ان
 الشيخ رضى الله عنه انما خاطبها بكلام ذلك الرجل لها وحكى ما وقع منه

وجعلت تسال الله لاقالته والتوبة وحدثني الشريف السيد ابو زيد عبد
 الرحمن بن جعفر الاقرشي قال خرجت يوما الى اقرش فرايت بين يدي
 فارسين ادركتهما وسرنا جميعا وما زلنا الى ان اخذنا في امر الشيخ سيدي
 احمد ابن عروس وسر تخريبه فحدثني احد الفارسيين اللذين ادركتهما
 وهو الفقيه فلان لرجل سماه قال حدثني من اعتقد صدقه لرجل ايضا
 سماه قال كانت اهلى لا ينقطع عنها الدم اصلا وكنا من ذلك في امر عظيم
 فاتفق انها زارت الشيخ رضى الله عنه يوما فلما وقفت بين يديه ادبها
 وامرها ان تستلقي على طهرها ففعلت فدخل اليها يده ومس فرجها باصبعه
 مرتين وامرها بالقيام فقامت وانصرفت واخبرتني بالموطن فمن تلك الساعة
 انقطع الدم عنها فلا ترى له اثرا الى الان ببركة لمسه رضى الله عنه
 قال الشريف المذكور فاحذت النفس في ذلك كل ماخذ وانا معها في
 مجاهدة كبيرة ادفع عنها الوسواس وما ركنت في ذلك اليها لمحة بارق
 وهي تقول كيف هذه الولاية لمس فرج لاجنبية باصبعه مرتين قال
 فعوقبت عن هذا الخاطر وانا ادافعه بان وقعت على مازقة المعصية مرتين
 في يومين متواليين وصرفت عن ذلك بفضل رحمة الله ولما وقفت بين يدي
 الشيخ رضى الله عنه قال لي ما زلت ارثوب فقلت له وقد عرفت
 العلة يا سيدي قد كنت ادافع الخاطر ولكن استغفر الله واتوب اليه
 فصرفتني حينئذ رضى الله تعالى عنه وحدثني بن عون المذكور قال اخبرت
 ان بعض كبراء الدولة بتونس في بدء صعود الشيخ الى سطحة كانت له
 ابنة بها داء عضال وعلت مزمنة في قبلها لا وصول لهم الى علاجها وكانوا
 من امرها في كرب فتسكرت البنت المذكورة بحيث لا يعرفها احد وجاءت
 الى الشيخ في الليل فامسكها رضى الله عنه وادخل يده الى محل العلة
 منها واسم بيده وانصرفت مع من صحبها من حواشيها فانهى علم ما فعله
 الشيخ الى ابصارها فاستعظم ذلك وكرهه فارسلت اليه تخبره ان ما كان بها
 من العلة قد زال وذهب ما كانت تجده من ذلك ببركة لمسه رضى

الله تعالى عنه وحدثني الشيخ ابو علي منصور بن زيد قال كان بقبل ابنتي
ايام الصغراء عظيم ايماننا علاجه فحملتها يوما الى الشيخ رضى الله عنه
وجلست بها بين يديه وهي في حجرى فقال لي وقد رآها ارفع عنها الخواص
فرفعت عنها الى ركبته فقال ارفع فما زلت ارفع الى ان كشفت لها من
الحل واهضت بوجهي عن ذلك فقال لي رضى الله عنه ما رايت بها سوء
وامرني بسترها وكانت بها قروح وبواسير فقال دون ان اكلمه في ذلك
اكشف لي عن الجرب الذى في مخارجها فكشفت له من ذلك فقال
استرها ما رايت شيئا فسترتها ورجعنا الى الدار فمن تلك الساعة شفاها
الله تعالى من ذلك كله وعافاها وما كنا نرى ذلك إلا مرضا لا يفارقها ابدا
ومن يومئذ الى الآن ما واينا بها سوء ببركة الشيخ رضى الله عنه فالشيخ
رضى الله عنه اذا صدر عنه مثل هذه الاشياء يلتمس له فيها المخرج لارضى
ويسلك بتخريبه ذلك لثبوت ولايته المسلك الذى يرضى فان اطلعنا
الله تعالى على سر شئ من ذلك فقد انشع الغبار وزال الريب وان خفى
عنا مدرك ذلك فهو الظن بنا ولسنا من رجال الغيب وقد تمتد من لا عقل
لها ولا دين في حكاية وقائعها مع الشيخ رضى الله عنه الى حد تذكر فيه بعض
ما تعجبه الاسماع تفاخرا منها على مساكاتها بذلك لتوهم ان لها المنزلة
عند اولياء الله تعالى وهي كما قيل احقق من سجاج واخرق واكذب من
موة من ضعف العقول ومخرق كانت امرأة في دار مجاورة لموضعنا الذى
نحن به ايام هذه لاقامة بتونس وكنا فتاذى بها لكونها من المتبرجات
فحدثني منها بعض من يراها انها قالت وقد ذكر عندها الشيخ رضى الله عنه
جنته مرة فقام الي واضمعتى والقي نفسه علي ولم امانعه نفسى فكان
الذى معه كالجلدة او الخرقه قالت ولم ينل منها شيئا وزعمت ان جسده
المبارك لا قى جسدها فاكدبتها في ذلك ولو امكنتى ان اوقع بها لفعلت
لما وجدته في نفسى عليها ثم ان الله تعالى حقق ظنى فيها من انها مفترية
كاذبة فعاجلها بالعقوبة الشنيعة وابتلاها بما لا تقدر على دفاعه وذلك

انها اخذت برذيلة السرقة وقبض عليها في ذلك ورات محنة عظيمة في
نفسها من الاهانة القولية والفعلية وحملت لدار الثقاف وحسبت فيها
اياما واخذ من له الامر متاعها واغرمها فضحها الله تعالى على رؤوس الاشهاد
ونزع عنها سترة وصرفها من جوارنا واراح منها وكل ذلك عندي عقوبة لها
ومحنة عظيمة بسبب جرائمها على الشيخ رضى الله تعالى عنه وافترائها
عليه نسال الله ان يستعملنا فيما يحببه ويوصاه ويصاحبنا لطيفه الجميل
فيما قدره وقضاه واما ما يصدر عنه رضى الله عنه من الكلمات التى هي
بالفحش موصوفة وعن طريق الادب في ظاهر الشرع العزيز مصروفة
فسييل العذر عنها سبيل ما اسلفناه وطريق التخلص فيها راجع بالنظر الى
ما وصفناه ففي حال غلبة سكر الحال لا يتوجه عليه انكار وفي وقت محنة
لا تتال ما خفى من ذلك لا افكار فالصفاء امثالنا من امره في حيرة محروا
وسكرا وتحت قهر من سلطان تخريبه عرفا ونكرا وللشيخ ابى العباس
السبتي رضى الله عنه حكاية احتوت على كلمات واحوال بظاهر الشرع
تنكروا الآن آن وقد دعت اليه الضرورة ان تذكر قال التادلى رحمه الله
تعالى حدثني ابو الحسن علي بن احمد الصنهاجى قال خدمت ابا العباس
السبتي اربعة اعوام وانا اعتقد فيه الكفر فلما كان صبيحة يوم عرفة
صليت الصبح في المسجد فلما خرجت من المسجد لقيته قال لي ما هذا
اليوم فقلت يوم الاثنين فقال لي واي يوم هو فقلت له يوم عرفة فقال لي
اتريد ان تعرف اليوم فقلت له نعم فمشيت معه الى باب الدباغين
فوجدناه مغلقا فقال لي ان كان معك شئ يمكنك الخروج عنه فامش معي
والا فارجع فقلت له كل ما معي يمكننى الخروج منه وكانت معي سبعة
دراهم ونصف درهم فقال لي ادفعها لاول داخل من الباب واقصد بذلك
وجه الله تعالى ولا تتغير ولو وقعت بيد يهودى فاول من لقيت عند فتح
الباب عجوزا فدفعتها لها فخرجنا الى بحيرة الرقاب فتقدمنى وهو يرمق
بطرفه الى السماء ويحرك شففيه الى ان انتهينا في آخر البحيرة الى الصهريج

عند غابة الرمان فقال لي اترى ان تنتصب على اربع فقلت له ما هذا الكلام في مثل هذا اليوم فقال لي انما امرتك بمعادتك من الصلاة فدخلت بين اشجار فاستقبلت القبلة وركعت ركعتين وهو ينظر الي فقلت في نفسي ان لم يقع منه استئذان للصلاة قتلته على زندقته وارحت منه فلما فرغت من الصلاة اتيت اليه فاخذ بيدي وقبلها وقال لي مرحبا بقران القرون فقلت له ما غيرت قلبي بهذا الكلام فقال لي ليس هذا الكلام شتما وانما تكون هذه الكلمة شتما لو قالت لك قرنان وانما اردت انك قرنت بين الصلاة والصدقة قال وكان يظهر الصهرية عنصر ماء الساقية فقال لي انما سمى هذا اليوم يوم عرفة لانه تنتشر فيه الرحمة لمن تعرف اليه بالطاعة والموضع الذي امرنا بالتعرف فيه لا يمكننا الآن الوصول اليه فنمثل هذا المكان ونعمل كما يعملون لعل الله تعالى يغفرنا برحمته فمثل بالعين الكعبة ومثل بعنصر ماء الساقية الحجر ومثل بموضع منه مقام ابراهيم عليه السلام فطاف بالعين سبعا وانا اطوف بطوافه وكبر على العنصر في كل طواف وصلى في مثال المقام ركعتين تامتين واطال السجود في الثانية ثم استند الى الشجرة وفي نفسي منه امر عظيم لا اقدر ان ابرع عنه فاطرق مليا ثم قال لي ادن مني فجلست بين يديه فقال لي اذكر كل حاجة لك من حوائج دنياك تقص لك فان الله تعالى وعد في هذا اليوم من تعرف اليه ان يقضى حوائجه فقلت له موادى التوفيق لا غير فقال لي ما خرجت من باب المدينة حتى وفقت اذكر غرضا من الدنيا ولا تذكر الا ما يليق بك فقلت له ما اريد الا التوفيق والعمل بطاعة الله تعالى وما لي غرض في معنى من الدنيا فقال لي افي نفسك شيء فقلت بل اشياء كثيرة فقال لي اخبرني عما في نفسك فقلت لا يفيدني ذلك شيئا فاني خلوت بك في مواضع كثيرة فلم يتحصل لي منك حقيقة فقال لي والنبي والذي اخرجنا اليه لا اخفيت منك ظاهرا ولا باطنا فقبلت يده على ذلك ثم قلت له يا سيدي يقول الناس انك تبسج الفروج بغير نكاح شرعى فقال ميز الشيطان بالافتراء والكفار

بالاصغاء فقلت له ما هذا فقال لي حصلت بين مقامين مقام الشيطان ومقام الكفار فانيك اصغيت الى من قال ثم افتربت الآن علي فتب عن هذا ولا تعتقده ومن اعتقد تحليل فروج بغير نكاح شرعى فهو كافر واقوال الناس كثيرة وقد قالوا ان لله صاحبة وولدا تعالى الله عن قولهم ثم قال لي رايتني نكحت محرما او قلت بتحليل محرم فقلت له لا فقال لي اذكر ما تنكحتمه مني فقلت له رايتك تمر في اوقات الهلاة بالمساجد ولا تصلى فيها فقال لي ما وجدت شفيعا اقدمه للشفاعة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايتمكم شفاعكم فانظروا من تستشفعون به وهذا الذي قلت انه عندك حقيقة ليس كذلك فاني لم اقل بترك الصلاة ومن قال بتركها فهو كافر واكن اذكر شيئا اذا سئلت بين يدي الله تعالى وقيل لك ما تعرف في هذا فقلت له لا اعرف حقيقة الا كلامك في الفحش فقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقال اذكر حديث معاذ فاتيتم عليم الى اخوة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به غيري وانا رقيب على ما في قلبه فصرط لي بفيه فقلت له ما هذا فقال لي دنا جوابك فان المثلثة شهدت له بالاعمال الصالحة فلم يقبل الا ما عقدت عليه الصنائع وفي حديث انه يوتى يوم القيامة بناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها نودوا ان اصرفوه عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تربنا ما اربنا كان اهلون علينا قبل ذلك اردت بهم كنتم اذا خلوتهم بازرقونى بالعظام واذا لقيتم الناس لقيتموهم مضطربون والناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم نهابونى واجلتم الناس ولم تجلوني وكنتم الى الناس ولم تكونوا الى فاليوم اذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الآخرة والثواب ثم قال لي ما الذى تنسكرة علي من الفحش فقلت مما انسكرة عليك قولك للناس تبوس وهذا كلام بغير القلوب فقال لي اعني به المتقدمين وما رايت احدا من الناس الا وهو يحسب التقدم

ومن شأن التيس التقدّم فقلت له وتقول للمخاطب يا قظيم فقال لي
القظيم عندي هو الذي يحصر على قحصيل الدنيا ويجمعها ولا يخرج
شيئا فقلت له ومن شكك اليك بشيء امرته بالصدقة فان لم يكن عنده
شيء قلت له اجعل على ظهرك اسود فقال لي ما أمر الناس إلا بما ينتفعون
به وما من شيء ينزل بالإنسان إلا وله مدفع من الكتاب والسنة او كلام
الحكماء فاذا لم يكن عنده ما يستدفع به امرته ان يتكلم مشقة الصلاة
بالليل فقلت له هل لا قلت للإنسان قم الليل قال لي لو فات له ذلك
لقبل يدي ودخلني العجب والكبر وما طرد الله ابليس عن جواره إلا بالعجب
والكبر فسألته عن بدايته الى نهايته وبما تنفع له الاشياء فقال لي هذا
لا يعرف إلا بالعمل ثم استورد له الكلام في حال بدايته الى ان اطلع الله
على خواتم نهايته ولكن هذا القدر هو المحتاج اليه من هذه الحكاية وفيه
بحسب ما اردناه من التماس الخارج الكفاية فقد احتوت على ايضاح
مشكل بعض ذلك الفن الغريب وكشف قناع غوامض انواع داخلته تحت
جنس التخريب وفي ذلك ما يعين على دفع غوامض الشبه وايضاح ما
ما التبس من احوال الشيخ رضى الله عنه واشتبه باحوال القوم شكلها
يقاس الامثل منها بالامثل ولا شبه بالاشبه ومما قد يعرض لنا في مجال
الاغتراس عليه ويسلبه رضى الله عنه وصف كمال الادب عنده من لا حقيقة
لديه ما يقابل به الزائر من في بعض الاوقات من الابعاد والطرد وعدم خفض
الجناح لمن ام مقامه منهم مع سوء الرد وقد يعلوهم ضربا بالحجارة ويرمى
ويوقع بهم الشجاج المولدة ويومي مع هذا فالتعرض للانكار عليه بذلك من
قصده مصدود وبابه الذي فتحه لولوج كئائب الطعن بزهه مسدود
فما اقصى احدا من بابه الكريم ضربه ولا ابعدة بذلك إلا تحجب اليه
قربه بل شاهدنا كثيرا ممن مارس احواله في غالب الاوقات وقد رسخت
قدم اعتقاده يتعرض لجمرة المنة ويدخرها عوذة شافية في مسائر ازمنت
ووقوته وهي عنده في ثابوت حفظه انفس من جوهره وبقاوتها

يقصى الوفود من المقام بمسا به تقصى البغاة وامره المحسوب
هل ذلك إلا من خسار في امره لكن متى يتفطن المحسوب
مع انا كثيرا ما نسمع ضرب فلانا وكان خاملا فارتفع قدرة وشج فلانا وكان
تخطئه الشيطان من المس فزايله ضرة وادمي فلانا وكان قد اقترف فاء عرف
وراجع معهود هذه ومن رحيق التوفيق اغترف كل ذلك شاهد بان
احواله كلها على حسن النظر لزاويه محمولة وان كانت دقائق هذه الاسرار
عند الكثير منا مجهولة حدثني الشيخ المسن ابو العباس احمد الرادى
المجاور للزاوية العروسية مرها الله تعالى قال بينما انا يوما في حانوتي في
عمل خياطى واذا بالشيخ رضى الله عنه اخذ يرمى الناس بالحجارة فاذا
برجل ممن اجتاز اصابته حجر القتمه صريعا لحينه وشاع في الناس انه
مات قال وثبت عندي لما رأيته من حاله انه لا حياة له من ضربته تلك
فاحتلوه كاليت وبقيت في حيرة عظيمة من نسبة القتل عدوانا الى ولى
من اولياء الله تعالى قال فاعجب ما رأيته واذا بالرجل المضروب قد شد
عماته على راسه وهو مجتاز كأنه لم يصبه شيء فاخذني العجب من ذلك
وهالني ما رأيته منه فبينما نحن نفيض في امر الرجل يوما واذا بانسان
قد وقف علينا واخذ فيما اخذنا فيه ثم قال ان الرجل المضروب من جيراننا
وله امرأة واولاد تركهم مهملين تحت فاقة عظيمة وحاجته الى الناس
بحيث لا يسال عنهم ولا يتفقد شيئا من امورهم شغلا منه ومحنة بامرأة
اذله حبها والحننة بها والعياذ بالله من كل ما سواها ولما خشى شؤره من
له الامر على امره والاطلاء على حاله معها وتخوف العقوبة على نفسه
خرج في تلك الساعة التي ضربه الشيخ فيها ليعقد عليها النكاح ابقاء
للسر على نفسه فلما اصابه من الشيخ رضى الله عنه ما اصابه عرف
عنه واقنع عن معصيته وثاب الى الله تعالى ورجع الى اهلته واولاده فانظر
رحمك الله الى خسار في هذا الشيخ وكثرة اعاجيبه وما اوصلت اليه من
السعادة ثمرة تاديبه وحدثني الفقيه الكاتب ابو الفضل قاسم بن محمد

الطبيب قال كان لنا ولد اشرف من مرض عينيه على الهلاك وتكد علينا عيشنا من اجله فاتفق انهم احضروا لنا يوما طوعا فاجعل الصبي يبكي ويتوجع مما يجده من الم مرضه الذي اعيناه علاجه فقال والده لبعض خدمته احملوا هذا الطعام الى الشيخ واحملوا معه الصبي معكم عسى الله ان يورحننا مما نجده من الوجع لشدة بكائه اما براحتة او بعداه بحيث ينقطع عنا بكاءه قل فلما وقفوا بالصبي بين يدي الشيخ رضى الله عنه ونالوه الطعام صربه بجر فشبهه واسال دمه فجاءوا به اليها على تلك الحالة ودمه قد كسا وجهه فانكر ذلك كل من رآه من اهلنا وقالوا ليتنا ما بعناه اليه واراد بعضهم ان يقع في الشيخ رضى الله عنه ثم انهم ضلوا الدم عن وجهه وداؤوا جرحه قال فشفاه الله تعالى في بقية يومه ذلك وبرئت عيناه ومن يومئذ الى الآن لم يشك مرض عينيه ببركة ما اوصله صرب الشيخ رضى الله عنه اليه وعاد متوقع ذلك الضرر نفعا وتترقب حفظ لاسى به معالجة الشفاء رفعا

فلا تشكر خوارقهم وسلسم لملك بعد ذا ان تسريحها
ولا تغررك احوال تسراعت لعينك خلقتها امرا صريحها
فما يغتر بالتمويه منسمة سوى طبل يظن الزمر ويحما

ولا تجعل اسوتك في امرة من نبذ حسن اعتقاده ظهريا وان ذكرت عنده خوارق اهل الولاية ابدى لكائف جهله في ذلك شيئا فريا فهو انما يرى الشيخ وامثاله على قدر اضاءة نبراس عقله ويبدى من احواله امثلة ما يتشكل في ذهنه من صور جهله ولا يعرف من جميع ذلك سوى ما اعتاده ولا ينزل منه الا منزلا الفه وارثاده قال الشيخ الجليل حماد الدباس رضى الله عنه ابنا الدنيا واصحاب الهوى لا يرون من الاولياء الا ظواهرهم لانهم لا يعلمون الا ما هم فيه يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولاولياء ينظرون الثامن بنور الله تعالى فيعرفون عقائدهم

فراجع مذهب الانصاف واترك وساوس ابعثت خلقا كثيرا

وعظم قدر هذا الشيخ سسرا وجهرا تغم الفوز الكبيس سسرا ودع ما قد يثير القول فيسسه فلست وان جهدت به بصيرا وان ما تلقى للتوفيق بسالا فلست بكنه ارشادي خبيسرا ومما عده المنكر شيئا في صورة جماله ونصا في نصاب كماله انه لا يعلم له شيخ من اهل الحقيقة يسند اليه احوال هذه الطريقة وانه لا يترقى به لمراده مريده ولا يصل الى مفتي مطلوبه منه بريدة وليس ما زعمه من ذلك بنقص في حقه ولا طامن في حال سبقه فقد قال ابن عطاء الله رضى الله عنه في لطائف المنن انما يلزم تعيين المشايخ الذين تستند اليهم طريق لانسان في حق من كانت طريقه يابس الخرقه فانها رواية والرواية تتعين بتعيين رجال سندها وهذه هداية وقد يجذب الله العبد اليه فلا يجعل عليه منة لاستاذ وقد يجمع شمله برسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون اخذا عنه وكفى بهذا منة ولقد قال الشيخ مكين الدين الاسمر رضى الله عنه انا ما رباني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عن الشيخ عبد الرحيم القسناوى رضى الله عنه انه كان يقول انا لا منة لاحد على الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واذا اراد الله ان يتفضل على عبد ويغنيه من الاستاذين حتى لا يكون له فيهم سلف فعل قال وقال ملك لبعض جلسائه انى اريد ان اجعلك وزيرا قال ليس لى في هذا سلف قال انى اريد ان اجعلك سلفا لمن بعدك اه وقد اسند ايمته هذا الشأن في ذلك حكايات صحيحة تقتضى اثبات ما نحن بصدد من ذلك وتصحيحه منها ما ذكره الشيخ ابو العجاج لاقصوري رحمه الله تعالى انه اجتمع الشيخ عبد الرحيم المغربي والشيخ عبد الرزاق وكلاهما تلميذ الشيخ ابى مدين رضى الله عنهم اجمعين بمصر فاطرق عبد الرحيم مليا ثم قال لعبد الرزاق يا اخى انى نظرت في اللوح المحفوظ فرايت فيه حضور اجل رجل من الابدال في بيت المقدس في هذه الساعة وقد امرت ان احضر وفاته فقاما واتيا بيت المقدس في وقتها وحضر موتهم ودفنهم وعادا في بقية يومهما الى مصر ثم قال الشيخ عبد الرحيم

للشيخ عبد الرزاق ان الله قد وهب مقام هذا البدل لشيخ في سفينة في النيل وقد امرت ان آتني به فذهبا الى شاطئ النيل فاذا السفينة تجرى في الشاطئ الآخر فغرس الشيخ عبد الرحيم مصاة في الارض فوقفت السفينة لا تذهب يمينا ولا شمالا فمر الشيخ عبد الرحيم على الماء حتى وقف عليها ونادى باسم الرجل فاجابه فلما قرب منه اخذ بيده ومشي على الماء حتى وقف على الشاطئ ونزع الشيخ تلك العصا التي غرس فسارت السفينة ثم انطلق الشيخ عبد الرحيم والشيخ عبد الرزاق والرجل معهما حتى اتوا بيت المقدس بقية يومهما وصلوا بها المغرب وجلس الرجل في مقام البيت وذهب الله له مثل حاله ومقامه في الحين من غير مشقة مجاهدة فاين الشيخ الذي به الى هذه المرتبة الشيفة وصل والمرى الذي بتربيته بمقام البدلية اتصل واخوات هذه الحكاية لا تكاد تحصى كثرة ومقام الشيخ بمقتضى ما ذكرناه مقام ذى حظوة واثرة

فهذا نقصه قد عاد لمسا تبهى الحق اكسير الكمال

ولاح من الحقائق بدرت من فعلا الشين سرا في الجمال

واما كونه في زعم المنكر لا يربى فقدره على هذه الملاحظة يربى قال الشيخ مدى بن مسافر رضى الله عنه الشيخ من جمعك في حضرة وحفظك في مغيبه وهذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشرافه وقال ابن عطاء الله رحمه الله ليس الرجل من يربيك لظنه انما الرجل من يربيك لحظه وقال عن شيخه ابي العباس المرسى رضى الله عنه اذا كانت السحافة تربي افراسها بالنظر فما يربى الشيخ مريديه بالنظر قال لان السحافة تبيض في البر وتتوجه الى جانب النهار لتنظر الى بيضها فيربى الله تعالى لها بنظرها اليها فانظر الى شرف تربية لا يصحبها تعليم وسر هداية لا يلحق المرید فيها من وجه المجاهدة اليم وانما هي غيمة باردة وهديتة من اقليم محض الفصل وارادة ومذه والله اعلم طريقة الشيخ رضى الله عنه مع المرید السالك وهي عندي في معنى ايصاله الطف

المسالك واليك النظر فيمن انطوت على هذا حقيقة واستندت اليه في غالب امرة طريقته هل يوجب له ذلك نقصا عن رتب الكمال او يقصر به عن درجة من الى طرق التوهم امال او هو ممن بعد شوا في مقامات الرجال وقرى الى الحضرة بسره وفي الملكوت جدل على انه رضى الله عنه كثيرا ما يشير بما يفهم منه المرید مرادة ويذكره اتصاله الصالحة وارادة وعلى التزل مع المنكر في جعله رضى الله عنه غير مرب لاحد من مريديه لا يلتحق نقص بكماله ولا يتعلق شين بصورة جماله اذ لا يلزم من سلب وصف التزينة عن الولي نقص درجته ولا انحطاطه عن مكين مكانته فتد ذكر الامام الغزالي في كتاب تجريد التوحيد له ان الاولياء على قسمين منهم المتصرف وغير المتصرف ثم اورد سوالا على القسم الثاني فقال فان قيل كيف يكون وليا وليس له ولاية التصريف قيل يجوز ان يكون وليا على معنى ان الله تعالى قد تولى جميع اموره وهذا الولي ولي بالفعل ان سمع فبالحق سمع وان ابصر فبالحق ابصر وان نطق فبالحق نطق فهو في عالم المحبوبة واليه الاشارة بقوله كنت له سمعا وبصرا الخبر ثم قال اثر هذا وهذا الولي لا يصلح ان يكون مربيا للخلق لانه في قبضة الحق مسلوب الاختيار ومن كان مسلوب الاختيار عن نفسه فلا يصلح ان يكون مربيا للخلق لان التصرف في غيره يستدعي ولاية التصرف في نفسه الا ترى في عرف الشوع ان من ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره ومن لا فلا وهذا الولي مجذوب في نفسه مسلوب الاختيار والمجذوب في قبضة الحق بمنزلة الصبي الرضيع تتصرف فيه يد القدرة كصرف والد الصبي في ولدها فهو تربية المحبوبة يرضع بلبن كرم الربوبية وهم اطفال قهرنا في حجر تربية اراذلنا يرضعون بلبن كرمنا فانظر هل اخرج هذا الولي عدم صلاحيته للتربية عن وصف الولاية او اخرة ذلك عن رتب اهل العناية نعم انتظم بذلك في سلك من احبه مولاه ومن خرائن مواجبة الجليلة اولاه

فمثل للجهول وقد صابه تنبه فانت محل الذول
جعلت كمال الفتى فتصعب بجهلك والامر امر مهول

ومما يتمسك به ايضا المنكر الطاعن وينكره عليه المقيم في وطن التسليم
والطاعن ما يبدونه رضى الله عنه في بعض شطحياته من الكلام الذى
هو بظاهرة معاول ومن مقتضاه ذلك مصروف لافهام القول بالمحاول وتلك
داهية من قديم الزمان دهيسا وتظيمه افصح لسان الشريعة زجرا عنها
ونهيها فمن ذلك قوله الرب وانا الطالب الغالب الى غير ذلك مما هو
من هذه الالفاظ للحيرة جالب لكن يجب حسن التاويل لمن صححت
استقامته وثبتت في رياض رياضة الاولياء اقامته هذا الامام السهو وردى
رضى الله عنه يقول وما يحكى عن ابى يزيد من قوله سبحانه حاشا
ان يعتقد في ابى يزيد انه يقول ذلك الا على معنى الحكاية من الله تعالى
قال وهكذا ينبغي ان يعتقد في الخلاص في قوله انا الحق قال ولوعلمنا انه
ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول رددناه وقد اتانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دللنا عقولنا
على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه ان يحل به
شيء او يحل بشي قلنت فكذلك ينبغي لنا ان نعتقد في الشيخ رضى الله
عنه انه انما قل ذلك على معنى الحكاية عن ربه عز وجل ولا محذور
في ذلك بتاويل صدوره على معنى الحكاية بل في هذا التاويل الحسن
للطاعنين اعظم نكايه واما تاويل ارادة احد المحامل اللغوية فغير مخلص
لعدم لافهام مع زيادة محذور اطلاق ما فيه مع لافهام ايهام وقد رايت
ان اثبت ههنا من حكايات الخلاص ما يؤذن بعلوم راقبه وشماخة قدره
السامى وفخامة مناقبه فالتاس في امرة رضى الله عنه ما بين تباعد
وتقريب وتشويق في مطالع احواله وتغريب قال ابن عطاء الله رضى
الله عنه في كتاب الانوار له قال ضمرة السمك قال دخلت على الخلاص
في حانوت قطان وكان له شغل فكلف صاحب الحانوت بتضاء شغله

وكان لصاحب الحانوت فيها قطن فقال له اذهب في حاجتى وانا اعينك
على عمالك فذهب الرجل في حاجته فلما رجع رأى كل ما في حانوته من
القطن مخلوجا وكان القطن مائتين واربعين قنطارا فسمى من ذلك اليوم الخلاص
قال وقال ابو عمران موسى سمعت بعض البصريين يقول كنت شديد
لانكار على الخلاص فمرض لى اخ وقد اشرف على الموت فحجته وقلت له
ادع له فضحك وقال لى على شرط انك لا ترجع على انكارك لى بل
تزيد وتعين لى قتلى قال فبقيت باعنا فقال لا تنظر لى اقبل الشرط فقلت
نعم فصب شيئا من الماء في صحيفة وبصق عليه وقال مر واجعل هذا الماء في
فيه فمضيت وفعلت ما امرنى به فقام لاخ في الحال كانه لم يمرض
فاخذته واتيت به الى منزل الخلاص فلما رأنا ضحك وقال لى لى ما
في قلبى ذرة على جبال الارض لذابت ولو كنت يوم القيامة في النار
لاحرقت النار ولو دخلت الجنة لانهدم بنيانها قال ودعاه ابن هارون لداره
وكان لابن هارون ولد مريض قد اشرف على الموت فقال للخلاص ولدى
مريض قد اشرف على الموت فادع له قال شفيت به فلا تخف فقام الولد
ودخل عليهم في المجلس كانه لم يمرض قط فعمد ابن هارون الى كيس
فيه ثلاثة آلاف دينار فقال للخلاص اصرف هذا يا شيخ فيما تريد وكان
المجلس على الدجلة فاخذ الخلاص الكيس ورى به في الماء ثم خرج قال
ابن هارون فبقيت افكر فيما اعطيت للخلاص ودخلنى الزم لما رى به
في الماء فنقر الباب فتير من فقرائه وقال الشيخ يسلم عليك ويقول لك خذ
الكيس ولا تقدم من اطاع الله اطاعه البر والبحر وقال عن ابراهيم بن سمعان
رايت الخلاص في جامع المنصور وكنت قد اخذت في حزامى دينارين
ونويت اخراجهما في غير طاعة الله فسال سائل فقال الخلاص يا بن سمعان
تصدق عليه بما اخذته في حزامك فتخبرت في امرة فقال لى لا تتخير
تصدق بهما فهو خير لك مما نويت قال ويحكى انه لما دخل مكة اول
سنة جلس في صحن المسجد الحرام ولم يهرج من موضعه وكان يحمل

اليه كل عشية كون ماء وقرص من اقراص مكتة وعند الصباح يرى الكوز والقرص عند راسه وقد نض منه ثلاث عصات او اربع عصات وقال عن احمد بن كوكب الواسطي انه قال صحبت الحلاج سبع سنين ما رايت له ذاق من الادام سوى الملح والحمل ولم يكن عليه غير مرقعة واحدة وكلما فتح عليه بشئ قبله واخرجه ولم اراه ينام من الليل الا ساعة واحدة وكان في ابتدائه اذا اهل رمضان لا يفطر الا يوم العيد وعليه ثياب سود ويقول هذا لباس من يرد الله عليه عمله وكان يختم القرآن في كل ليلة بركعتين وقال روى عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي انه قال دخلت على الحلاج وهو محبوب في السجن فسلمت عليه فقال عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ابن خفيف ثم دخلت عليه مرة اخرى فقال يا ابن خفيف الى خمسة عشر يوما يكون من امري كذا وكذا ثم قام وقومنا للصلاة وكان في الحبس حبل ممدود عليه خرقة فكان بينه وبينها اكثر من اربعين ذراعا فرايت الخرقة في يده ينشف بها وجهه فلا ادري اطارت الخرقة اليه ام مد يده اليها ولحقها فعجبت من ذلك وبقيت شاخصا فاشار بيده اليهني الى الحائط فاذا به قد انفرج ورايت الدجلة والناس قيام على الشاطئ فقلت له اريد رمانا فمد يده فاذا شجرة رمان فقطفت منها عشر رمانات ثم قال لها اذهبي فذهبت فبقيت باحثا متفكرا فقلت له يا سيدي ما هذا فقال خشخاشة العب بها كيف شئت ولا اقنع بحال دون محال فليما فرغت الخمسة عشر يوما دعا به الامير فقطع يديه ورجليه الى افخاذة وامر بصلبه وذكر عن ابراهيم بن فانك انه قال لما حبس الحلاج ببغداد جاء السجنان اليه وقيدة وجعل في رقبته سائلة وادخله بيتا ضيقا فقال له الحلاج لم فعلت بي هذا فقال له كذا امرت قال فالآن امنت متى قال نعم فتحرك الحلاج فتناثر عنه الحديد جميعه و اشار الى الحائط فانفتح منه باب فقال للسجنان ما تقول اخرج ام لا فقال له السجنان يا شيخه انت اعلم ثم ضربت عنقه رحمة الله عليه وبقي

جسده ساعتين من النهار قائما ورأسه بين يديه يتكلم بكلام لا يفهم الا ان آخر كلامه احد احد فتقدمت اليه فاذا الدم الذي يجري على الارض مكتوب الله الله ثم احرق بالذار واذرى رماده من على صومعة قال وروى انه صاب فبقى ثلاثة ايام لم يمض فانزلوه وفتشوه فاذا في جيبه رقعة مكتوبة بخط فيها آية الكرسي وبعدعا اللهم الف في قلبي رضاك واقطع رجائي عن سواك واعني باسمك الاعظم واغني بالحلال عن الحرام واعطني ما لا ينبغي لاحد غيري بهم عسق وامتنى شهيدا بكهيمص واحذت الرقعة وضربت عنقه فسقط دمه على الارض مكتوبا الله الله الله في خمسة وثلاثين موضعا قال وقال ابو العباس احمد الرازي كان اخي خادما للحلاج فسمعه يقول لما كان اليوم الذي قتل فيه الحلاج اخرج من السجن يتجتر في قيوده وكان قد قيد من كعبه الى ركبتيه ثلاثة عشر قيودا وكان يصلي مع هذا في كل يوم وليلة الف ركعة وذكر عن ابراهيم بن فانك انه قال اني بالحلاج ليصلب فراى الخشبة والمسامير فصحك ضحكا شديدا حتى دمعت عيناه فصلى ركعتين قرا في الاولى بفاتحة الكتاب وكل نفس ذائقة الموت الاية وقرا في الثانية بفاتحة الكتاب ولنبولنكم بشئ من الخوف والمجوع ونقص من الاموال والانفس والسموات الاية فلما سلم قال اللهم ارزقني شكر هذه النعمة التي انعمت علي حتى غيبت بصراغي اري كما كشفت لي عن مطالع اسرار وجهك الذي لا صورة له وحرمت لغيري ما ابحت لي من النظر في مكتوبات سررك وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لعلني تعصبا لدينك وتقربا اليك فاغفر لهم فانك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا فاعلوا ولو استرعت عني ما استرعت عنهم لما ابتليت بهذه البلية فلك الحمد فيما تريد ولك الحمد فيما تفعل فليل له يا ابن منصور تقول انا الحق فقال انا الحق في محبته وهو الحق في مملكته قال وروى انه لما رفع على الخشبة صاح وخطى في الهواء خطوات خرجت المسامير منه وبقي متعلما بالقدرة ثم عاد الى الخشبة فانتقلت المسامير عليه قال وكان يوم النيروز بنهار وند

فسمع صوت البوق واللعب فقال ما الخبر قلت يا شيخ البوق واللعب
 لاجل النيروز فتأوه وقال متى نيروزنا فقلت متى يا شيخ فقال يوم اصلب
 فلما كان يوم صلبه بعد ثلاث عشرة سنة نظر الي من راس الخشبة وقال لي
 هذا نيروزنا فقلت له يا شيخ قد انحفقت قال نعم انحفقت بالكشف واليقين
 وانا مما انحفقت به اخجل غير اني تعجلت الفرح وفي هذا القدر من
 التعريف ما يوقف الناظر على علو قدره ويبدى له في ظلام ليل الجهالة
 انارة بدره فلنرجع الآن الى وصل جبل الكلام بما اسلفناه وثلاثي اكمال
 الغرض الذي خلفناه وقد كنا هجرنا موصول الاعذار عند حديث العلاج واي
 يزيد والآن ان نردف محل العذر عن شيخنا الكامل ببعض مزيد كنت
 رايت الشيخ رضى الله عنه في النوم ليلة يوم كتبى كلام الامام السهروردي
 رضى الله عنه في التماس المخرج لابي يزيد في قوله سبحانه والعلاج
 في قوله انا الحق وكانه رضى الله عنه يتحدث في علم الظاهر فافق في
 واقعة بما انكره عليه بعض الحاضرين فقال المنكر وقد لج في انكاره اسال
 عن هذا المحكم اهل العلم ثم جعل يلغث فرأني فقال له ها هو ذا فالله
 وشار الي فسألني ذلك المنكر وكانه صغير في سن من يناهز الحلم فوافقت
 الشيخ فيما افق به فلم يقنعه ذلك مني وقال انما اردت موافقة الشيخ
 رضى الله عنه فاخذت ابحت معه في ابداء وجه الحق فيما وافقت
 الشيخ فيه فقال رضى الله عنه وقد طال البحث فيما بيني وبين المنكر
 الحاصل اني في ذلك على مذهب ابي يزيد البسطامي فوقع الله في قلبي
 حينئذ لقرب العهد بكتب هذه المسألة انه انما قال ذلك رضا منه رضى الله
 عنه بتاويل الامام السهروردي المذكور وان مذهبه في ذلك مذهب ابي يزيد
 رضى الله تعالى عن الجميع ومن ذلك القليل الذي انكروه وفي مساق
 التشنيع عليه ذكره ما يحكى انه رضى الله عنه امعن النظر يوما في جو
 السماء ثم قال وقد راى طائرا يقال له ابو عميرة لم يره الحاضرون ابو عميرة هو
 والله فارجف بذلك المرجفون وتعالى الله عما يصفون وجوابهم ان الشيخ

رضى الله عنه نظر الى السماء فرأى ذلك الطائر يخترق الجو فوقه التردد عنه
 في كونه هو ذلك الطائر او غيره من سائر الطيور ثم جزم بكونه الطائر المذكور
 فقال ابو عميرة هو والله غير مفسح بفتحة واو هو واقسم على ذلك فتكون الواو
 واو القسم وهي ثانية عن التي في الضمير وذلك جاز على منتهى تحاطب
 العامة الذي لا يتكلم الشيخ فيما نعلمه إلا بعرفهم في ذلك فطن السامع
 لعدم التصريح بالواوين معا انه لم يذكر واو القسم وان الواو المذكورة واو
 الضمير لا غير وان الاسم الكريم خبر لهو وهو وخبره خبر ابو عميرة فجعل يعقد
 في ذلك ويقيم وآفته لو كان يعلم من الفهم السقيم وذكر لي من اتق به من
 الفضلاء ان الشيخ الامام حجة الاسلام ابا العباس احمد النجاشي نور الله
 صريحه وتلقى بالرضا والرضاوان روحه قد اعتذر عن هذا وقد استفتى فيه بما
 هو قريب مما ذكرناه وغير بعيد مما بسطنا القول فيه وقرئنا قال واطهر الاعراض
 من السائل واشغل الوقت بما هو فيه من المسائل فهذه جملة امور جارية
 على نسق واحد في التخريب ابدي عنها ترجمان اجابتنا من الاعذار ما فيه
 للسالك والمريد قد ريب وللقوم رضى الله عنهم بحسب واردات احوالهم ابعاد
 في ذلك وتفرير يد قد اسلفنا ان المخترين لا يحصى عددهم كثرة وان ذلك
 حال له عند اهل الحقيقة حظوة واثرة قال الامام السهروردي رضى الله عنه
 في بعض كلامه الرائق وخطابه الذي هو بخطيب هذا المقام لا تقدر ان يسوق
 الله تعالى الى بعض عبادة صورا دنيوية يريد منهم التلبس بها فتق هو
 بتخريبها بمقتضى دلالة العلم الصريح وابقاء حق الزهادة والتحقق بحقيقة
 التجريد طاهرا كما هم متحققون به باطن لزهادة قلوبهم عن الالتفات اليها منهم
 الحق سبحانه وتعالى عما هو به من رغبها ولم يمكنهم من تخريبها التكون
 تلك الصورة عوذة معلقة عليهم يدفع عنهم بها عين الاغيار ويحجبهم بها عن
 الابصار غير من سبكانه عليهم اذ هم ضنانهم من بريقته وخصائصه من
 خلقه كي لا يفتنوا لهم او يطلعوا عليهم اما ابناء الدنيا فلتلبسهم بملابس دنياهم
 واما ابناء الآخرة فليزينهم بصور احوالهم سمة الفقر وظاهر الزهد ثم انشد

تستدفع لاعين عن حسنها لعودة من سوء افعالها

فهذه اشارة منه رضى الله عنه الى نوع من التخريب يدل على ختامه مبداء
وبعضه بشرف المتصف به ما اظهره في ذلك لسان علمه وابداه لكن قد يقال
اذا كانت الوية المخربين عندك منصوره وكثرتهم لديك كما قد زعمت غير
محصورة وفي الناس لا محالة المبطل والحق والصادق في دعواه والمدعى غير
ما يستحق فمن اين يعلم من صدق ممن مان وهل لكل احد من حاله
ترجمان فاعلم ولا فرق في هذه العلوم بين ملكي المذهب او شافعي ان هذه
الشبهة العارضة قد صرف عنك وسواسها الامام الياقبي فقال وقد احسن
واجاد وبلغ رتبة الافاقه وزاد اهل الولد والتخريب كثير لا يتحصرون عددهم
ولا تحصى كراماتهم ومجدهم ولكن قد يشبه بهم من ليس منهم ويدخل
نفسه بالتزوير معهم من هو خارج عنهم اذ لم يزل في الناس الكاذب والصادق
والطائع والفاسق والصديق والزنديق وذلك يودي الى الالتباس باختلاف
ذلك باختلاف احوال الناس فكيف يعتقد من لا تعلم له حقيقة ولا
يدري كذبه من صدقه في النسبة الى الطريق ثم قال في الجواب عن ذلك
وقد سلك له انه في المسالك اعلم وفقك الله وايى لاحمد الطريقين وجعلنا
جميعا من خير الفريقين الذين قال فيهم الحكيم الجبير فريق في الجنة
وفريق في السعير ان حسن الظن بالمسلمين فضلا عن الصالحين باب كبير
من ابواب الخير والنفع في الجلب والدفع اعنى جلب الحباب الحمودة ودفع
المكروهات المذمومة في الحياة والمآة وذلك مشهور معروف عند كل من هو
بالخير موصوف ولكن لا يمكننا ان نطلق القول باعتقاد كل احد بل لا بد من
التفصيل لما تقدم من وقوع الالتباس ثم التفصيل في ذلك فيه صعوبة
وغموض اذ لا يطلع على بواطن الخلق الا الخالق سبحانه او من اطعمه
على ذلك ولكني اقول في ذلك بحسب ما ظهر لي وانشرح للقول به
صدرى رغبنا الى الله تعالى في التوفيق الى الصواب ومستعينا به ومفوضا
اليه امرى وراجعا في ذلك اليه ومعتمدا فيما اقصد عليه ومعتبرنا من

الحول والهوة الا به في كل واضح ومشتبه وهو حسبي ونعم الوكيل فقول
وبالله التوفيق الساس على قسمين معتقد بكسر القاف ومعتقد بفتحها والقسم
الاول اى المعتقد بكسر القاف على قسمين ايضا ناظر بنور الله تعالى وغير
ناظر به والقسم الثاني من التقسيم الاول اى المعتقد بفتح القاف على
قسمين ايضا مرتكب منكرا في ظاهر الشرع مصر عليه عالم به وغير
مرتكب لذلك كذلك القسم الاول من التقسيم الاول المعتقد الناظر بنور
الله تعالى فهذا القسم حاكم غير محكوم عليه في اعتقاده لانه عارف بمن
يعتقد ومن لا يعتقد كما عرفه الله تعالى بمنه وفضله والقسم الثاني منه
المعتقد من غير نور ينظر به كامثا لنا نسال الله تعالى ان يتكرم علينا بجاء
الكرام عنده والكلام في هذا القسم يختلف حكمه باختلاف حكم القسم الثاني
وهو المعتقد بفتح القاف فالقسم الثاني منه وهو غير المرتكب المنكر المذكور
يحسن الظن به والقسم الاول منه وهو مرتكب المنكر المذكور على ثلاثة
اقسام الاول منها من يعتقد العارفون المعروفون بالنور والعلم الباطن فهذا
يعتقده مثلهم الثاني منها من لا يعتقد المذكورون فهذا لا يعتقد لوجهين
احدهما ارتكابه المنكر المذكور والآخر لواقعة العارفين المذكورين في عدم
اعتقاده الثالث من الاقسام الثلاثة من لا نعلم هل يعتقدونه ام لا فهذا
على قسمين الاول منهما من لا يظهر منه شئ من خوارق العادة فهذا
يساء به الظن لاصوره على المنكر المذكور مع عدم معارضة كرامته او اعتقاد
المذكورين والثاني منهما من ظهر منه شئ من ذلك فهذا على ثلاثة
اقسام الاول منها من يكون معروفا بالديانة والطاعة والعبادة معرفة موجبة
لظن موكد مستند الى طول خلطة او غير ذلك من الاسباب الموجبة
للظن القوي فهذا نعتقد لاجتماع الكرامة والدين ونقول ما نسب اليه
من المنكر المذكور يحتمل ان يكون له مخرج عنه بامر باطن خفى عنا
كما كان للخضر مع موسى عليهما السلام والقسم الثاني من الثلاثة من
يكون معروفا بالفسق او السحر او الكهانة فهذا يساء الظن به ويتدرج فيه

وينكر عليه لانفاء الدين والكرامة عنه جميعا لان هذا الذى اظهره ليس
بكرامة بل سحر او كهانة يظهران على يد كل ولى للشيطان فعوذ بالله
منه والكرامة تظهر على يد كل ولى للرحمن تبارك وتعالى وليس الساحر
والكاهن من الدين فى شئ وقد يكون بعض السحر ككرا وكذا المنجم المعتقد
ان الطوائع مؤثرة بذاتها كاتزان نسال الله الكريم العافية فى الدين والدنيا
والآخرة لنا والمسلمين والقسم الثالث من الاقسام الثلاثة من يكون مجهول
الحال فيما ذكرنا من الديانة مع ظهور الخارق والمنكر المذكورين منه
فهذا نتوقف فيه ونمعن النظر ونختبره ونجربه ونبحث عنه فى الاقوال
والانفعال والاعمال والاحوال لاجل تعارض فضيلة ورديلة اعنى الخارق
المحتمل الكرامة والمنكر يقتضى الملامة ويلزم معه لادب فى البحث
والاختبار والجمالة فان ظهور لما يقتضى الحاقه بحكم احد القسمين اللذين
قبله الحقانه بحكمه وعامله بمقتضاه وان لم يظهر لنا منه شئ نظرنا فى
المنكر الذى هو ملاسبه وهو على قسمين فاحش وغير فاحش فان كان فاحشا
تباعدا عنه الى ان يظهر لنا ما يقتضى القرب منه لانا على يقين من المنكر
فى الظاهر والكرامة يكشف فيها فى الظاهر والباطن وان كان غير فاحش
قربنا منه الى ان يظهر لنا ما يقتضى البعد عنه لان الكرامة محتملة
وتحسين الظن بالمسلمين مندوب اليه واما المنكر البشير فلا يكاد يسلم منه
إلا القليل ووجود الطيب الخالص عزيز جدا قال فهذه عشرة اقسام ثابتة
بعد اسقاط ما تكرر منها وقد بقى قسم آخر وهو كل مجهول حال ظهر منه
خارق للعادة من غير ظهور منكر منه فهذا يحسن الظن به ما لم يظهر
لنا ما يمدح فيه وكل من تعارض فيه موجبا مدح وقدح ولم يترجح
احدهما وشكنا فيه وخفى عنا حاله توقفنا فيه ولم نحكم فيه بصلاح ولا
طلاح ولا مدح ولا قدح ولا اعتقاد ولا انتقاد بل نكل امره الى العليم الخبير
الذى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير قال هذا ما ظهر لى من الجواب
والله الموفق للصواب ثم انه رضى الله عنه قال بعد هذا الذى ذكرته فى

المجهول الحال انما قلته على جهته لاحتمال ولا فليس يخفى الولى
الصديق والصالح الصادق من الساحر الزنديق والكاذب الفاسق بل
يعرف هذا من هذا بادنى مخالطة بل بمجرد الروية فليس سمته
المقربين ولا برار كسمته الزنادقة والفجار وهذا يعرف بالروية وليست
الآداب كالآداب ولا البركات كالبركات ولا السكون كالسكون ولا الحركات
كالحركات وهذا يعرف بالمخالطة فلو لبس الخبيث بكل ممكن فى الظاهر
فلا بد ان يترشح من باطنه ما يميز بين رشح منه الخبيث وبين رشح
طيبه الطيب فذاك يفوح من باطنه مسك الطاعة فيجزي جليسه
كحامل مسك العطار

يكون اجاجا دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب
ولو لبست الشهاء بكل عال وغال من حلى وحال لبست لم تشمه الحسنة
وان كانت عن الحلى والحلل قد تعطلت اين تدريه السراب من المورد
العذب الشراب واين طاهر القشر من باطن اللبالب كل ذلك يعرف
بذئبة العقول وفى هذا المعنى اقول

لعمرك ما شوها بحلى تزنيست كحسنا وان كانت عن الحلى عاطله
اذا ما ادعت حسنا وتزوير حليها شهود فدعوى صاحب الزور باطله
ثم قال وهذا التفصيل والتقسيم الذى ذكرته فيمن يعتقد ويعتقد بكسر
القاف فى الاول وقتحها فى الثانى لا اعلم احدا ذكره ولكنى اطن ان كل
موفق يحسن الظن بالفقراء من الفقهاء وغيرهم من اهل الرشاد يوافقنى على
ما ذكرته فى الاعتقاد اللهم لا اهل مذهب معروف بالتجسيم فى بعض البلاد
فانه لا مطعم لنا فى موافقتهم فانهم لم يزالوا يطعنون فى الاولياء والصالحين
من الصوفية ومن الايمة والعلماء الذين خالفوا بصحبة اعتقادهم باطل اعتقاد
الحشوية كالامام ابى حامد الغزالي والامام محى الدين النورى رضى الله عنهما
ونفع ابهما وغيرهما ممن لا يحصى عددهم من العلماء الحقين والنظار المدققين
قال ولم يزل الطاعنون المذكورون يترصون ظهور ما يعدونه زلا ليتهازوه

فرصة يتخذونها ذريعة الى بلوغ الاغراض في التكفير وما قدروا عليه من قلب الاعراض ولو قدروا على عقوبة لبادروا اليها لا اقدرهم الله عليها حتى انهم ليأتون الى كلام فيه نوع استعارة او مجاز او ضرب من البلاغة او غير ذلك مما يقع في الكلام الفصيح ويكسوه رونق معنى مليح وبعده اهل الفضل في العلم فضلا الذين لم يزالوا لمعرفة انواع البلاغة وتحقيق العلوم اهلا فيجعلونهم هم كفرا وبدعة وجهلا قال وكل من راوه منعزلا عن الناس او متكررا دما عليه من اللباس او حافيا او حاسر الرأس او غير ذلك من هيأت الرافضين للدنيا الاكياس قالوا هذا خارج عن الكتاب والسنة والاجماع والقياس كانهم لم يسمعوا قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وغيرها من الآيات الكريمة الواردة في فصل الفقراء وذم الدنيا والهوى وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه في كتاب الانوار له قالت فاطمة لاصبهائية العالم اذا لم تساءله ايدى العناية فهو في غرور وغواية محبوب بالفتاوى والرواية يحسب انه في غاية النهاية كلما علم قلبه المعنى قال هذا خارج من الشرع بحمله وام يدرا انه ليس من اهله هيهات يا مسكين ما في الوجود من خرج من شرعه ذرة ولا كانت له هذه قدرة انت في باب الحق اتق الى الكفر اقرب من الاسلام والى الشرك ادنى من التوحيد والالتزام ولكن من لطفه بالعباد اوقف كل عبد منا على مقامه فهو به مسرور في الغيبة والحضور كل حزب بما لديهم فرحون قل كل يعمل على شاكلته وكل ينطق على قدر علمه ومعرفة وعلمانه من لدنا علما وقال رضى الله عنه في انواره فايك يا اخي ان تحكم بالظاهر ولا تعتوض على احد بقوله فقد يكون ثلبيسا عليك وعلى غيرك ليخفى امره بين الناس حتى لا يعلم احد بحاله ومقامه ولكن لما خالفت بالمخالفة الاحسان وكدرتم بالخطايا صفو الايمان وهدتم اركان الطاعة بالصبيان انكرتم على اهل المشاهدة والايقان قلت ولو اتفق ان بعض علماء الاقنداء رضى الله عنهم في وقت من الاوقات اظهر التكبر على احد مشايخ

وقته لظاهر تخريبه لم يكن ذلك لسواه من سائر الناس فان من به الاقتداء يلزمه حفظ ظاهر الشريعة وقد ذكر الياقنى رحمه الله في كتاب الارشاد والتطريز له ان بعض اكابر الشيوخ العارفين رضى الله عنهم كان يقرأ عليه بعض اصحابه كلام بن عربى ويشرحه لهم فلما حضرته الوفاة نهاهم عن مطالعة كلام بن عربى وقال انتم ما تفهمون مراده ومعاني كلامه قال وحدثنى غير واحد من المشهورين بالصلاح والفضل والدين والعدالة من اهل الشام ومن اهل مصر ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه كان يطعن في ابن عربى ويقول هو زنديق فقال له يوما بعض اصحابه اريد ان ترينى الطب او قال وليا فاشار له الى بن عربى وقال هذاك هو فويل له فانتهى تلعب فيه فقال حتى اصون ظاهر الشرع او كما قال رضى الله عنه ثم قال الياقنى رضى الله عنه متصلا بالكلام السابق والعجب من قوم يطعنون في الصوفية السادة كبارهم وصغارهم كيف عموا عن روية محاسنهم الزاهرة وانوارهم الباهرة وتزينوا بثلث برى اعراضهم الطاهرة ولم يفتوا على اعراضهم الطاهرة وصموا عن سماع علومهم البحار الزاهرة ومعارفهم العوالم الفاخرة قلت فهنا انتهى من هذا الفصل خطابه الوسيم وبيانته الذى اجاد به احكام احكام السبر والتقسيم وقد همت بلاغته في ذلك الصدور والاعجاز وكلا رونق وشى طروسه يكتسى مطارف الاعجاز مع ما في ضمن ذلك من كفاح عن هذه الطائفة الجليلة ودفاع وايضا لطريقة ممتاز بها الغث من السمين على وجه يحصل الانتفاع فجازاه الله على ذلك احسن الجزاء واناله مما يرجوه من المثوبة اوفر الاجزاء انه ولي ذلك والمرشد اليه والتجازى بعظيم احسانه عليه فانت اذا اعنت النظر في اقسام طريقتهم وتعرفت مما اسلفناه ما يشير الى احوال الشيخ وحقيقته وجدته رضى الله عنه ممن يجب ان يثبت صدرا في ديوان الاكابر ويضيق باعتقاده الحسن لثبوت موحيه صدر المكابر ويعلم المتعترض الاعتراض ما فائمه ان لم تكن الى رشده منه التفاته وفي هذا القدر مع سابقة

التوفيق ما يثابح الصدور ويطلع اهل الآمال في كمال البدور ويبيض من
اوجه مقام صدك المبتغاة كل حالك ويوصل سفينة نجاتك الى بر البر
المومل بارتحالك ويصرف عنك في امر الشيخ رضى الله عنه وسواسك
ويظهر بين يدي رائد يقينك في ليل الحيرة نبراسك فلنقبله من هذا
الباب خاتمة العمل ونهاية التصدق ونهته السؤل والامل

* الباب الثالث في ذكر مناقبه الجليله *

* وكراماته التي هي باثبات ولايته كفيله *

وانما اخبرنا العمل من هذا الباب وهو اول الفكرة واهم ما قصدنا اثباته
وذكره لعلنا بان مناقبه الجليله لا تعد ولا ترسم حقائقها لاتساع المجال
ولا تحد ومن المومل ان ساعدت للاقدار وحصل حظ وافر منها ومقدار ان
نشفع ان شاء الله هذا السفر باخيه ونردفه بما يناسب هذا الباب وبواخيه
فتحصل بين السابق واللاحق النسبة وينتظم الشئ مقرونا بما ناسبه
ثم من النظر قبل ان نحكم من عقد الباب ابرامه ان نذكر ما يحسن
ذكره من احكام الكرامه فان ذلك مما يونس ذكره المطالع ويطلع اقدار
مرائس المناقب من اسعد المطالع قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضى
الله عنه ظهور الكرامات على الاولياء جافز والدليل على جوازه انه امر
موهوم حدوثه في العقل لا يودى حصوله الى دفع اصل من الاصول
فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده واذا وجب كونه مقدورا لله
سبحانه فلا شئ يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات علامته صدق من
ظهرت عليه في احواله فمن لم يكن صادق فظهور مثلها عليه لا يجوز
والذى يدل عليه انه تعريف القديم سبحانه ايانا حتى نفرق بين من
كان صادقا في احواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال ولا يكون
ذلك الا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المقتري في دعواه وذلك الامر
هو الكرامه التي اشرنا اليها ولا بد من ان تكون الكرامه فعلا نافعا للعادة

في ايام التكليف طاعرة على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله
وتكلم الناس في الفرق بين المعجزات والكرامات عند اهل الحق وكان
لامام ابو اسحق الاسفرايني رحمه الله يقول المعجزات دلالة صدق الانبياء
ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل الحكم لما كان دليلا للعالم
في كونه عالما لم يوجد ممن لا يكون عالما وكان يقول الاولياء لهم كرامات
شبه اجابة الدعاء واما جنس ما هو معجزة للانبياء عليهم السلام فلا واما
لامام ابو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق
ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه في مقالته وان اشار
صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته فتسمى كرامته
ولا تسمى معجزة وان كانت من جنس المعجزات للفرق وكان رحمه الله
يقول من الفرق بين المعجزات والكرامات ان الانبياء عليهم السلام مأمورون
باطهارها والاولياء يجب عليهم سترها واخفاؤها والنبي يدعى ذلك ويتطع
القول به والولي لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز ان يكون ذلك مكررا وقال
اوحده رحمه في فقه القاضي لاشعري رحمة الله عليه ان المعجزات تخص
بالانبياء والكرامات تكون للاولياء ولا تكون للاولياء معجزة لان من شرط
المعجزة اقتران دعوة النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وانما كانت
معجزة لحصولها على اوصاف كثيرة فمضى اختل شرط من تلك الشروط
لا تكون معجزة واحد تلك الشروط دعوى النبوة والولي لا يدعى النبوة
فالذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهذا هو الذي نعتده ونقول به فشرائط
المعجزات كلها او اكثرها يوجد في الكرامه الا هذا الشرط الواحد فللكرامه
فعل لا محالة لان ما كان قديما لم يكن له اختصاص باحد وهو ناقص
للعادة ويحصل في زمان التكليف وتظهر على عبد تخصيصا له وتفضيلا وقد
تحصل باختياريه ودعائه وقد لا تحصل وقد تكون بغير اختياره في بعض
الاوقات ولم يور الولى بدعاء الخلق الى نفسه ولو اظهر شئ من ذلك
على من يكون اهلا له لجاز واختلف اهل الحق في الولي هل يجوز ان يعلم

انه ولي ام لا فكان الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله يقول لا يجوز ذلك
 لانه يسلبه الخوف ويوجب له الامن وكان الاستاذ ابو علي الدقاق
 رحمه الله يقول بجوازها وهو الذي نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب
 في جميع الاولياء حتى يكون كل ولي يعلم انه ولي واجبا ولكن يجوز ان
 يعلم ذلك كما يجوز ان لا يعلم بعضهم فاذا علم بعضهم انه ولي كانت
 معرفته تلك كرامة له وانفرد بها وليس كل كرامة لولي يجب ان تكون
 تلك بعينها لجميع الاولياء بل لو لم تكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا
 لم يقدح عدمها في كونه واجبا بخلاف الانبياء فانه يجب ان تكون لهم
 معجزات لان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق فللناس حاجة
 الى معرفته صدقه ولا يعلم الا بالمعجزة وبكس ذلك حال الولي لانه ليس
 بواجب على الخلق ولا على الولي ايضا العلم بانه ولي والعشرة من الصحابة
 رضى الله عنهم صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبرهم به انهم من
 اهل الجنة وقول من قال لا يجوز ذلك لانه يخرجهم من الخوف فلا بأس
 ان يخافوا تغير العقوبة والذي يجدونه في تلويهم من الهيبة والتعظيم
 والجلال للحق سبحانه يزيد ويرى على كثير من الخوف قال واعلم انه
 ليس للولي مسكنة الى الكرامة التي تظهر عليه ولا له ملاحظة وربما
 يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحقيقهم ان ذلك فعل
 الله تعالى فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد وعلى الجملة
 فالقول بجواز اظهارها على الاولياء واجب وعليه جمهور اهل المعرفة وكثرة
 ما تواتر باجناسها الاخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الاولياء
 في الجملة علما قويا تنتفي منه الشكوك ومن توسط هذه الطريقة وتواتر
 عليه حكاياتهم واخبارهم لم يبق له شبهة في ذلك على الجملة ومن
 هذه الجملة نص القرآن في قصة صاحب سليمان عليه السلام
 حيث قال انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وليس نبيا ولا نورا
 عز بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يا سارية الجبل في حال خطبته

يوم الجمعة وتبلغ صوت صرا الى سارية في ذلك الوقت حتى تحرز من مكان
 العدو قال فان قيل كيف يجوز اظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني على
 معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وهل يجوز تفصيل الاولياء على الانبياء
 عليهم السلام قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم
 لان كل من ليس بصادق في الاسلام لا تظهر عليه الكرامة فكل نبى ظهرت
 على واحد من امته كرامة فهو معدود في جملة معجزاته اذ لو لم يكن ذلك
 الرسول صادقا لم تظهر على من تابعه المعجزة فاما رتبة الاولياء فلا تبلغ
 رتبة الانبياء عليهم السلام للاجماع على ذلك وهذا ابو يزيد البسطامي مثل
 عن هذه المسألة فقال مثل ما حصل للانبياء عليهم السلام كمثل زق من
 صل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الاولياء وما في الظرف مثل
 ما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال وهذه الكرامات قد تكون اجابة دعوة
 وقد تكون اظهار طعم في اوان الفاقة من غير سبب ظاهر او حضور ماء في
 زمان عطش او تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة او تخليصا من عدو او
 سماع خطاب من هاتف او غير ذلك من فنون الافعال النافعة للعادة
 قال واعلم ان كثيرا من المتذورات نعلم اليوم قطعنا انه لا يجوز ان يظهر
 كرامة الاولياء وبضرورة او شبه ضرورة يعلم ذلك فمنها حصول انسان
 لا من ابوين وقلب انسان حمارا وامثل هذا كثير قلت وهذا الذي ذهب
 اليه الاستاذ رحمه الله هنا ضعيف والجمهور على خلافه وقد انكر ذلك
 عليه جماعة منهم ولده ابو نصر في كتابه المرشد حيث قال وقال بعض لا يمت
 ما وقع معجزة نبي لا يجوز تقدير وقوع كرامة لولي كقلب العصا حية
 واحياء الموتي والصحيح تجوز جملة خوارق العادات كرامة الاولياء قال
 وفي الارشاد لامام الحرمين مثله وفي شرح مسلم للامام النووي رحمه الله
 ادعى بعضهم ان الكرامة تخص بمثل اجابة دعوة ونحوه وهذا غلط من
 قائله وانكار للحس والصواب جريانها بقلب لا عيان ونحوه وحكى امام
 الحرمين والآمدي عن الاستاذ ابي اسحق مثل ما حكاه القشيري هنا وان

كلن العراقي في شرحه لجمع الجوامع للسبكي ذكر عنه انه جعل مقالة
 القشيري هنا قيدها حيث قال في منع الموانع وبهذا يصح ان قولهم ما جاز
 ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي ليس على وجهه وعمومه
 وان قول من قال لا تشارك المعجزة الكرامة للأب بالتعدي ليس على وجهه
 وان الشارح قال هنالك وليس كما ظن بل هذا الذي قاله القشيري مذموب
 ضعيف والجمهور على خلافه فان قيل فهل يكون الولي معصوما قيل اما
 وجوبا كما يقال في الانبياء عليهم السلام فلا واما ان كان محفوظا حتى لا
 لا يصير على الذنوب وان حصلت هناك آفات او زلات فلا يمتنع ذلك
 في وصفهم ولقد سئل الجنيد رحمه الله العارف يزني يا ابا القاسم فاطرق
 مليا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا قال فان قيل فهل يسقط الخوف
 من الاولياء قيل اما الغالب على الاكابر والخوف وذلك الذي قلنا فيما
 تقدم على جهة الندرة غير متنع وهذا السرى السقطي يقول لو ان واحدا
 ادخل بستانا فيه اشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له بلسان فصيح
 السلام عليك يا ولي الله فالولم يخف انه مكر لكان معكورا وامثال هذا من
 حكاياتهم كثيرة قال فان قيل فهل تجوز رواية الله تعالى بالابصار اليوم في
 الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه ان لا قوى فيه انه لا يجوز لحصول
 الاجماع عليه قال ولقد سمعت لاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله يحكي
 عن ابي الحسن الاشعري انه قال في ذلك قولين في كتاب الرواية قال فان
 قيل فهل يجوز ان يكون وليا في الحال ثم تتغير عاقبته قيل من جعل من
 شرط الولاية حسن الموافقة لا يميز ذلك ومن قال انه في الحال موافق
 على الحقيقة وان جاز ان يتغير حاله لا يبعد ان يكون وليا في الحال صدوقا
 ثم يتغير وهو الذي نختاره ويجوز ان يكون من جملة كرامات الولي ان
 يعلم انه مأمون العاقبة وانه لا تتغير عاقبته فتباحق هذه المسألة بما ذكرنا
 ان الولي يجوز ان يعلم انه ولي قال فان قيل فهل يزايل الولي خوف
 المكر قيل اذا كان مصطلحا عن مشاهدة محتفظا عن احساسه بحاله فهو

مستهلك عنه فيما استولى عليه والخوف من صفات الحاضرين منهم قال
 فان قيل فما الغالب على الولي في اوان صحوة قيل صدوقه في اداء حقوقه
 سبحانه ثم رفته وشفتته على الخلق في جميع احواله ثم انبساط رحمته
 لكافة الخلق وابتدائه لطلب الاحسان من الله سبحانه اليهم من غير
 التعاس منهم وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم مع قصر اليد
 عن اموالهم وترك الطمع بكل وجه فيهم وقبض اللسان من بسطه بالسوء
 فيهم والصاؤون من شهود مساويهم ولا يكون خصما لاحد في الدنيا والآخرة
 ثم قال واعلم ان من اجل الكرامات التي تتكون للاولياء دوام التوفيق
 للطاعات والصمت عن المعاصي والمخالفات وما يشهد من القرآن العظيم
 على اظهار الكرامات على الاولياء قوله تعالى في صفة مريم عليها السلام
 ولم تكن نيبا ولا رسولا ان زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام كلما دخل
 عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وكان يقول اني لك هذا فتقول مريم
 هو من عند الله وقوله تعالى لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
 رطبا جنيا وكان غير اوان الرطب وكذلك قصة اهل الكهف ولا عايب
 التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك ومن ذلك قصة ذى
 القرنين وتمكينه سبحانه له ما لم يمكن لغيره ومن ذلك ما اظهر الله على
 يد الخضر عليه السلام من اقامة الجدار وغيره من الاعاجيب وما يعرفه ما
 خفى على موسى عليه السلام كل ذلك امور ناقصة للعادة اختص الخضر عليه
 السلام بها ولم يكن نبيا وانما كان وليا ثم انه رضى الله عنه عدد في ذلك
 من الكرامات الخارقة للعادة في الحديث والتقديم ما يقف عليه من تطلع
 عليه هنالك وقال الشيخ ابن عطاء الله رضى الله عنه في لطائف المنن
 لا خفاء ان ظهور الكرامات من الاولياء من الممكنات لانه لو لم يكن
 من الممكنات فاما ان يكون من الواجبات واما ان يكون من المستحيلات
 باطل ان يكون من المستحيلات فان المستحيل هو الذي لواء وجوده
 لزوم منه محال عقلي ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي وباطل

ان يكون جريان الكرامات على الاولياء وجوباً اذ الطائفة مجمعة على انه قد يكون الولي ولياً وان لم تخرق العادة له فتعين ان يكون من الجائزات وكل شئ كان من الجائزات فلا يحيله العقل وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز ان يكرم الله به اولياء ثم ان هذه الكرامات قد تكون طياً للارض ومشيياً على الماء وطيراناً في الهواء واطلاعاً على كواثر كانت وكواثر لم تكن من غير طريق العادة وتكثير طعام او شراب او اتيان بشرة في غير اماكنها او انبعاث ماء من غير حفرة او تسخير الحيوانات العادية او اجابة دعوة بائس مطر في غير وقته او صبر على الغداة مدة تخرج عن طور العادة او اثمار الشجرة بشجرة يابسة ليس عادتها ان تكون مشمرة وهذه كلها كرامات ظاهرة حسية وكرامات هي عند اهل الله افضل منها واجل وهي الكرامات العنوية كالعرفه بالله والتخشية له ودوام المراقبة له والمسايرة لامثال امره وقهيمه والرسوخ في اليقين والقوة والتمكين ودوام المتابعة والاستماع من الله سبحانه والفهم عنه ودوام الثقة به وصدق القول عليه الى غير ذلك وسمعت شيخنا ابا العباس رضى الله عنه يقول الطي على قسمين طي اصغر وطي اكبر فالطي الاصغر لعامة هذه الطريقة ان تطوى لهم الارض من مشرقها الى مغربها في نفس واحد والطي الاكبر طي اوصاف النفوس قال وصدق رضى الله عنه فان طي الارض لو عجزك عنه وافقدك اياه ما نقص ذلك من رتبك مده اذا قمت له بالوفاء في العبودية وطي اوصاف النفوس لو لم تقدم به عليه لكنت من المعتولين وحضرت في زمرة الغافلين وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايمان وشهود العيان وكرامة العمل على لاقتداء والمتابعة ومجانبة الدمار والمخادعة فمن اعطيهما وجعل يشاق الى غيرهما فهو مفتر كذاب او ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك والمخدمة له على نعت الرضا فجعل يفتش الى سياحة الدواب وكل كرامته لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها

مستدرج مغرور ناقص او خالك مشهور قال واعلم ان اطلاع اولياء الله على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل قال ابو بكر رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها في مرض موته وزوجته حامل انما هما اخواك واختاك وبطن خارجة اراها جارية فاخبر ان في بطن امراته جارية وكان كما قال رضى الله عنه وتقدم قول عمر رضى الله عنه ياسارية الجبل وسارية باقصى العراق وقول عثمان للدخول عليه وقد كان نظراً الى محاسن امرأة في الطريق يدخل احدكم وأثار الزنى بادية في وجهه واما علي ابن ابي طالب رضى الله عنه فجاءه في هذا الباب العجب العجيب حتى انه ذكر الاخباريون انه ارجف بالكوفة ان معاوية قد مات فقال علي اذ ذاك والله ما مات ولن يموت حتى يملك ما تحت قدمي هاتين وانما اراد ابن هند ان يشيع ذلك حتى يستثير علي فيه فمن يومئذ كاتب اهل الكوفة معاوية رضى الله عنه وعلوا ان الامر صائر اليه قال وحكايات الاولياء في كل زمن وقطر تتضمن ثبوت ذلك فما بلغ حد التواتر فلا يمكن حجده ثم انا ندلك رحمك الله على امر يسهل عليك الصديق بذلك وهو ان اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجسمانيته ولا وجود صورته وانما هو بنور الحق فيه دليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المومن فانها ينظر بنور الله فكيف يستغرب ان يطلع مومن على غيب من غيوب الله تعالى بعد ان شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم انه انما ينظر بنور الله لا بوجود نفسه وكذلك قوله في الحديث المتقدم فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث الى آخره فاذا كان الحق سبحانه بصرة فليس لا اطلاع على الغيب عليه بمستغرب وفي بعض طرق الحديث فاذا احببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً وقلباً وعقلاً وبدا ومويداً ثم قال رضى الله عنه فان قلت فكيف يصنع بهذه الآية وحى قوله سبحانه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول

فلم يستثن احدا الا الرسول فاعلم اني سمعت شيئا ابا العباس رضى
الله عنه يقول في معناه او صديق او ولي فان قلت هذه زيادة على ما
تضمنه الكتاب العزيز فاعلم انه اذا قيل ان السلطان لم ياذن اليهم الا
للوزير وحده فربما دخل ممالك الوزير معه وكان لاذن لمتبوعهم اذنا
لهم كذلك الولي اذا اطعمه الله على غيب من غيوبه فانما ذلك
لانطوائه في جاء النبوة وقيامه بصدق التبابعة فما رأى ذلك بنفسه وانما
رآه بنور متبوعه وايضا الآية تشير الى نفي اطلاع العباد على غيب الله الا
من اطعمه الله وبين سبحانه سبب اطلاعه من اطعمه على غيب من
غيوبه وان ذلك انما كان لانه مرضى عنده بقوله لا من ارتضى وقوله
من رسول خص الرسول بالذكر ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي
وان كان كل منهم ممن ارتضى لان الرسول اولى بذلك ممن سواه ثم ذكر
رضى الله عنه امورا تسهل للايمان بكرامات اولياء الله تعالى فقال لا اول
ان تعلم ان قدرة الله تعالى التي لا يكبر عليها شئ هي التي اظهرت الكرامة
في هذا الولي فلا تنظر الى ضعف العبد ولكن انظر الى قدرة السيد فجدد
الكرامة في الولي جدد لقدرة القادر وعما منع من شهود عظمت وصفه
سبحانه الثاني انه ربما كان سبب انكارك للكرامة استكثارها على ذلك
العبد الذي اضيفت اليه وذلك العبد انما اظهرت الكرامة عليه شاهدة
لصدق طريق متبوعه فهي بالنسبة الى من ظهرت عليه وهو ذلك الولي
كرامة وهي بالنسبة الى من ظهرت ببركته متابعته معجزة فلذلك قالوا
كل كرامة لولي فهي معجزة لذلك النبي الذي هذا الولي متبع له فلا تنظر
الى التابع ولكن انظر الى عظم قدر المتبوع الثالث ان تعلم ان الذي اعطاه الله
سبحانه لا يلائمه من الايمان واليقين مما انت مصدق به وثبت له اعظم
مما استغربت به وانكرته من اطلاع على غيب او طيران في الهواء او مشي
على الماء فمثلك اذا استغربت ذلك على المؤمن كمثل من يستغرب على
عبد من خواص الملك اعطاء الملك سبطا ملوا باقوا ثميناء علمت انت به كل

ياقوتة تضمنها ذلك السبط تساوى عشرة آلاف دينار ثم قال ذلك العبد
الذي هو من خواص الملك او قيل عنه ان الملك قد اعطاه مائة دينار
فاستغربت انت ذلك فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب وما
اكرم الله العباد في الدنيا والآخرة كرامة مثل لايمان به والمعرفة برؤيته
لان كل خير من خير الدنيا والآخرة انما هو فرع لايمان به من احوال
ومقامات واورداد وواردات وكل نور وطلم وفتح ونغوذ الى غيب وسماع
مخاطبة وجريان كرامة وما تضمنته الجنة من حور وقصور وانهار وثمار او
كان به اهلها قهها من رضاء الله ورضا من الله وروية لله فكل ذلك
انما هو نتائج لايمان ووجود آثاره وامداد انواره قال واعلم ان من الناس من
واجهه الخذلان من الله تعالى فانكروا كرامات اولياء الله تعالى اصلا فنغوذ
بالله من هذا المذهب وهو حقيق ان لا يذكر لكن سبب ذكره ان تعلم ان الله
تعالى اذا اراد ان يعزل عبدا لم ينصره عقل ولم ينفعه علم قال الله سبحانه
ومن يرد الله فتنه فلن تمالك له من الله شيئا وقال سبحانه وتعالى فان
زلتم من بعد ماجاء تكلم البنات فاعلموا ان الله عزيز حكيم وقال سبحانه
وتعالى وهو يجير ولا يجار عليه لذلك كانت الاحوال والاقيال والافعال
ومراتب الانزال موقوفة على توقيفه لا توجب انوارا ولا تستحق قبولا
ولا يستوجب صاحبها اقبالا حتى ينصره التوفيق ولعازة قدرة عند الله تعالى
لم يذكر في محاسبه العزيز الا في موضع واحد فقال سبحانه وتعالى وما
توفيقى الا بالله عليه توكلت والجناب للتوفيق وعلامته صدق الرجعي
الى الله في اول كل فعل وترك به حقيق الفقر والفاقة اليه ولا تنغمس في بحر
الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ وقد قال الله
تعالى ولقد نصركم الله يدر وانتم اذلت وقال تعالى انما الصدقات للفقراء
والمساكين فلا تدخل جنته ملكك وصلك وما اعطيت من نور وفتح فتقول
كما قال من خذل فاخبر الله عنه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن
ان تبيد هذه ابدا الآية ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضى لك

ولولا اذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله
صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي رواية
كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة
الله ظاهرة الكنز والمكنوز
فيها صدق التبري من المحول والقوة والرجوع الى حول الله وقوته ومن
انكروا كرامات اولياء الله تعالى فالدلائل النقلية والعقلية ترد عليه ويخشى
على من هذا مذهبه سوء الخاتمة قال ومن الناس فرقة اخرى صدقوا
بكرامات الاولياء الذين ليسوا في زمانهم كعمر بن الخطاب وسري والجند
واشباهم وكذبوا بكرامات اولياء زمانهم فهم كما قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه والله ما هي الا اسرائيلية صدقوا بموسى وعيسى عليهما
السلام وكذبوا بحمد صلى الله عليه وسلم لانهم ادركوا زمانه وفرقة اخرى
يصدقون بان في مملكة الله اولياء لهم كرامات من غير ان يسلموا ذلك
لاحد من اهل زمانهم معينا فكل من ذكر لهم انه ولي او نسبت اليه
كرامة دافعوا اثبات ذلك بمقاييس اقتضتها عقولهم المعقولة يقال الغفلة
الخدوعة بمتابعة الهوى فلن يجري عليهم هذا التصديق وجود لاقتداء
ولا اشراف نوز لاقتداء اذ لاقتداء لا يكون بولي مجهول العين في
كون الله جل جلاله بل لاقتداء انها يكون بولي ذلك الله عليه واطلعت
على ما اودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشرية في وجود
خصوصيته والقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات
نفسك وكمايتها ودافعتها ويدلك على الجمع على الله ويعطيك الفرار
عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله ويوقفك على اساءة
نفسك ويعرفك باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه
والدوام على مسر الساعات بين يديه قال فان قلت فاين من هذا
وصفهم لقد دلتني على اغرب من شفاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان
الدالين وانما قد يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا
وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى قال الله تعالى امن يوجب الضطر

اذا دعا وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطرت الى من
يوصلك الى الله اضطار الطمان الماء البارد والخائف للامن لوجدت ذلك
اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطرت الى الله تعالى اضطار لام لولدها
اذا فقدته لوجدت الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير
متعذر عليك ولتوجه الحق ببنيين ذلك اليك قال فهذا الكلام في طريق
الجواز والوقوع جميعا وذكر اعيان الكرامات التي انقضت للسلف رضي الله
منهم لا يستطاع حصرها قال وقد اشبع القول فيها لانه ابو القاسم العسيري
رضي الله عنه في رسالته واقر لها بابا ثم قال واعلم ان الكرامة تارة تظهر
للولي في نفسه وتارة تظهر فيه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد
تعريفه بقدرة الله وفرديته واحديته وان قدرته لا تتوقف على الاسباب
وان العوائد هو حاكم عليها ليست هي حاكمة عليه وانما جعل العوائد
والوسائط والاسباب حجب قدرته وحجب شمس احديته فواقف عندها
مخدول ونافذ منها اليه هو بالغاية موصول وقال الشيخ ابو الحسن رضي
الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة
والصفات لازلية بجمع لا يفترق وامر لا يتعدد كانها صفة واحدة قائمة
بذات الواحد يستوي من تعرف الله اليه بنوره كمن تعرف الى الله تعالى
بعقله من وراء حجاب ولاجل انها تنسب لمن اظهرت لمرءها وجدما اهل
البدايات في بداياتهم وفقدوا اهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة
والتمكن لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضي الله عنهم لم
يصححهم الحق سبحانه الى وجود الكرامات الحسية لما اطاعوا من المعارف
الغيبية والعلوم لاشهادية ولا يحتاج الجبل الى موساة فالكرامة دافعة
لزالة الشك في المنية ومعرفة بفضل الله سبحانه فيمن اظهرت عليه
وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه والناس في الكرامات على ثلاثة
اقسام قوم يجعلونها غاية لامر فان وجدوها عظموا من اظهرت عليه وان
فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع

يخضع بها اهل الارادة ليفتوا على حدودهم وحتى لا ياجروا مقاماً ليس هولهم
حتى قال ابو تراب الخشبي لابي العباس الرقي ما يقول اصحابك في هذه
الامور التي يكرم الله بها عباده قال فقلت ما رايت احداً الا وهو يومن بها
فقال من لم يومن بها فقد كفر انما سالتك من طريق الاحوال فقلت ما
اعرف لهم قولاً فقال بلى قد زعم اصحابك انها خدع من الحق وليس
الامر كذلك انما الخدع في حال السكون اليها فاما من لم يقترح ذلك ولم
يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من ابي ثواب بعد ان عطش
اصحابه فضرب بيده الى الارض فنبع الماء فقال فتى هناك اريد ان اشربه
في قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحاً من زجاج ابيض فشرب وسقانا
قال ابو العباس الرقي وما زال القدح معنا الى مكة قال والقول الفصل في
ذلك انه لا ينبغي ان تطلب ادباً مع الله ومن اظهرت عليه عظم لايها
شاهدة بالاستقامة مع الله القسم الثالث وهو ان تظهر الكرامة في الولي لغيره
فالمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شهدما بصحة طريق هذا الولي
الذي اظهرت عليه الكرامة اما ان يكون جاحداً فيرجع الى الاعتراف او
كافراً فيعود الى الايمان او شاكاً في خصوصية ذلك العبد فاطهرت عليه
ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى وفي هذا القدر من كلام اهل
الحق والحقيقة في الكرامة ما يبلغ الناظر المناظر لابتداء صورة التوفيق مرامه
ويوصله الى مراقب الفوز والسعادة ويهيئ له اسعاف رشده واسعاده ولنورد
ذلك بكلامهم في امر الكشف والمكاشفة وما خلجى من الحقائق ان يحرك في
علوم القوم بها شقة وقد جعل الامام السهروردي رضي الله عنه مبنى
ذلك ومنشاه على بدء خلق الانسان واستطرد الكلام في هوارف معارفه
على الروح واختلاف الناس في ماهيته وذكر انه لم يوجد بين ارباب
الفن والعقل من الاختلاف في شئ ما وجد في ماهية الروح وان مذهبه
لاعساك عن الخوض في ذلك ثم ذكر من كلام الناس فيه عبارات شتى
ويسط القول في ذلك بسطاً رايت ذكره مما يخل بالغرض لطوله ويورث

السمامة لامتداد باع الكلام في اثناء فصوله وان لاقتصار من ذلك على ما
ذكره في العقل وماهية كافي في الغرض وهو المقصود بالذات قال رضي الله
عنه واما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة
القلب والعقل بمثابة اللسان وقد قال عليه الصلاة والسلام اول ما خلق
الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قل اعقد فقعدهم
قال له انطق فناطق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتي وجلالي
وعظمي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقاً احب الي منك ولا
اكرم علي منك بك اعرف وبك احمد وبك اطاع وبك آخذ وبك اعطى
واياك اعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما اكرمتك بشئ افضل من
الصبر وقل صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم العقل بين عباده اثنتان
وان الرجلين يستوي علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في
العقل كالذرة في جنب احد وروى عن ابن منبه انه قال اني اجد في
سبعين كتاباً ان جميع ما اعطى الناس من بدء الدنيا الى انقطاعها من العقل
في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهية رملية وقعت من بين
جميع رمال الدنيا قال واختلف الناس في ماهية العقل فقال قوم العقل من
العلوم لان الخالي من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم
فان الخالي من معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية
فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل عليه فهو اذا من العلوم الضرورية
وليس هو جميعها فان صاحب الحراس المختلفة مائل وقد عدم بعض
مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم العقل ليس من اقسام العلوم لانه
لو كان منها لوجب الحكم بان الذاهل عن ذكر الاستحالة والجواز لا يتصف
بكونه عاقلاً ونحن نرى العاقل في كثير من اوقاته ذاهلاً وقالوا وعلى هذا
العقل صفة يتها بها درك العلم ونقل عن الحارث بن اسد الحاسبي وهو
من جلة المشايخ انه قال العقل غريزة يتها بها درك العلم وعلى هذا
يتقرر ما ذكرنا في اول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من امر الله

وهي المتعملة للامانة التي ابين السموات والارض ان يعملنها وهو بصفته
منكوس متطلع الى النفس تارة ومنصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه
منكوسا الى النفس فرقه في اجزاء الكون وهدم حسن الاعتدال بذلك واخطا
طريق الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تايد العقل بالبصيرة التي
هي للروح بمثابة القلب واعتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون
مستوفيا اقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية
فكلما احب الله اقباله في امر دله على اقباله عليه وما كره الله دله على
استدباره عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجتنب مساخطه وكلما استقام
العقل ونايد بالبصيرة كان دلالاته على الرشد ونهيه عن الغي قال بعضهم
العقل على ضربين ضرب يبصر به امر دنياء وضرب يبصر به امر اخراه
فذكر ان العقل الاول من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية
والعقل لاول موجود في عامة ولد آدم والعقل الثاني موجود في الموحدين
مفقود في المشركين وقيل انما سمي العقل عقلا لان الجهل ظلمة فاذا غلب
النور بصير في تلك الظلمة زالت الظلمة وابصر فصار عقلا للجهل وقيل
عقل الايمان مسكنه في القلب ومعتمله في الصدر بين عيني الفؤاد قال
والذي ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على
ضربين ولكنه اذا انتصب واستقام تايد بالبصيرة واعتدل ووضع لاشياء
مواضعها وهذا العقل هو المستصحب بنور الشرع لان انتصابه واعتداله هداة
الى الاستصحاء بنور الشرع لكون الشرع ورد على النبي المرسل وذلك لقرب
روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التي هي للروح بمثابة القلب
بقدره الله وآياته واستقامته عقله بتسايد البصيرة والبصيرة تحيط بالعلوم
التي يستوفها العقل والتي يصيق عنها نطاق العقل لانها تستمد من كلمات
الله التي ينفذ البحر دون نقادها والعقل ترجمان تودي البصيرة اليه من
ذلك شطرا كما يودي القلب الى اللسان بعض ما فيه ويستأثر ببعضه
دون اللسان ولهذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستصحاء

بنور الشرع حتى يعلوم الكائنات التي هي من الملك والملك ظاهر الكائنات
ومن استضاء عقله بنور الشرع تايد بالبصيرة فاطلع على الملكوت والمكوت
باطن الكائنات اختص بمكاشفة ارباب البصائر والعقول دون الجماهير
على مجرد العقول دون البصائر وقد قال بعضهم ان العقل عقل الهداية
مسكنه في القلب ومعتمله في الصدر بين عيني الفؤاد والعقل الآخر مسكنه
الدماغ ومعتمله في الصدر بين عيني الفؤاد فبالاول يدبر امر الآخرة وبالتاني
امر الدنيا قال والذي ذكرناه انه عقل واحد اذا تايد بالبصيرة دبر الامور
واذا انفرد دبر امرا واحدا هو اوضح وابين قال وقد ذكرنا في اول الباب
من تدبيره النفس المطمئنة والامارة ما يتجنبه للانسان به على كونه عقلا
واحدا موبدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملهم للصواب انتهى
ومن كلام الشيخ الكبير منصور البطايحي رضى الله عنه في الكشف قوله
الكشف سواطع انوار لمعت في القلوب بتمكن معرفة جملة السرائر في
الغيوب من غيب الى غيب حتى يشهد لاشياء من حيث اشهد الحق
اياما فتكلم عن ضمائر الخلق واذا ظهر الحق على السرائر لم يبق لها فضلة
لرجاء ولا خوف انتهى وقال الشيخ الكبير ابو العباس احمد الرفاعي
رضي الله عنه الكشف قوة حادثة يصاحبها نور عين البصيرة الى فيض
الغيب فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها
ثم يتقاذى النور منعكسا بضوءه على صفاء القلب ثم يترقى ساطعا الى عالم
العقل فيتصل به اتصالا معنويا له اثر في استفادة نور العقل على ساحة
القلب فيشرق نور العقل على انسان بين السرفيرى ما خفى عن الابصار
موضعه ودق عن الافهام تصوره واستر عن الاغيار مرآة وقال الشيخ الكبير
الجليل محي الدين عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه يكشف للارباب
والاببدال من فعل الله عز وجل ما يهر العقول فيخترق العادات والرسوم
قال والكشف على قسمين جلالى وجمالى فكشف الجلال والعظمة يورث
الخوف المقلق والرجل المزعج وامرا عظيما يحدث في القلب ويظهر على

الجوارح كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمع في صدره الشريف الكريم ازيزا كازيز الرجل في الصلاة من شدة الخوف لما يرى من جلال الله عز وجل وينكشف له من عظمتهم ونقل مثل ذلك عن ابراهيم الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وعن امير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه واما مشاهدة الجمال فهي التحلى للقلوب بالانوار والسرور والالطاف والكلام اللذيذ والحديث الانيس والبشارة بالمواعب الجسام والمنازل العالية والقرب منه عز وجل بما سيثول امرهم اليه وجف بهم القلم من اقسامهم في سابق الدهور فضلا منه ورحمة وتبيينا منه لهم في الدنيا الى بلوغ الآجال للوقت المقدر لئلا تفرط بهم العتبة من شدة الشوق اليه عز وجل فتتطير مراتهم فيهلكون او يضعفون عن القيام بالعبودية الى ان ياتيهم اليقين الذي هو الموت فيفعل ذلك لطفًا منه ورحمة بهم ومداداة وتربية لقلوبهم ومدارة لها انه حكيم عليم لطيف بهم وعرف رحيم ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول لبلال المودن رضى الله عنه ارحنا يا بلال يعني بالاقامة ليدخل في الصلاة لمشاهدة ما ذكرنا من الجمال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرّة عيني في الصلاة انتهي وفي الانوار لابن عطاء الله رضى الله عنه قال ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف عليه السلام كانوا اذا جاءوا نظروا الى وجهه فيشغلهم جماله من الاحساس بالجوع فما ظنك بقلوب وقفت بين جلال الله وجماله اذا لاحظوا جلاله هاموا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه اذا نظر اهل الجنة الى الله جل جلاله ذهبت اعينهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع اليهم وفي الانوار ايضا قال ذو النون المصري رضى الله عنه سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تعالى وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال ايضا في الانوار

اولياء الله المكشفون ملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكشفون في الصلاة لاسيما في السجود وتكون مكاشفة كل مصل على قدر صفاته عن كدورات الدنيا ينكشف لبعضهم الشئ بعينه وينكشف لبعضهم الشئ بمثال وينكشف لبعضهم من صفات الله وجلاله وبعضهم من افعاله لكن لما كانت هذه الامور لا تتراعى الا في المراتب الصغيلة وكانت المراتب كلها صدية احتجبت عنها الهداية فسارعت الالسن الى الانكار اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الله الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة او المباحثة ولم يطلبوه من تصفية القلوب عما روى الله فعادوه فانكروا وان لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهده بالتجربة ثم قال قاتول الامر في ذلك ذهب الى الله ثم ذهب في ذاته وذلك هو الفناء والاستغراق به ولكن هذا الاستغراق اولا كبرق خاطف قل ما يثبت ولا يدوم فان دام ذلك وصار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم لاطلى وطالع الوجود الحقيقي وانطبع له نقش الملكوت وتجلي له قدوس السموات واول ما يتمثل في ذلك العالم جواهر الملكة وارواح الانبياء والاولياء في صور جميلة وذلك في البداية الى ان تلودرجته من المثال واذا رادوا الى هذا العالم الحادث الذي هو كالظلال نظر الى الخلق نظر مترحم طيم حمرانهم من مطالعة جمال حضرة القدس فعجب منهم في قناتهم بعالم الفرور وعالم الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه ثابتا بقلبه فكن مشوقا الى هذه الامور الى ان تصير من اهل الذوق بها فان لم تكن من اهل العلم بها فكن من اهل الايمان بها وايالك ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحميد وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فالذوق مشاهدة والعلم قياس والايمان قبول بحسن الظن مع الانفكاك

عن التهمة فاجتهد ان يصير من اهل المساعدة فليس الخبير كالعاينة ثم
 قال رضى الله عنه واعلم ان لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال
 الحضرة الربوبية اعظم من كل لذة في الدنيا وكما ان ارق لاشياء للقلب
 المعرفة فالمعرفة عند القلب واعنى بالقلب الروح الرباني الذي قال فيه
 تعالى قل الروح من امرى ربى وقال ونفخت فيه من روحي فاصفاه الى
 نفسه وهذا الروح لا يكون للبهائم ولا لمن هو في مثل حالها من الانس
 بل يختص به الانبياء والاولياء ولذلك قال تعالى وكذلك اوحينا اليك
 روحا من امرنا ما كنت تدري الآية قال وهذا شئ دقيق تكل الافهام عن
 فهمه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يقشوه الى غير اهلهم لئلا يثير
 ذلك فتنة عليهم حيث تنصرف افهامهم عن ذلك واخفاء سر الروح وكف
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما
 تكل الافهام عن دركه وتنقص الاوهام عن تصور كنهه قال ولا يظن ان ذلك
 لم يكن مكشوفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يعرف الروح فكانه
 لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد ان يكون ذلك
 مكشوفاً لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكن يتأدبون بأداب
 الشرع فيسكتون عما سكتوا عنه بل في صفات الله عز وجل من الخفاء
 ما تنقص عنه افهام الجماهير ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها
 إلا الظواهر لان ذكر ما وراء ذلك يصير السامعين ولا يبعد ايضا ان يكون
 ذكر بعض الحقائق مصراً لبعض الخلق كما يصير نور الشمس بابصار الخفافيش
 وكما تنصير رايح الورد بالجعل فالقاصر الفهم يقف على الظاهر والبصير بالحقائق
 يدرك السر ثم قال فعليك بالخلوة والعزلة واطلب الله تجده فالنبي صلى
 الله عليه وسلم في ابتداء امره كان يشتل في جبل حراء ويعتزل فيه حتى
 رأى فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبونه عن الله تعالى فكان يبدنه مع
 الخلق وبقلبه مقبلاً على الله تعالى قال ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض
 الاولياء اليه فقد نقل عن المجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين

سنة والناس يظنون انى اكلمهم قال وهذا انما هو اذا استغرق المستغرق
 بحسب الله تعالى استغراقاً لا يبقى لغيره فيه متسع وهو غير منكر وفي
 المشاهد من الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما
 يقال له لفرط حبه فقد يستغرق الهم القلب بحيث يخالط الناس ولا
 يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه قال فهم في السموات اشهر
 منهم في الارض ولا صواتهم هناك دوى ونور يعرفون به وقد رفع ابصار
 قلوبهم اليه فهي ناظرة اليه غير محجوبة عنه ولا ادراك منهم لصفته ولا
 صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم فاحبهم
 وحبيبهم الى ملكتهم وسائر خلقه انتهى وقد امتد بنا الكلام الى حد يكسب
 السآمة ويحرك بواصت الملامة فان النفوس عن الميل الى الاطناب الملل
 مصروفة وبمعاداة المعادات كما قد قيل معروفة فلتنصرف العناية الى ما
 هو المقصود بالذات فمن المهم اللازم قضاء دين العادات وتناسى واجبات
 حقوقها موجب للعتاب وذكر المناقب عندنا احد اركان هذا الكتاب فلنذكر
 منها ما حسن الصدق فيه مساقه وحلائضه من اختيار من
 يظن به الكمال من الرواة مذاقه هذا وما انما بمعتقد في احد ان يعتمد
 الكذب على الشيخ فيما يروى او يكدر بشوائب الفرية من محتوم رحيق
 اهل الكرامة ما يروى بل فيمن شاهدناه من يتأخر عن افشاء ما هو لديه
 من ذلك معلوم لا اعتقاد ان الحديث بكرامات الاولياء لا باذن في ذلك ملوم
 فكيف يعتمد من هذه صفته مستهجن الفرية او يحيد لكتب ذلك من
 قلبه البرية لكن علي بذل الوسع في النظر في الترجيح والرجح وان ادركني
 في خلال ذلك عجز او قصور بعد ايعان الطلب فانا المنهج ولنبدأ منها بما
 لا نفتقر فيه لعدم الوساطة في النقل الى بيان فذلك هو لاحق بالتقديم
 لفصل ما بين الخبر والبيان فمن ذلك وهي اول مناقبه وانها عند
 مشاهد حاله ومراقبه ان الشيخ رضى الله عنه لا بد ان يقف بين يديه
 في كل يوم من ارباب الخواص على اختلاف مطالبهم وتباين مآربهم من

لا يحصى كثرة من الرجال والنساء واهل البلد والواردين ولاحرار والعبيد والبادى والمخاضر وقل من يفصح منهم بما فى نفسه من حوائجهم وانما يشير الى مراده اشارة خفية ويومى الى مقصوده ايماء لا يفهم المخاضرون له منه مرادا فيجيب رضى الله عنه كل احد عما فى نفسه كانه يشاهده منعا او اطاء نصريحا او ايماء

فقل للذى لم يزل يمدى من السر وردا به يروتى
اذا صنت سرا فكُن هكذا ~~والأفلس~~ ولا تلتسوى

وما زال رضى الله عنه يتكلم بالكلمة يتجاذبها بين يديه عدد كثير وكلهم يروى انه اليه بذلك يشير وان كان بعض من لازم الشيخ واستقروا احواله يزعم ان اول كلمة يسمعها الزائر من الشيخ هى التى تخصه فى مراده وان كل ما يسمعه سواها له ولغيره من الواردين قبله وزعم غيره ان الامر المستقر من حال الشيخ مع الزائر اذا سمع منه كلمات عديدة ولم يدر ما يرجع الى حاله منها انه يتفقد ما يبقى من ذلك فى حفظه بعد انفصاله عن المقام فما كان من ذلك فهو الذى يقتبس منه مراده فيما ارادة وعلى كل تقدير فهذا سر عجيب له رضى الله عنه

* المنقبة الثانية *

كنت يوما واقفا بين يديه رضى الله عنه والى جانبي احد فضلاء الاصحاب وهو رضى الله عنه يناوب الناس فى الكلام على عادته وهو يومئذ فى غاية البسط فاخرج رضى الله عنه يديه وكأنهما كانتا فى قطننة او كأنه خرج من ديماس فاسر الى صاحب المذكور انظر نظافته هاتين اليدين فقلت له سرا فيما بيني وبينه هذه حالة من لا يصلى تعريضا منى بمن يقول انه لا يصلى فقال رضى الله عنه الذى يجئ الى موضعا يرفى حينه

فادهشنا سمع الزجر منه بقول واضح المعنى جلى
فسر حديثنا فيعود جهرا لديمه وهكذا سر الولى

* المنقبة الثالثة *

كان بتونس مركب مريد السفر الى المشرق فى اواسط صام سنة وستين وثمانمائة فركب فيه من تونس خلق كثير واكثرهم انما سافروا فيه باذن الشيخ رضى الله عنه ثم لما مضت له ايام بعد ان اطلع مسافرا صرخ بين اظهر الدس صارخ ان المركب تاجر فيه بعض ما رده الى احدى مراسى ساحل المهدية وشاع ذلك فى الناس وتحدث به العام والخاص فاتفق ان تكلمت فى ذلك مع بعض الاصحاب ونحن بالزاوية العروسية وفوق سطح الشيخ منها وكانا ملنا الى صحة ما يقوله الناس من عدم تيسير سفر الميكب فقال بعض الحاضرين الشيخ رضى الله عنه بين اظهروا ونحن تحبط عشاء ثم انه تقدم الشيخ وقال يا سيدى صحيح ان المركب رجع فقال رضى الله عنه لا ثم قال له يا سيدى يصل الى الاسكندرية سالما قال نعم وذكر لى جماعة من اصحابه انه رضى الله عنه كان ينادى فى تلك الايام اهل هذا المركب حيرونا ثم يقول يا من له الملك يا حلیم لا يجعل سلم الخشب فاتفق ان عاد المركب المذكور بعد سبعة اشهر او نحوها الى تونس من الاسكندرية بعد ان راوا فى توجههم الى المشرق شدة عظيمة اشرفوا منها على الفرق والهلاك لكنهم اشيوا برحمة الله فحينئذ بدا للناس ما قد اشار به من العقبي الحميدة وبان لهم بصر الله ~~سسر~~ به يخص مولانا مجيبه

* المنقبة الرابعة *

جئت يوما لزيارة الشيخ رضى الله عنه فوجدته فى حال البسط والناس عكوف حوله وفيهم احد فضلاء اصحابه وهو يخاطبه فى مسالة بنوع من الرمز عنها ثم ان الشيخ اجابه من ذلك بما فيه نوع من الزجر عن شئ فعله ثم انه اخذ بي ناحية عن الناس واخبرنى ان الشيخ كان امره ان ياتيهم بنوب يحتاجهم للبسه وانه تكلم فى ذلك مع انسان ثم تعذر

الامر فيه فقلت انا والله اولى بهذه الخدمة ثم انصرفت لوقتي واتيت به بنوب من ثيابي فاحذته واخفاه تحتته ونحن بسفلى الزاوية وقال لا بد ان تصعد معي الى الشيخ فلما اشرطنا عليه رضى الله عنه وجدناه قائما كأنه ينتظرنا ثم قال هات الثوب كأنه يراه او كانا واعدناه به فقلت الله اكبر جئت قدرة من اطلعك على سرتنا واعلمك بغائب امرنا ثم انه رضى الله عنه تناولوه من يده وقصد النواله ثم فتحه بين يديه وجعل يقول على هذا كنت افشش ثم لما كان من الغد أصبح وقد لبسه فوق سائر لباسه وفي آخر النهار نفسه جعله تحتته مباشرة لجسده المبارك فكنت ارى لذلك ان الله تبارك وتعالى اراد اللطف بي وتدارك وكان ذلك احب الي من حمور النعم واقر لعيني من كثير من النعم

ولكن ارجو الله جل جلاله وقد جاد فضلا ان يوفق للشكر فقيده لا يابى الشكر والسلب غاية لمن لم يقم بالشكر للانعم الغر وهذا بعض ما يحسن ذكره مما رايناه فلنصرف العناية الى كتب ما قد روينا

* المنقبة الخامسة *

من الحاج ابي الحسن علي النفاثي وهو واحد اولاد الشيخ لا قدمين قال جئت من طرابلس متوجها الى تونس ومعى اربعة عشر رجلا ونحن في قارب فلما انتهينا الى موسى راس المنجز واذا بسفن اربعة للنصارى قد توجهوا لاختذنا بحيث لا يمحى لنا منهم ولا منجى لنا منهم وفيما بيننا وبينهم قدر ما يصل سهمهم الينا ان لو رمونا فسقط في ايدينا ولم يبق إلا الرجوع إلا الله تعالى بصدق الاضطراب اليه وناديت يا سيدى نهيتنى ان اذكرك إلا عند الشدائد واى شدة اكبر من هذه لاسر والكبل والذل بين اعداء الدين فما انعمت الكلام إلا والشيخ عندي في القارب يريد سيدى احمد ابن مروس ومعه سيدى محمد شوشو رضى الله عنهما فوضعا ايديهما على راسي وقالوا لي لا تخف لا بأس عليك ان شاء الله فرمت ان اكلهما او اخبر اصحابي فمعت الكلام حتى غابا عني فكانت طريقتنا بين سفن النصارى بحيث

نرى احوالهم كلها ونشاهد منهم ما يشاهدونه من انفسهم ولو مدوا ايديهم الينا مثلا لتناولونا واعصى الله تعالى ابصرهم عنا ونجانا منهم ببركة التجاعى الى الشيخ رضى الله عنه

فصدق بقوله المولى والمولى سلامته الذين به استلادوا وكيف يضام من يعزى اليه ويظلم وهو في الوقت المسلاذ قال فلما وصلت الى تونس وقفت بين يدي الشيخ رضى الله عنه تبسم رضى الله عنه وقال لي الحمد لله على هذه الساعة الآن زال عنك الهم فقلت له يا سيدى من حين رايتك في القارب معى زال عني الهم فرماني بتفاحة كانت في يده ووضع سبابته على فيه كأنه يقول لي اسكت ثم انصرفت الى سيدى محمد شوشو فقال لي حين سلمت عليه يا ولدى طلبناك من الله وإلا كنت في ارض النصارى حيرتني وحيرت سيدك رضى الله عنهما واعاد علينا من بركاتهما بمنه وكرمه

* المنقبة السادسة *

عنه ايضا قال كنت في جماعة من اصحاب الشيخ رضى الله عنه وقد استغرقنا في الحديث ونحن مستندون الى حائط لا نرى به بأسا واذا به رضى الله عنه قد قام من موضعه منزعا وهو يقول اولادى في خفارة الله فانزعجتنا لانزعاجه متوجهين نحوه فما بعدنا عن الحائط إلا يسيرا واذا به قد سقط في موضع قيامنا ونجانا الله تعالى منه فعلنا ان حركته تلك كانت سبب سلامتنا ونجاتنا رضى الله تعالى عنه

راى الامر غيا الى هلكهمس يقول اذا هو لم يستغيث فابدى الصراعة كي ياجتسوا اليه وما الغوث ان لم يغيث

* المنقبة السابعة *

عنه ايضا قال كنت تزوجت ابنة عم لي ودعاني ابوها للبناء بها فعجزت عن ذلك لصفة فقرى وقله ذات يدي وما سمحت نفسي بفراقها لتعلق

القلب بها لما اسمعه منها من الجمال البارع فشكوت ما اجدته من ذلك
للشيخ رضى الله عنه فقال لي انا آخذ معك اذن النقة واعطاني مسحة
وامرني بالخدمة في تراب كان هنالك فقلت في نفسي هذا الشيخ
اذا الكذا مثل سيدى فتح الله يتعب اولاد الناس بغير فائدة فاشرف
علي رضى الله عنه وقال لي اترك الخدمة وروح نفسك والله تعالى يسامحها
فيما ظنت بي ثم انه رضى الله عنه امرني بدفن حجر كانت بين يديه
طويلة فلما فرغت من دفنها قال لي اجعل عند راسها حجرا وصد رجلها
حجرا ففعلت وصار ذلك في صورة قبر فقال افسل يدك عليه وارح
نفسك فقد حصلت في الدار ثم اني خرجت للمرسى بنية الزيارة فلما
عدت جئت الى الشيخ رضى الله عنه فقال حين رآني الان اراحك الله
فلا سبيل ان تتحدث في التزييع والفضول فخرجت الى منزلى ببرص
نفات فلما دنوت من منزلى وجدت اخا لي وهو يبكي فقلت له ما الذى
يبكيك فقال ان اهلك مائت وكنت على يقين من موتها من حين دفنت
الحجر وكان بين ذلك وبين موتها ثلاثة ايام رضى الله تعالى عنه
تصرف في امره طاهرا ليصرف منه الغرام الميل
فأب وما ذاق طعم الهوى باجر جزيل وصبر جميل

* المنقبة الثامنة *

عنه ايضا قال لما اردت التوجه الى المشرق بقصد الحج شاررت الشيخ
رضى الله عنه فقال لي بياى شئ تحج اين الزاد والراحلة فقلت له
اتوكل على الله واذا احتجت الى شئ انادى يا سيدى احمد فاستبشر
رضى الله عنه لسماع هذا الكلام منى وقال لي وقد بكى رضى الله عنه تمشى
في برقة وترجع في برقة وتفقد بصرك ويصيبك النسخ وتبي في جبل
الياس وذكر لي اشياء غير هذه فقلت له لا بد من المشى فقد سافرت
ووقفت على كل ما ذكره لي من هذه المسائل كلها واحدة واحدة ومنها فقد
البصر فانا اعمى كما ترونى رضى الله عنه
ابدى له كلما يلغى ليحذره فلم يساعده في احواله القدر
ولو سعى كل من في الارض واجتهدوا ليدفعوا عنه ما يلقاه ما قدسوا

اذا كان ينجد في شهوة بها قد تعلق قلب المرید
فكيف اذا شيك من دهره بما لا يطيق وما لا يريد

* المنقبة التاسعة *

عنه ايضا قال وجهنى الشيخ رضى الله عنه الى بلد العناب في بعض حوائج
الزاوية فلما وصلت الى القنطرة وجدت الماء قد كساها وعلا عليها فحملني
انا والحمار الذى كنت اركبه فلما تحققت الغرق وضعت احدى يدي
على لاخرى واسلمت نفسي لله تعالى وانا لا اعرف العوم وجلت اقول
هذا جزاء من يخدم الصالحين بعثونى في حوائجهم واموت غريقا ثم قلت
اللهم اشهد انى اموت على كلمة التوحيد فلم ادر ما بى واذا يقوم حملونى
مع حمارى والقونى خارج الوادى وانصرفوا عنى وانا لا اعرف من هم
وكل ذلك ببركة الشيخ رضى الله عنه

فهكذا فليكن من رام منزلة عظمى لها عند اهل الله مقدر
يقى المرید من لاسوا ويحفظه سرا وجهرا وان شطت به الدار

* المنقبة العاشرة *

عنه ايضا قال لما اردت التوجه الى المشرق بقصد الحج شاررت الشيخ
رضى الله عنه فقال لي بياى شئ تحج اين الزاد والراحلة فقلت له
اتوكل على الله واذا احتجت الى شئ انادى يا سيدى احمد فاستبشر
رضى الله عنه لسماع هذا الكلام منى وقال لي وقد بكى رضى الله عنه تمشى
في برقة وترجع في برقة وتفقد بصرك ويصيبك النسخ وتبي في جبل
الياس وذكر لي اشياء غير هذه فقلت له لا بد من المشى فقد سافرت
ووقفت على كل ما ذكره لي من هذه المسائل كلها واحدة واحدة ومنها فقد
البصر فانا اعمى كما ترونى رضى الله عنه

ابدى له كلما يلغى ليحذره فلم يساعده في احواله القدر
ولو سعى كل من في الارض واجتهدوا ليدفعوا عنه ما يلقاه ما قدسوا

* المنقبة الحادية عشرة *

عنه ايضا قال كانت امرأة لها اعتقاد جميل في الشيخ رضى الله عنه فكانت تأتيه كل ليلة بتقصيع فيها طعام فكان رضى الله عنه يتركها لئلا ليلة فناخذها منها وياخذها هو لنفسه ليلة ومضى العمل على ذلك مدة طويلة فاتفق انها اتته بذلك ليلة على العادة وكانت نوبة الشيخ فتقدمت لاخذها منها لنفسى فزجرنى عن ذلك وكنت لا انزجر فقال انها نوبتى فقلت لا بد لى منها فقال كذبت فاقسمت لى على ذلك فقال كذبت فحلفت لى بالصوم على اخذها فقال كذبت ثم انى اردت التقدم لاخذ ذلك فما قدرت على تحويل قدم من مكاني ونهضت لذلك جهدى فكانما الصقت بالارض فجعل رضى الله عنه يقول لى خذها وانا لا اقدر على حركة ثم قال لى يازفيت تبقى هكذا فقلت استغفر الله واتوب اليه ثم انه اخذ الطعام من يد المرأة وقال لى انصرف فانصرف وقد زال ما كان بي مما كنت اجده من التقاف رضى الله تعالى عنه ونفعا به تعرض للمقت في فعله ~~سـ~~ وقد صل عنه طريق لالذ ولو كان يعلم ~~سـ~~دارة لعص البنان اسى وزدب

* المنقبة الثانية عشرة *

عنه ايضا قال كان عندنا بالزاوية والشيخ رضى الله عنه اذ ذاك في بيته السفلى شيخ كبير فان اعمى فقد رآه وقع في بئر الزاوية وهو طويل جدا فقال الشيخ في بيته بنفس ان وقع الرجل الله فقلت لى يا سيدى هذا شيخ كبير اعمى وقع في البئر فقال اخرجوه فهو سالم ما به سوء فاخرجناه سالما لم يتأثر فيه شيء وكأنه قط ما وقع في البئر وما كنا نرى إلا انه تهشم ومات فسلم الله تعالى ببركة الشيخ رضى الله عنه

فانظر الى الصديق وآساره ~~سـ~~بدو على احوال ارباب ~~سـ~~
بذلك سره الله ازاج لاذى ~~سـ~~من دجالة الموت من باب ~~سـ~~

* المنقبة الثالثة عشرة *

عنه ايضا قال كانت امرأة في محنة عظيمة وصاحب كبير ومرض مهلك من امراض الجن اشرفت من ذلك على الهلاك فبرما مرة والفت بنفسها من اماكن العطب مرارا متعددة فاتوا بها الى الشيخ رضى الله عنه وافاوموا بين يديه وحى في غمرتها فقال رضى الله عنه يخاطب الجنى وعرة الله انى لم تخرج منها لاحرقتك قال ففرج الله عنها من حينها وما انصرفت الا وحى في اكمل حال من صحتها وغلبها ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به تبارك الله هذا سره ~~سـ~~ ومن يقول لى لالذ قد بدوا شيخ هو البحر والسر المناسج لى به كما قد رايت الجن قد قهرها

* المنقبة الرابعة عشرة *

عن الشيخ الامام لاكمل ابى الحسن علي الغزى القاطن بقمرت احدى قرى قرطاجنة من عمل تونس المحروسة وقد كنت زورته يوم السبت خامس العشرين من ذى القعدة عام ستة وستين وثمانمائة قل كانت امرأة بتونس لها ولد صغير خرجت به يوما وفي عنقه درهم من الذهب له قيمة جليلة فتأخر الولد عن امه قليلا او تقدم لاشتغالها عنه بمن معها واذا به قد عاد الى امه وقد اخذ منه الدرهم فاخذت المسكينة في البكاء والعويل وتلفت فما نفعها ذلك وصاق عليها الامر فتصدت الشيخ رضى الله عنه واخبرته بمصيبتها وجعلت تبكى بين يديه فقال لها رضى الله عنه ما عندك امين يمشى وامرأها بالانصراف فانصرفت ثم عادت من فورها اليه وقالت هذا مكاني بين يديك حتى تجبرنى بدرهمى فاحذ رضى الله عنه يجاملها لتصرف فابت الى البكاء بين يديه وقال واتفق ان الذى اخذ الدرهم وضعه في بيته وخرج فجاءت اولم تر رد الدخول الى البيت فاشرفت على اسد ظم في وسط بيتها فولت هارب ~~سـ~~وخيرة وما زالت الى ان دخل عليها زوجها وحى في امر عظيم ~~سـ~~رأته فسالها

عن مصابها فاخبرته فاكذبها وقصد البيت فتعاه السبع وله زئير واراد ان يثب عليه فولى هاربا وقال لاهله انما اصابنا هذا من الدرهم الذي اخذناه فلقد مررت الساعة بزاوية سيدى احمد ابن عروس فوجدت ام الولد تبكى بين يديه وهو يصبرها فقالت لابد ان ترد لها درهمها ما لنا به من حاجة فطابت نفس الرجل برده دون تردد في ذلك واراد اخذ الدرهم ففتكفوف مما راي وما زال يذن من البيت خائفا متوقفا الى ان اشرف على وسطه فلم ير شيئا فدخل واخذ الدرهم وهدمته الى الشيخ فامطاه لصاحبه رضى الله عنه

فمن سره هذا ووصف كماله تزاح به البلوى وتستدفع اللوا ويرجو به من دق باب سماحه بصدق غنى دنياه مع جنة الماوى

* المنقبة الخامسة عشرة *

منه ايضا قال اخبرني بعض فقهائه تونس الرشيين للعدالة بها قال تطلعت الى التحدث في العدالة والخير في امرها وامتدت النفس منى الى ذلك فقلت لا بد ان اقف على الشيخ ابن عروس فعسى ان يبدو لي من كلامه بعض ما يرجع الى مرادى قال فلما وقفت بين يديه قال لي رضى الله عنه وما فاتحتك من مسالتي بشئ سوى انى اصبرت ذلك واخفيتك في سرى علي الطلاق عدالة ما نعد لك ولا تراها قال فاخبرني من نفسه بهذا الوطن ثم انه مات رحمه الله وما حصل من مقصوده على شئ وقد كان اقرب الناس الى ذلك رضى الله عن الشيخ ونفع به

فجل الذي منته رفعه منا على السر قد اطعمه
نسر المراء في يدي لنا حديثا يعرفنا مطلعهم

* المنقبة السادسة عشرة *

عن الشيخ ابي محمد عبد السلام بن عمر اللواتي الساكن بجنة الشيخ رضى الله عنه قال لما اخذ الشيخ ابن عبد العزيز ادركني من ركني اليه

ممننة عظيمة لم تترك لي سبدا ولا لبدا فاجبات الى الشيخ رضى الله عنه وعرفته وكنت اتردد اليه فكان اذا رآني يقول لي انت متاعى فاقول نعم فلما كان بعد ايام اخرج رمانه وجعل يقلبها في يده ويعمن النظر فيها ويلاحظني في البناء ذلك ثم رمى بها الي وقال هذا برج مليح كلها انت وعجوزك فاخبرت عجوزي بمقالة الشيخ وكانت عندنا سمراء وربيناها اعطيتها ثلث الرمانه فلما وقفت من الغد بين يدي الشيخ قال لي رضى الله عنه لا غالب الا الله ادخلت معك الشريك ثم بعد مدة باشهر حبس السلطان الفندق في جملة اصول منه جنة عظيمة معتبرة فيها برج عظيم وبنية معتبرة فلما كان وقت الغلة استشاروا الشيخ فيمن يسكن الجنة ويخدمها وذكروا له جماعة من اصحابه باسمائهم فما اذن لواحد منهم قال وكان بعض اصحابنا فيمن حضر كلام الشيخ عند مناقشة الرمانه فذكرهم بي وذكروني للشيخ فقال رضى الله عنه حتى اراه فلما حضرت قال انت هو اخرج لجناتك انت طلبتي وانا اعطيتك فشكوت له ما انا فيه من الفاقة قال لناقبه ادفع له كل جمعة من الطعام واللحم والزيت كذا القدر سماه فسكنت الجنة وما وافاني بما كان امره به الشيخ رضى الله عنه واقمت في عيش ضيق فبعد ايام رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وكنت ميمون النقيصة في مزاوله الجان وخرجت عن ذلك فقال لي عليه السلام يا عبد السلام اذا اعتقت جسدا من العذاب اعتق الله جسدك من العذاب وتجاوزني في الجنة فقلت له يا رسول الله علي عهد الله ان كل من ياتيني لذلك امشي معه فلما اصبحت الصبح جئت الى الشيخ رضى الله عنه فقال لي حين رآني سرحتك فقلت في اي شئ سرحتني يا سيدى فقال لي نسيت الذي رايت البارحة في النوم فقلت الله اكبر وعلت مراده رضى الله عنه وصرت من يومئذ اعاليج كل من ياتيني لذلك وغالب ظني انه يعالج بشئ من القرآن دون ما يتعاده الغير في ذلك من العزائم ولا لفاظ التي لا يعلم لها حقيقة قال وكل من زاوله يعافيه الله تعالى وانا

اليوم من امر آخرتى ودينائى فى نعم الله والحمد لله وكل ذلك ببركة الشيخ
رضى الله عنه

فعلق رجاءك بالشيخ ان اردت سلوك سبيل الفلاح
فان خوارقه ----- لها اليوم اذن اهل الصلاح

* المنقبة السابعة عشرة *

عنه ايضا قال وقفت يوما بين يدى الشيخ رضى الله عنه فقال لى نحن
لا نحترث فى هذا العام فقلت له على بركة الله وقال لى بعض من سمعه
من يتسمى اليه لا تترك السبب لكلام هذا الشيخ فلما كان وقت الحرث
عمات بمقتضى كلام الشيخ فى ترك الحرث لكنى اردت الوقوف على قول
معارض الشيخ فى امره لى بترك الحرث فزرعت قفيزا واحدا ونصف قفيز
من القمح فى موضع وزرعت من الفول فى موضع آخر نصف قفيز فلما
كان الصيف لم يزد ما جمعه من ذلك على قفيز ونصف من القمح ونصف
قفيز من الفول وذلك ما كنا زرعنا وما زدنا على ذلك صاعا ولا قمصناه وجئت
الى الشيخ فلما رآنى قال لى من صدق انا او هو فقلت انت الصادق فقال
اخذنا الزريعة والحمد لله فلما كان العام المقبل قال لى رضى الله عنه
نحترث السنة ونجمع كثيرا من الزرع ونحصل مائة وخمسين قفيزا قال
فعملت على قول الشيخ وكثرت الحرث فلما كان الصيف واخصب الزرع
وجدنا فى المحاصل من زرعنا فيما بين القمح والشعير مائة وستين قفيزا
بزيادة عشرة اقدرة تحقينا لصدق قوله رضى الله عنه

اذا قال قولا فقف ----- ودع عنك ما قد تكن الصدور
فبالاذن ينطق فى امرنا ----- وعنه كذاك يكون الصدور

* المنقبة الثامنة عشرة *

عن الحاج المعتقد التالى كتاب الله تعالى ابنى الشاء محمود قال سافرت حاجا
فى عام خمسين وثمانمائة فلما وصلنا ونحن فى ركب كبير الى جبل المياس

خرج علينا من الحارين نحو من خمس مائة فارس وذلك فى ليلة الاثنين
الخامس عشر من شهر رمضان المذكورة وباتوا محدقين بنا وما فى
الناس الا من يستغيث بسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه فلما
اصبحنا سار الحاربون عنا وتركوا كأنهم لا يريدوننا وكان ذلك مكيدة
منهم فتركوا الى وسط النهار عند اول وقت الظهر والركب قد رحل والناس
على ظهر وانغاروا علينا من كل جهة من الجهات واحدقوا بنا وكان من
الراى عندنا ان اناخ الناس ركائبهم وتوجهوا للقتال والعلام ثابت لا يتحرك
فى يد ماسكه والناس ينادون بالشيخ رضى الله عنه فسكر كل من
كشف الله تعالى على بصيرته يدى الشيخ واقفا مع العلم وكان الناس
يرون الحجر ينزل على العدو من الهوى ولا يرون من يرمى به والشيخ
فى هذا كله لا يتحرك حول العلم الى ان هزم الله العدو وولوا عنا مدبرين
وكانت لنا الطائفة عليهم ببركة الشيخ رضى الله عنه قال فلما رجعنا بعد
جنا الى تونس اجتمع بى فى جامع الزيتونة الشريف السلوى وقال لى
حدثنى عن ركبكم هل عرض له عارض خوف وانتم مصعدون ليلة الاثنين
ويوم الخميس عشر من شهر رمضان فقلت له وما ذاك فقال ان الشيخ
سيدى احمد ابن عروس كان ينادى فى ذلك الوقت كله يا حجاج لا
تخافوا وهو فى امر تطيم فعلمت ان ذلك انما هو لامر عظيم اصاب الهجاج
وعارض عرض لهم فارخت ذلك واهذا سالتك فاخبرته بما كان
بيننا وبين الحاربين من القتال وان الشيخ رضى الله عنه فى خلال
ذلك كان واقفا مع العلم لا يشك فى ذلك من رآه منا ولا يرتب قتل
فذكر انه كان عندهم بتونس فوق سطحه على الصفة التى ذكرنا ونحن
نراه عندنا والوقت واليوم والشهر واحد رضى الله تعالى عنه واعاد علينا
من بركانه

ولا بعد فى مثل ذا عندهم وان كان امرا لدينا غريب
وكل الذى قد ترى منهم بعيدا فذلك امر قريب

* المنقبة التاسعة عشرة *

عنه ايضا قال لما توجهت الحلة المظفرة العثمانية لآخذ نقطة احدى بلاد
الجزيرة وجه معها الشيخ سيدي احمد ابن عروس فقيرا من فقرائه مجهول
العين لا يعرفه كل الناس وكان قريب مهد بالاندلس قد وجهه الشيخ
لحضور غزوة عظيمة كانت بين المسلمين والنصارى وكانت الطائفة فيها
للمسلمين ببركة الشيخ رضى الله عنه وبنفس قدومه وجهه مع الحلة
فكان يرحل مع الناس ولا يعرفه احد فلما اخذت نقطة وكان اخذها
مند المغرب بات قواد السلطان محدقين بها من كل جهة من الجهات فلما
اصبح خرجت وانا اريد الركوب واذا بذلك الفقير قد اقبل الى وانا لا
اعرفه وقال لي انت الحاج محمود فقلت له نعم فقال لي رايت البارحة
في النوم سيدي احمد ابن عروس وبين يديه سيدي محمد شوشو وقال لي
امش الى الحاج محمود وقل له يمسي الى الخليفة ويقول له هذه امرأة
حامل ولدت مولودا ذكرا ففرحت به ثم انها رأت ليلة القدر فدمت
ولدها تحتها وقالت انا ولدي في خفارة الله ويا امير المؤمنين هولاء في
خفارة الله يريد اهل نقطة واين العهد الذي بينك وبين الله قال فنكست
راسي وفكرت في هذا الامر كيف اقدم به على السلطان ولا اعلم صدق
ذلك من كذبه فلما رآني كذلك قال لي ان الشيخ اخبرني انك اذا اخبرتك
تبقى مفكرا في هذا الامر مترددا في صدقي وعدم صدقي كما رايتك منك ولكن
قال لك بامارة انك مررت بي يوما فقلت لك مت بالجوع مت بالجوع
مت بالجوع ثلاث مرات قال فقلت له حينئذ صدقت وصدق رضى الله
عنه وكان هذا الكلام من الشيخ لي قبل هذا الموطن باربعة اعوام وسببه
ان الفاقد نبيل راودني يوما على الخدمة بكل وجه فابيت فقال لي لا
نلني من هذه الساعة فخرجت من عنده مغضبا وانا اقول ان كان رزقي
على يديك فدعني امت بالجوع ومررت في تلك الساعة بالشيخ فاشرف

علي وقال لي مت بالجوع مت بالجوع مت بالجوع اي ولا تخدم احدا
غير الله تعالى قال فلما صبح عندي مقال الفيرسرت من فوري الى السلطان
واخبرته بذلك كله فقال لي صدق ثم انه نادى قواده وارباب دولته
وقال لهم بادروا وامنعوا المسلمين وامر بالرحيل عنها من حينه ليعبد الناس
من اذاية اهل البلد امثالا منه لأمراولياء الله تعالى رضى الله تعالى عنهم
ونفعنا بهم

تكمل وصفا باذنه لأمروني علي المقام
فكف لاذني واعتدى واحلا ليصرف السوء بترك المقام

* المنقبة المئتمة العشرين *

عنه ايضا قال اجتمعت بمكة شرفها الله تعالى مع رجل من البحاورين
بها من اهل تونس قال اشتبهت نفسي علي مرة الكسكس بالسمن واللحم
البقرى والكرنب فلما كان الليل وانا جالس واذا بانسان ناولني قصيعة
من عود عليها غطاء من عود ففتحتها واذا فيها جميع ما اشتبهت على
الوجه لاكمل وعرفت القصيعة انها لنا فتخبرت في امرى واخذت
القصيعة عندي فلما رجعت الى تونس واجتمعت بوالدقي اخبرتها
القصيعة وقلت لها اليست هذه لنا قالت نعم فقلت لها كيف الخبر
قالت زرت يوما سيدي احمد ابن عروس وقلت له يا سيدي اشتقت
الى ولدي فقال لي اريد قصيعة بالكسكس والسمن واللحم البقرى والكرنب
وابنك ياتيك ان شاء الله فصنعت له ذلك وحملته اليه في هذه القصيعة
وأخر العهد بها انها عنده رضى الله عنه

وهذا قريب ولكنك قريب لى الشيخ في خطوته
وكيف ومن سره انك اذا سار فالارض في خطوته

* المنقبة الحادية والعشرون *

عنه ايضا قال هربت وصيفة سمراء لابراهيم ابن الفاقد نبيل واستقرت

بالزوجة العروسية عمرها الله بذكره فجاء ليخرجها ومعه الخدام فامرهم
بإخراجها مكرهة فاشرف عليه الشيخ رضى الله عنه وقال له يا بيضون
طويت حصيرتكم او قتل انطوت حصيرتكم قال فلم يمض له بعد هذا
الوطن الا ايام قلائل كالخمسة الايام او السبعة وحل به المسكين وبوالده
وسائر حواشيهم ما هو معلوم مشهور من اخذ السلطان لهم واستيلائته على
اموالهم وكبسه عليهم وغير ذلك وحقق الله بذلك فقال وليه رضى الله عنه
وكم وام ذو عزة قلبه من الشيخ مثل ستور المحرم
فعوجل بالاخذ عن بغتة وازعج عن قاصرات المحرم

* المنقبة الثانية والعشرون *

عن الفقيه الاكمل الاراس ابى عبد الله محمد بن عبد الكويم ابن الكماد
صاحب الاشغال بتونس قال سمعت سيدنا الامام السلطان ابا عمرو عثمان
ايده الله ونصره يقول رايت في النوم كاني تناولت القمر بيدي او كلام
هذا معناه فلما كان صبيحة تلك الليلة اتى الي بعض اصحاب الشيخ رضى
الله عنه وقال لي سيدى يسلم عليك وقال لك يا صاحب القمر اطعمنى التمر
اذا كان يراعة في امسه ويجرسه في حديث المنام
فكيف اذا الحزم ابدى له شريد المعالى لوى الانام

* المنقبة الثالثة والعشرون *

عنه ايضا قال كنت بين يدي الشيخ رضى الله عنه والناس حينئذ في
ازمة وغالب ظنى ان الفقيه الامام الصدر ابا عبد الله محمد البيدمورى
متولى النظر في الاحباس بتونس المحروسة للتاريخ كان معي فقال الشيخ
رضى الله عنه اعز بالله من الشيطان الرجيم اقروا فقلت استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية فاغاث الله بالطر الوابل
الكثير الغزير في الليلة الموالية لذلك اليوم الذى تلا فيه الآية رضى
الله عنه

فقل هكذا للذى لم يسزل يرى الرعد غيا ولا يتنقل
نشمس الحقيقة قد اشرفت وداعى الرشد دعاه استغل

* المنقبة الرابعة والعشرون *

عنه ايضا قال تزوجت امرأة فمرضت قبل البناء بها وجاءت الى دارى
وهى بحالة المرض وكانت النفس متعلقة بها فتصدت الشيخ رضى الله
عنه وحملت له بعض شئ من الغنم تبركا به فلما وقفت بين يديه قال
رضى الله عنه وما فاتحناء بكلام الخابية انكسرت ودخل تحتها اثنان عند
الراس واثنان عند الرجلين واثنان في الوسط قال فعلت من كلامه انها
لا تنوم من مرضها ذلك واتفق انها ماتت وما اقامت في دارى هذا
سنة ايام ودخل تحت نعشها من الحماليين الذين حملوها لدفنها العدد
الذى ذكره الشيخ في الخابية ومن الله سبحانه علي بعد وفاتها مع
تعلق القلب بها بالصبر الجميل ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به
راى العمر غيبا تقضى وقد دعاها الى الله داعى الرجل
فاخير بالاذن عسسا راى وما الامر في مثل ذا مستحيل

* المنقبة الخامسة والعشرون *

عن الفقير قاسم بن احمد الزيات وكان من الافاضة في معرفة الشيخ
رضى الله عنه قال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه واذا برجل لا
اعرفه قال لي ائت من هذا اوضع فقلت له نعم فقال ان هذا الشيخ
كنت لا اعتقده وكان لي جارح فرأى له كرامة عظيمة حدثني بها عنه
فصرت اعتقده واحبه من حين سمعت ذلك منه فقلت له وما هي
الكرامة التي حدثك بها فقال لي كنت في الدرب وهندى ذاقة عليها
جميع ما املكه نذت عن الركب وجريت في طلبها امدا بعيدا فما رايت
لها عينا ولا اثرا وصل الركب عنى فلا انا بمالى ولا انا بنفسي فاجلت الى الله
تعالى واستغثت بسيدى احمد ابن عريس ووعده ربع دينار فبهه انا في

تلك الشدة التي لا يعلمها إلا الله تعالى وإذا بسيدى احمد ابن عروس ومعه رجل آخر كان ملازما لباب البحر عندنا بتونس يقال له يسو كان يبول على نفسه ولا يراه احد يصلى وإذا ناقى بينهما فدفعاهما لى وقال لى الشيخ اذا وصلت الى تونس فلا تنس الوعدة فقلت له يا سيدى واين الركب فقال لى هذا الركب واذا الركب عندى فالتفت اليهما فلم ارحما فلما وصلت الى تونس جئت الى الشيخ يسو فوجدته بموضعه من باب البحر نائما بين ارجل الناس يداس بالاقدام فناديته فقال من انت فقلت صاحب الناقة وهذه الوعدة فقال ادفعها للشيخ فتصدت الشيخ فلما رآنى قال لى هات اعطنى ربع دينار فتناولته له وانصرفت رضى الله عنه ونفع به اذا كان من سره انفسه اذا اشتد امر ونودى يغيث فمن حزمنا انما كلنا نصعب امر به نستغيث

* المنقبة السادسة والعشرون *

عنه ايضا قال حدثني بعض خدمته السلطان وكان لا يعتقد الشيخ رضى الله عنه قال جئت اليه يوما فقال لى انظر ما هنالك فنظرت فاذا راس كبش يقطر منه الدم فمسكته من اذنه وعلقته فقال لى اى شئ هو قلت راس كبش قال راس نعجة هو قلت لا راس كبش قال راس كبش قلت نعم قل اتركه ورغ عني فخرجت وما عرفت له مرادا فى ذلك فاتفق ان السلطان ارتحل متوجها للغرب وكان فى تلك الجبال سلطان يدعو الى نفسه فاتفق ان اخذ وقطع راسه وامسكت ذلك الراس من اذنه وعلقته فى يدي والدم يقطر منه ففى تلك الحالة وهو فى يدي تذكرت مسالة الشيخ فى راس الكبش فلما جئت الى الشيخ بعد العودة من سفرى قال لى رضى الله عنه امسكت الراس فى يدك فقلت له نعم قال مبارك رضى الله عنه

فحدث بهذا من الشيخ من اصاع من النصح ما قد يجب فان عاد للحق فهو المسنى والا فلا تلج من قد جيب

* المنقبة السابعة والعشرون *

عنه ايضا رضى الله عنه قال كنت يوما عند الشيخ الصالح ابى الفضل قاسم السريدك رضى الله عنه واذا بامرأة قد جاءت نحوه فهرب منها فنادته فدخل الى داره وذكرها فقالت للحاضرين وانا فيهم استقدوا هذا الشيخ فقلنا نحن على استقاده وما ذاك قالت كان لى ولد اسير ترك اهله واولاده وانا منه فى كرب لا يعلمه إلا الله ثم انى تحدثت فى امر قديته وابومت الامر فى ذلك وما عندي درهم واحد فتصدت بعض نساء ارباب الدولة واخبرتها بمسالتى فوعدتنى بالخلاص ثم انى عدت اليها من الغد فرجعت عن قولها وضربونى الحدام ضربا وجيعا فخرجت من عندها وقد نسيت امر ولدى بما اصابني وقصدت مقام سيدى محرز بن خلف وتضرعت عنده بما امكننى ثم قصدت سيدى احمد ابن عروس فلما رآنى قال لى انا وقاسم نفكوا ولدك وطردنى عنه فاخبرت الناس بكلامه وسالتهم من يكون من قاسم من اولاده قالوا هو سيدى قاسم السريدك والله اعلم فسالت عن موضعه وقصدته فلما ضربت الباب قال لى من داخل الدار انا وابن عروس نفكوه ففرحت بذلك وانصرفت وما عرفت للخلاص وجهها فبعد ايام رجعت الى سيدى احمد ابن عروس فلما وصلت الى باب الزاوية نادانى من فوق السطح وامرنى ان اسلم على رجل راكب على فرس لا اعرفه وكانه قد قدم من السفر فاستحييت وما زال يى الى ان سلمت عليه ورجعت الى موضعى فما جلست بالارض إلا ودارى قد امتلأت علي بالجيران وهم يقولون الناس يسلمون على وادك فخرجت وسلمت عليه وابى ان يدخل الدار حتى يسلم على الشيخ ولما عاد اخبرنى عن امره قال كنت يوما اخدم فى عريش منب وانا فى ارض النصارى على ساحل البحر واذا بسيدى احمد ابن عروس وسيدى قاسم السريدك قالا لى اطلع فى هذا القارب وامش الى اولادك واذا بقارب هنالك فركبت فيها ووجدت مقدافين فصرت احاول بهما الى ان خرجت الى بلد العذاب فاعطيت القارب

لفقراء سيدى ابي مروان ولما سلمت الآن على الشيخ قال لى واين القارب
فقلت اطيتها لفقراء سيدى ابي مروان فقال لى وانا فقراءى طحانين
هكذا رضى الله عنه

انتم وفي القلب منها جراح فابدى من الوعد ما قد اراح
ومن عليها بانجـــــــــــــــــازة فقل يدالويسر السراح

* المنقبة الثامنة والعشرون *

عن الميزن الصالح ابي الحسن علي بن محمد الصنهاجى عرف المازى
قال من عادتى مع الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه انى
احدى له لى كل وقت وردا من اورادى زيادة لى حسنة فاتفق انى
فعلت ذلك على عادتى فرايته رضى الله عنه فى النوم وقد عاتقنى وقبلنى
وادخل لسانه لى لى مع ريق فيه شئ من الفضة فابتلعت الريق
وابقيت الفضة ومن الغد جئت اليه ووقفت بحيث لا يرانى فسمعه
يقول والناس بين يديه ايما اطيب الريق او الماء وايما اطيب الفضة
او الكحاس فعلمت ان خطابه انما هو معنى فقلت له دون ان اريه وجهى
الفضة اطيب وانصرف عنه رضى الله عنه

نادب لى السرمع شيخه واحدى اليه ثواب العمل
فاحدى له الشيخ من ريقه وحياقه سوف يلقى لامل

* المنقبة التاسعة والعشرون *

عنه ايضا قال كانت اهللى حاملا فرايت لى النوم كان الشيخ رضى الله
عنه قد اشرق على موضعنا ففرحت به فقال اعطنى السلم لانزل فاتيته
بالسلم فنزل به وادخلته البيت واجلسته واتيته بمن عندنا ليتركوا به
وكافى فقلت لاهلى اعطه يمسح على بطنك فجعل رضى الله عنه يمسح على
بطنها وهو يقول محمد ان شاء الله ثم طلب منا زيتا فقممت لاتيته بالزيت
وانتهت من نومى فلما كان بعد صلاة الصبح اجتمعت بسيدى احمد بن

كحيل وكان يعتقد الشيخ فاخبرته بما رايت فقال لى يا ولدى لعل الشيخ
يحتاج شيئا من الزيت فاعطانى درهمين فاشتريت به كوزا وحملته الى
داره فملأه بالزيت وجئت به الى الشيخ ووقفت بمرأى منه والآية
تحتى اخفيته بحيث لا يراها وما كلمته فى ذلك بشئ فجعل رضى الله
عنه يردد النظر الى تارة بعد تارة ثم قال لى الكوز ملآن فقلت له نعم
فقال ذلك الزيت فيه الذبان والجراقل والتعل مرأى فقلت له غدا
اتنى به فاخبرت صاحب الزيت بمقالة الشيخ فيه فبكى وقال الزيت
فيه الشبهة فلما كان الغد رجعت بالزيت اليه فقلت لى احمله لدارك
يعملوا به الربحان احمد فحملته لدارى وبعد ثلاثة ايام ولدت اهلا لى
كان وضع يده على بطنها لى النوم ولذا سميناها محمدا ومصدق الله تعالى
مقاله رضى الله تعالى عنه

فقل للذى لم يزل عقلسه ويردى الفقى جهله فى مقال
ابعد اطلاق على مشل فا لى الفهم لى امره من مقال

* المنقبة المئمة الثلاثين *

عنه ايضا قال اردت الخروج ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم الى
زاوية الشيخ رضى الله عنه فادركت المرأة غيرة من خروجى وقالت انما
تريد املك الاخرى وما زال الامر يتفاقم بيننا الى ان حلفت لها بالطلاق
لا بد ان اخرج فخلت سبيلى وخرجت فلما وصلت الى الزاوية وجدت
الباب مغلقا فاشرف الشيخ رضى الله عنه على وقال يحلف بالطلاق
ويحب الدخول الى الزاوية ابن هذا الرباط واين هذا الفخر قال النبى
صلى الله عليه وسلم سكنوا ولا تنفروا مر لا سبيل ان تدخل فاحذنى من
كلامه امر عظيم وجلست ابكى واستغفرت الله تعالى مما كان منى ولجات
اليه تائبا متصلا فاشرف على وقال لى تتوب الى الله تعالى فقلت له نعم
فقال لى ادخل فدخلت رضى الله عنه

يقول المجهول عن الشيخ لا يوفى الحق من التربية
وهذا الحديث وامثالهم يدل على اعظم التوفيق

* المنقبة الحادية والثلاثون *

عنه ايضا قال كنت وقعت في الشيخ رضى الله عنه مرة بالكلام فرايته
في النوم في زاريتته وهو جالس على قم الماغل الذي في قاعها امام بيته
فاراد رضى الله عنه ان يمكثني فصررت برجلي وهربت عنه فادركني
ولاطفني وقابلني بالمحسنى ثم حملني معه الى جامع الزيتونة ولما انتهينا الى
بابه قال لي اقم ههنا الى ان اتوصا وارجع اليك ودخل فابطا عنى فادركته
ووجدت بين يديه في المكان الذي يورى فيه صحيح البخارى من
الجامع المذكور خصته بالماء الطيب الصافي الزلال فتوصا وصلى ركعتين
وخرج فلما وصل الى باب الجامع افقت من نومى واثبته رضى الله عنه
بعد ما اصبح فقال لي ذلك الوضوء رواية حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت الله اكبر

اشار بهذا الى ان الله من الشرع في السر لا يعدل
فان لام جهلا باحوالهم ملوم ففي العدل لا يعدل

* المنقبة الثانية والثلاثون *

عنه ايضا قال رايت الشيخ رضى الله عنه في النوم في مجلس عظيم وهو
شيخ الدرس في مكان مرتفع وعليه عمامة كبيرة محنكة والفقهاء بين يديه
وهو يتكلم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زلت احاول الى
ان وصلت اليه وجلست قريبا منه فاخذ صحيفة فيها دم وصار يهربها
على الناس وكل واحد يغمس في ذلك الدم اصبعه ولما وصلت النوبة
الي فعلت كما فعلوا لكن استكرهت فلما راى كراهتي لذلك قال لي رضى
الله عنه صدرك لا يسع ذلك الدم انت معتقد غير معتقد رضى الله عنه
الى الله ابسرا من ان ارى ولي في ولي قبيح اعتقاد

وهذا حديث اراك الشذى يرى الشيخ جهلا بعين اعتقاد

* المنقبة الثالثة والثلاثون *

عنه ايضا قال ختم الولد عندنا سورة الرحمن وما عندى درهم واحد يحمله
لمودبه فلما كان الليل وكانت نوبتي في البيت بصومعة جامع الزيتونة
ونامت العيون اشرفت على الشيخ رضى الله عنه من الصومعة وقلت
في سرى ياسيدى احمد تعلم فاقنى وقلت ذات يدي وقد انكسر فلبى
من عدم ما يعطيه الولد لمودبه في هذه الختمة واضربت في هذا المعنى
فسمعت رضى الله عنه يقول امش الى ابن صفور وكان حينئذ هو الناطر
في لاجباس بتونس فعلت ان الاشارة بهذا الكلام انما هي الي فلما اصبح
كثبت ورقة فيها مطلبى وحملتها لابن صفور المذكور فاعطاني دينارين فوالله
ما فرحت بشي فرحى بهما فاعطيت للولد دينارا يعطيه لمودبه واشتريت
له بالدينار الاخر بعض ما يصلح للباس ولما كان الليل سمعت الشيخ
رضى الله عنه يقول قسمنا نصفين اعطينا للمودب دينارا وكسونا الولد بدينار
فاخذنى العجب من عظيم اطلاعه اولا وآخرا رضى الله تعالى عنه واعاد
علينا من بركاته

وما فاك اعجب من قبيحة راوا مثل هذا وما اذعنوا
ويا ليتهم سلوا فافقتوا خفافا وفي القول ما امعنوا

* المنقبة الرابعة والثلاثون *

عن ابي الفضل ابن عوين قال كانت بجوارنا امرأة لها ولد اسير فكانت
تردد الى دارى بالشكوى فيبكت يوما لاجله بكاء شديدا ادركتني منه رقة
لحالها فامرتها بالوصول الى الشيخ رضى الله عنه وبث الشكوى بين يديه
ففعلت ذلك وذكرت له ما اعمها من اسر ولدها فامرها رضى الله عنه
ان تاتي به معن من عمل باجة فاخبرتنى به قال الشيخ رضى الله عنه
فقلت لها افعل ما امرك به فاشترت له المعين وجاءت به فاخذته من

يدها وارقفه باعواد صار بذلك في صورة الدلاع ثم قال لها انصرفي جنباه مع سبعة فبيعت المرأة نحرها من شهر واذا بولدها داخل عليها فاجتمعت بالاسير المذكور ورسالتهم عن مسالته فقال خرجت هاربا في سبعة من لاسارى واختفينا في غار ازيد من اربعة عشر يوما فينما نحن كذلك في الغار وانا نائم واذا بسيدى احمد ابن عروس نهني وقال لي قم للبحر فاقظت اصحابي وخرجنا الى البحر في الحين فوجدنا على الساحل قاربا بكل ما نحتاج اليه من المفاذيف وغيرها للصيادين فركبنا فيه وخرجنا الى بلد الغناب ببركتهم رضى الله عنه

فمن نعمة هكذا كلمنا اخذت تعدد اسرارها
مكن وذو العقل لا يرتضى على الشك في ذاك اسرارها

* المنقبة الخامسة والثلاثون *

عنه ايضا قال كان رجل غريب لا اهل له بتونس في السجن فاشتبه يوما الكسكس واللحم وسال الله في ذلك فاثابه انسان بذلك على الوجه الذي اراده وهو لا يعرف من هو ثم ان رجلا كان ساقى الطعام الى الشيخ في قصيعة صار يتردد اليه في طلب قصيعة وكلما كلم الشيخ في قصيعة يقول له مرقى الحبس ثم انه لما طال مراجعته قال له بعض المحاضرين ان الشيخ ذكر لك الحبس مرارا فادخله اختيارا لئلا تدخله اضطرارا فاني ارى انك لا بد ان تدخله لكلام الشيخ فامتثل الرجل ودخل الحبس فجعل يتفقد من هنالك من المتقين واحدا بعد واحد فوجد قصيعة عند رجل هنالك فامسكها وقال من اين لك هذه القصيعة فاخبره بامر شهوته واتفاقيته فيها فحمل الرجل قصيعة وانصرف متعجبا من امر الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفع به

لئن ظهر السر في مثل ذا ففي الف الف اراه اختفى
وذو الجهل ما زال في غمرة ولو كان يدري بهذا اكتفى

* المنقبة السادسة والثلاثون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه ابو عبد الله محمد بن عصفور قال حدثني فلان لرجل سماه من التالين لكتاب الله تعالى ممن له ختمة كاملة كل يوم بمقام الشيخ الصالح الولي الكبير سيدي ابي سعيد الباجي رضى الله عنه قال تالخر ختمة ضد هذا الشيخ مرة بحيث لا يمكنني المبيت الا في مقامه فينما انا كذلك واذا برجل ادلى الي قفة كبيرة وقال لي خذ مثلك منها فذعرت لذلك ورفعت راسي فاذا هو سيدي احمد ابن عروس لا اشك فيه ولا ارقاب ثم انه رضى الله عنه مد يده الى القفة وهو فوق الجدار وهي عندي والجدار فيه طول فطالت يده الى ان وصلت القفة فغرف لي منها ثلاث غرفات وقال لي في رقبتي منك اعداد وانصرف عني رضى الله عنه ونفعنا به

اذا كان يرفق من ارضهم تناءت من الشرق والغرب
قاولي القريب وذا كلمه لذى الفهم من امر العرب

* المنقبة السابعة والثلاثون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه الصوفي ابو عبد الله محمد الجيب قال حدثني الفقيه القاضي لاوحد السيد ابو الفضل بلقاسم القسنطيني قاضي الجماعة حينئذ بتونس الحروسية رحمه الله قال كنت نائما في اول الليل في دارى واذا بالشيخ فوق سطحه ينادى بصوت عال يا اهل تونس بات فيها الليلة ستة بغير عشاء ثم يقول علي الطلاق ان لم تطعموهم ما هي الا ليلة مشومة عليكم قال ذلك مرارا متعددة وانا اسمعه ثم اني قلت في نفسي من اهل تونس فيرى انا القاضي وانا المفتي وانا الامام فاذا المراد بهذا الكلام فامرت الخدام باخراج طير من دجاج عندنا ولما اردت ذبحه سمعت الشيخ يقول كأنه حاضر معي علي الطلاق ما نأخذ الا ستة فقلت الله اكبر وامرت الخدام ان يكمل العدد الذي ذكره الشيخ

وذبحت تلك الطيور واحدا بعد واحد وامرتهم ان يصلحوا من شأنها وان يصنعوا على ذلك اللحم طعاما ويحملوه الى الشيخ في بقية الليل ففعلوا ذلك ثم ان الذي حمل اليه الطعام اخبرني انه وجد الشيخ موثقا من السطح قدومه بالطعام قال فلما رأني ادلى لي حبلا وتناول مني الطعام وانصرفتم عنه رضى الله تعالى عنه ونفع به

تصدي مطاعا لعلم القضا وافقوا وبرم احكامهم
ولما تبدي له بسارق من السر لم يدرا احكامه

* المنقبة الثامنة والثلاثون *

عنه ايضا قال كانت اهلي قد ازم من بها الرض مدة ثلاث سنين وطال الامر عليها في ذلك وكان عندي منها ولد صغير بكى يوما عليهم فوجهوا الي مع الخادم وانا اخدم بين يدي الشيخ رضى الله عنه فلما امسكته قلت للشيخ يا سيدي خاطرك مع هذا الولد فقال انا احب ان ازوجك فالقى الله في نفسي ان امه لا تقوم من مرضها وكان هذا الكلام منه رضى الله عنه في رجب فلما كان عيد الفطر جئت لاقبل على الشيخ رضى الله عنه فوجدت عنده احد اخواني في الله فسألني من مرض لاهل فقلت له سرا عن الشيخ الامر على ما هو عليه فقال هذا الاخ للشيخ يا سيدي خاطرك مع المريض فنظر رضى الله عنه الى خشبة كانت بين يديه وقال هكذا امرأة فلان باسمي فقلت يا سيدي هذه خشبة يابسة قد انقطع منها لامل فقال الذي عندي قلته قال فاصبحت اهلنا من الغد كانها خشبة لا تتحرك يمينا ولا شمالا وكانت قبل ذلك مدة مرضها لا بد لها من قيام وجالس وحركة فلما ضاق عليها الامر لذلك امرت خادما تعمل للشيخ طعاما وتحمله له رجاء بركته فلما ناولته الطعام وانا عنده قال لي من اين هذا فقلت له من عند ذلك للانسان ولم اعين احدا فقال لي سلم عليه وقل له باي شيء تتقرب الى وفي اوائل ذي القعدة قال لي وقد كنت

عنده اذا يسرت القفة والمسحاة وسكت رضى الله عنه فلما دخل ذر الحجة نظر الي وقال يوم الجمعة يسافر الصيف فماتت ليلة الجمعة ودفنت من الغد فلما عدنا من دفنها جثناه رضى الله عنه بالولد فلما رآه قال لي اسلمه لله ثلاثا رضى الله تعالى عنه ونفع به

وهذا اطلاع عظيم لسمه على الغيب بالامر من ربه
وقد دل ذلك على سبقه كما دل ايضا على قربه

* المنقبة التاسعة والثلاثون *

عنه ايضا قال كنا في جماعة من اصحابنا حول الزاوية العروسية عنده الله تعالى بذكره واذا برجل قد امسكه اعوان القاضي المناوبة المحكم في دم ادعى به عليه وصاحب الدم بزعمه معهم فراهم الشيخ رضى الله عنه من فوق سطحه وقد ضيقوا عليه وهو معهم في غير حكمه فقال رضى الله عنه للذين امسكوه اطلقوه ففعلوا فقال له ولي الدم وانت رجعت قاضي الشوارع فقال له الشيخ اطلقه فقال له لا فقال له رضى الله عنه انت تموت وهو يفلت فكان كذلك فحرب من ايديهم بنفس ان غلب منا وتعلق بحلقة باب دار السلطان من ملوك بني حفص ارباب الدولة فخرج لما سمع صراخه عند باب داره فوجدته متعلقا بداره وغريمه ماسكه فراوده ان يخلى سبيله فاني فاخذ هو وبعض خدمته حربة كانت في سقيفة داره وضرب بها صاحب الدم بزعمه فخر ميتا لحينه واجازوا به علينا ونحن بمكاننا محمولا ميتا ونجا المطلوب وسلمه الله تعالى ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

فيا رمد العين يا معرضا من الرشد والرشد باذى الظهور
دعاك من الشيخ داعي الرضا فقلت الى ما يقدر الظهور

* المنقبة المئمة الاربعين *

عنه ايضا قال وقع بيني وبين بعض اصحاب الشيخ رضى الله عنه كلام

بحيث انه اساء علي الادب فشكوته للشيخ رضى الله عنه فقال لي اقرا سورة عبس فقرأت عبس وقولني ان جاءه لاعمي فقال لي قف فالتقي الله في قلبي انه سيغفر بصرة فاخبرته بما وقع لي مع الشيخ وقلت له اخاف عليك العمى فبقي بعد ذلك سبعة اعوام وعمى وهو الآن اعشى نعوذ بالله من ذلك

فبمثل ذا عظمة المريد وزججـهـرهما مسمى ان يغضب الاخوانا
ولقد اشار لنوع ما قد نـسـالـه باشارة صارت له عنوانـهـ

* المنقبة الحادية والاربعون *

عنه ايضا قال مرض احد فضلاء اصحابي فجاءني ولده باذن ابيه لتقف له على الشيخ رضى الله عنه رجاء بركته فاسعفته في ذلك وقلت للشيخ يا سيدي خاطرك مع فلان فقال لي رضى الله عنه انه خرج من الزمام سمعته ولم يسمع ولده وهو الى جانبي فبقي بعد هذا نحو الاربعه الايام ومات رحمه الله تعالى وظهر قول الشيخ رضى الله عنه

وهذا هو السر ابدى لسـيـدا . صريح الجواب لكى يفهمـهـ
وعن يقود الجواب الجسوى اليك كما قد حكى افهمـهـ

* المنقبة الثانية والاربعون *

عنه ايضا قال ارادت سفينة الشيخ السفر فلم يجدوا لها قلاعا فوجه الشيخ رضى الله عنه احد خدمته للحاكم بتونس حيثش وهو ابن حيون قال له سيدي بعثني اليك في قلاع فقال له المسكين لشقوته بالله باى شئ نفعني سيدك ثم جعل يقول يحاكى قول الخادم سيدي سيدي ثم حلف له بالطلاق او قال بغيره انه لا يملك قلاعا فرجع الى الشيخ ليخبره فوجد سيدي قاسم السريدك في سفينة الزاوية فاخبره بمقالته ابن حيون فقال لا تسافر السفينة الا بقلاعه وصعد الى الشيخ فاخبره فما بقى المحاكم المذكور الا ثلاثة ايام واخذ السطان فخرجوا من دارة قلاعين اعطاه

السلطان احدهما فما سافرت سفينة الشيخ الا به رضى الله عنه اذا المرء اعمى الهوى قلبه عن الرشاد يستلمه النسيح لينفذ فيه القضا حكمه واذا ذاك لو كان يجدى يصبح

* المنقبة الثالثة والاربعون *

عنه ايضا قال وقفت يوما على الشيخ الفقيه القاضى الارشد السيد ابى محمد عبد الله البشيرى قاضى الانكحة حيثش بتونس الحروسة رحمه الله فتفاوضنا عنده في امر الشيخ رضى الله عنه فقال اما انا فسامرني له كرامتين احدهما انه كان لي ولد اصابه الجدري الى ان كاد يتناثر لحمه عن عظمه فامرتهم بحمله للطبيب فحملوه واجتازوا به على الشيخ فراه من فوق السطح فقال لهم ردوه انا ندواويه ردوه انا رقيته ودوايته قال فردوه قبل الوصول الى الطبيب فشفاه الله تعالى في امد قريب دون معاذاة ولا مزاراة احد ببركة الشيخ رضى الله عنه والثانية اتت الى اهلنا امرأة تطلب منها عارية الحلى فاعارتها حليا له قيمة جليلة وطال مكثها به عنا وانتظرناها لرد ما اخذته فلا هى ولا الحلى وصفتنا ذرعا من هذا الامر فكانوا يترددون الى الشيخ في امر حليهم يطلبون بركته وما زالوا به الى ان قال لهم عن المرأة هى بالموضع الثلاني فذهبوا لذلك الموضع الذى ذكره الشيخ فوجدوا هنالك المرأة واخذوا حليها منها ببركة الشيخ رضى الله تعالى عنه

قرانا واقرانا العلوم ولم يسـزل ينال صميم السجد من جد في الطلب ولكن اصل السر يا جنبا من اتى به امل متا ليدرك ما طلب

* المنقبة الرابعة والاربعون *

عنه ايضا قال سعدت يوما لارى الشيخ رضى الله عنه فوجدت احد خدمته ينتفض في خشب سقف في مطلع السطح نتضا يصير لاثقال التي كانت الخشب تحملها معلقة في الهواء دون شئ يسكها فلما رايت ذلك

وهو تحت الردم هالتي امره وقلت له ما هذا الذي تفعله بنفسك انت عاقل او غير عاقل فسمعتي الشيخ رضى الله عنه وكان قريبا منه وما لى به علم فقال من هذا فقال له يا سيدى هذا فلان فقال رضى الله عنه للذى كان يستخدم انزل وامرنى بنقص ما بقى من ذلك مكانه فجعلت انقص الى ان طمئت السقف كله ولم يبق من الخشب ما يحمل التراب فلما فرغت قال لى رضى الله عنه ابقى هنالك وانصرف وتوكلنى وكان وقت العصر فلم ازل هنالك واقفا الى اذان المغرب فحينئذ اشرف علي وقال لى ما زلت فقلت له نعم فقال لى اصعد الي فبنفس ان وصلت اليه سقط السقف كله فرايت ذلك خارقا عظيما منه رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

راى غير ما يعتاده من امورنا فنبه تحذيرا بعاقبة الشرر وام يدuran الشيخ ابرم اسره فعرضه حتى يرى سطوة السر

* المنقبة الخامسة والاربعون *

عنه ايضا قال اجتاز الابنوني صاحب بيت الحساب حينئذ على الشيخ رضى الله عنه وكان يفضيه ويؤذيه ولا يعتقه فناداه الشيخ فوقف فقال له انا سمعتك وصيرتك عجيبا فاتفق انه جن والعياذ بالله وانخذل واصابه الفالج وتلف ماله واخذ ربه وما زال كذلك الى ان مات رضى الله تعالى عن الشيخ ونفع به

اليك اخا اللهم سيق الحديث فسر لنجاتك سيرا حثيثا ودع منك فى الشيخ ما لم يدع لتعال مقالا به يستغنى

* المنقبة السادسة والاربعون *

عنه ايضا قال كانوا يبنون فى مضاة السلطان القرينة من جامع الزيتونة فجاءهم الشيخ رضى الله عنه وقال للمعلم اريد خشبة طولها سبعة عشر شبرا فقال له المعلم ما عندنا ما هو بهذا الطول الذى ذكرت فنادى الشيخ

رضى الله عنه نصرانيا اسيرا من اسارى المختزن كان يخدم معه فجماءه وجعل رضى الله عنه يباسطه ويضحك معه ثم ان النصراني قاب واخرج خشبة قاسوها فوجدوا طولها سبعة عشر شبرا قدر ما اراده الشيخ فاسكها ثم قال للاسير يا رومى اذا خرجوا من هنا واثار الى المغرب اخرج انت من هنا واثار الى المشرق فلما كان آخر النهار فرغوا من شغلهم خرجوا فافتقدوا النصراني للاسير فلم يجدوه وبحوثا عنه كل البحث فلم يفتوا له على خبر الى الآن رضى الله عن الشيخ ونفع به واعاد علينا من بركاته

اذا كان ذو الكفر فى كفره من لاسرخلصه اذ اطاع فكيف بمن صح ايمانه اذا قال انت الطيع الطاع

* المنقبة السابعة والاربعون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه ابو عبد الله محمد هلال الحمى وكان له اعتقاد جميل فى الشيخ رضى الله عنه قال اجتمعت مرة فى المدرسة بجماعة من صدور طلبة العلم بتونس فاحذنا فى ذكر مناقب الاولياء الى ان انجز لنا ذكر سيدى ابي العباس السبتي رضى الله عنه فقلت لهم بما ذا تشبعون ولايتهم فقالوا بالتواتر فقلت وانا اثبت ولايت ابن عروس بالعيان وانفصلنا فجيئت الى الشيخ رضى الله عنه وهو حينئذ فى بيته فلما رآنى قال لى يا اعرج تعمل بى المجالس فى المدارس رضى الله تعالى عنه وقد كان ينهى عن اذاعة سره ويزجر من يديه فى اول الامر فاما وقد عاد التمكن وصفه فما ان يبلى بالحديث وبالنشر

* المنقبة الثامنة والاربعون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه ابو عبد الله محمد الحبيب وهو من فضلاء معتقدى الشيخ رضى الله عنه قال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه بالزاوية والشيخ حينئذ فى البيت العلوى الذى فوق بيته السفلى فكشف الله تعالى عن بصرى فرايت حائط الزاوية من ناحية المغرب

قد انشق ورجال يدخلون منه ويباعون الشيخ رضى الله عنه ويقولون السلام عليك يا ولى الله ويتكلمون معه وسعت فيهم صوت امرأة لم ار شخصا فلما انقطع كلامهم نظر الشيخ الى وقال لي ما هذا فقلت له الذى ثم رايته فقال لي وما تخافى على مينيك فقلت له اما معك فلا فضحك وسكت رضى الله تعالى عنه ونفع به

فقل هكذا للذى لم يــــزل عن الشيخ يسلب وصف الكمال وزاول من ذابما عــــسل ان يزيل من الجهل ما قد امسال

* المنقبة التاسعة والاربعون *

منه ايضا قال حدثني الشيخ الصالح الولي الكبير السيد ابو عبد الله محمد الزنجارى رضى الله عنه قال خرجت متوجها الى بلادنا فاجتمعت بسيدى احمد ابن عروس قريبا من كدية العرائس القريبة من باب خالد احد ابواب تونس فجذبني اليه وهو حينئذ يحمل صرائره وقال لي نحن اعطيناك المحكم في بلادك نفزاوة وانصرفت فكان من امرنا بموضعنا ما هو معلوم ثم بعد ان شاع عندنا بعد اعوام ان الشيخ رضى الله عنه لازم البيت قدم علينا انسان اسود شاب اسمه زيتون وقال لي الشيخ ارسلني الى ههنا وقال لي تقيم بنفزاوة نحو العامين وبها قبورك وموافائك فكانى انتهت في مقالته ولم اصدق له الى ان ذكر لي لامارة التي كانت بيني وبين الشيخ رضى الله عنه بتونس منذ باب خالد فحينئذ صدقته فيما ذكره من الشيخ واقام عندنا فكان الامر كما قال مات بعد اقامته ما يقرب من عامين وقبره اليوم عندنا رحمه الله ورضي عن الشيخ ونفع به

اذا كان هذا في مكانة قــــــدره وتمكينه للشيخ قد اسند لاسر فكيف الرضا عن معرض عن كماله يرى في حديث القوم جهر لاذى تمر

* المنقبة الخمسون *

منه ايضا قال اخبرني بعض فضلاء الاصحاب انه كان له ابن صم تعلق

بخدمة السلطان وصار جديا فعرض له من مخدومه ما اوجب ثقله ربه عنه وضاق صدره من ذلك فكلت صاحب التنفيذ السلطاني في امره فوه دني في ذلك بحسن العاقبة وجئت الى الشيخ رضى الله عنه فشكوت له مصاب ابن العم المذكور وذكرت له كلام صاحب التنفيذ وقلت يا سيدى يرجع له ربه فقال رضى الله عنه قد خرج من الزمام فعلت لعله خرج من زمام الجند وارثقع عن خدمة المخزن ثم انى خرجت للبادية وبها اهل فوجدت ابن العم المشار اليه قد خرج من زمام الاحياء ومات في ذلك اليوم فحينئذ عرفت مراد الشيخ رضى الله عنه ونفع به ما زال يمدى من حديث الغيب ما يبسود على النور الذى قد ناله فاذا بدا لك في مراد بــــسارق منه انار الصديق فيه مقالـــــه

* المنقبة الحادية والخمسون *

منه ايضا قال حدثني الشيخ الصالح ابي عبد الله محمد المصمودى الصفاقسى وكان من اولياء الله تعالى قد خرجت من صفاقس على طريق القيروان لزيارة الشيخ رضى الله عنه واستسجبت له معى زبيبا رجبا وجعلت ذلك على حمار كنت اركبه فلما وصلنا الى موضع هنالك في اثناء طريقنا مسبع تقدمت بقضاء الله وقدره امام رفقتي فلم ادر الا بالحمار قد نفر من تحتي والقانى بالارض لكن بحيث لم اتاذ في شئ من جسدى بل كان واضعا وضعنى بالارض واذا بسبع قد التى نفسه على الحمار وقطع عنقه ونحن نشاهد فتوزع اهل الرفقة حوانجى وحملوا من ذلك ما كان عندى فقلت في نفسى سبحان الله جئت لزيارة الشيخ ويصيبني مثل هذا رساء طنى الا اننى اذافع فبنفس ان وقلت بين يدي الشيخ رضى الله عنه قال لي يا محمد فدينك به يريد بالحمار فزال حينئذ ما كنت اجد في نفسى من الوسواس واستغفرت الله تعالى من سوء الادب مع الشيخ رضى الله عنه

وافاء يرجو بالزيارة نولسه فاصيب لما آن رمى جمارة
فاجابه لما تاتر قلبه نولسه قال السلامة من فدى بجمارة

* المنقبة الثانية والخمسون *

عنه ايضا قال كانوا يبنون في مضاة الزاوية العروسية ويصالحون ما تطلع
من فرشها ويتفقون اسوها واذا بالشيخ رضى الله عنه اشرف عليهم وقال
للعلم انت طيب فقال له يا سيدى انت الطيب فقال رضى الله عنه
اذا كنت طبيبا فاعرف كيف تداوى ثم قال هذا بئر عندك وما هنالك بئر
ولا ما يدل عليه ثم لما اخذوا في نقص لاسوس المذكورة وتعليق الجدران
ونزلوا بالحفر في ذلك ليقفوا على منتهى الامر فيه وجدوا بئرا قديمة جدا
الله اعلم بالزمن الذى كانت فيه ووجدوا فيها مصاييح كثيرة وعظام الموق
من بنى آدم وغير ذلك فعرفوا حينئذ مدلول كلام الشيخ رضى الله عنه
وما ذاك اقرب من علمه بما سوف نخفى وما نضمصر
نرى الامر سرا ولكن اذا جرى لاذن غيبا به يخبر

* المنقبة الثالثة والخمسون *

عنه ايضا قال استشار الشيخ رضى الله عنه ولد اخيه النائب بالزاوية
ابو محمد عبد الله بكسر دال عبد ابن ابي بكر رحمه الله في بناء البيت
الذى كان مسكن الشيخ قبل صعود السطح روضة وهى يومئذ مغلقة
فمنعه من ذلك فالح عليه فقال له حتى تدفنوا فبعد سنتين او نحوهما
توفى المستشير المذكور وكان اول دفين في البيت وحينئذ اخذوا في بنائها
وعملها مع ما كان حوالها من سائر بيوت جهتها روضة للدفن وبان مراد
الشيخ رضى الله عنه

اتى مستشيرا ولم يدرك ما يلائمه في الغد او امسه
ورام بناء على غير ما كان البناء على ربه

* المنقبة الرابعة والخمسون *

عنه ايضا قال كانت لبعض اعزة الجيران عندنا ابنة اخت قامت عليه في
طلب ميراث من غير وجهه وموت عليه في ذلك واستظهرت برسوم باطلة
وكان طلبها في ذلك في دار سكناه فسقط في يد الرجل وصاق امره من ذلك
فتصدت به الشيخ رضى الله عنه وقد حملها له طعاما فقلت له يا سيدى
هذا جارى وانا دخيلك في حاجته فقال رضى الله عنه زدنى من هذا
الطعام وجب لى عابرا من اللبن فاناه الرجل بذلك فتناولته الشيخ منه
وشرب ماء ورش الرجل من ذلك الماء ثم قال والله ما تدخلها والله ما
منها شئ فقد رانها انصرفت من امر الخصام وما بقيت الا ستة اشهر او
نحوها وماتت وما دخلت الدار ولا راتها ولا كان منها شئ كما قال الشيخ
رضى الله عنه ونفع به

فمن شاكم الدهر او قص من حديث الامانى الزمان الجناح
ومال الى الشيخ مستدفععا به السوء اسقط عنه الجناح

* المنقبة الخامسة والخمسون *

عنه ايضا قال حدثني الشيخ الصالح ابو محمد عبد الله الطنقى تلميذ الشيخ
سيدى فتح الله رحمة الله عليهما قال دخلت يوما لزيارة الشيخ رضى الله
عنه وهو حينئذ في البيت فصرى على راسى بجريدة من جريد النخل
وانصرفت فبعد مدة وجهنى شيخنا سيدى فتح الله الى بسكرة احدى بلاد
الجريد فتذكرت عند ذلك ضربة الشيخ بالجريدة وعلت ان لاشارة
بذلك كانت منه الى هذا الامر رضى الله عنه

وشان اشارته هكذا تدق من الفهم امرها
وتخفى فما ان لها مبصر اذا هي لم تبد آثارها

* المنقبة السادسة والخمسون *

عنه ايضا قال اصابت الناس ازمة عظيمة من اجل احتباس المطر عنهم

فشكا بعضهم للشيخ رضى الله عنه ما يجده الناس من الشدة في ذلك فقال
رضى الله عنه علي الطلاق ما يبقى المطر إلا ثلاثة ايام بلياليها فكان
الامر كما قاله رضى الله عنه

فسلم ولا تعترض مثل ذا فللشيخ في الفتح اركى القسم
ويا رب اشعث في طمرة انيل من الله بر القسم

* المنقبة السابعة والخمسون *

عنه ايضا في جماعة غيره قالوا جاء الى الشيخ رضى الله عنه جماعة من
الكتار يستشيرونه في السفر في مركب للنصارى كان بحفرة تونس فكلوه
في ذلك فقال رضى الله عنه لا فاعادوا عليه قتال يقولون هاتوا الدروع هاتوا
المنصفحات هاتوا البارود فاعادوا عليه فذكر الجراح والدم فاعادوا عليه في
انسان مشخص فذكر الجبانة فقدر ان المركب سافر من تونس متوجها الى
الاسكندرية بمن افيهم من الكتار فيئتما هو في موسى طرابلس واذا بسفن تسع
او ثمان لجنس آخر من النصارى دخلوا عليه وبين الجنسين عداوة عظيمة
فكان بينهم قتال عظيم شاهده وانا اذ ذاك بطرابلس فاخذوه بعد جراح
وقتل وكان سبب اخذه على ما كنا نسمعه مستقيضا هنالك قلة البارود
عندهم وإلا فالمركب عظيم مكمل من العدد والعدد ثم لما ان صار المركب
على ملك اخذيه وفيه كثير من سلع المسلمين سافر ارباب السلع فيه
كارين من جعلتهم الرجل الذي كان الشيخ ذكر فيه الجبانة فقدر انه
مات بعد بلوغ الاسكندرية ودفن بها وحقق الله مقال وليه في ذلك
كله رضى الله تعالى عنه ونفع به واحاد علينا من بركاته آمين

عجبا لذي فهم يشار بمثل ذا قصدا اليه ولم يزل محبوبا
لكن اذا نفذ القضاء على الفتى حتى يرى مكروهه محبوبا

* المنقبة الثامنة والخمسون *

عنه ايضا قال كانت بتونس جماعة عظيمة وكنا في خاصتنا منفصلين

فجئت الى الدار يوما فوجدت عندهم قمحا معتبرا فقلت من اين لكم
هذا فقالوا انا به انسان على بقل ففتحنا له الباب فافرحه كما ترى
وانصرف فسالناه عن ذلك فقال صاحب الدار اشتراه وبعثه فنظرت
في ذلك وفكرت في امره فاقام الله عندي انه من عند بعض ارباب
الدولة المجاورين لنا فجئت الى الشيخ رضى الله عنه وقلت له يا سيدي
الذي وجدت عندي في الدار ارده لصاحبه فالتفت عني الى اسرارة في
الجهة لاخرى وقال كانه يخاطبها لا تردده اذا كان قمحا فعملت ان الكلام
معى وعلت به مقتضى قوله في ذلك رضى الله عنه

اجاب بما فيه ارفاقه مشيرا الى فعل ما قد اياه

بمعنى لطيف له رقصة فسبحان مولى بهذا حبا

* المنقبة التاسعة والخمسون *

عنه ايضا قال جئت يوما الى الزاوية العروسية عمرها الله تعالى بذكره
فوجدت انسانا يقال له الرادسى وقد وقع في حفلة الشيخ رضى الله
عنه بالسب وغيره من قبيح الكلام فنهيته عن ذلك وزجرته وخوفته
عقوبة الله تعالى في الاخذ بالانتصار لوليه في اذاية قرابته فانصرف ثم بعد
ثلاثة ايام او اربعة صنع للشيخ طعاما وانا به فامتنع رضى الله عنه من
قبوله فلما كان الغد اصابه والعياذ بالله امر حمله على تمزيق لباسه
والخروج بين الناس على تلك الحالة ويده عصا والناس يتبعونه وكانت
له اخت برادس على اميال من تونس سمعت بمصابه فجاءت المسكينة
لرويته فلما اجتمعت به اخذت تخاطبه في امره ذلك فاسلك سبيلها
كانت عنده وجعل يصريها ويقول الجهاد في سبيل الله الى ان قتلها واراد
ذبح اولاده وهدم موضع سكناه ولولا ان الله تعالى اطلع الناس على امره
الى ان افتكوا منه اولاده وإلا كان الحقهم باخته فامسكوه وحملوه الى
المارستان لتتحقق حقه وما زال به ملوث الحال الى ان مات نسال الله
السلامة والعافية من غيبه لغضب اوليائه رضى الله عنهم

آذى قرابة شيخ الوقت فانعكست على قرابته منه اذا ثبت
كانت عقوبته من جنس ما اقترفت يدها ثم انتهت للهلك غايته

* المنقبة المتهمة الستين *

عنه ايضا قال نزل الشيخ رضى الله عنه الى جامع الزاوية فاخرج من
كان به واخرج حصرة واغلقه بحبل احكم الباب به لئلا يدخل الى الجامع
احد وكان ذلك في وقت الضحى فلما كان وقت الظهر نزل سقف الجامع
كله بالارض فلعنوا مراده حينئذ رضى الله تعالى عنه

ما زال سر رجال الغيب منهم ما وامر تصريفهم تخفى مذاهبه
حتى اذا لمعت فينا بوارقه ابانت السر وانجابت غياهبه

* المنقبة الحادية والستون *

عنه ايضا قال وقعت يوما بالزاوية العروسية مع نائب الشيخ وولد اخيه
ابى محمد عبد الله بكسردار عبد رحمه الله فقال لى ان الشيخ رضى الله
عنه منعنا من العلو الذى فيه سكنانا واخرجنا منه كرها ولم يترك به سوى
الحدم ولم معنا على هذه الحالة يومان ولا ندري ما مراده في ذلك وقد
صاق الامر علينا ونحن من هذا في مشقة عظيمة فقلت ولعل الشيخ اطعمه
الله تعالى على سقوط العلو فقال لا ادري ثم لما كان في اليوم الثالث او
الرابع نزل رضى الله عنه واخرج جميع من كان بالعلو من العيال والحدم
وانزلهم الى اسفل الزاوية لئلا خادما نراها من الصالحات امرها ان تقيم
مكانها واغلق رضى الله عنه البواب الذى يصلون منه الى العلو وعلق
المفاتيح في حزامه فلما كان وسط الليل سقط العلو كله بالارض ففزعوا للخادم
لعلهم بانها في مكانها ونزعوا الردم عنها فوجدوها قائمة تصلى وقد تعرضت
فوق راسها خشبة منعت وصول الردم اليها فاخرجوها سالمة وظهر حينئذ
سر تصريف الشيخ رضى الله عنه ونفع به

ايكون غوثا للاباعد ياتجسسى صدقا اليه ولا يغيث اقسار به

ما السر لا ان يزيج بسره عنهم افاعى ملكهم وعساير به

* المنقبة الثانية والستون *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه ابو عبد الله محمد الحبيب المذكور وكانت لهم
جراة على الشيخ رضى الله عنه قال قلت يوما للشيخ يا سيدى توسلت
اليك برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما اخبرتنى هل تعرف النطب
واين هو في هذه الساعة فقال لى رضى الله عنه هو في جامع الصصافة
في ربض نفات قال فقصدته في قائلتي تلك ودخلت المسجد فلم ارفيه
احدا الا رجلا من العرب مشتملا في كساء وعلى راسه زمالة زرقاء بالحاشية
وعنده سباط وهو نائم فلما دخلت المسجد خرج فقلت سبحان الله يلعب
بى هذا الشيخ ورجعت اليه فقال لى رايته فقلت ما وجدت احدا فقال
ديوث والرجل الذى خرج فقلت له ذلك رجل بدوى صفته كذا ونعته
كذا فقال لى هو النطب رضى الله تعالى عنه

ما ذاك الا الشيخ ابدى بعض ما يبدى من السر العجيب الخارق
فأراه غول تلون ابدى لسه اثوابه في مثل لمح البسارق

* المنقبة الثالثة والستون *

عنه ايضا قال حدثني الحاج جميل احد خدمه الشيخ الفقيه الصدر القاضى
لاوحد السيد ابى عبد الله محمد التلجاني رحمه الله عليه قال لما تولى
القاضى القسطنطينى لامة بجامع الزيتونة كان سيدى ممر التلجاني
رحمه الله مشاقلا على الصلاة خلفه المنافسة التي كانت بينهما قال فجئت
مع سيدى ممر لصلاة الجمعة فادركتنا لاقامة ونحن عند زاوية سيدى
احمد ابن عروس فبسطت له هنالك ما يصلى عليه فنزل عن فرسه
واحرم بالصلاة واصابنا في اثنائها مطر وابل فلما سلم وركب فرسه ناداه الشيخ
من فوق سطحه يا فقيه يا صاحب الفرس البيضاء بطلت لك ركعة من
صلاتك فاعدها ظهرا اربعا ثم قال عقب هذا الكلام ما بقيت لكم الا هذه

الجمعة وكل احد يصلى لنفسه قال فلما وصلنا الى الدار ذكرت له كلام الشيخ فزجرني من الخوض في ذلك فلما كانت الجمعة المقبلة وقد تاهب الناس للصلاة اتاه امر من السلطان بالصلاة خطيبا في جامع الهوى فصلى هنالك ولما قضى الصلاة وخلوت به قال لي لا سبيل ان يبقى في باطنك شئ من انكارى عليك حين ذكرتني كلام الشيخ في الجمعة الماضية فاما ما ذكر من الصلاة واعادتها فقد بطلت لي منها ركعة واعدت الصلاة طمورا اربعا ولكن ما تحققت كلامه إلا بعد هذا الامر الوارد رضى الله تعالى من الشيخ واعاد علينا من بركاته

هذا امام لم يزل متصدا لنوازل الفتوى بعلم الظاهر افتاه هذا الشيخ في ركن سهبا عنه وايةظم بسر بساها

* المنقبة الرابعة والستون *

عنه ايضا قال كنت يوما بين يدي الشيخ رضى الله عنه واذا به نادى يا عبد الله لولد اخيه فلما حضر بين يديه قال له اعمل عشاء الصيفان فسكت فاعاد عليه وقال الساعة يرد عليك من الصيفان سبعون رجلا فما لبثنا بعد كلامه إلا ساعة واذا باهل باجته قد وردوا علينا في مثل العدد الذى ذكره رضى الله عنه وقد قصدوا بركته في امر قائدهم فقد كان على ما قيل اخرج صدورهم فامر رضى الله عنه لهم بما يجب للضيف وهم يخاطبونهم في امر قائدهم ولا يزيدهم في ذلك كلمة واحدة حتى كان اليوم الرابع وقد كملوه في امره على العادة فقال لهم رضى الله عنه في بعض ما خاطبهم به هذا حصان مشوم صكك يبحث بالارلى ويصك بالثانية ياكل ويبيت ولا تقوم به انا نعطيك حمارا ياكل صاعا ثم قال ايما خير لكم زامل ياكل ويبيت او حمار ياكل صاعا ثم قال لهم قوموا انصرفوا انا اصل بينكم وبينه حائطا او قال سورا وفي رواية عن غيره من الثقة فان الحكاية سمعناها من عدد كثير انه قال لهم الشيخ انا عملت على رقبته خشبة

العاق من يزيلها فانفق ان القائد المذكور وكان من صدور الدولة العثمانية ارتحل صحبة الخليفة لاختد احدى بلاد الجريد وقد كان صاحبها تعدى طوره وجعل له ملاكه قدرة فلما ان احدقوا بها دخل القائد المذكور البلاد ليكيد صاحبها على ما قيل فانكشفت مكيدته وقتله صاحب البلد وبقي والسور حائل بينه وبين ناصر به والى ذلك والله اعلم كانت لاشارة من الشيخ بقوله اعمل بينكم وبينه حائطا او سورا رضى الله تعالى عنه

ايشك ذو عقل له ذوق وقد تليت عليه من الهدى آيات في سر هذا الشيخ وهو قد اغدى وعليه من اسرار رايسات

* المنقبة الخامسة والستون *

عنه ايضا قال جاء عيد الاضحى فذبح الشيخ رضى الله عنه ثمانية من الغنم وسانح منها بيده اربعة وسانح اولاده اربعة فلما فرغوا اخذ رضى الله عنه حصوا وجعل في كل حصير شاتين وخاط كل حصير على ما فيه وادخل ذلك كله لنوالته على ما هو عليه فلم نر من يومئذ لذلك اللحم كله ولا لحصرة عينا ولا اثرا ولا عرفنا اين صرفه ولا كيف تصرف فيه رضى الله عنه نرجو اطلاعا على اسراره ولتسد اعنى الهوى اعينا منا تراعيها لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباية إلا من يعانيها

* المنقبة السادسة والستون *

عنه ايضا قال اجتمعت يوما بمطلع سطح الشيخ رضى الله عنه مع رجل من ارباب الخواص انا مصعد وهو نازل فسمعته يقول رضى الله عنه عنك من شيخ ويعني في ذلك فسألته عن مثير ذلك منه فقال ان لي عيالا فجزت عن القيام بامرهم وكلفة متونهم فاردت الفرار عنهم بالسفر وقلت لا بد من اشارة الشيخ في ذلك فاستشرته فقال لي مر فظننت ان ذلك اذن منه لي بالسفر فخرجت من باب علاوة مسافرا فلما وصلت الى طرف الزلاج كافي توقفت وعظم الامر علي من جهة تركي لاولادى بمحل الضيقة فاسجأت

الى المقبرة ونمت فرايت الشيخ رضى الله عنه فى النوم وهو يقول لى
انا قلت لك مر اخدم على اولادك اوقلت لك سافرا رجوع اخدم على
اولادك فرجعت والآن لما وقفت بين يديه رضى الله عنه قال لى رجعتنا
من السفر مر اخدم على اولادك فمن هذا اخذنى العجب اخبرنى لى
منامى بامر اخبرنى عنه الآن لى الیقطة رضى الله عنه

اذك اعجب امن صد وهو يرى شمس الحقيقة من افق الهدى طلعت
نودى الى الرشد كيما يروى فابى وند لما رأى سيف الهوى لمست

* المنقبة السابعة والستون *

عن الحاج ابى عبد الله محمد البرنى وقد كنت سمعت هذه الحكاية منه ثم
انى ثلثتها منه وحدثنى بها عن نفسه شفاها قال حججت ودخلت مصر
فخرجت يوما للجنينة المعروفة للنزهة بمصر فبينما انا اجول فى تلك الامم
واجيل النظر فيما هنالك من الخلق على اختلافهم واذا برجل جالس على
جدار مجبوبة هنالك فتوهمت انه سيدى احمد ابن عروس ثم انى
رجعت على نفسى بالانكار وقسنت من اين ياتى الى هذا الموضع ثم
انى دنوت منه واعدت اليه النظر وثبت فاذا هو سيدى احمد ابن
عروس لا اشك فيه ولا ارتاب والى الله تعالى بذلك فلما علم رضى الله
عنه انى عرفته تناول حجرا ورماني بها فاجتازت خلف اذنى وكأني اردد
الفاصف وما اصرتنى ولا اصرت احدا من الناس غيرى وما اظن ان احدا
غيرى وآه رضى الله عنه ونفعنا به

سلم وهذا الطور لا تشكر فيها امر الولاية بالذى ينقاس
والجاسدون تعشروا جهلا هنا فتاعروا وتقدم لا كياس

* المنقبة الثامنة والستون *

عن الشيخ المسن ابى عبد الله محمد الشماسى مجاور الشيخ رضى الله عنه
فى الدار الملاصقة للزاوية العروسية عمرها الله تعالى بذكره من الجهة

الشرقية منها قال اجتاز رجل امام الزاوية فرآه الشيخ رضى الله عنه
من فوق سطحه وذاداه باسمه هكذا يا حاج عثمان ما تذكر رعاة
الناقة فاذا بالرجل قد اخذ عن حسه ثم لما زال عنه ذلك العارض وساله
الناس عن مراد الشيخ فى قوله قال كنت فى الدرب وعندى ذاقة طيبها
جميع ما املكه وهو مال لم حظ من الكثرة فبركت عند محل الحاجة اليها
وعجزت عن النهوض فحاولتها بكل وجه ممكن فما وجدت فيها حركة
وانصرف الراكب عنى فتعيرت فى امرى وما قدرت على مفارقة لى الى
وخفت من الحرامية فجاست ابكى فبينما انا كذلك واذا برجل فى يده
عصا قد اقبل على او قصد الناقة فضر بها بعصاه وقال لها قم فنهضت وقال
لى سر من هنا تالحق الراكب فاشغلنى الفرح بما انا فيه عن التأمل فى
الرجل فانصرف عنى وما عرفت من هو فلما نادانى الآن هذا الشيخ
تذكرت القضية وعلمت انه هو صاحبى رضى الله تعالى عنه

ولكم اغاث لى ايلس مثل ذا فنجنا وكان فريسة لاهوال
بعناية سبقت وسرمانهم اهل الكرامة من ذوى الاحوال

* المنقبة التاسعة والستون *

عن ابى النضر ابن باقر قال اشبهت ابنة صغيرة لى الفول لتطبخه
فجئت الى الزاوية العروسية وجلست بها مدة وخرجت فاذا بانسان
من اصحابى ردى بغير ردى واعطانى ابريقا مفتوح الفم فيه شى لا ادرى
ما هو فرأى الشيخ رضى الله عنه وقال لى اى شى عندك فنظرت فاذا هو
فول قد طبخ فاخبرته فقال احمله فحملته فقالت البنت ما هذا قلت
هذا ما اشتيتيه ساقه الله اليك بغير تعب طبخ ولا غيره فرايت ان
الله تعالى اطلع الشيخ على ما انا مهتم منه للبنت رضى الله تعالى عنه
هذا يسير باعتبار خسار طهرت له كالشمس فى الاشراق
لكن مشلى فى خلوس وداده يحكى الذى يحكى لى لا طلاق

* المنقبة المتممة السبعين *

عنه ايضا قال حدثني الشيخ ابو الفضل قاسم بن فربال رحمه الله تعالى قال كنت في حانوتي يوما فاتاني رجل من اهل الاندلس يسال من الشيخ رضي الله تعالى عنه فقلت له ما الذي جاء بك اليه قال اني من اهل غرناطة وقد اصابنا مجاعة عظيمة وبجوارنا امرأة لها بنات شرفاء وكنا نواسيها قبل هذه الشدة وتنفق حالها وحال بناتها فلما اصابنا ما اصابنا من هذه الشدة العظيمة اشتغلنا عنها بانفسنا فوجهت اليها وقد تذكرناها يوما انا واهلي لنقف على حقيقة ما هي فيه مع بناتها فسالنها عن حالها فقالت نحن بخير والحمد لله فقالت لها اهلي ومن اين لكن بهذا الخير فقالت فتح الله علينا برجل صالح يقال له ابن عروس ياتي بنا كل ليلة من تونس بكل خير كثير فها نحن عندنا من طعامه البارد والسخن فما صدقتها اهلي في ذلك فقالت لها باقى الليلة عندنا لتري بعينك وجاءت اهلي فاخبرتني فقلت لها لا بد ان تبقي عندها الليلة وغرضي الوقوف على حقيقة هذا الخارق فباتت عندهن ومن الغد اخبرتني بالواقع قالت لما جن علينا الليل واذا برجل فوق سطح الدار فناداهن ففزعن اليه جميعا وادلى لهن قفة فيها من كل خير ورائه اهلي ووصفته لي فلما تحققت امره تعلق قلبي بزيارته ولم اقدر على الاقامة دون ذلك فهذه حكايتي قال فنزلت معه الى الشيخ فلما وقفنا بين يديه رضي الله عنه وضع سبابته على فيه كأنه يقول للاندلسي اسكت فقال للاندلسي انت والله هو رضي الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

دعته الى الشيخ اشواقه فوافاه صدقا لكي يبصره ونحن نرى الشيخ ما يبدا ونضرب صفحا كان لم نره

* المنقبة الحادية والسبعون *

عنه ايضا وعن غيره قال حدثني ابن عبد الحليم الحداد قال زار يوما والدي

سيدي احمد ابن عروس رضي الله عنه وهو يومئذ في البيت فلما رآه قال له انت حداد فقال نعم فقال اريد ان تصنع لي متجلا فقال له نعم فقال تصنعه متينا غليظ الظهر محدود الثم ويكون مريضا قال نعم غدا ان شاء الله قال لا الا الساعة قال فجاء والدي وصنع له المتجل على الصفة التي وصفها له واتي به اليه فلما امسكه قال نعم هكذا اردتم ثم قال انصرف على خير قال فلما كان بعد مدة نزل النصارى ببعض السواحل القريبة من تونس فقتل المسلمين منهم عددا كثيرا وجاءوا برؤوسهم الى المدينة قال فمر والدي في جملة الناس ليري تلك الرؤوس فوجد رؤوسا كثيرة في خرج او غيره ووجد فيما بينها المتجل الذي كان صنعه للشيخ رضي الله عنه وهو مغرق بالدم فاخذه وقال هذا المتجل انا صنعه فقال له بعض من حضر الواقعة والله لولا صاحب هذا المتجل الذي كان في يده لهلكنا عن آخرنا قال واخذ المتجل وجاء به الى الحدادين الذين كانوا راوه وقد صنعه واخبرهم بالحكاية قال فلما كان الليل وهو نائم سطر الله تعالى عليه اسدا كاذبا يتلف عنقه رجلا وذعرا ولما أصبح ذهب الى الشيخ كأنه يستقيل فقال له رضي الله عنه اذا تكلمت عاقبتك فلا سبيل فقال نعم واستغفر الله تعالى مما اظهره بغير اذن من سر الشيخ رضي الله تعالى عنه كانت طريق الشيخ كتم السر من احواله ميلا الى الاخفاء واليوم حدث عن ملاء بكل ما تهوى فما ياحمدك في افشاء

* المنقبة الثانية والسبعون *

عن رجل من اهل المرسى يقال له خروف قال وحدث الشيخ رضي الله عنه ان سلمني الله تعالى من امر كنت اخافه بشئ على قدر وسعي وحصل المقصود فاعطيت ذلك لانس من اصحابي ليدفعه للشيخ لعذر اعجزني عن ذلك ولم ادر ما فعل ثم لما اجتمعت به سألته عن ذلك وكان سيء الاعتقاد في الشيخ رضي الله عنه قال لما وقفت بين يديه قلت في نفسي

والله لا اعطيك الذى لك حتى تقول اعطنى فبينما انا واقف واذا به قال
انسان ينتظر خروج الجرادق من الفرن ليأكلها وآخر يقول ما نعطيك حتى
تقول اعطنى ومد يده وقال اعطنى فاعطيته وثبت الى الله تعالى

الشيخ بحر قد طمى وحديثنا منه حديث عن بداية ساحله
ما شئت قل من معجده او وقف فما ادركت صفوا من رحيق منايله

* المنقبة الثالثة والسبعون *

منه ايضا عن ابن رزق الله وكان على ما قيل لا بأس به خيرا قال اعطاني
انسان حوائج للشيخ رضى الله عنه ابلاغها له فلما حصلت في يدي قلت
والله لا ناولتها له يتلقها في غير وجهها او يتركها الى ان تهلك في التراب
وانا اولى بها الا ان يقول اعطنى معافى قال فلما وقفت بين يديه قال
رضى الله عنه لا مائة لا يحملها الا الرجال هات اعطنى ما لي قال فاعطيته
ما له وثبت الى الله تعالى رضى الله عنه

اليس عجيبا يسرافستي حديثا يرى غيبه مكتشم
فيدي له الشيخ من سوره بداية ذاك مع المختشم

* المنقبة الرابعة والسبعون *

منه ايضا قال اجتاز رجل من اصحابي بالشيخ رضى الله عنه وقد اشرف
على السوق قرآه وقد طال شارب به فاشار المسكين باصبعه نحو الشيخ
وقال كانه يزدري به هذا الذى كانه الخائف هو الشيخ وانصرف الى
موضعه فلما كان الليل نام اصبح ووجهه في قفاه وله شبه بوجه الخائف
والعياذ بالله تعالى فامر اهله ان يجعلوا في عنقه حبلا ويستروا وجهه
ويحملوه الى الشيخ كذلك ففعلوا ذلك واتوا به الى الشيخ وهو يتصرع
ويبكي فكانوا كلما مروا به يعتدل وجهه ولما وصلوا الى نصف الطريق
ذهب عنه السوء مرة واحدا وفرج الله عنه فتأب الى الله ورجع الى
اعتقاده الشيخ رضى الله عنه

تعرض للشيخ جهلا ولسم يقف عند ما يقتضيه لادب
فوقب بالذنب لنفسه الى رشده كي يعافى انتدب

* المنقبة الخامسة والسبعون *

عن الفقيه الاكمل ابي الفضل بن شجرة وهو من المعتقدين المحبين قال
كان بي مرض ريج الكلى وكنت منه في مشقة عظيمة فزرت يوما الشيخ
رضى الله عنه وجلست امامه مع من هنالك فاذا باحد اصحابه رضى
الله عنه قال له يا سيدى هذه الخاية مارها يصل من الجرب لخابية هنالك
ما زال الشيخ يجعل الماء فيها فقال رضى الله عنه نعم فلما انصرفت قلت
في نفسي الذى يصل من الجرب يرى من ريج الكلى عدت يوما الى
زيارته رضى الله عنه فقلت لبعض خدمته استاذن لي الشيخ في الشرب
من هذه الخابية وقصدى معافى من مرضى فاستاذنته فلم ياذن لي
رضى الله عنه فقال له يشرب من الخابية لاخرى لخابية في طرف
السطح للسيل فاذن لي رضى الله عنه فتمت مبادرا وشربت منها ثلاث
شربات فعافانى الله تعالى مما كنت اجدته وكنت امتنعت من اكل
اطعمة خوفا مما تثير علي من المرض فاكلتها وما رايت منها سوء والحمد لله
ببركة الشيخ رضى الله عنه

وما زال من سره كـــــــــــــــــ انا عليل بصدق شـــــــــــــــــ
وكم من فتي ضامه الدهر قمد انا بصدق التجاء كـــــــــــــــــ

* المنقبة السادسة والسبعون *

منه ايضا قال كان لي ولد لا يشتهي الطعام ولا يقربه ولا يقبل عليه
واعيانا علاجه وكانت امه كثيرا ما تراودني على حملته للطبيب لينظر
علته فوقفت يوما بين يدي الشيخ رضى الله عنه وهو يسأل في قطف
عنب والناس يسألونه من ذلك فما يعطى لاحد شيئا فقلت في نفسي
لو اعطاني حبة من هذا العنب اطعمتها ولدى فعسى ان يعافى فعد

رضي الله عنه الي يده بحبة واحدة حملتها واطعمتها الولد فعافاه الله تعالى
من يومئذ صار يأكل الطعام ويشتهي به بركة الشيخ رضي الله عنه
عن الشيخ لا تعدل ودع كل عاذل فعذل الهوى جوروان خلت به دلا
فكم من فتي بالصدق أم مقامه تعسا جله البشري اذا دلوه ادلى

* المنقبة السابعة والسبعون *

عنه ايضا قال كانت لي زوجة احب شئ اليها لائف باهلها ولا اجتماع
بهم فكنت اتخرج من ذلك ولا اريده وانما اريد العزلة فوقفت يوما
بين يدي الشيخ رضي الله عنه وشكوت له حالي معها في سري وما
خاطبته من ذلك بشئ فقال رضي الله عنه الكل يعصرون الجبانة ثم
جعل يقول يا وحشي من القبور فعدت اليه بعد ذلك وقمت في سري
وثرى متى يكون ذلك فقال رضي الله عنه كاني خاطبته في ذلك يمشون
خمسين ميلا فقلت هذا امر يكون بعد خمسين يوما او خمسين جمعة
وارخت اليوم فمرت الايام والجمع والامر على حاله فقلت سبحان الله ما
الذي قصده الشيخ بالاميال ثم بعد مدة توفيت رحمها الله ونظرت فيما
بين مقالة الشيخ وموتها فوجدته نحيبا من خمسين شهرا ولحقها اهلها كلهم
ولم يبق احد ممن كان منهم في الدار حينئذ ظهر لي مراد الشيخ رضي
الله عنه ونفع به

وما زال يبدي في مراد مريسته احاديث يخفيها بستر من السر
وما ان لنا من عليها غير ما نسرى اذا انجاب غيم الغيب عن ذلك السر

* المنقبة الثامنة والسبعون *

عنه ايضا قال كانت والدته اهل المتقدم ذكرها اخذت بعد موت ابنتها
تركها في وحملت عندها ابني وهو حفيدها وتغيبت عني به مرة واحدة
فتأذيت من ذلك واثبت يوما لزيارة الشيخ رضي الله عنه فلما رأني قال
لي رضي الله عنه الوزيفة قلناها وخرجت من عنده رضي الله عنه فاني

بعض معارفي وقال لي لا اله الا الله ما فيك خير فقلت له وما ذاك قال
مائت ام اهلك وابيت ان تحضر جنازتها فقلت والله ما لي بذلك من
علم فقال لي الساءة صلينا عليها فعملت اذ ذاك مراد الشيخ رضي الله عنه
اشارته في الحال تخفى وبعد ان يرى اثر منها يلوح مراده
ومن رام لا بالذوق فهم مراده فقد بان فيما يدعيه عناده

* المنقبة التاسعة والسبعون *

عنه ايضا قال اثبت يوما الي الشيخ رضي الله عنه ازوره فوجدته غير
منبسط فتاخرت ووقفت وراء النواله فسمعت رضي الله عنه يقول بصوت
خفي يا صاحب الفرس ما تظر هذا الدود الذي في غابتنا فتحييت من
هذا الكلام وما عرفت ما مراده بالدود ثم انه في العام نفسه عم الجراد الغابة
الا انه على كثرتهم لم يضر كبير ضرر فحينئذ ظهر لي مراد الشيخ رضي
الله عنه ونفع به

من السران السر منا كجهسرنا لديم وان الجهر منه لنا سر
ومن مثل ذا للصادقين تبرهنات دلائله وانجاب عن غيبها السر

* المنقبة المئتمنة الثمانين *

عنه ايضا قال تزوجت امرأة فحملت واثت بولد ذكر فوقع مرة بيننا ما
يقع بين الرجل واهله من المفاضية فقلت في نفسي اذ انصرف هذا
الولد الذي بيننا فاصلتها وقصدت سيدي احمد عيلته رضي الله عنه
فكلمني بكلام ما فهمت منه شيئا وانصرف عني فجيئت الي سيدي احمد
ابن عروس رضي الله عنه وهو يومئذ فوق سطحه لم ياذن بعد اللبس في
الصعود اليه فدخلت الي الزاوية فاشرف علي رضي الله عنه وقال لي
من غير ان اكلمه يعيش حتى يصير رجلا فما زلت معها الي ان كبر الولد ثم
ان الضرورة دعنتي لسكني والدق معي فانكرت ذلك اهل وضاق صدري
مما يقع بينهما فحملت يوما الي الشيخ رضي الله عنه استنجت معها

معدبة وقصدت زيارته لما اشغل سرى من ذلك فتناول ذلك منى واخذ
يعد المعذبة التي مع لاسفجة ثم قل لبعض خدمته خمسة خمس مرات
كم هي فقال له خمسة وعشرون قال واربع مرات قال عشرون ثم سكث
فهالت في نفسها هذا شيء يقع لي بعد عشرين وبعد خمسة وعشرين
فارخت اليوم ولما مضت عشرون جمعة فاصلت اهلى فقلت هذه واحدة
وكان فوق الكتاب الذى اقوى فيه الصبيان مخزن للفخار وكان متداعيا
الى السقوط وكنت خائفا منه فلما نزلنا يوم خميس وقد سرحنا الصبيان
واغلقناه وقع ذلك المخزن على الكتاب فهذه وسلمنا الله تعالى ببركة الشيخ
رضى الله تعالى عنه وكان ذلك عند تمام الخمس والعشرين جمعة فجئت
الى الشيخ لارى ما عنده فى امرى فلما وقفت قال لانسان كان بين يديه
ما اسمك فقال له مسعود فقال ابن من قال ابن خليفة ثم امره ان ينصرف
فقلت وقد علمت ان هذه الاشارة الى رضى الله عنك هيتنى بالسعادة
لسلامتى انا ومن معى من الردم واخبرتني بالخلف فكان الامر كذلك بنى
الكتاب من له الامر من بيت المال وفتح الله علي فيه بمرزق كثير
والحمد لله ببركة الشيخ رضى الله تعالى عنه

افى حال من هذا الحديث حديثه يشك اخو عقل ويرتاب ذو فهم
ولكن اذا التوفيق خان اخا الهوى يخالطه فى الحق شئ من الوهم

* المنقبة الحادية والثمانون *

منه ايضا قال استشرت الشيخ رضى الله عنه مرة فى عقد نكاح صبية
من قرابتي فاذن لي رضى الله عنه فى نكاحها واتيت بعد ذلك بطعام
وقلت فى نفسى اذا اكل منه فذلك علامة تيسير امر هذه المرأة علي فى
زتها وتوابعه وان لم ياكل منه فامرها عسير متعذر فلما ذواته رضى الله
عنه ذلك الطعام جعل ياكل فيه وانا انظر اليه حتى لما اظن انه ترك
شيئا منه فسرني ذلك وعلمت ان الله تعالى سيسر امره علي فكان كذلك

ورالله لقد بنيت بها واولمت وما تسلفت غير دينار واحد ببركة رضى
الله تعالى عنه

فللشيخ فاجح واستجر بجمهواره ثل كل ما تهوى من النفع والدفع
فكم من فتي بالصدق ام مقسامه فعوجل عن خفض لاسى منه بالرفع

* المنقبة الثانية والثمانون *

منه ايضا قال اتانى يوما خادم الشيخ رضى الله عنه وصاحب زنبيله
وقال لي ان الشيخ امرني بشراء حصر له وقد عجزت لمرض لي من السعي
فى ذلك وبقي علي من ثمنها ثلاثة دراهم فاعطيتها له وانا محتاج اليها فلما
كان من الغد جاءني ثلاثة من الصبيان ليرة واخذوا عندي فكنت آخذ من
كل واحد منهم فى الشهر ثلاثة دراهم فقلت هذه بركة الدراهم التي دفعها
لي حصر الشيخ رضى الله عنه ونفع به

وهذه سنة ما زال يعرفها من عامل الشيخ ايمانا وتصديقا
يعطى يسيرا فيعطى منه تكملة اضعافه ليزيد الحق تحقيقا

* المنقبة الثالثة والثمانون *

منه ايضا قال هاق صدرى مرة من الكتاب وادركنى ملل وجاع فى فقير من
فقراء الشيخ رضى الله تعالى عنه فقلت له بالله عليك الا ما قلت للشيخ
عنى انظر منى من جناب الله فقد ضاقت نفسى من هذا الكتاب فقال نعم
وانصرف منى فلما كان من الغد اتانى انسان بستة دنانير ذهب وقال لي
بعثها لك فلان عن ختمة اولاده وطلب منك ان تخطى سبيل الصبيان
جمعة فقلت له نعم ولكن بطالمة جمعة هكذا دفعة لا يليق فخن نجعلها
فى جمعيتين اربعة ايام فى كل جمعة فقال مبارك وانصرف منى وكان
الذى بعث الي بهذه الدراهم من ارباب المناصب وكان حين ختم اولاده
قد عزل عن خطمته فتولى وبعث لي ذلك وختم عندي صبي آخر خيلنا
له سبيل لاولاد جمعة اخرى وادركنا العيد فتوالت لنا بطالمة كثيرة

انبسطت النفس فيها وانشرت وحصل لنا في اثنتائها رزق كبير ببركة
الشيخ رضي الله تعالى عنه ونفع به

بباب الشيخ اوقف ما دهناه لما يدري من السر الفريب
فعوجل بالشرح الصمد منه وكشف الباس والفتح القريب

* المنقبة الرابعة والثمانون *

عن ابي سالم ابراهيم البنزرتي قال حدثني الحاج ابو عثمان سعيد الزموري
قال زرت الشيخ سيدي احمد ابن عروس رضي الله عنه يوما وهو في
بيته السفلى ووجدت عنده جماعة فيهم الفقيه محمد الحبيب النابلي
فادناني رضي الله عنه واجلسني بين يديه ثم قال لي تقرأ شيئا من القرآن
فقلت ما تيسر فقال قال الله تبارك وتعالى بعد اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سبلات خضر واخر يابسات ثم قال لي تعرف فرق باجته فلم اعلم له
مرادا واعاد ذلك علي مرارا فما علمت له جوابا فقال لي الفقيه النابلي
المذكور قال لك الشيخ ان كنت تريد الفرق على الطعام فافرق يريد
السلم في الطعام فانصرفت من عنده وانا جازم ان كلام الشيخ انما هو
لامر سيكون وشدة تبدو للناس فاخذت من الطعام ولادام وتوابعهما ما
يكفي سنته او اكثر وبعد مدة قريبة من هذا المولود وافى الخبر بهوت
صالح الملوك بالغرب رحمه الله فما رايت من الشدة والحمد لله ما رآه
غيري بافريقية ببركة الشيخ رضي الله عنه ونفع به

عجبا لمن نلتو عليه ليرعوى آيات هذا الشيخ وهو مكذب
او ما له من ذا اعواء والرضا كم ناله من مسعى مذنب

* المنقبة الخامسة والثمانون *

منه ايضا قال كنت انا واهلي ليلة في وسط الدار واذا بالحركة فوق السطح
فنظرنا فاذا بسيدي احمد ابن عروس رضي الله عنه واقف ينظر فينا فاخذنا

منه العجب ثم انه رضي الله تعالى عنه قال لنا ما معناه ارحلوا فاقمنا بعد
هذه الليلة دون الشهر وما كنا نومل رجلا عن هذه الدار وارحلنا الى دار
قريبة من زاوية المبركة فعلنا انه انما استدعانا لذلك رضي الله عنه
اذا كان يبدو بالعلية ذات اسمه باقصى بلاد الله هنا وما احتجب
فكيف وعنوان الدراية عندنا نرى مثل هذا الامر منه من العجب

* المنقبة السادسة والثمانون *

منه ايضا عن الحاج سعيد بن يزيد الزموري قال اودع عندي رجل من
التجار مال له قدر فجئت يوما لافقده ففقدته فلم اجده فاصابني لذلك
من الكرب ما لا يعلمه الا الله تعالى ولم ادر ما انا صانع وبجئت عن
صاحب المال فقل لي انه سافر وما زال الامر بي الى ان امرضني وصرت
اجلس بالدم فتصدت يوما الشيخ سيدي احمد ابن عروس رضي الله عنه
وشكوت له ما نابني من ذلك فقال لي رضي الله عنه الذي اخذه يرد
وانصرفت فينما انا يوما في حانوتي واذا بصاحب المال قد سلم علي وقال
لي كنت في بجاية ثم انه اخرج شيئا وفانليه فنظرته فاذا هو الطرف
الذي كان عندي فقلت له متى اخذته مني فقال جئتكم يوما وانت
تريد ان تغلق الحانوت فطلبته منك ففانلتيه فحمدت الله تعالى على
حسن العاقبة في ذلك وعلت مراد الشيخ في قوله الذي اخذه يرد رضي
الله عنه ونفع به

تلق النصيحة مني وحسن اليك حديث نصيح فصيح
اذا صابك الدهر يوما فسوز عروس الزمان بعدد صحيح

* المنقبة السابعة والثمانون *

منه ايضا قال كان عندي نصراني اسير بيت عندي في الدار فنقب الدار
ليلة وهرب وما علمت له مستقر وقصدت الشيخ رضي الله عنه واحسرت
بهروب الاسير فقال لي رضي الله عنه ما عنده اين يمضي وبقيت كذلك

لثمانية عشر يوما فبينما انا يوما في حانوتي واذا بانسان وقف علي وقال
اسيرك عند الرسل الذي ههنا من قبل النصارى وقد كان سعى في شراء
قنارب له ثم تعذر عليه الامر وتعسر ولما راى انكشاف حركته اخبر
السلطان بان الاسير عنده لثلاثا يلام على ذلك فلما تحقق الامر عندي
توجهت الى الرسل المذكور فامكنني من الاسير دون ممانعة في اامرة بهمة
الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

اذا جئت للشيخ في حاجة وبين يديك شفيع اعتقاد
تعود بالمتى مثل ذا والرضى وما نال قصدا حليف انتقاد

* المنقبة الثامنة والثمانون *

عنه ايضا قال وقع بيني وبين اهلى كلام اوجب مرض باطنى وبتنا فلما
اصبح جئت الى الشيخ رضى الله عنه ووقفت بين يديه في جملة من
هنالك من الزائرين واذا به رضى الله عنه لاحظني ثم قال لي نحن من
آزورا وسلا ما نحب من يخرج ولا من يدخل ارفع مداسك ما بقيت
عشرة وجعل يكرر هذا الكلام وبعد ثمانية ايام من هذا الموطن وقعت
المفاصلة وافترقنا واخذني العجب من اطلاعه رضى الله عنه ونفع به
لا تعجب من اطلاع الشيخ بل ممن قراه عن الهدى محبوبا
وضح الدليل لذى البصيرة والهوى اصبى الغنى فلم يزل مطلوباً

* المنقبة التاسعة والثمانون *

عن ابي عبد الله محمد حماد الغرياني قال مرض لي فلام كان عندي فجئت
به يوما الى طبيب تحت الزاوية العروسية وسالته عن دائه وعلمته فقال
الطبيب يصلح لهذه العلة الدواء الفلاني فاخرجت الدراهم وناولتها الطبيب
فبينما نحن في ذلك واذا بالشيخ رضى الله عنه ينادى من فوق السطح
يا هذا الوصيف على شافة الوادى فاتفق ان بقى الوصيف يومين ومات
وصدق الله تعالى قول الشيخ فيه انه على شافة الوادى رضى الله عنه

لا تلق بالانكار يوما مثل ذا ان الولاية امرها لغريب
وطريق هذا الشيخ ان زاولتها عجب وان حديثه لعجيب

* المنقبة المئمة التسعين *

عنه ايضا قال تكلمت مع بعض ارباب الدولة وكنت مجاورا له فاستفزني
الغيظ الى ان حلفت على عدم مساكنته وجزت على الشيخ رضى الله عنه
فقال لي دولته دولة الذباب فلم يبق الا ستة ايام واخذته السلطان رضى
الله تعالى عن الشيخ ونفع به

لا تعجبوا من شيخ وقت لم يزل عن غيب احوال الورى يتكلم
فالعبد ان لبس التقى ثوبا يرى سرا يعلم منه ما لا يعلم

* المنقبة الحادية والتسعون *

عنه ايضا قال كان عند الشيخ رضى الله عنه لحم احد عشر راسا من الغنم
او ثلاثة عشر الشك منه مجعول كله في جفان كبيرة مملح ملحا خارجا
عن المعتاد ثم انه رضى الله عنه ازاله من جفانه وجعله في حصر وخاطبها
عليه ووضع بعضها على بعض ووقف عليها وبال ثم بعد مدة اتيت فامرني
بالاثنان بتلك الحصر فاخرجتها له فحل خياطتها فاذا هي لا لحم فيها ولا
عظم ثم قال لي هذه حصر القديد تحقيا لحيرتي من ذلك رضى الله عنه
ومن ذا الذى لم يهم حيرة من الشيخ في امرة المسارق
وكيف يرجى الى مسروره وصول اذا لاح كالبسارق

* المنقبة الثانية والتسعون *

عن الشيخ ابي الحسن علي ابن عروس ولد اخي الشيخ رضى الله عنه
قال سالت الشيخ رضى الله عنه يوما في مائة دينار ذهبا فقال ما تصنع بها
فقلت له علي الدين اقصيه عني وانفق الباقي فقرن رضى الله عنه بين
كعبيه واستقبل القبلة وقال لي والله لو شئت ان اعطيك من تحت قدمي
هاتين قطار ذهب دنائير طرية لاعطيتك فقلت له وما يمنعك قال اخاف

عليك ان يشحاذ قرنك وتحمر منك ثم قال المرأة اذا كان عندها زوجها
ليس يقوم بامرها كله قلت نعم قال انت المرأة وانا الرجل نطعمك
ونسقيك حتى يفرج الله عنك رضى الله عنه

وليس الذى قال مستغربا ولا ذاك فى حقه ينكسر
وحكم خسار في فوق ذالم يزل عن الشيخ بين الورى يذكر

* المنقبة الثالثة والتسعون *

عنه ايضا قال جئت الى الشيخ رضى الله عنه وقد هاق صدرى واعتنى
الحيلة فى تحصيل الرزق فقلت له اما ان تقوم بامرنا بحيث لا نحتاج
معلك الى احد والا فاعرج من هذه البلدة ونخرج معك الى الغابة نودعك
ونرجع فتغير وجهه رضى الله عنه لسماع هذا الكلام منى ثم قال لى
كثرت والله يا سيدى علي مرة او مرتين ثم قال امش اليوم ما عندى والله
ما نعطيك فانصرفت ولما كان الليل رايت رضى الله عنه فى النوم وفى
يده آتية باللبن سقانيها وحدى فانتبهت وقلت لاطلى غدا ان شاء الله
يفتح علينا من الشيخ فلما أصبح وصليت الصبح اتيت فقال حين رآنى
اراك بكرت بكرة من جاء الى الكرمة بقرطلته وامرنى انا واحد خدمته
بقضاء حاجة له فقضيها له وجئنا فاذا فى يده رضى الله عنه اسفنجة
فازال شيئا منها وقال لى نعطيك فقلت هات فقال تاكل وحدك او ياكل
معك غيرك فقلت وحدى فقال لى مرالى ذلك الموضع واشار لى الى
ناحية خارج نوالله فقد وضعت لك هنالك خبزة فخذها فمضيت فما
رايت هنالك خبزا فقال قدامك يا مهج البص هكذا بهذا النص فتقدمت
فوجدت قفزة صغيرة قد خيطت بالحيط الرومى فحملتها وانصرفت فقال
لى اهرب قبل ان يقاسموك فيها ففتحتها بعد ان وصلت الى الدار فوجدت
فيها جملة صرائر من الذهب تشفى الصدر رضى الله عنه
جمعت له فيها محامد لم تزل امثالها تبدولنا من وصفه

حلم وصبرى انا لله وغيبته واغائته المستليذ بكهفهم

* المنقبة الرابعة والتسعون *

عن صاحب التنفيذ بالحضرة العلية تونس عمرها الله وهو الفقيه لاراس
الاوحد ابو العباس احمد السليمانى قال لى وقد تذاكرنا عنده بعض كرامات
الشيخ رضى الله عنه ونحن بسقيفة داره فى شهر رمضان عام ستة وستين
وثمانمائة ما عندى والله فى الشيخ نفع الله به ما اقله وذكر عنه رضى
الله عنه نوادر انتفعت له معه لا اذكر الآن منها سوى هذه قال قصدت
زيارة الشيخ فى جماعة من الاصحاب سماهم حينئذ فلما قربنا من مقام
الشيخ رضى الله عنه قال بعض الجماعة كيف زيارتكم لهذا الشيخ فقلت
لهم اما انا فمعتقد غير معتقد وقال بعضهم لرجل سماه واما انا فمعتقد غير
معتقد ووقف اثنان من اصحابنا ودخلنا اليه على هذا فكان اول من تكلم مع
الشيخ المعتقد فقال له اذهب يا راس حلوف مد لى او ما هو قريب من
هذا الكلام وزجرة وكذلك خاطب الآخرين كل احد بما يدل عليه
من الكلام المقتضى صفته ونعمته ولما سلمت عليه قال لى اعلا بجبيبننا
انت حبيبننا فاطلمه الله تعالى على سر كل واحد منا رضى الله عنه
اما اطلاع الشيخ فيما قد ترى فحديثه من كل شى اغرب
يدى الذى نخفيه من احوالنا فكانه منا لينا اقرب

* المنقبة الخامسة والتسعون *

عن الشيخ ابى الفضل ابن علي بن مقران بن مور بن حمزة احد مشايخ
اولاد ابى الليل قال حدثنى احد اصحاب الفقيه ابراهيم البونى عن البونى
المذكور قال هربت لنا خادمتنا فلم نجدها بعد بذل الوسع فى البحث منها
فقلت لبعض اصحابى هذا الشيخ سيدى احمد ابن عروس اعتقادى فيه
غير ثابت ومن هذه المسألة اعرف حقيقة حاله فاشهد ان له عندى ان
جبر الله هذه الخادم علينا اربعة دراهم ناصرية وخرجنا فبنفس ان مرونا

بالزاوية وهو في سطحه ناداني يا بوني فقلت له نعم فقال ان ضربت الخادم لا تلم الا نفسك وهات اعطنا الاربعة دراهم ناصرية متاعنا فقلت له نعم ووجدنا الخادم في زاوية رضى الله عنه ونفع به
اهل اليقين يقيهم يحميهم ويقيم فتن الشكوك العارضة
واخو الهوى يرضى ويفضبه للهوى والحق لو يدري الحقيقة عارضه

* المنقبة السادسة والتسعون *

عن الحاج ابي عبد الله محمد بن محمد الربعي عرف المفردى قال خطبني انسان في ابنتي والح علي في ذلك فاستنعت الى ان استشير الشيخ رضى الله عنه في ذلك فلما رآني وقد وقفت بين يديه رضى الله عنه اجلسني بين يديه وقال لي وما خاطبتك بكلمة هذا حديث لا يصح منه شيء ما ناخذوا الا واحدا من جريانة ياخذ من متاعنا ولا نرى منه خيرا ويحصل لنا في مثل الخلوף الجروح ولا نقدر له على شيء والله تعالى يخلص على خير وذكر المدة التي يعاشرنا فيها ونسيتها الآن فاتفق ان الذي كان يخطب لم يتزوجها وتزوجها انسان ما علمنا انه من جريانة الا بعد العقد وكان كلامه كما قال الشيخ رضى الله عنه سرق حوائجها الى ان تركها جريانة وخرج لجريانة ولم نقدر له على شيء ثم انا فاصلناه بعد ان ابريناه في كل شيء الله جل اناله ســـــرا به بالاذن مما قد يكون يترجم
او ما ترى اعلامه يبدو على وجهه من قبل ذلك يعلم

* المنقبة السابعة والتسعون *

منه ايضا قال ما زال اولادى يطلبون منى زيارة الشيخ رضى الله عنه فاقول لهم سيدى احمد ابن هروس صيد يريد اسدا ولست ممن يصلح لزيارته فكانوا اذا زاروه وقفوا بين يديه يسالهم عنى ويقول ابوكم هو الذى يعرفنى انا صيد كما يقول لكم فيخبرهم بما يقع بينى وبينهم ونحن في الدار او غيرها رضى الله عنه ونفع به

ما زال يخبر عن مغيب امرنا وخفيه عنا بقول جـــــازم حتى اغتدى علم السرائر عنده مما يحدث مثل وصف لازم

* المنقبة الثامنة والتسعون *

عن الفقيه الصوفى ابي زيد عبد الرحمن بن قاسم الهوارى قال كنت اخدم بين يدى الشيخ رضى الله عنه يوما ثم قلت له وقد اردت اذنه في انصرافى يا سيدى نمشى للاولاد فقال لي ما يمشى احد للاولاد الذين يصرونه فانصرفت وما فهمت من كلام الشيخ ما اعمل عليه فلما كان بعد اربعة اشهر طلقت اهلى وصرت اودى الفرض على الاولاد فحينئذ عرفت مراده رضى الله عنه ونفع به

يا سر هذا الشيخ يبدو قوله ففراة خلوا من تمام الفائدة
فاذا بدت من ملاءمة امارة ابدى المراد الى العيان فواودة

* المنقبة التاسعة والتسعون *

عن ابي علي منصور العكريش احد خدمته الشيخ رضى الله عنه قال صليت العشاء الاخيرة بجامع الزيتونة واذا بجماعة لا اعرفهم يتكلمون في الشيخ ويطعنون في برى عرضه ويحتمقون من يعتقده قال فهمت ان اوقع بهم ثم رجعت وخرجوا من الجامع فخرجت وراءهم وكانت طريقهم على الزاوية فلما صاروا تحت الشيخ رضى الله عنه اشرف عليهم وجعل يقول اذهبوا يا يهود عليكم لعنة الله يا يهود فلما سمعت كلام الشيخ رضى الله عنه زال ما كنت اجدته في باطنى من كلامهم وبقيت في نفسى حزاة من عدم معرفتى لهم فما زلت معهم الى ان لقيت انسان والضوء عنده فعرفتهم واذا هم اولاد يهود قد اسلموا فقلت صدق رضى الله عنه في قوله اذهبوا يا يهود عليكم لعنة الله يا يهود

ان الولي اذا تحقق كلاما يبدى له سر من لا ســـــرار
او ما ترى منه لاشارة كيف لم تخرجهم من جملة الاشـــــرار

* المنقبة المتممة المائة *

عنه ايضا قال صعدت يوما فوق سطح دارى فوجدت هناك عشيا وريعا
فاقتلعتهم وجئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما وقفت بين يديه قال لى
يا محمد وكذلك يناديني فقلت له نعم فقال رايت ذلك الربيع فقلت نعم
فقال الساءة رايت رجلا يقلعه فقلت له نعم وما عرفت مراده فقال لى
وايش ما فيه ذنوب وجعل يكرر هذا الكلام فما فطنت لمراده الا فى المرة
الثالثة فقلت استغفر الله فقال نعم هكذا تحب فهاء رضى الله عنه من
العودة الى ازالة ذلك من غير ضرورة داعية

نهاه وكلما يبديه نهيا واما يصحب الدعوى الصحيحة
وقطع مسبح مرجوح فعل لغير ضرورة تدعو مبكس

* المنقبة الاولى بعد المائة *

عن الشيخ ابى محمد عبد الله بن عبد المغيث ولد اخ الشيخ رضى الله عنه
ونائبه بالزاوية قال كان بعض فقواتنا عند العرب لآخذ الجمال ثم ان
الشيخ اردفهم بى وامرنى بلحقهم فقلت له اطلب منك المدد بالخاطر
فقال لى اذا جاءك ياجوج وماجوج ما يكون كلامك لهم فقلت ما يةوله
سيدى فقال اذا جاءوك فقل يا حى يا قيوم برحمتك استغيث فانا ناتيك
فاتفق انى سافرت فوجدت قافلة عظيمة كانها الركب فيها خلق كثير
وعائلات قد حصرهم خوف العرب هنالك فلما راوتى تعلقوا بى فعملت ان
الشيخ انما وجهنى اليهم فما سوت معهم الا قليلا واذا يقوم من العرب
لا يحصون كثرة قد اغاروا علينا واحتازوا القافلة فامدنى الله تعالى بمدد
همة الشيخ رضى الله عنه وركضت القوم وادرت بهم دائرة ثم انى
ناديت يا حى يا قيوم برحمتك استغيث فكشف الله لى عن خلق معهم
رايات وهم مقبلون الى يقرولون لا تخف نحن فى نصرتك فكان الرجل
من العاربيين يجرى فيختر على وجهه والفارس يصرع مع فرسه فلما راوا

ما هم فيه ولا يرون له منا سببا ظاهرا اكبوا على واستقالوا وردوا جميع ما
حصلوا عليه من قليل لاشياء وكثيرا وسلم الله تعالى القافلة ومن فيها
ببركة الشيخ رضى الله عنه ولما عدت اليه قال لى رايت كيف اغشاك
وجفتاك رضى الله عنه

ابدى له من سره العهود ما يلائى وطالعة التخلص طله
واغاثه لما استغاث وعند ما وافى اليه بغيث ذلك اعلمه

* المنقبة الثانية بعد المائة *

عنه ايضا قال جئت الى الشيخ رضى الله عنه يوما بطعام فلم اجده فى نواته
وبحثت عنه جهد استطاعتي فما وجدته ولا عرفت له خبرا فجلست
وانزلت الطعام بين يدى ووضعت راسى على ركبتى وانا مفكر فى امره
واذا به رضى الله عنه جالس الى جانبى فحركنى بيده وقال لى هات
الطعام ثم قال لى بارك الله فيك وفيمن ربك رضى الله تعالى عنه ونفع به
لما اختفى عن نظريه ولم ينل من امره المكتوم سر حقيقة تسهم
جعل التاديب غاية فانالهم منه الرضا عنه لحفظ طريقته

* المنقبة الثالثة بعد المائة *

عن الشيخ ابى علي منصور بن زيد احد خدمته الشيخ رضى الله عنه
قال اجتزت يوما بشرقى جامع الزيتونة فوجدت هنالك خبزا اعجنى
فاشترت منه خبزة ووجدت عند انسان شهدا يبيعه فاشترت منه
وجعلته فى الخبزة وحملته للشيخ رضى الله عنه فاخذه من يدي وضربنى
بجهر تخفيت من طريقه وخرجت من فورى الى السوق فالتفتى للشيخ
الصالح ابو الحسن فلى المزوغى وفى يده من الخبزة التى حملت للشيخ
بما فيها من الشهد فقال لى تاكل من هذه فعرفت ذلك وقلت لعل الحجر
الذى رايت الشيخ رمى به هو الخبزة رمى بها لهذا الرجل الصالح والله
تعالى اعلم

ما زال يبدى من غريب السر ما كلت عقول الكل عن ادراكه
وحديثه عجب فسلم ان رمى بدرا ولا تلبث الى افراكه

* المنقبة الرابعة بعد المائة *

عنه ايضا من ابن عصفور قال كنت في علو الزيتوني مع الشيخ الرباط
ابى عبد الله محمد بن خلف الله الشكاز وكان موسوما بالصلاحي فطر من
طاق العلوه وهو مشرف على موضع الشيخ رضى الله عنه فرأى الشيخ وقد
طال شارب الغاية فقال لي اذا كان هكذا شارب كيف يكون ابطه وعائنه
قال فاذا بالشيخ رضى الله عنه قد اراه قاع قدمه وضرب بيده عليه وقال
له علي الطلاق يا مهج البص هكذا بهذا اللفظ ما هو الا مثل قاع رجلى
لانه سمعه رضى الله عنه

اذا كان بالسرم سرنسا باذن من الله قد ينطق
فليس بمستغرب مثل ذا وبالقول قد افصح المنطق

* المنقبة الخامسة بعد المائة *

عن ابى عبد الله محمد البلى احد فضلاء اولاد الشيخ رضى الله عنه قال
كنا يوما عند الشيخ رضى الله عنه فوق السطح واذا بغراب اجتاز في
طيرانه فوق علو الجامع الذي كان ابن عصفور احد صدور ارباب المناصب
بتونس يسكنه فقال الشيخ رضى الله عنه مخاطبا لذلك الطائر وهو ينطق
يا طائر اذا اخذت مرفنا فما مرفنا للشيخ رضى الله تعالى عنه في ذلك
مرادا فلما كان بعد شهر او نحوه اخذ صاحب العلو المذكور فظهر لنا سر
كلامه حيث رضى الله عنه

لله ما اخفى المراد يريده بالشارة من سره اهداه
فاذا بدا عين اليقين بدت لنا منه شواهد صدقه ابداه

* المنقبة السادسة بعد المائة *

عنه ايضا قال هربت للزاوية العروسية عمرها الله جارية من جوار

بعض كبار قواد الدولة الخفصية العثمانية فسعى في اخراجها بكل وجه يمكن
وجه اليها يحاسنها ويحاملها فامتنعت فلما رأى امتناعها وتاخرها عن
العود اليه والرجوع الى رضاه وجه لاجراجها مملوكا من الطواشية فجاء
الى نائب الشيخ ومعه خدعة وقال ان هذه الجارية سرقت لنا من الدار
بعض ما يعز علينا فخلوا سبيلها معنا لنستخلص منها ما اخذته فابت الجارية
ولجات الى الشيخ فقالوا لا نذهب الا بها طوعا او كرها ومدوا بقلعة الحياء
الستهم اليه فصعد الى الشيخ واخبره به قالهم فانتقب من كلامه واخذ عود
رمح كان عنده وعكسه بحيث صار لا على منه اسفل وقال له انصرف
على خير ثم رمى الطواشى ومن معه بالحجارة فانصرفوا قال كان هذا
الموطن يوم الجمعة وفي يوم لاحد المقبل المولى اخذه السلطان واستولى
على جميع امواله فما رآته جاريته ولا رآها رضى الله عن الشيخ ونفع به
من ذا الذي جهلا يعرض نفسه للمقت من اغضب اهل الله
ويسرمهم بخسا لامر هلاكه الا فتى عن كل فستح لاه

* المنقبة السابعة بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثني الشيخ ابو محمد عبد الله بكسر دال عبد ولد اخي
الشيخ رضى الله عنه ونائبه رحمه الله قال كان السلطان لامام البجعة
القائمة المنتصر نور الله قبره كثيرا ما يوصيني بحط ما يتكلم به الشيخ رضى
الله عنه او كتبه وانهااته اليه ويؤكد علي في ذلك فكلمت يوما الشيخ
رضى الله عنه في امره وقلت السلطان يسلم عليك فما تقول له فقال رضى
الله عنه ما معناه امسكت على يدى بيازين فطارا عن يدى وصعدا في
الجو وانا ارقبهما فلما توسطتا في الجو جذبتهما الى بسير رقيق متصل بالقفاز
شيئا فشيئا الى ان رجعا الى يدى وامسكتهما فاخبرت السلطان المذكور
بهذا الكلام فقال لي بعد امعان النظر في مدلوله وكان له ادراك شريف
وفهم ثاقب الذى اقامه الله عندي في معنى اشارة الشيخ هذه انه سيهرب

الى اثنان من ملوك بني حفص ولا يتم لهما امر ويرجعا الى يدي قال فكان
لامر كما قاله رحمه الله عليه في معنى اشارة الشيخ رضى الله عنه ونفع به
ورقى في اعتقاد الشيخ مرقى يخول مثله صافي السريرة
ففهم من خبايا التورم سرا وادركه جنوبو البصرة

* المنقبة الثامنة بعد المائة *

عن المعلم ابي العباس احمد ابن محمد العيشوني وهو الذي بنى الزاوية
العروسية صرحها الله تعالى بذكره قال كان في زاوية الشيخ رضى الله عنه
حائط عال تداعى سفليه كله للسقوط واعلاء صحيح لا يحتاج الى بيان
فاتوا بي لبناؤه فقلت لا بد لنا من تعليق الاعلى لاصلاح السفلى فانوى
بما احتاج اليه في ذلك من الخشب وشروعت في صناعة التعليق الذي
لا يتأتى لنا امر الا به ومحال في نظر الصناعة والعادة ثبات الاعلى بنفسه
بعد نقص ما هو عليه فنهاني رضى الله عنه عن التحدث في التعليق
فقلت يا سيدى لا بد من ذلك ولا نقدر على الدخول تحت الحائط قبل
تعليقه فقال رضى الله عنه انا هنا واقف ما تحتاج الى تعليق فلما سمعت
منه هذا الكلام ملئت ان الامر سماوى وتركت مقتضى الصناعة لقوله
رضى الله عنه فنقصنا السفلى وبقي الاعلى معانينا علينا لا يمسه الا القدرة
الله تعالى واخذنا في البناء الى ان وصلنا الحائط بعضه ببعض وما نالنا
شئ مما كنا نتخوفه من الهلاك المحقق ببركة الشيخ رضى الله عنه
اجرى الملام في صناعة نقصه احوال ذاك على الذي يعتاد
فبداه من سر هذا الشيخ ما افنى وطاوع بعد ذا المتعاسد

* المنقبة التاسعة بعد المائة *

عنه ايضا قال جئت يوما لزيارة الشيخ رضى الله عنه فاقمت عنده مدة
من النهار ثم لما نهضت للانصراف قمال الى اجلس حتى تصلى العصر
فجلست فلما صلينا بمسجد الزاوية وارتد الانصراف قال لي اجلس حتى

تصلى المغرب وبعد صلاة المغرب قال لي رضى الله عنه انصرف الضيفان
ينظرونك في الدار فلما وصلت الى الدار وجدت اصهارى في الدار قد
قدموا علينا ضيفانا كما قال لي رضى الله عنه ونفع به
احوال هذا الشيخ اسنى والذي جهل الحقيقة مثل ذا يستعظم
والناس شتى في الهوى لكننا بالله من درك الشقا نستعصم

* المنقبة العاشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت يوما بين يدي الشيخ رضى الله عنه فجلت في
سوى في امر قضاء الضرورة البشرية واين يضع ذلك فيينا انا التردد في
هذا الامر واذا به رضى الله عنه بقول رغ عني اى والله مليح اين يضع
ضرورة البشر ويكرر هذا الكلام فاحذنى من اطلاعه على ما في النفس من
ذلك العجب وقلت يا سيدى استغفر الله واتوب اليه رضى الله عنه
راى الشيخ في ظل العريش وما له الى دفع احوال الضرورة منتقل
فظل يجيل الفكر فيه تحيسرا ولم يدر ان العقل عن ذاك معتقل

* المنقبة الحادية عشرة بعد المائة *

عن ابي حفص عمر بن سلامة احد قرابة الشيخ رضى الله تعالى عنه قال
بينما انا يرما في شغلى واذا برجلين يسالان عن يدلها على الشيخ رضى
الله عنه ليزوراه فتركت ما كنت فيه من شغلى وقصدت بهما الشيخ
فلما وقفا بين يديه قال لهما رضى الله عنه كذبت العجوز كذبت العجوز
مرتين او ثلاثا فكانهما ادركهما العجب من كلامه وقبلنا لارض بين يديه
وانصرفا فتخبرت من امرهما وسر كلام الشيخ هذا معهما فسالتهما من ذلك
ماحا فيه فقالا كنا بمكة شرفها الله تعالى في جملة من بها من المجاورين
فقررنا يوما بسوقها فوجدنا فيه اوانى كثيرة من فخار المغرب ينادى عليه
للبيع فقلنا هذا احد المغاربة مات وما لنا به من علم فسألنا الذى هو
واقف على بيع تلك الاوانى عن ذلك قال لا علم لي وهذا الاوانى للعجوز

التي في طرف السوق وأشار لنا إليها فتصدناها فقالت وقد سالناها عن ذلك وهل هي مغربية أو مكية حكايته في هذه الأواني غريبة وما زلنا بها إلى أن قالت كان لي زوج من فقراء المسلمين قدر أنه توفي وترك لي أربعة أولاد وما خلف لنا قوت يوم واحد وما عندنا شيء نرجع إليه فكنت مع أولادي يوم موته وليته ومن الغد إلى صلاة الظهر في شغل عن انفسنا بامر موارثته ودفنه فلما عدنا بعد الفراغ من ذلك إلى منزلنا وقد كاد الجوع يهلك أولادي ولا مفتقد لهم ولا راحم إلا الله بكوا وبكيت رحمة لهم ومصابهم وعجزنا عن القيام بما لا يقومون به لانفسهم وكانت عندنا لذلك ضجة عظيمة فبينما نحن كذلك وإذا بشيخ محتزم قد وقف لنا عند باب البيت وناولني قصعة فيها طعام وقال لي لا تتركني هؤلاء الأولاد يكون وإذا أنهم بما يحتاجون وانصرف فكشفت عن الطعام وإذا به طعام المغاربة فجمعت لذلك ولما أقبل الليل اثنا أيضا بالطعام ومن الغد كذلك فلما تذكر ذلك منه معنا ليلًا ونهارًا وما عرفت لامر حقيقته سألته عن ذلك فما أراد أن يخبرني فسالته بالله من أنت وهل هذا الطعام من عندك أو يبعثك به أحد إلينا فقال أنا ابن عروس صاحب السطح بتونس ولنا معه على هذه الحالة أزيد من عشرة أعوام فهذه الأواني التي رأيتم يأتينا فيها بالطعام فإذا كثرت عندي أبيعها هكذا وقد شب أولادي اليوم ووعدني أنه سيزوجهم ويقوم لهم بسائر ما يحتاجون إليه في ذلك فقلنا كيف صفة هذا الشيخ قالت صفته كذا ونعمه كذا فذكرت صفة هذا الشيخ الذي رأيناه الآن وقد كنا اجتمعنا على زيارته فعن هذا أجابنا بما سمعته أبقاء للستر على نفسه رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته

هذا هو التصريف والسر الذي بهر العقول وحير الأوهام
ولو انتضى سيف الحقيقة عامدا مال الخلي إلى الهوى أو هاما

* المنقبة الثانية عشرة بعد المائة *

عن الفقيه أبي الهادي بن عبد الرحمن الفاسي قال صلى مرة الفقيه

الصدر القاضي أبو الفضل قاسم السنطبي قاضي الجماعة حينئذ صلاة العصر بجامع الزيتونة من تونس وكان إمامه فلما خرج تابعته جماعة إلى داره وقالوا إن هذا الشيخ ابن عروس يجتمع عنده النساء والرجال فوق سطحه وهذا منكر يتعين عليك تغييره فقال لبعض خدمته إذا كان غدا فاحمله إلى المارستان وانفصل على ذلك المجلس قال وكنت عند باب داره مع ولده الفقيه القاضي أبي العباس أحمد وهو في كرب عظيم مما أمر به والده من حمل الشيخ إلى المارستان فإنه كان يعتدة قال فبينما نحن في ذلك وإذا بأمته خرجت من الدار وقالت سيدي يقول لك قل لفلان للرجل الذي كان أمرة بحمل الشيخ رضي الله عنه إلى المارستان لا سبيل أن تتعرض للشيخ بوجه من الوجوه فتبسم ودخل إلى الدار ثم عاد إلي وقال لي أنه يتقلى من وجع أصابه وهو منه في أمر عظيم ثم أن بعض الفضلاء ممن كان معنا وهو يحدثنا بهذا قال أخبرني من اتق به أن القاضي لما أصابه من هذا الوجع ما أصابه واشتد به كان يجد ثلا يخيل إليه منه أنه سيغلب على منع نفسه بالقوى الماسكة عما يخرج منه فينزعج لذلك إلى الرضا فإذا جلس على الكرسي وحاول خروج شيء منه لم يستطع ذلك وزال عنه ما كان يجده من ذلك فبعد إلى بيته فبنفس أن يستقر على فراشه يراجع ذلك قال فما زال الأمر به هكذا نحو من خمس عشرة مرة وفي الأخيرة سمع كلام الشيخ رضي الله عنه وهو يقول له تحب أن يخرج منك شيء والله لا أخرج منك شيء أو ما هو قريب من هذا الكلام فعند هذا وجه لولده برفع يد الذي كان أمرة بشقاف الشيخ رضي الله عنه

من لم تعظم زواج الشيخ السقي نتلو لم يعرض من لا مسراض
فاحكم عليه سجلا بهلا كما أن الهوى مرض من لا مسراض

المنقبة الثالثة عشرة بعد المائة

عن الشاب المعتقد أبي عبد الله محمد بن أحمد الطرابلسي قال أخذ بعض

اعزة اخواني في الله تعالى اسيرا فساءنى ذلك غاية فقد رانى اجتمعت
يوما باخييه فتباكيننا لمصابيه وسالته عن مستقرة في ارض النصارى فقال
الذى ثبت عندنا من ذلك انه بالوضع الفلاني وذكر لي انه تحدث
في امر افتكاكه مع يهودى التزم له عن ذلك ببعض شئ يعطيه له ان
هو سعى في ذلك وانفصلنا فقصدت الشيخ رضى الله عنه في امره لما وجدته
من نفسى من حرقة اسره فالفيتيه جالسا خارج النواله فتراميت عليه
وقلت يا سيدى سالتك بالله وبرسوله الا ما قضيت في هذه الحاجة ولم
ايقنها له فاعرض عني فتراميت عليه فاعرض ايضا عني ثم قال لي رضى
الله عنه الكلب ياكل فيها فقلت له يا سيدى حاشا الله ان ياكل فيها
الكلب ولاسد بازائه! وعلمت انه اراد بالكلب اليهودى الذى اخبرنى
اخو لاسير انه جعله واسطة في افتكاك اخيه وما زلت به رضى الله عنه
الى ان قال لي قضيت حاجتك وحينئذ انصرفت فما لبثنا بعد هذا الا
نحرا من اربعين يوما واذا بالاسير المذكور قد دخل على اهله بتونس وقد
هرب في جماعة من لاسارى وارسله الله تعالى الينا احسن الوصول وخلصه
من ايدى الكفرة الخلاص الجميل ببركة الشيخ رضى الله عنه

من ذا الذى وافى المقام وصدقهم بباد عليه ولم ينل مطلبه
ومن الذى قد امه وشفيهم حسن اعتقاد لم ينل مرغوبه

المنقبة الرابعة عشرة بعد المائة

عنه ايضا قال كان بعض اصحابنا في شغل من امر وليمة عنده وكان قليل
ذات اليد فطلبوا منه شراء حنبل دعهم الضرورة اليه فما زال يسمي في امره
الى ان اشتراه واجتاز به في البناء حملته لداره على الزاوية العروسية
فدخل ليتبرك بروية الشيخ رضى الله عنه فلما وقف بين يديه والحنبل
عنده قال له رضى الله عنه ارني ذلك الحنبل فناوله له فلما اخذه الفاء
وراء ظهوره في النواله وامره ان ينصرف فتملق له وقال يا سيدى انى محتاج
اليه وما عندى والله اغيرة فمن فاني من ربه اليه فلما اطال الكلام مع الشيخ

رضى الله عنه رماه بهجر وقال انصرف عني فانصرف وهو لا يعلم
الا الله تعالى وترك الوصول الى داره حياء منهم وحشة لعدم اسعافهم فيما
طلبوه من شراء الحنبل المذكور وهو لا قدرة له على شراء غيره وكره ان
يخبرهم بامره مع الشيخ وما زال الى ان اضطره الليل الى داره فلما دخل قالوا
له بكم اشتريت الحنبل الذى بعثته الينا فوالله انه لحنبل جيد فظن
انهم يهزءون به قال اى حنبل قالوا الذى طلبناه منك وارسلناه الينا قال
واين هو قالوا عندنا قال انتونى به فاتوه به فلما رآه عرف حنبله الذى
كان الشيخ اخذه منه فقال الله اكبر واخبرهم حينئذ بامره فيه مع الشيخ
رضى الله عنه ونفعنا به

من رام نيل السر من احواله منا فقد رام الذى لا يدرك
انى لنا والمجهل عم وما لنا ذوق به في الصح يوما نشرك

المنقبة الخامسة عشرة بعد المائة

عنه ايضا قال كان رجل من المعتقدين في الشيخ رضى الله عنه يسكن
بربص باب السويقة من تونس وكان يتردد اليه بالطعام قال جئت يوما
الى الشيخ رضى الله عنه بعد العصر فقال لي اريد الفطائر بالسمن والعسل
فقلت له نعم وانصرفت مبادرا الى دارى لآتيه بذلك قبل هجوم الليل
وامرتهم فصنعوا ذلك بين يدي على اكمل الحالات وجئت بذلك فلما
تناوله رضى الله عنه منى وانفقلت لانصرف ايضا رانا الى قلق من ان
يغلق باب المدينة دونى فقال لي اجلس فجلست فلما كان قريب من
نصف الليل قال لي قم انصرف ولا تكن فعزولي فخرجت وانا على يقين
من غلق باب المدينة فكنت اقول كيف الوصول الى دارى مع هذا لكن
يطمئني قوله ولا تكن فعزولي فلما وصلت الى الباب وجدته مغلقا وما في
الحى الا المحى فبنفس ان وصعت يدي على الباب انفتح ولا اعلم لذلك
كيفية سوى انه انفتح لي وخرجت منه فجئت الى دارى وقد اخذهم

العجب من وصول اليهم وابواب المدينة مغلقة وسالوني عن ذلك
فكرهت ان اطاعهم على سر الشيخ رضى الله عنه
لما تزكى سره من شوب مسا شان الكثير من الشكوك المبعده
اودى له ما يطمئن بمثلهم والصدق حقيق في الحقيقة موعده

* المنقبة السادسة عشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال كان بتونس رجل من الفقراء ممن لا يملك شيئا دخل يوما
الى منزله فلم يجد عند اهله قوت يومهم ذلك وهو ممن لا يتسول فظفر
فاذا عندهم مزود فارغ فاخرجه ليسيعة في قوتهم واجتاز به على الشيخ
رضى الله عنه فناداه يا صاحب المزود فلما دنا منه قال له اعطني ذلك
المزود فقال لا إلا ان تعطيني ثمنه فاعاد الشيخ عليه الكلام فيه فلى وذكر
له فاقته فيهما في ذلك واذا باحد اجناد السلطان قد رآه الشيخ وهو مجتاز
في وسط السوق فصار ينادى بصوت عال يا فارس والناس ينادونه بداء
الشيخ الى ان جاء الى الشيخ فقال له رضى الله عنه ادفع لهذا ثمن مزوده
فقال له ادفع له الكل او البعض فقال الكل فاعطى المزود للشيخ وانصرف
معه فاعطاه نصف دينار فلما قبضه قال له بالله عليك إلا ما اخبرني بالسر
الذي بينك وبين هذا الشيخ في النصف دينار فقال له اني جئت مرة
متوجها من قسنطينة الى تونس وما معي احد غيري فجبن علي الليل وانا
في خلاء من الارض كنت اعرف هنالك غارا يسمى ويسع فرسى فاجئت
اليه واوقدت فيه نارا وبت فلما كان آخر الليل وقد اردت الخروج وجدت
على فم الغار اسدا ينتظر ان يفترس الفرس اذا خرجت به وما قدرت
على مدافعتة فقلت يا سيدي احمد ابن عروس اطلب منك ان تبعد
عن الغار قليلا حتى اعتدل على ظهر الفرس ولا ابالي به بعد ذلك ولك
نصف دينار فما شعرت إلا واذا اسمع زئيرة على بعد من الغار فاخرجت
فرسى وركبت فما استويت على ظهري إلا وهو قد كرهني فركضت فرسى

عنه وتركته وما رأيته من تلك الساعة ونسيت وعدة الشيخ فلما كلمني
الآن عنك تذكرت الموطن وعلمت انه انما سال مني متاعه رضى الله
عنه ونفع به

لما استغاث اغائمه وكفاساه ما قد كان يخشى وهو منه محترس
والآن ان له الوفاء بما بسسه كان التخلص من مخالف مفرس

* المنقبة السابعة عشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال اشترى رجل من الفقراء مقطعا يفصله للباس زينة اولاده
للعيد بسبعة دنانير فضة ودخل به الى الشيخ رضى الله عنه فاخذه من
يده فقال له اعطني مقطع الاولاد فانهم اليه فقراء وانت غني عنه فقال
له امش الى العلام ففهم صاحب المقطع من ذكر العلام انه امره بالمشي
الى السلطان فترك مقطعه عند الشيخ وذهب الى السلطان فاجتمع به
خارج البلد واخبره بحكايته مع الشيخ كلها فاعطاه سبعة دنانير ذهباً فجاء
بها الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآه قال له اعطاك قال نعم فاخذ رضى
الله عنه المقطع ورمى به اليه وقال له انصرف فكان مراده ارفاقه من
السلطان بذلك على هذا الوجه رضى الله عنه ونفع به

علم الضرورة وابغى ارفاقه لكن على وجه به لا يشعور
سرا على احواله بطريقة في ظاهر المولى مما تنكسر

* المنقبة الثامنة عشرة بعد المائة *

عن ابن زيد ايضا قال كان في وجه ابنتي فاصول اشرفت منه على العبي
وانفتح وجهها وطال الامر عليها فاتيت بها الى الشيخ رضى الله عنه فلما
اجلسها بين يديه ورأى ما بها جعل يمسح على نفسه وينادي كانه
يستغيث يا الله عني يا الله عني هكذا مراراً ثم انه امرها بالانصراف فانصرفت
وما استقرت بالدار إلا وهي تستغيث مما عرض لها من الوجع وتنادي
عني يا الله كما كان رضى الله عنه ينادي ثم اندفع لها في الحين من ذلك

الناصر قسح كثير فوق ما يظن وزال ما كان في وجهها من النفخ وعن قريب برقت ولم يبق في وجهها سوى اثر لذلك فمرض قلبها منه فانه كان اثرا بينا فاثبت بها ايضا اليه رضى الله تعالى عنه فادناها منه واجلسها بين يديه وجعل يمسح على وجهها ويتابع المسح كأنه يدافع شيئا تحت جلد وجهها فعل ذلك مرارا متعددة بها في مجلس واحد ثم خلى سبيلها فال يوم بحمد الله لا اثر لذلك في وجهها اصلا ببركة لمسه رضى الله عنه ونفع به

اليمن مقرون بيميننا التي منها انبعت جداول البركات
وامجدها ما حركت الا اغضدت حركاتها من ايمن الحركات

* المنقبة التاسعة عشرة بعد المائة *

عنه ايضا قال خرجت ابنتي يوما من الحمام وكانت حاملا مقربا فاجازت على الشيخ رضى الله عنه ودخلت الزاوية لتستبرك برويته فلما وقفت بين يديه قال لها اكشفي من وجهك ففعلت فقال لها انصرفي انت سالمة فانصرفت وفي آخر ليلة ذلك اليوم اصابها وجع الطلق ودام عليها اياما الى ان اشرفت على الهلاك فحتمت الى الشيخ رضى الله تعالى عنه وانا من امرها في حال لا يعلم الا الله تعالى وقلت يا سيدى ابنتي فقال لي رضى الله عنه تكلمي في الجيفة فساءنى هذا منه وقلت اراد انها تموت من ذلك لكن اطعمنى في حياتها قوله لها انت سالمة فانفق انها وضعت ولدين ميتين وسلمها الله تعالى فحينئذ عرفت مرادة رضى الله عنه ونفعنا به واعاد علينا من بركاته

ايكون اخبر من سلامتها بما ابدى ويخشى بعد ذاك تلافيها
ما ذاك طنى ان يشير اشارة في مقصد يبدى البيان خلافيها

* المنقبة المئمة العشرين بعد المائة *

عنه ايضا قال وجهنى يوما الشيخ رضى الله عنه الى الفقيه ابي العباس

احمد البنزوى احد اعيان ارباب المناصب بتونس المحروسة وقال لي قل له يعطيك اربع ركائز فقلت له نعم وما زلت ابحت عن الرجل الى ان وجدته واخبرته بمطلب الشيخ منه فاستبشر لذلك وقسمال على بركة الله فاحذنا منه ذلك وما بقى بعد هذا الا اياما قللا جدا وتولى مناصب اربعة فظهر ان اشارة الشيخ كانت الى ذلك رضى الله عنه الشيخ اغنى عن قبول متاعنا والشيخ ابعد عن متاع الفانيه لكنه يرمى مصالحنا التي نجنى به منها القطوف الدانية

* المنقبة الحادية والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت يوم عيد فطر في سقيفة الزاوية واذا بالشيخ رضى الله عنه ينادى فصعدت اليه ووجدت عنده داخل النواله ولد اخيه الشيخ ابا الحسن علي ابن عروس وهو يرتب فيها بامره فقال لي يا منصور ادخل على علي بالحدديد والذكير وما ناداني باسمى قط الا في ذلك اليوم فدخلت عليه كما امرني واجتمعنا معا في النواله فامرنا ان نرتبها فلما فرغنا قال لنا الآن ترتبت افرشوها فلما فرشنا قال لي ادر الشباك وكانت هنالك عنده شباك فادرناها بالنواله فلما فرغنا قال لي ادخل اقعد على جنبه قال فقعدت الى جانبه مضايقا له اشد ما يكون ونحن في هذا كله لا نعلم للشيخ مرادا وبعد مدة قريبة واني الخبر باخذ السلطان ابي الحسن الذي كان بجبال بجاية وقتله فحينئذ علمنا اشارة الشيخ رضى الله عنه وانه اراد بمنصور القائد منصور صاحب قسنطينة اذ ذاك فانه كان المتكفل بامره على ما قيل وبعلي السلطان المذكور رضى الله تعالى عن الشيخ ونفع به في كل ما يبدولنا من امرة سر ولكن ذاك هنا منهمهم ومن الذي يبدوله من سره معنى ليل الجهل منه مدلههم

* المنقبة الثانية والعشرون بعد المائة *

عن السيد الشريف ابي زيد عبد الرحمن بن جعفر القرشي قال رايت

الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه مرة في النوم وكان اعطاني
برنسا ابيض وقيل لي ما معناه البرنس لك والعكاز لي فاخبرت بذلك
شيخنا سيدى ابا عبد الله محمد المهدي رحمه الله فقال لي ان اولياء الله
اذا كان منهم امر في عالم النوم والخيال فانهم يخبرون به في عالم الحس
والمشاهدة فجئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآني ذكر لي ما معناه ان العكاز
لي لم قال لي العمامة التي على راسك كم طولها فقلت لا ادري فقال
لي اذا طالت تكون من اربعين ثم امسكها بيديه كما هي على راسي
وادارها يمينا وشمالا ثم تركني فانصرف و اخبرت شيخنا المذكور به قال
كله فقال لي رحمه الله تعالى اذا صدق ظني فالاشارة بالعكاز الي والله اعلم
اني القى الله تعالى فيما دون الاربعين يوما التي اشار اليها الشيخ بكلامه
في العمامة واما البرنس فخذ اليك برنسى وناولني فامتنعت من اخذه
وقلت لا اصلح للباسه فما زال يبي الى ان اخذته منه وكان هذا الشيخ
المذكور طويلا في الرجال وكان البرنس المذكور اكمل منه قدا فلما لبسته
وانا قصير كما ثرائني جاء على قدر لباسي سواء ثم ان الامر كان كما قاله
فوالله ما عاش بعد ذلك الا اربعين يوما او دونها بيسير وظهر سر اشارة
الشيخ في جميع ما اشار به رضى الله تعالى عنه ونفع به

بالذوق نال من الاشارة سرها وبدا لبيانها تيسيرا
وانى على النكر الذى ابسده في سر الاشارة قبل ذا تفسيرا

* المنقبة الثالثة والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال خطري مرة وانا بموضعي حال الشيخ رضى الله تعالى عنه
فقلت في نفسي وددت انه يضافحني كما كان يضافحني سيدى فتح
الله رحمه الله عليه ويسلك بي حيث لا اخرج من طور ما انا فيه الى
مقدمات الجذب وجئت بعد ذلك لزيارته رضى الله عنه فلما دخلت
الزاوية لقيني بعض اصحابنا الساكنين بها قبل ان اصعد الى الشيخ فعرض

علي الدخول الى بيته فقلت حتى ازور فاني ابن يملكني من امرى شيئا
وحملني الى بيته ثم غاب عني قليلا واذا به قد احضر لنا الخبز والعنب
فبينما نحن ناكل وتحدث واذا بالشيخ رضى الله عنه قد دخل علينا
فادهشنا عما نحن فيه وقال كلوا ولما مد يده ليتناول مما بين ايدينا وهو قائم
مدها من فوق راسي الى صدرى فلما رايت يده المباركة قريبة مني
تذكرت ما كنت تمنيت من ثقيلها ومضافحتها وامسكها كما كنت اريده
وما منعني رضى الله عنه من ذلك ولا جذبها من يدي وانما جعل يقول
اطلقني ولما ان اكملت مرادى منه كما كنت اردت واطلقت يده الكريمة
من يدي خرج عنا منصرفا الى مكانه فثبت عندي انه رضى الله عنه
انما فعل ذلك معنا ليوصلني الى مرادى منه على وجه لا يدع معه السر
على كريم احواله رضى الله عنه ونفع به

ايكون منتسبا لكرم شافع واجل مبتعث وافضل مرسل
ويرده عن مبتغاه وما ارسوى منه بكثرة الرقيق السلسل

* المنقبة الرابعة والعشرون بعد المائة *

عن الفقيه الخبر ابي محمد عبد الله التونسي قال كانت امرأة من اهل السمر
وكانت لا تملك شيئا وعندنا ابنة ارادت تزويجها وهي محتاجة الى ما
يحتاج اليه النساء في ذلك فكانت تلجأ الى الشيخ رضى الله تعالى عنه
في امرها وتشكوله ما اهمها منه وتعلق بين يديه لما تجده من كسر
قلب ابنتها لعدم ما تستر به حالها مع زوجها وكان رضى الله عنه يعرض
عنها تارة ويصرفها بالتى هي احسن تارة قالت فانا في وسط دارى جالسة
وابنتي معي في جوف الليل والمصباح بين ايدينا واذا بحركة من يمشي
فوق السطح فنظرت فاذا بسيدى احمد ابن عروس لا اشك فيه ولا
ارتاب فقامت اليه وبى من الفرح والدهش جميعا ما لا يعلم الا الله
تعالى فرماني بصرة وقال لي هذه التي اعطاكم الله وانصرف عنه قط لم

يكن معنا وما علمت له مسلكا وفحصنا الصرة فوجدنا فيها خمسين دينارا ذهباً جديدة فوالله ما فرحنا بشئ قط فرحنا بها ثم انى جهزت ابنتى الى زوجها كما يجب وينبغي وجبر الله تعالى قلوبنا بذلك ببركة الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفع به

يا رتبة عزت وعز مشالهما ومكانة يعزى لهما التمكن
شيخ على المسكين يعطف وهو فى احواله ما بيننا المسكين

* المنتبة الخامسة والعشرون بعد المائة *

عن الشيخ ابي العباس احمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد السلام ابن ابي يحيى ابن عبد الله ابن الشيخ الصالح الشهير بالحجة القائمة الولي الكبير ابي يوسف الدهماني رضى الله تعالى عنه وقد اجتمعت به فى دارة من تونس الحروسة فى اواسط رجب عام سبعة وستين وثمانمائة قال كنت ساكنا بمسقط الراس القيروان ومقيما بها بحيث لا تحدثنى النفس بالانتقال منها فاذن لى بالامر الباطن فى النقلة الى تونس والسكنى بها فتقل ذلك حلى ثم انى لم اجد بدا من الامتنال فانتقلت وكان لى باثر ذلك بها صيت وكنت اوقد الشمع والقناديل نهارا واوثر السماع فانتهى امر ذلك كله الى قاضى الجماعة حينئذ بتونس وقيل له عنى انه يسمع ويشطخ فى السماع ويجتمع عنده لذلك من الخلق ما يخشى معهم الفتنة والمنكر فوجه الى فى ذلك وامر بشقائى وكان القائم فى امر سراحي قاضى لانكحة حينئذ بتونس تحدث مع الخليفة فى ذلك وما زال به الى ان سرحتى من ثقبائى وكنت لذلك تحت امر لا يعلمه الا الله تعالى وبعد مدة اجتزت به مقام الشيخ ابن عروس رضى الله عنه وفى نفسى الرجوع الى القيروان والاقامة منها بصريح جدى ابي يوسف رحمه الله والتخلى من الناس الى ان لدركنى المنية فنادانى رضى الله عنه من فوق السطح فابيت ان ارجع اليه وقلت فى نفسى ما معناه لم يبق منكم من فيه

فائدة فحلف لى على الرجوع اليه فرجعت فلما رقت تحته وبصرى بالارض فقال والله لترفعن الى راسك فرفعت اليه راسى فقال والله لتصحن فصحكت موافقة وامتنع لا امره فقال بالله الذى لا اله الا هو ان يدى فى خنائه ولا اظلمه حتى احييه وذكر ما معناه ان ذلك يقع لمدة سبعة ايام قال فوالله ما موت السبعة الايام حتى ضرب القاضى المذكور فى وسط محرابه من جامع الزيتونة وكان اماما به ومات من تلك الجراحات وصديق الله تعالى مثال وليه رضى الله عنه

هذا الحديث ومثله لذوى الحجا عظة تميل بهم الى التسليم
فاعلم به ما بعده من مثلهم والمرء مفتقر الى التعليق

* المنتبة السادسة والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال اثبت الى الشيخ رضى الله تعالى عنه وفى نفسى الترجع الى المشرق بالركب فاستشرته فى ذلك فقال لى رضى الله عنه هذه السنة سنة اكل الدجاج والزبد فاعدت عليه فما زاد على هذا شيئا فلما كان العام المقبل اتيته ايضا فلما رقت بين يديه رضى الله عنه قال لى وما فاتتكم من مرادى بشئ اعطيتك الركب وكان السلطان لم يسرح الركب فى تلك السنة فاتفق انه سرحنى به وتوجهت الى المشرق فلما انتهينا الى الدرب اصابنا فى بعض الايام من الحر المفرط الخارج من المعتاد مع الريح الجنوبية الحارة ما لا يعلمه الا الله تعالى وكان هلاكنا عندى من العطش اقرب الى سلامتنا لما رايتهم من هول ذلك اليوم وشدة وهجه واهل ركبنا من ذلك فى امر عظيم واتفق انى تاخرت عن الركب ومعى على الرحلة يسيراء فى شنة لاتفقد احوال الضعفاء منا وارى ما اليه مصيرهم فبينما انا فى ذلك الامر واذا بانسان ينادينى من وراى يا احمد الم اقل لك انما من وراء الركب اسوقه وكان رضى الله عنه فقال لى بتونس ابو يوسف من امام الركب وانا من خلفه فالتفت فاذا بسيدي احمد ابن

عروس لا اشك فيه ولا ارتاب وعليه كساء قد شد اطرافه على صدره
المبارك وببده عصا وقال لي لا تخف ما يجري عليكم في هذا اليوم سوء
ولا يموت منكم احد والموت انما يقع في ركب المصريين وانصرف رضى
الله عنه فما علمت له خبرا وكان لامر والله كما قاله وسلمنا الله تعالى فما
هلك من ركبنا كله انسان واحد ومات من ركب المصريين خلق كثير
يصدق الله مقال وليه رضى الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته
اين الذى لم يبق منه يد الهوى سمعا به يصغى الى الآيات
فيبدو له من سر هذا الشيخ ما ياتى به من ابعاد الغايات

* المنقبة السابعة والعشرون بعد المائة *

عنه ايضا قال اجتمعتم بمكة شرفها الله تعالى مع الشيخ الصالح ابي
الحسن علي التليسانى وكان منقطعا بها متجليا عن اسباب الدنيا مخجرا
 لعبادة الله تعالى فحدثني يوما وقد نذاكرنا خوارق سيدى احمد ابن
عروس رضى الله تعالى عنه قال من عجب ما رايت له من الخوارق افي
كنت مدة اقامتي بمكة المشرفة ارتقب في رمضان الخلوة والفراغ ساعة
اخلو فيها بالطواف وحدى فما امكنت ذلك ولا ظننت فراغ المطاف من
الطائفين في وقت من الاوقات الا وجدته صامرا وانفق ان اصاب بمكة
عندنا مطر وابل غزير جدا يتحدر كافوا القرب في ليلة ذات ريح وظلمة
وامر عظيم فقلت في نفسي هذه الليلة اجد ما كنت ارتقبه من خلوة الكعبة
لي بالطواف وحدى فبينما انا كذلك واذا انا بصوت اسمعه في الهواء
يقول لي يا علي يا تليسانى لي مدة من اثنين وعشرين عاما ارتقب الخلوة
بالطواف وحدى فما وجدتها وتطعم انت ان تجددها في عام او عامين طف
ودع عنك هذا فقلت وما رايت له شخصا سالتك بالله من انت فقال
لي انا احمد ابن عروس وهذا كان آخر العهد به رضى الله عنه ونفع به
يا معرضا عن رشده جهلا وبيا متعرضا لوفود اهـ ل الله

اسمع حديث منول بالفتح لسم يجنح الى لهو الجسهول اللاهى
* المنقبة الثامنة والعشرون بعد المائة *

عن المعلم ابي الحسن علي بن محمد التليسانى شهر الحزام قال اقامت مع
اهلي عشرين سنة لا يولد لنا وكنا بصفة القنوط من ذلك وكنت كثير
التردد في ذلك الى الشيخ رضى الله عنه رافعا اليه امر ذلك بالهمة الصادقة
فاتفق ان كان عندنا كتاب في خواص القرآن العزيز قرانا فيه ليلة
من قرا سورة كذا على صفة كذا وواقع اهل رزق الذرية فاستعملنا
ذلك على الوجه الذى ذكره صاحب الكتاب ولما كان من الغد اتيت
الى الشيخ رضى الله عنه فقال لي بنفس ان وقفت بين يديه دون ان
اكنم نعم هكذا احب فقلت في نفسي لعلم اراد صنيعتنا البارحة ووقع
عندى في ذلك تردد فاردني ذلك بقوله قطوس بلعب مع قطوسة في بيت
فتحقت ان الكلام راجع الى الصادر منا البارحة وانه رضى الله عنه استحس
استعمالنا الذكر والقرآن بين يدي مرادنا فبينما انا اجول في سر اطلاعه
رضى الله عنه واذا به يقول القطوس عمل في بطن القطوسة قطوسا هكذا
فاطمعنى هذا الكلام منه رضى الله عنه في حدوث الولد لنا من الوقاع المذكور
واخبرت اهلى بكلامه هذا فقالت عسى الله ان يفتح علينا بركته فلما مضى
لها شهر او قال شهران بان الحمل وما كنا قبل ذلك نطمع فيه ابدا ولما وضعت
حملها وضعت مولودا ذكرا لاشارة الشيخ فيه بالقطوس الذكر ثم تزايد لنا
بعد الحمل هذا من بطون اخر اولاد مات منهم من مات وبقي اليوم لنا
من بقي وما نرى ذلك الا من سر الشيخ وبركته رضى الله عنه ونفع به
حجر الحال فحصل الفتح الذى منه يحدث عن غيايات الرحم
ولكم فتى واتى اليه وصدق به باد عليه وكان محروما رحم

* المنقبة التاسعة والعشرون بعد المائة *

عن الشيخ ابي عبد الله محمد العرسجى المرساوى قال حدثني الحاج ابو

محمد عبد الوهاب الرايز التونسي قال وعدت الشيخ رضى الله عنه برطلين من التفاح المسكى وكان هندي منه ما ايعه فبعت يوما ونسيت وعدة الشيخ ثم لما تذكرتها اشتريت له رطلين وحملتهما في كمي اليه فلما كنت في انشاء طريقتي اليه لقيني بعض اصحابي وحملني لطعام عنده قبل ان اصل الشيخ وما زال ذلك التفاح هندي ولما اكلنا الطعام احضروا الخمر فشربت معهم ولما انطوى بساط ذلك جئت الى الشيخ رضى الله عنه في تلك الحالة لادفع له تفاحه فلما وقفت بين يديه ورأني جعل رضى الله عنه يديني اليه وكلما تباعدت امرني بالقرب منه الى ان كاد يمسكني بيده ولما ناولته التفاح رماني بحجر وادفها بعد هروبي باخرى فخرجت وانا لا اعرف اين اضع قدمي من خوفه وكان في جيبى عشرة دنانير ذهبيا فلما انتهيت الى السوق ادخلت يدي في جيبى لاتفقدها فلم اجدتها فسقط في يدي وعلمت ان علي من الشيخ فتمددته وجعلت اتملق بين يديه واشكو فقال لي رضى الله عنه تتوب الى الله فقلت له نعم يا سيدي فقال لي امش الى السوق الذي تذكرت فيه دراهمك تجدها فانصرفت وانا لا اعرف له مرادا من امره لي بالرجوع الى السوق فلما وصلت الى السوق المشار اليه ادخلت يدي في جيبى فوجدت دراهمي في مكانها فاخذني العجب من ذلك وقد كنت امعن في البحث عنها فما وجدت لها اثرا فعلمت ان ذلك كله من الشيخ رضى الله عنه ونفع به

قصد الزيارة راغبا والمقتضى في امرها متعقب بالمانسع فدعا له ثوب مما اقترفت فما الذي اهديته عن امر نصحك مانع

* المنقبة المتتممة الثلاثين بعد المائة *

من الشيخ الكامل ابي العباس احمد البنزرتي احد اعيان الدولة الفاروقية الحفصية قال عزمت على الخروج الى المحلة المنتصرية ووقفت على

الشيخ رضى الله عنه وقلت يا سيدي اردت الخروج الى المحلة وكان حينئذ رضى الله عنه في بيته لم يصعد بعد الى السطح وهذا نصف دينار نويته لك فقال لي رضى الله عنه خذ من ذلك حتى نحتاجه فاتفق اني خرجت للمحلة وتركته النصف دينار في الدار فكان من قضاء الله وقدره ان الخليفة المذكور رحمه الله امر بتقافي ولما سمعته وجهت الى الشيخ رضى الله عنه فقال للرسول وقد خاطبه عن ابن النصف دينار الذي لي فندكم فاثاء الرسول به بعد ان اعطاني فقال له رضى الله عنه اشتر لي طبقا بنصف درهم ناصري وانفق لي فيه كل يوم بنصف ناصري ففعل ذلك ولما فرغ النصف دينار اعلمه الرسول بذلك فقال له رضى الله عنه امش اليه واطلقه فوافق ذلك اطلاقي وسراحي رضى الله عنه

عن الشيخ

هذا يحقق ان ما نهدي له من كسرة او كسوة او من نقود وقف علينا في مصالح لم نزل بزمامه لحيادها كرمسا نقود

المنقبة الحادية والثلاثون بعد المائة

عنه ايضا قال قدم على الشيخ رضى الله عنه بعض من انسان يقال له محمد السلطن بخبرة في باطنها شيء لا ادري ما هو فقال له رضى الله عنه كشفتها يا مكشوف العمى وانصرف الرجل فما كان الا مدة يسيرة وكف بصرة المسكين والعياذ بالله تعالى

من كان يجهل قدر ميا مولا فيه اودعها
فليرتقب افلاسه ان قال ابي اودعها

* المنقبة الثانية والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال زرت الشيخ رضى الله تعالى عنه مرة في يوم جمعة فلما وقفت بين يديه قال لي يا اخي من يعطيني راسا من البقر اقطع له به راس سعيد قال يريد رضى الله عنه الشيخ سعيد بن احمد بن ابي صغنون

الحكيمى وكان حينئذ صاحب الكلمة المطاعة في كافة صوب افريقية قال فخرجت من عنده وعرفت امير المؤمنين بمقاله هذا فقال لي اعطوه راسا من البقر ففعلت ما امرني به وبعد يومين او ثلاثة دخلت المجلس لروية امير المؤمنين فاستدعاني واطلعني على كتاب فيه التعريف بموت سعيد المذكور وفعل ذلك ليوقفني على تحقيق قول الشيخ رضى الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته

لما اراد حبات الخفاف السقي تردى عليه وكان شيخا في حليم لم يغد إلا والنية انشبت اطفاها فيه ولم ينفع حكيم

* المنقبة الثالثة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثني الفقيه القاصي لا عدل ابو العباس احمد بن كحيل قاضي الحلة العثمانية وكان رحمة الله من الحبيين المعتقدين قال حملنا مرة للشيخ رضى الله تعالى عنه طعاما في قصعة فلما تناوله امسك القصعة عنده على عادته في ذلك رضى الله تعالى عنه ثم مضى لامر فقد راني حجت بعد ذلك فوجدت قصعتنا تلك بمكة شرفها الله تعالى فحكيت في امرها وكيف وصلت الى مكة فسالت عن ذلك من وجدتها عنده فقال جاءتنا بالطعام فعلمت ان ذلك من خوارقه رضى الله تعالى عنه ونفع به آمين

قال للذي من جهله لم يدربوا من طلس في اي وقت سار من ليل وصبح وطلس

* المنقبة الرابعة والثلاثون بعد المائة *

عن ابى حفص عمر بن محمد الكدرى قال مرض لنا ولد صغير فقالت امه انهم ذكروا لعلة هذا الولد فرث الضربان فابحث لنا عن شيء منه فخرجت لذلك ثم قلت في نفسي والله لا افعل ذلك إلا بعد استئثار الشيخ رضى الله عنه فبحث اليه ولما وقفت بين يديه قال لي وما خاطبتك

عن مرادى بشوى اى والله تزيدوا عليه فرث الضربان ثم قال يخاطبني انت تقرا القرآن وفيه كل شيء وكان معي عنده انسان قدم من قصبة السلطان في مثل امرى ولا علم لي بامره فامر رضى الله عنه رجلا كان بين يديه ان يحفر له في تراب السطح فاردت ان اتولى ذلك عنه فمعنى وقال انما يحفر هذا فاحفر بامرة ساقيتين صغيرتين ودفن بهما رضى الله عنه خشبتين صغيرتين وواراهما بالتراب ثم امرنا بالانصراف فانصرفنا وما لنا شعور بها فعلم رضى الله عنه فقدر انه مات ولدنا في ذلك اليوم او قال من الغد ولما حملناه للدفن اجتمعنا بالرجل الذي كان معي عند الشيخ وقد حملوا ايضا للدفن صبي صغيرا فحينئذ ظهر لي مراد الشيخ رضى الله عنه في احتقار القبرين وبان لي سر ذلك منه رضى الله تعالى عنه ما اوضح الامر اذ يبدو وابعدنا عن فهمه وهو بالاسرار محتجب سر به ذات هذا الشيخ قد وصفت لكن عليه متى ما رثه حجب

* المنقبة الخامسة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال اخذ في تهمة سرقة ولد لبعض احبابنا وطال الامر عليه فشكا لي والدة يوما ما يجده من ذلك فقلت له لا ارى لك ملجا في خلاص ولدك إلا سيدى احمد ابن هروس رضى الله عنه ولكن لا بد لي من شيء نحمله له فقال على بركة الله وناولته محفظة كانت عندي فحملها في يده الى السوق واشترى فيها خبزا وتمرا وحملنا جميعا ذلك للشيخ رضى الله عنه فتناوله منا وباني ان يرد لنا المحفظة فكلته فيها فاني فقلت لا اتركها لك إلا ان تكون فداء ولد هذا فقال رضى الله عنه نعم هي فداء وجعلها تحته وجلس عليها وبعد يومين ملأها فوق راسه فلي ذلك ازالوا من الولد الكبل ثم بعد ذلك جئته فاعطاني المحفظة ففي ذلك اليوم اطلق السلطان الولد وسرحه دون شفاعته شافع فيه ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

ما زال ينقذ من مهاوى الهوى من حسنت اذا ام المقام مقاصده
فيعود والبشرى طليعة قصده ومتى شكا طردا وردا قاصده

* المنقبة السادسة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال تزوج والدي امرأة اساعت معنا العشرة غاية لاساءة وكانت
نؤذينا بانواع من الاذاية والدي صني بها لا يريد مفارقتها فقد رآنها
قدمت لنا طعاما فيه بعض السموم القاتلة فاطلعتني الله تعالى على ذلك
ورايته وما امكنني إلا الكتم وخرجت الى سيدي احمد ابن عروس رضى
الله تعالى عنه وقلت يا سيدي بلغ الامر بنا الى القتل فصرفني رضى الله
عنه فقلت والله لا انصرف إلا على امر فصل اما ان تصلح واما ان تغلغ
فقال يا مسكين انصرف الذي ثم تراه فانصرفت والله ما طلعت الشمس
من الغد حتى خرجت من دارنا خروج الشعرة من العجين ابرار والدي
وظلها واراحنا الله تعالى منها ومن شرها ببركة الشيخ رضى الله عنه
من اعتاد منه النصر والرفد لم يزل اذا شيك يوما ما يبيت له الشكوى
فيغدو وما للخطب خطب يسوءه وقد كف سر الشيخ عنه يد البلوى

* المنقبة السابعة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال سافر لبعض اصحابي ولد ولم يعلم له مستقرا ثم انتهى اليه
علم اين هو وامتنع الولد من الرجوع الى ابيه وادركه من غيبته ما يدرك
الوالد من غيبة ولده فذكر لي يوما ما يجده من ذلك فقلت له عليك
بسيدي احمد ابن عروس رضى الله تعالى عنه وتوجهت معه اليه فلما
وقفنا بين يديه الكريمتين ذكرت له امر غيبة الولد وما يجده ابوه
لفراقه فسال لي رضى الله تعالى عنه يرجع فقلت له في هذه الايام
ونويت ببيعة شهرنا ذلك قال نعم فقلت اعرف والده ما نويت من ذلك
قال نعم فانصرفنا وقلت لوالده ان ولدك يرجع اليك في بقية ايام هذا
الشهر وكذا قال لك الشيخ فانفق ان كان الامر كذلك وما كان يرجو

رجوعه اليه في تلك الايام كلها ببركة الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا
من بركاته

عن باب هذا الشيخ لا تعدل فما عدل الذي عن باب يومه عدل
واجنح اليه فلا جناح على فسق لزوم المقام وقام عن قدمه عدل

* المنقبة الثامنة والثلاثون بعد المائة *

عنه ايضا قال اصاب اهلي وجع الولادة وطال الامر عليها في ذلك اياما
عديدة اشرفت في اثنتائها على الهلاك فلما تقادم الامر في ذلك لجأت الى
سيدي احمد ابن عروس رضى الله تعالى عنه فلما رآني وقد وقفت بين
يديه قال لي وكأنه رضى الله عنه استبطا اتيانى اليه الآن جئت وكنت
حملت اليه خبيرة فاستدعاه مني فتاولتها له وشكوت له امر اهلي فقال
رضي الله عنه خلصت سالمة ولم ازل اعيد عليه الشكوى وهو يقول خلصت
سالمة مرارا متعددة ثم كلما اردت لانصراف بعد ذلك يقول لي اصبر حتى
انظر اليك ولا اعلم له في ذلك مرادا ثم لما طال الامر علي في ذلك انصرفت
الى اهلي فبنفس ان رايته ورائتي الفت ما في بطنها وخلصت سالمة كما
قال الشيخ رضى الله عنه وما كنا نطمع في ذلك ولا تحدثنا نفوسنا به
وحينئذ ظهر سر قوله لي عند ارادة لانصراف اصبر حتى انظر اليك كانه
يقول اذا رأتك الفت ما في بطنها رضى الله تعالى عنه

اما القياس فما له في امرة عندي اذا حققت ذاك محال

ولامرة هذا وصوله سره خصعت رقاب واستكان رجال

ولما انتهيت الى هذا المحل ضرب على يدي حاكم القضاء الختم ومنعني
التصرف فيما كنت بصدد من ارادة الختم واقمت مدة اروم انجاز ذلك
فما استطيع واستخجد لك متعاصي عزمي فما يطيع هذا والبواصت مني على
الاكمال موجودة والمانع من تمام الغرض لا التحقق وجودة في ظما وحولي
الماء يروى ولكن لا سبيل الى الورد وما زلت كلما تعطشت لاتمامه

يلقمني الكسل صرعا وكلما قمت بعزمي لخدمته اضيق بصرفه عن ذلك
ذرا وسر ذلك كله فني مع تحقق الحيرة مكتوم ولم ادرا ما انطوى عليه في
ذلك القدر المحتوم والذنب يتجاذبه في خلال ذلك قبضه وانبطاه الى
ان قيل مات الشيخ رحمه الله وانطوى بساطه فحينئذ بدا سر احتباسي
وصرقي من معالجة الثمام وان جميع ما كتبت يميني باذن الشيخ لي لا
باهتمام ثم لما انقشع علم الغيب وانجاب ولم يبق لسر تاخر الختم احتجاب
ونال القلوب بموت مخدومنا الكامل ما احزن وابكى واشجا صوت صارحه
وانكى وجرعني الاسى بفقدته علم صابه وافجعني ما كابدت كبدي من
وقعة مصابه استنهض العزم فكري فاطاعه واستخدم للختم قلبي فوق
جهد الاستطاعة

وكم لي في ابتغاه الختم اسعى ولكن لا يطاوعني بغيره

ولما ان قضى المخدوم نجبا اتيت لمطلبي طلق العنان

ثم بعد ان تحقق المقتضى بموته وارفع المانع وطوارع البنان والبيان ولم
يبق ممانع المحقق الوفاة بالباب الاول المناسبة المتحصلة والملازمة
التي بين معاني الباب كلها متاملة ثم انتدبت لانتظام اثبات ما اخترت
ناصيله من المناقب راجيا من الله جل جلاله تيسير المطالب وتحسين
العواقب

* المنقبة التاسعة والثلاثون بعد المائة *

عن الشيخ الشريف ابي محمد الحسن بن محمد الشريف الحسني البرجيني
قال مات والداي وتركاني ابن عشرة اعوام وتولاني بالخصانة اخي وكان
والدي ادخلني الكتاب لتعلم القرآن ولما مات والدي وماتت بعده امي
وانتقلت الى اخي ملت الى اللعب لصغر سني وتركني وما اردته من ذلك
اخي لما له في بطاقي من التصريف في قضاء حوائجه فلما بلغت الرشد
وارتفعت يد الحجر فني اخذ اخي فيما كان ينفقه علي مائة دينار ذهباً من
ميراثي عن ابوي واعطاني موصعاً بمائة دينار لا مال لي فيه ثم اني رهننت

الموضع المذكور في دراهم كنت محتاجا اليها فذهبت الدراهم وذهب كل
شيء سواها ولم يسبق لي إلا لافتقار الى الله تعالى وصدق النجاة اليه
وانقطع بخدمته المرضية لسيدى احمد ابن هروس رضى الله عنه
وكنث اتردد اليه بالطعام وانا واقف بباب السب فانتهى الامر معه الى
ان كنت اذا حملت اليه طعاما بدرهم او درهمين يحصل لي في ذلك
اليوم من الربح دينار وديناران واكثر واستمر الامر على ذلك الى ان حصل
لي من المال فيما هو حاضري يدى ودين لي على الناس ثلاثة آلاف دينار
ذهبا وارشدني رضى الله عنه الى قراءة القرآن وانا ابن اربعين سنة او ما
يقرب منها فامتثلت امره رضى الله عنه وحفظه عندي في حيز الحال فيسر
الله تعالى علي الامر الى ان حفظته ووسع جل جلاله علي وفتح بكل خير
ببركة الشيخ رضى الله عنه ونفع به

على الراس والعين يسعى الفتى ولا اذن منه لذكر العتساب
لشيخ نبيل الغنى والعسنا يزيل بتيسير حفظ الكتساب

* المنقبة المئمة الاربعين بعد المائة *

عنه ايضا قال تعلمت صناعة الطب وقرأت طله على الشيخ الثنائي رحمه
الله وكان رئيس وقته في فنه بافريقية وكان يحبني لما يرى مني من العظم
له ولاجلال لقدرة وكانت له ابنة تسمت بعض تجار المغاربة فوقع لها
وكان غائبا عن تونس شائع طائها زوجها لاجله ولما قدم من السفر وجد
ابنته مطلقة لشانها الكبير تاتر باطنه للمعرة اللاحقة له من ذلك وهو
اوحده وقته في فنه فقدمت عليه يوما وقلت له وقد خفت لما رايت به
من اثر الكرب ان يصدح قلبه يا سيدى لا سبيل ان تمرض نفسك بحديث
مكذوب باطل فلم يقبل ذلك مني ومال الى صحة ما قيل وكانه قال من فراق
زوجها لها فقلت له وفرضي ان اكون عليه بعض ما يجده يا سيدى او ما
ترضائي وانا عضو من اعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجا لا بثلث

وبدلا من مطالعها وتكون عندي على الراس والعين فاستبشر لذلك وقصدت في ساعتي تلك الزاوية العروسية لاعرف ما عند الشيخ في المسألة وقلت يا سيدي ثوابتي على نكاح فلانة بنت فلان فقال لي رضى الله عنه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انا ما خباتك إلا لزوجتي لا لبنتي انا نحب نزوجك لمرتي هكذا فاخجلني ذلك وجعلته من الكلام الذي لا محصول له ولا طائل تحته فقدر ان تزوجت البنت المذكورة رجلا فبرى وتقادمت المسألة وتناست الى ان مات شيخنا المناني المذكور رحمه الله ووقع لاهله خصام كنت وكيلها فيه وما زال الامر بنا الى ان تزوجتهما ورايت معها اياما عظيمة وذلك بعد كلام الشيخ في بساير من هجرة اعوام وعند ذلك ظهر ما كنت اراه في حيز الحال من كلام الشيخ رضى الله عنه

ليس من السراخساره من الغيب بالامر يستنكر
وان اوجب الدهر لتحقيقه غدا مثلا بيننا يذكسر

* المنقبة الحادية والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال اردت مرة ان اتزوج فسمعت بى امرأة ذات مال وجمال فارسلت الي راغبة في التزويج فامتنعت من ذلك لما اعلم منها من قلة الحياء وارنكاب الامور الشنيعة فترامت على قرابتي من النساء تريد ان يغلبني على مرادها مني فما نفعتها ذلك فترامت ايضا على اخي فامسكني يوما وجعل يذكر لي ما يعملها به من جمالها ومالها ونسبها فقلت له وترضى لي ذلك وانت تعرف حالها وحقيقتها امرها فقال لي تزوجها وصنها واذا رايت منها ما تكره فناصرتها للطلاق بيدك فلم اجد له عن هذا جوابا إلا اني قلت له اما ان اراد الله وتزوجت هذه المرأة فاعلم اني في عكوس ايامي وقمت وتركته وقصدت الشيخ سيدي احمد ابن عروس رضى الله عنه وهو يومئذ في بيته قبل صعود السطح فوجدته ينظر من تشويق في الباب كأنه يتظرنني فلما وقفت بين يديه وما خاطبته في مرادى بكلمة

أخرج رضى الله عنه يده اليمنى وقد مد من اصابعها الوسطى والسبابة وقال لي يا حبيبي اردوا ان يعملوا لك قرونا كبارا هكذا بهذا اللفظ فقلت وفي النفس من كلام اخي امر لا يعلمه إلا الله وترضى لي ذلك يا سيدي فقال لي يا بني الله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فخرجت من عنده وقد غسل الله قلبي من وسايسه وقطع عني السنة الطلب منها ومن سائر قرابتي كلهم ببركة الشيخ رضى الله عنه

له ما احلى واعذب ~~سيرة~~ ان قال قولا او اشار واقعه
ولقد نهاه معرضا بصنيعه ~~سا~~ كي لا يميل الى الهوى ويوافقه

* المنقبة الثانية والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال لما نزل عرب افريقية محاصرين لتونس وسلطانها يومئذ السلطان ابو عبد الله محمد المتصر رحمه الله تعالى وكان عند العرب لاميير زكرياء احد ملوك بني حفص فدخلت يوما من ايام هذا الحصار الى الشيخ سيدي احمد ابن عروس رضى الله عنه فوجدت بين يديه احد ارباب الدولة وهو يخاطبه في امر العرب واميرهم وفي امر الخليفة معهم والشيخ رضى الله عنه يخاطبه من ذلك بكلام لا يفهم منه احد مرادا على صلاة الشيخ في ذلك فلما طال الامر على الرجل قال له يا سيدي هذا كلام لا افهم منه شيئا خاطبني بما اقول له للسلطان عنك فقال له رضى الله عنه ما لم ما اخاطبك به هذا فار يدخل الساعة في المصيدة وتسقط عليه الساقطة ويحصل ففهم الرجل عند ذلك مراده وقام منشوح الصدر فاتفق ان العرب امكنوا الخليفة المذكور رحمه الله من لامير الذي كان عندهم وحصل في دار الثقاب من تونس ومات بها وانتظمت الكلمة وصرف الله عن السطين لاسواء كلها ببركة الشيخ رضى الله عنه

اما الذي للشيخ من ~~سرف~~ قد ضاقت بشرح حديثه اسفار
وانظر كناية من الفسق الذي فيمن بغى متعمدا بالفاسار

* المنقبة الثالثة والأربعون بعد المائة *

عن فخر القضاة ومهاد الدين قاضي الجماعة بتونس الحروسية السيد أبي عبد الله محمد ابن حجة لاسلام السيد أبي علي عمر بن اوجد الصدر لاعلام السيد أبي عبد الله محمد الفاجاني وقد كان رام بعض المنتقدين اهتمام جناب الشيخ رضي الله عنه عند ما رأى انصراف عنايته الكاملة الى شكر اهتمامنا بجمع كتابنا هذا ووقعت ما بيننا في ذلك بين يديه مراجعة ومكالمة فقال وقصده اخماد ما تسعير بيني وبين المنكر من ذلك اما الشيخ فاني احفظ له جملة مناقب وهو الذي ولاني القضاء والفتيا ثم اخذ يحدث عن ذلك فقال رايته رضي الله في التزم في مقصورة من مقاصير جامع الزيتونة فضمني اليه وقال لي يا قاضي المسلمين يا مفتي المسلمين جعل الله فيك البركة قال فبعد زمن قريب من هذه الرويا توليت القضاء والفتيا وحقق الله ما كان لي من الشيخ رضي الله عنه ونفع به اذا الشيخ ولي الفتى منصبا ثولا بالحفظ حيث اعتسدى وكف بسر له كسف من عليه بغى ظالما واعتسدى

* المنقبة الرابعة والأربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال مرض والدي رحمه الله وقال لي يوما اذا كان الليل فصل الى الشيخ ابن مروس وانظر من قرابته او خدمته من يخاطبه عن حال مرضي هذا واحفظ ما يتكلم به قال ففعلت ما امرني به ولما وقفنا بين يديه وخاطبه من كنت معه في امر مرض والدي لم يبق له ذكر ولا حديث إلا الجبانة وكلما اعاد عليه الكلام يذكر الجبانة ثم لما طال الامر واوردت لانصراف نظر الي رضي الله عنه وقال لي « دع المقادير تجري في اعتها » ثم قال لي وكيف تقول انت فانشدته تمام البيتين

ولا تبتين إلا سالى البسال ما بين غمضة عين وانتباهها
يصرف الامر من حال الى حال

فقال لي عند ذلك انصرف على خير فانصرفت ولم اذكر لوالدي إلا قوله دع المقادير تجري في اعتها ولم اذكر حديث الجبانة محافظة على قلبه قل وكانت امرأة من جهنما تتردد الى الشيخ في حال مرض والدي وتخاطبه عنه فكان من امره ان حلف لها يوما عن والدي انه لا يقوم من مرضه ذلك فكان الامر كما قاله رضي الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

من الغيب اخبره بالذي يكون فكان كما قد ذكر
وفي مثل ذامنه تاه الوري وكلت تقول وحارت فكر

* المنقبة الخامسة والأربعون بعد المائة *

دعاني يوما وانا بتونس الحروسية بعض فضلاء الاصحاب الى وليمة عرس فوجدت هنالك الشيخ الفقيه الصدر العلم لا اوجد السيد ابا سالم ابراهيم لا خضري اكرمهم الله في جماعة من فضلاء اصحابه فسألني عن حالي ثم انه وقد انجز لنا ذكر الشيخ رضي الله تعالى عنه شكر اهتمامي بتأليف كتابنا هذا وذكر ما معناه ان الله تعالى لا يخيبك من بركة هذا الشيخ واخذ اهل المجلس في ذكر اعيان ما يعلمون من كراماته فقال بعض فضلائهم ضاع لامرأة مثاني يعني عقودا من الجوهر وما عرفت لصياها حقيقة فاجلت الى الشيخ رضي الله عنه وتضرعت بين يديه وتملقت واظهرت التوجع والتفجع فقال رضي الله عنه اللهم يا من لا له ثاني بفضل السبع المثاني اجبر علي المثاني او قال اردد علي المثاني قال فجمع الله تعالى عليها ثنائيا وجبر صدمها من حيث لا تعلم ببركة الشيخ رضي الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته آمين

قل للجبول وسر هذا الشيخ من امثاله الجهل المركب قد حجب
هاذي بلاغته وهذا جبره كسر الكسير فلي ذاك هو العجب

* المنقبة السادسة والأربعون بعد المائة *

عن الفقيه الكاتب أبي الطيب الطيب قال حدثني الفقيه ابو عبد الله

محمد بن منصور قال كنت في ساحل المرسى من تونس الحروسة وأنا معزول وصاق علي الأمر أني ان همت بركوب مركب للنصارى كان هنالك برسم المشرق وعزمت على ذلك فدخلت يوما سانية لنا أو قال لبعض اصحابنا فوجدت فيها شجرتين من المشمش الطيب فاقام الله عندي وقد اعجبني ثم رثما ان اهدي منه شيئا لرائس المركب الذي عزمت على السفر فيه الى المشرق وامرهم ان يجمعوا من ذلك ففعلوا وجعلوه في قرطلة ثم اني قلت في نفسي كيف هذا الغلط ابعث الهدية للرومي واترك سيدي احمد ابن عروس وامرهم ان يجمعوا للشيخ قرطلة اخرى ففعلوا وكانت ثمرة احد العودين فاخرة دون الآخر فجمعوا للشيخ من غير الفاخر ثم عرض لي ان الرومي يعطيني من الفاخر دون الشيخ فامرهم ان يجعلوا فيا للشيخ شيئا مما كان معينا للرومي ووجهت بذلك اليه رضى الله عنه مع بعض اصحابي وامرهم بحفظ ما يسمع من الشيخ عند ذلك ولما عاد الي اخبرني انه لما ناول ذلك للشيخ واخذته منه فتسح رضى الله عنه القرطلة وجعل يلتقط ما فيها من الفاخر ويرمي به مستكرها له لتعينه للرومي ولم يمسك الا ما كان بقصده اولا ولما اراد الانصراف قال له يا سيدي ما تقول له فاخذ رضى الله عنه قصبة وجعل عليها سروالا ثم جعل ينادي بالصوت العالي سروالى سروالى هكذا ثلاث مرات قال ففي اليوم الثالث من هذا الوطن وجه السلطان الي بفرس ولبوس وولافي وسرت واليا فعند ذلك ظهر لي سر قوله سروالى وما كنت ادركت ذلك ولا فهمته من حكاية الرسول ذلك لي من الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفع به

تصريف هذا الشيخ في حركاته وبها انطوت عن فهمنا اسرارها ومرادنا منها عزيز فهمهم إلا اذا ظهرت لنا آتسارها

* المنقبة السابعة والاربعون بعد المائة *

عن الحاج ابي الطيب بن محمد التونسي السراج قال عزمت على السفر

الى المشرق في طريدة للسلطان ولما انزلت اليها رحلي انقبض قلبي من السفر فيها فذكرت ذلك لوالدتي وقد سالتني عن انقباضى فقالت لي انت معتقد في الشيخ سيدي احمد ابن عروس واذا كان غدا فقف عليه واستشره فبت هازما على ذلك ولما اصبح صليت الصبح في جامع الزيتونة بقصد زيارته ولما خرجت نسيت ما كان مني حتى سمعت كلام الشيخ فوق السطح وهو رضى الله عنه ينادى فرجعت الى موضع قريب من الجامع بحيث واجهت نواته ووقفت فسمعت رضى الله عنه يقول يا رجاله من صاب لنا قصعة وينادى هكذا فالتقى الله في نفسي ان كلامه ذلك معي وتحييت في فهم مراده وقضى الله تعالى بسفري في الطريدة المذكورة وبعد ثلاثة ايام او نحوها هال علينا البحر واصابنا امر لا يعلمه إلا الله تعالى فانكسر الصارى وطارت الدفة والسكانات والقينا كل ما كان على ظهرها حتى المقاذيف وبقينا على ظهر البحر قصعة كما قال الشيخ رضى الله عنه الا ان الله تعالى تداركنا بلطفه ودخلنا الى جزيرة من جزر النصارى خالية فوجدنا بساحلها كل ما القينا في وسط البحر من المقاذيف وغيرها حتى ما بقى من ذلك كله شيء وتحققت ان لاشارة الى ذلك كانت من الشيخ رضى الله تعالى عنه ونفع به

عن فهم قصد الشيخ في امثال كلت عن الكل العقول الثاقبة ولقد اشار محذرا ومنسزا وفي ايهامه اذن بحسن العاقبة

* المنقبة الثامنة والاربعون بعد المائة *

منه ايضا قال عزمت ايضا على السفر الى المشرق في مركب كان في مرسى تونس للنصارى وصعدت الى الشيخ سيدي احمد ابن عروس رضى الله تعالى عنه لاستشارة في ذلك فوجدت عنده خلقا كثيرا على العادة في ذلك ولما وقفت بين يديه ترك الناس كلهم وواجهني ثم قال لي وما كلمته رضى الله عنه في امرى بشيء ايش تكونوا تقولوا الملاح والصارى

والسما والماء دود على هود ايش يكون قولكم ما تخلوا من يرقد ولا من ينام فعرفت المراد وامتنعت من السفر في ذلك المركب فانفق ان سافر وفيه خلق من المسلمين فهال عليهم في اثناء سفرهم البحر وتغيرت الارياح فالتهم ولا حكم لهم في المركب الى بيروت مرسي دمشق الشام ولم يصلوا الى الاسكندرية التي كانت هي المقصودة بالسفر من تونس الا بعد ثلاثة اشهر وفاتهم الحج في تلك السنة ومات اكثرهم في بر الشام وظهر مراد الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

لما درى من سره المكشون ما يلقاه اعذر مفصحا اذ انسدرة

فوقاه شرا نصحه وكفاه ما يحشى به المكروه مما حذره

* المنقبة التاسعة والاربعون بعد المائة *

عنه ايضا قال سافرت الى المشرق من طرابلس في مركب للنصارى كان قدم من تونس وفيه خلق كثير تجار وحجاج ومن جعلتهم صهرى ولما وصلنا الاسكندرية واردنا الرجوع منها الى المغرب رايت في النوم ما ردني عن السفر في ذلك المركب وذكرت ذلك للصهر المذكور فاني الا السفر فيه ولما سافروا عن الاسكندرية يوما وليلة هال عليهم البحر فانكسر المركب ومات ممن فيه من الخلق ما يقرب من نصف الالف وسلم الصهر المذكور من الغرق وذهب له جميع ما يملكه وانتهى الخبر الى تونس بغرق المركب فاصاب اهاليها من ذلك ما لا يعلم الا الله تعالى وكان العلم عندهم بسفرنا فيه انا وصهرى فاجئوا الى الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه ورضعهم ان يعرفوا من كلامه حقيقة الامر وهل اصابنا ما اصاب الناس ام لا فقلت له امى وهى في امر عظيم يا سيدى ولدى ابو الطيب فقال لها رضى الله عنه منى والى وقالت له ام صهرى المذكور يا سيدى وعبد الرحمن فقال لها هو ما يرى بى وانا ما نرى به فلما قدمنا الى تونس اخبرنا اهله بامرهم مع الشيخ رضى الله عنه فعلت عند ذلك ان التخويف الذى رايت في

النوم عند ارادة السفر في المركب المذكور انما كان بمدد همة الشيخ الحسن اعتقادى فيه دون صهرى لعدم اعتقاده وكنت كثيرا ما ازجره من عدم اعتقاد الشيخ رضى الله تعالى عنه

حدث بهذا من اصاح نصيبه من شجاعتنا واذكر له ما قاله واعد حديثك منذرا وبشيرا فعسى الرضا يعنى بذلك رفائه

* المنقبة المئتمة الخمسين بعد المائة *

عنه ايضا قال كنا في البحر متوجهين من الاسكندرية الى تونس في مركب فاصك الله تعالى الريح منا ولم نجدوا ما نساغوا به واقمنا على ظهر البحر لعدم الريح نحوا من ثلاثة اشهر وكانا في جالية فنزلت يوما الى جوف المركب وتمت فرايت الشيخ سيدى احمد ابن عروس رضى الله تعالى عنه ومد يده الى كانه يقول اعطوني فانتبهت وذكرت ذلك لاهل المركب وندبتهم الى ودة الشيخ عن تيسير السفر وهبوب الريح فاجابوا الى ذلك واخذوا ورقة كتب فيها كل واحد للشيخ ما سهل عليه وجعلنا في الورقة خيطا وعلقناها في الهواء فيسر الله تعالى علينا في الزمن اليسير وهبوب الريح وقدمنا تونس في امد قريب ونسيت ما خرجت منه للشيخ الى ان قالت لى امى يوما رايت سيدى احمد ابن عروس في النوم وكأنه يتحول على باب دارنا فتذكرت بذلك وعدته رضى الله عنه وحملتها اليه فلما كنت باسفل الزاوية وهو فوق سطحه بحيث لا يرانى اراد بعض قرابة الشيخ اخذ ذلك منى فامتنعت ولازمني فاييت الا بعد روية الشيخ فتكن في ذلك واذا به رضى الله عنه يناديه هم معدودون مندى يا ديوت هكذا بهذا اللفظ فنارلته ذلك وانصرفت رضى الله عنه

وعى الله شيخنا سما زبنة بها في المنام عينا يجرى

ويخبر ما جرى مفصحا وهذا لعبرى عزيز الوجوه

* المنقبة الحادية والخمسون بعد المائة *

عن الشيخ ابى الحسن الحاج علي التلمسانى المنانى قال حدثني بعض فضلاء

اهل تلمسان قال تحدثت مرة وانا بتونس مع بعض اصحابي في حال
الغنى والفقر واسترسلنا في ذلك الى ان انجز لنا حديث الصالحين وما
لهم في الخلق من التصريف والقدرة على ايصال النفع اليهم فقلت لصاحبي
هذا الرجل الذى يقال له ابو الصراير تعرفه قال نعم وما تريد منه قلت
اشتهى ان كان رجلا صالحا ان يعطينى خمسمائة دينار ذهباً وخرجنا في
طلبه وكان رضى الله عنه يومئذ يحمل الصراير ويمشى بهما بين الناس
فيبينما نحن كذلك واذا بصاحبي الذى يعرفه اشار الى رجل يمشى باثقال
عظيمة يحملها على كتفه معلقة بخشبة وقال لى هذا ابو الصراير فقلت له
ونحن على بعد منه هذا الملوث الحال الكذا الكذا فقال لى هو ذاك فما
كان الا يسيرا واذا به رضى الله عنه يقول كأنه يحدث احدا غيرنا اى
والله مليس هذا الملوث الحال هذا الكذا هذا الكذا ايش لاحد عنده كأنه
يحكى قولى لصاحبي فيه فادهشنى ذلك ولما حاذيناه نظر اى نظر
المغضب وقال لى خمسمائة كأنه يدعو على فلم ادر لسماع ذلك ارضى
من سماعى وقلت لصاحبي قصدنا هذا الرجل للربح فحصلت الحسارة
انا لله وانا اليه راجعون ثم انى فارقت صاحبي ودخلت الى مسجد من
مساجد الدور ورجعت باللائمة على نفسى وانا ابكى خائفا من العقوبة
الحالة لازدراى بالشيخ ودعائه علي وما رسخ في بالى الا انى اعاقب
بالضرب لقريته ذكره الخمسمائة فيبينما انا كذلك واذا بشيخ من الترك
قد دخل على المسجد واستقبلنى فلما وقف علي سلم وقال لى خذ اليك هذه
الخمسمائة دينار وافرقها في حجرى دنائير ذهباً وانصرف منى فخالطنى
فى ذلك من الدهش والفرح ما لا يعلمه الا الله تعالى ولم اعلم من هو ولا
عرفت له حقيقة ولبت عندى ان ذلك من مدد الشيخ رضى الله عنه
ونفع به

لما رآى من سره ما حساله واخافه من صدمة التشكيل
طلب الرضا مستعظفا فاناله منه المنى في خارق التشكيل

* المنتقبة الثانية والخمسون بعد المائة *

عن الفقيه الصدر القاضى لاوحد الامام السيد ابى عبد الله محمد بن احمد
العقبانى قاضى الجماعة للتاريخ بتلمسان العروسة وقد كنت جتته للسلام
عليه لما قدم رسولا بالهدية من صاحب تلمسان الى صاحب تونس في
اواخر جمادى الثانية من عام ثمانية وستين وثمانمائة وجرى لنا ذكر الشيخ
بذكر كتابنا هذا فقال لما قدمت من المشرق حاجا وانا متوجه لدار تلمسان
ما زال بعض الاصحاب يراودنى على المشى الى الشيخ والوقوف عليه
بقصد التبرك الى ان حصل لاسعاف فى ذلك فلما وقفنا عنده قال له
الشيخ عبد الله بكسر دال عبد وهونائب الشيخ يومئذ فى النظر الى احوال
الزاوية ياسيدى هذا قاضى تلمسان اراد المشى الى بلدة فخطارك معه
او ما هو قريب من هذا الكلام قال فقال له الشيخ ايش نعملوا بتلمسان
ياخذنا السلطان او كلام هذا معناه قال فسأنى سماع ذلك منه غاية
وانكسرت على اصحابى الذين كانوا السبب فى وقوفى عليه وانصرفت
مريض القلب من ذلك وانا اقول فى نفسى استبعادا لذلك ومن الذى
ياخذنى او يخطر اخذى بباله ولما دخلت تلمسان واجتمعت بجدى
سيدى قاسم العقبانى رحمة الله عليه ذكرت له كلام الشيخ وفى النفس
منه مرض فقال لى لاسييل ان يسوءك ذلك او تعمرباطنك بكلام هؤلاء
القوم فقد وقع لى وانا بفاس ان اصحابى راودونى يوما على زيارة رجل
مشار اليه هنالك يقال له العربى او قال العربى فاجبهم الى ذلك
ولما وقفنا بين يديه سال اصحابى عنى فقالوا له هذا ابن سيدى سعيد
العقبانى فقال لهم ما هو ابن سيدى سعيد فسأنى ذلك منه وقلت
لاصحابى وقد انصرف هذا رايتكم ولولا انى سمعت منكم ما سمعت من
هذا الرجل ما سمعت قال وكان قصده ازالته ما فى النفس عندى من
الخوف من كلام الشيخ قال وما ظهر لى صدق كلام الشيخ وسراطلاعه

إلا بعد ستة عشر مائة من كلامه لي وقد اخذني السلطان وعند ذلك
ذكرت كلامه رضى الله عنه

لو كان ينطق بالهوى مما يرى في الغيب لم يسمع فتى اقواله
لكن باذن صمته وكلامه والحزم عندى للفتى اقوى له

المنقبة الثالثة والخمسون بعد المائة *

عن الحاج ابي التقي صالح بن خلف التميمي القروي وكان من فضلاء
اصحاب الشيخ لا قدمين قال كان علي من الدين ثمانون دينارا ذهب لا وجه
لخلاصها عندى ولي على العرب دراهم اشتروا بها منى حوائج هي عندى
الى الياس اقرب منها الى الرجاء ولا طمع لي فيها فينما انا يوما بالقيروان
واذا بارباب الدين قد دعوني للقاضي فعلت ان لا حجة لي معهم الا الدفع
او الثقال فهربت في ساعتي تلك وقصدت سيدى احمد ابن عروس رضى
الله عنه بتونس فلما وقفت بين يديه وما رايت في قدومي احدا قبله قال
لي قل فانشدته بعض ما تواجد له ثم استعاده فلم اجد ما ا قوله واعاد
علي فلم اجد ما ا قوله قال لي رضى الله عنه انا الله شغلك الدين عنا وما
ذكرت له شيئا فقلت اى والله يا سيدى فقال كل ما عليك علينا وكل
ما لك على العرب انا ضامنك فيه فرجعت الى ما كنت انشدته اولا ولم
ازل اعيده وهيتواجد الى ان اعدته احدى عشرة مرة وعند ذلك قال
لي بعزم انزل الساعة الى دار السلطان فنزلت وقصدت التصية ولا شعور
لي بمراة واذا بالعرب الذين عليهم الدين وهم ياخذون عواتدهم من
العطاء من نائب السلطان فسلوا علي واعطاني كل واحد منهم ما سهل
عليه دون كلام ولا مخاصمة فاجتمع عندى في تلك الساعة منهم ثمانون
دينارا ذهب انا كالمكذب في ذلك ورجعت من فوري الى الشيخ وفي
نيتي ان اعطيه من الدراهم دينارا يشتري له به عمامة لراسه فلما وقفت
بين يديه قال لي رضى الله عنه قبل ان اكلمه انت اليوم محتاج ما

ناخذوا

ناخذوا منك شيئا ثم قال لي اخرج الى اهلك في هذه الساعة فخرجت
من فوري وقصيت ارباب الديون ديونهم وسدد الله تعالى الامر ببركة
الشيخ رضى الله عنه ونفعنا به

لما راى وجه الزمان لتصكرت صلواته فيما عليه وما لسه
شد الرجال لشيخنا مستجدا مستعظا فاناله آمالهم

المنقبة الرابعة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال سافرت مرة الى طرابلس واشتريت منها عبیدا للشجاعة
ورجعت الى تونس صحبة محلة السلطان فانفق ان سرق لي وصيف
ولم اعلم له خبرا وغاب عني اربعة ايام وانا واصحابي في اشد البحث
عنه وبى لاجل ضياعه من الكرب ما لا يعلم الا الله تعالى فقال لي يوما
بعض اصحابي وكان بهزا بى واين ابن عروس الذى كنت تهذو به فقلت
الله اكبر انسانيه الشيطان وقمت من فوري واستقبلت جهة الشيخ
وناديت ثلاث مرات وكان رضى الله عنه قال لي قبل ذلك اذا كنت
بالمشارق او بالمغرب واصابتك شدة وناديت بي ثلاث مرات ولم اغثك
فلا اغاثنى الله وقلت لاصحابي ان كان لابن عروس سر مع الله تعالى فهو
يجبره والا فما بقيت ابحت من الوصيف بوجه فغن قريبا واذا بفارس
ينادى بالبشارة على وصيف ضاع له فقلت له وقد مر بي في اثناء
ندائه بالله عليك هل وقعت بوصيف ضاع لي منذ اربعة ايام فمد يده
الي وقال هات اعطني ما اشترى به التحم فقلت على بركة الله وصار لجهة
من المحلة وقال التبعتي فتبعته الى ان وقف بي على الحية وقال وصيفك اما
في هذا الجباه او في هذا واشار اليهما وانصرف فناديت اسمع اهل لاختية
من اصلب لي وصيفا له اربعة ايام وعليه دينار بشارة فخرج الي طبع
وقال هات الدينار فقلت على بركة الله ولكن اعمل لحسبك فقال امسك
ربع دينار فقلت اعمل لحسبك فقال نصف دينار ولم ازل به الى ان رضى

بمن دينار فاعطيتهم ذلك فاخرج الوصيف ولما اردت ان انصرف قال لي يا هذا بالله عليك من انت ولمن هذا الوصيف فقلت الوصيف لي وانا ومالى ووصيفي لسيدى احمد ابن عروس فاوما العليج بالسجود الى الشيخ وهو يقول شئ لله شئ لله يا سيدى احمد ثم اخذ بيدي واوقفني على رجلين جريحين طريحين بالارض وقال لي رايت هذين الرجلين قلت نعم قال هما سرقا وصيفك وكان عندهما في هذه الايام ولما كان اليوم عند العصر وهو الوقت الذي كنت نسايت فيه على الشيخ رضى الله عنه وقع بينهما نزاع على وصيفك في امر يعم وانتهى الامر بينهما فيه الى القتال فهذا مقطوع اليد كما ترى وهذا به جراحات عظيمة كما ترى ولما ذكرت لي الآن سيدى احمد ابن عروس وانك فقيرة عرفت ان العلة منه فخذ اليك دراهمك ورد الي مسكنت اعطيتهم له وانصرفت متعجبا من امر الشيخ ولما قدمت عليه بتونس ووقفت بين يديه قال لي رضى الله عنه قبل ان اكلمه كيف جرى لك في الغلام وهو يصحك فقلت حضرت فيه بركتك فقال مشى حالك فيه بخير والحمد لله رضى الله تعالى عنه ونفع به هذا هو السر العجيب فحسن به وجه اعتقادك ان تشين جماله واضرب به في صدر من يعتقد يرى نقص المكذب بالفتوح كماله

* المنقبة الخامسة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال عذمت مرة على السفر الى القيروان ووقفت على الشيخ رضى الله عنه استشارة في ذلك بعد ان اخرجت رحلي فقال لي وقد راى ابريقا في يدي ما الذي في يدك فقلت ابريق فامرني فملا لي من الحامية التي عنده فوق سطحه للسيل فتناولني منى وافرضه عنده وقال املاه فملاته له ثانية وثالثة وفي المرة الرابعة قال لي احمله فقلت له عند ذلك يا سيدى اسافر فقال لي في صورة المفضب امش ما تمشى بخير فساعفني ذلك واعذت عليه فقال امش ما تمشى بخير فنزلت من عنده وانا اقول

انا لله واذا اليه راجعون فلقيني بعض اصحابي من المسافرين معي وقال لي ما الذي اصابك فاخبرته بكلام الشيخ فقال لي بالله اعزم على السفر على بركة الله والغيب لا يعلمه الا الله وما زال بي الى ان سافرنا ولما كنا في اثناء الطريق شن البغاة الحاربون طينا الغارة واخذونا اخذة رايته واخذوا ما كان علينا من اللباس بعد ان القوني صربعا بالارض ولما افقت قممت مسرعا وناديت على الشيخ رضى الله عنه ثلاث مرات واذا بالقوم قد جمعوا انفسهم مذعورين وهم يلتفتون بيننا وشمالا وكانهم راوا في طلبهم احدا ولولا هاربين وانا في اثرهم انادى بالشيخ ويقول الى اين الى اين فاننا كذلك في طلبهم واذا بكل ما اخذوه لنا اجده ملقى بالارض حاجة بعد حاجة الى ان لم يبق لنا الا السير التافه الذي لا هبة به فاذا كذلك واذا بقائد القيروان في خمسين فارسا راكبين في نصرتنا طلق لاعتنه وكانما طويت لهم لارض فراعني ذلك وقلت من اخبركم بخبرنا فقال القائد كنت مع اصحابي عند باب القيروان واذا بصربحك في اذني فقلت في نفسي ما هذا واذا بي اسمع من يقول لي اغتشم اغتشم فرفعنا رعوس الخيل وما نحن عندك وكان بين القيروان والموضع الذي اخذنا فيه نحو من ثلاثين ميلا فاخذني العجب من ذلك وبعد مدة اتيت الى الشيخ رضى الله عنه فقال لي لما وقفت بين يديه رايت ما جرى لك يا يصفون هكذا بهذا اللفظ يشير رضى الله عنه الى واقعتنا هذه

ابدى له ما يختص به وقال مر هذا لينفذ ما قصصناه الله

لكن عنايته الكريمة اظهرت سرا بخارقه حمسناه الله

* المنقبة السادسة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال كان عندي غلام حسن اعطيت فيه عشرين دينارا ذهبنا وامتنعت من بيعه الا باشارة الشيخ رضى الله عنه فامسكته من يده وصعدت به اليه وقلت يا سيدى ابيع هذا الغلام فقال لي لا ابعته الى

اعلم هو في الحفرة فوجهته الى القيروان غير عالم بمراد الشيخ وبعد سبعة ايام او ثمانية ايام قدم علي بتونس من اعرفه من اهل القيروان فسألهم هل مات احد في هذه الايام من البلد وكان بها مرض فقالوا من اليرم الذي مات فيه غلامك ما مات احد فقلت لهم وفلامي مات قالوا نعم فقلت في نفسي الى هذا كانت الاشارة من الشيخ بقوله هو في الحفرة وساء ظني به وقلت اتلف علي عشرين دينارا ذهباً وداخلي الندم على عدم البيع فلما كان الليل وانا نائم اذا بالشيخ قد دخل علي وهو يقول اين هذا اين هذا فقلت له نعم يا سيدي وكاني خفت منه فقال لي الوصيف سد النوب والمخلف على الله ثم علي فقلت استغفر الله ولما كان من الغد جئت اليه فلما رأيته وقد اردت ان اكله في امر الغلام قال لي مبادرا ما قلنا لك البارحة في النوم فقلت السمع والطاعة وانصرفت فقدر اني سافرت الى طرابلس فحصل لي من الربح سبعون دينارا ذهباً ببركة الشيخ رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته

ليس عجيباً فدى ذاته بعبد يباع ببخس الثمن
ورجى ليبسط آمساله فمن منه فينا علينا امن

* المنقبة السابعة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال عزم بعض انسابي على سفر الحج ولما وادعته قلت له اذا اصابك شدة فنادي مرتين وفاد بسيدي احمد ابن عروس رضى الله عنه ثلاث مرات ولما قدم من سفرة حدثني عن ليلة وادي عفان التي كانت شهيرة الامر في المغرب والمشرق ومات فيها بالغرق من الخلق ما لا يحصى كثرة قال بينما انا في تلك الشدة العظيمة على جرف وحول رحلي وجمالي ولا قدرة لي على شيء وتحققت الهلاك قلت يا حاج صالح الم تكن قلت لي وقلت اين سيدي احمد ابن عروس قال فانا كذلك واذا بسيدي احمد ابن عروس لا أشك فيه ولا ارتاب قد وقف علي

واخذ يدي وقال لي قم يا ولدي من هذا المكان نحن نراوك من جهة صاحبنا وانزلني في مكان آخر قريب من ذلك المكان فوالله ما جلست بالارض ولا استقر قرارى بها الا والجرف الذي كنت عليه قد ساق كله وسقط في وسط الوادي فادعشتني ذلك ولم اعلم للشيخ خبرا رضى الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته

اولاه مولاه الكريم خصائصا وحباه بالسر العجيب الخسار
في مشرق لارض استغاث فجاءه من مغرب في مثل لمح البارق

* المنقبة الثامنة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال جئت مرة الى الشيخ رضى الله تعالى عنه وانا اقول في نفسي هذا الشيخ ما يسخره الله تعالى يعطيني مائتي دينار او ثلاثمائة دينار فلما وقفت بين يديه وما كلمته بشيء قال لي مشددا

اذا سلئت منا الرقاب من الردى فما المال الا مثل قص لا طافر
فعرفت المراد وانصرفت ثم قلت في نفسي بعد ذلك هذه الدنيا ما لي بها من حاجة ما اريد من الشيخ الا صبغة التحق بها برجال الآخرة واثبت اليه فقال لي وما كلمته بكلمة في ذلك ييضمون يحسب الرقاد مع النساء ويحسب ان يلتحق بالصالحين اعمج النساء فقلت وقد عرفت ان الكلام معي لا اقدر على ذلك فقال لي اتعد كما انت رضى الله تعالى عنه ونلنا به طلب الغنى في سره فاجابني ان الغنى امن الفتى في سره ثم ابتغى لاخرى فقال اعمج لها حب النساء وسر ذلك سره

* المنقبة التاسعة والخمسون بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت يوما عند الشيخ رضى الله عنه واذا بقصة عظيمة من الكسكس الطيب احسن ما يمكن اثناءها بعض الزائرين فلما رايتها امتدت الشهوة مني اليها فنظر الي رضى الله عنه وقال لي والله والله ما تدركه فقلت في نفسي الامر لله ثم انه رضى الله عنه شعر من ساعده الكريم

وجعل يلقم من ذلك الكسكس لقما كبيرة ويلقيها في الهواء يمينا وشمالا ولا تسقط بالأرض وله مهمة عند ذلك فلما رايت ما عالني من ذلك دنيت منه فسمعت يقول وهو على حاله في القاء تلك اللقم يمينا وشمالا يقعدوا في المغاير ورءوس الجبال ويشتهوا علينا الشهوات هكذا بهذا اللفظ وما زال كذلك وهو يتكلم سرا بهذا الكلام ويلقي تلك اللقم الى ان فرغ كل ما كان في القصة على كثرته وعند ذلك لعق القصة وكبها في النواله على وجهها وابى ان يخاطبني بكلمة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به

هذا يدل على اعتلاء مقاسمه ودخول اهل الوقت تحت الدائرة وحديثه هذا وسر صنيعه فيه العقول وان تسامت حائرة

* المنقبة المتهمة الستين بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت مرة في محلة السلطان مسافرا للتجارة واذا بانسان له عند السلطان حاجة قد قدم علينا وهو محتاج الى منزل يارو اليه فانزلته عندي واضمته ولما كان الليل وطال بنا المجلس واخذنا في ذكر الصالحين وكراماتهم فقال لي اما انا فما رايت من الصالحين لآسيدي احمد ابن عروس فقلت له وكيف ذلك قال سافرت في مركب من لاسكندرية الى تونس او قال الى طرابلس ومع مركبنا مركب آخر فلما كان بعد ثمانية ايام من سفرنا هال علينا البحر وتلاطمت امواجه وتغيرت الرياح ولم يبق لاحد في المركبين رئاسته واصطدم احدهما بالآخر وانكسر فيهما لذلك ما انكسر وكان الهلاك هو المحقق عندنا والناس في امر لا يعلمه إلا الله تعالى ناديت عند ذلك يا سيدي احمد ابن عروس لك عندي ان سلمنا الله تعالى اثنا عشر دينارا ذهبنا قال فانا كذلك واذا به رضى الله عنه واقف في المركب الآخر وهو محتزم لا اشك فيه ولا ارتاب فرايته اشار الى مركبنا بيده فيبعد في الحين عن المركب الآخر وكانهما ما اجتماعا قط وانفصل احدهما عن الآخر انفصالا لم يكن احد منا يرجو وسكن البحر وطاوعت

الرياح وسافرنا فلما وصلت الى تونس اتيت وفي يدي من وعدته عشرة دنانير فقال لي رضى الله عنه كمل الدينارين فقلت له نعم وناولته اثني عشر دينارا جميعا كما كنت وعدتها له وانصرفت فهذا ما رايته له رضى الله عنه ونفعنا به واعاد علينا من بركاته

في لجة البحر استغاث وقد راى ما هاله والقلب منه في فرق واغائه واره من اسرارته سرا به انجي الجميع من الفرق

* المنقبة الحادية والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال اردت ان اتزوج امرأة تعلقت النفس بها لما اسمعه من جمالها وامتنع والدها من اعطائها لي وراودته بما امكن فامتنع وانفق ان سافرت وقدم علي من اخبرني انها تزوجت فساءني ذلك وقلت اين ما تقول يا ابن عروس فبعد ايام وانا قادم على بلدي لقيتني من اخبرني ان الذي تزوجها فارقه قبل البناء بها واجتمعت بابيها خاطبا فلما زال يظهر النائي ولا امتناع وانا الجا الى الشيخ في الباطن وبعد ايام لقيتني ابوها وقال لي دون ان اكلمه اين ما تقول به باسم الله فقلت على بركة الله ولكن لا بد من اشارة سيدي احمد ابن عروس فقال مبارك واثيت الى الشيخ رضى الله عنه فلما وقفت بين يديه قال لي وما فاتحتك بكلمة هي دجاجتنا هي امراتنا فقلت ولا بد قال ولا بد ثم قال تلد لنا حبيبا وخبيشة بهذا اللفظ فاتفق ان تزوجتها وولدت لي ابنا وابنة وصدق الله مقال الشيخ رضى الله تعالى عنه

ليس الغرابة في انالة مقصده لا يرتجى لمول تيسيره ما السر إلا في انكشاف الغيب عن مدلول امر قد مضى تفسيره

* المنقبة الثانية والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال طالبت اقامتي مرة بتونس وادت السفر الى القيروان فما قدرت على ذلك ولا امكنتي من خوف العرب العاصرين يؤخذ لتونس

فجئت الى الشيخ رضى الله تعالى عنه لاجئا في ذلك فلما رآنى قال لى ارجع الى عشك فقلت وكيف اقدر على ذلك وبنوا علي حصروا تونس والقيروان واشتهبوا واخذوا وقطعوا سبل السالكين فقال لى رضى الله عنه ارجع الى عشك وانا امتك من بنى علي قال فسافرت مع من وثق بكلام الشيخ والله انا لنمشي ما بين اولئك العرب وهم منا يميننا وشمالا وما منهم من يلتفت الينا ولا يسالنا بوجه وغالب ظنى ان الله تعالى اعنى منا ابصارهم وهم لا يتركون من رافه اعينهم كائنا من كان وما زلنا كذلك الى ان وصلنا القيروان فكان الناس كلما راونا يتعجبون من ذلك فاقول لا تعجبوا من ذلك ابن عروس امننا رضى الله تعالى عنه

ما امن الشيخ امره إلا اقتدى وعليه ستر لا يطاق زواله او ما ترى بين البغاة مسيرة وقد اختفت ما بينهم احواله

* المنقبة الثالثة والستون بعد المائة *

من الحاج ابي عبد الله محمد التلساني قال حدثنا الشيخ الصالح الحاج ابو عبد الله محمد عرف ابو زينة وكان من الموسمين بالخير والصلاح قال زرت الشيخ سيدي احمد ابن عروس رضى الله عنه في سفرى الى المشرق وتوجهى اليه ولما كنت بمكة شرفها الله تعالى ورايت كثرة ما بها من الخلق واختلاف اجناس الطائفين قلت في نفسي ليتنى اعرف هل في هذا الموسم احد من اهل خرق العادة والاصلين الى هذا المكان الشريف بلا زاد ولا راحلة يريد اهل الخطوة قال فانا كذلك واذا برجل حركنى من خلفي فلما توجهت اليه ورايته اشار لى الى رجل من الطائفين وقال لى هذا الرجل من الواصلين الى هذا المكان بلا زاد ولا راحلة فنظرت فاذا المشار اليه سيدي احمد ابن عروس الذى كنت زرتة فوق السطح يتونس لا اشك فيه ولا ارتاب فلما عرفته التفت الى الذى اخبرنى لاعرف من هو متعجبا من اطلاعه على ما خطر بالبال منى فلم اجده ولا

عرفت له مسلما ورجعت الى سيدي احمد ابن عروس لاجتمع به وانا جازم انه فى الطائفين لا غيبة له فلم اجده وبجثت عنه كل البحث فلما وجدت له عينا ولا اثرا وكأني ما رايتة هنالك قط رضى الله عنه صجبا لشيخ لا تفارق ذاته ظل العريش ولا يزايل مركزه ويرى بمكة طائفا وملهيسا هذا هو السر الذى قد احضره

* المنقبة الرابعة والستون بعد المائة *

عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن احمد الموحى عرف العود الرطب قال كنت مرة في سانيق وانا اجنى العناب وكان غابا في غايته الحسن والنضارة فلما اصعجبتى قلت في نفسي هذا مما يليق ان يهدى الى السلطان اعنى الخليفة وبعد ان قضيت ما ربي جئت الى البلد وجزت في اثناء مرورى بطريق الزاوية العروسية ولما كنت تحت سطح الشيخ رضى الله تعالى عنه اشرف علي وناداني فاجبته وقال هات ما عندك وادلى لى حبلا فربطت له بطرفه قرطلة من العناب الذى كنت جمعته من سانيق فلما حصلت منه ففتحها واكل منها حبة ورمى بالنواة ثم نظر الي وقال لى انت قلت هذا نهديه للسلطان وقد وصلت الى السلطان فانصرف على خير فانصرفت وانا في عجب من اطلاعه رضى الله عنه على ما خطر ببالي وانا في سانيق رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته ابدي له بسواله منسابه ما كان في طي العنابر ابطنه وسما به عما نواه معرفا ان الخلافة وصفه والطنمة

* المنقبة الخامسة والستون بعد المائة *

منه ايضا قال كنت في السانية ومعى اولى فوقع بيننا ما يقع بين الرجل واحله من الكلام وآل الامر الى ان لطمتها على وجهها بيدي وجثت بعد ذلك الى الشيخ رضى الله تعالى عنه فلما رآنى رماني بحجر وقال لى اخرج عني فخرجت وانا مذعور ولما كان في آخر النهار وقد اردت الخروج

لسانتي وبها اهلي مررت بالشيخ ايضا وانا كالمختفى منه فرائي رضى الله عنه وقال لي وقد واجهني هكذا يحل في دين الله تضرب تلك الضربة فادشني ذلك وعرفت المراد واستغفرت الله تعالى وانصرفت متعجبا من اطلاعه رضى الله عنه ونفع به

نساء عن الذي قد كان منعه لام بنيه ناديا وزجرا
وامرب من لسان الشرع فيهما فنال بذاك تكريما واجرا

* المنقبة السادسة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال حضرت مرة بعض مجالس الوطواط وادركتني رقة فبكيت واحتقرت نفسي لتذكر حساسات افعالي وقلت اود ان يحلق سيدي احمد ابن عروس الحيتي هذه لفراغ قلبي من الخير والآخرى من احوال الرجال وانطوى المجلس فجلت الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآني جعل يبكي كما كنت ابكي حين سماع الوطواط وعجبت لذلك ولم ادر له مرادا ثم قال لي اود ان يحلق الحيتي سيدي احمد ابن عروس فبان لي عند هذا مراده وعرفت انه يحكي ما كان متي فلما علم اني عرفت مراده قال لي عند ذلك تلك رحمة من الله تعالى نزلت بك في تلك الساعة فقلت الحمد لله وعالي اطلاعه على غائب امري وخفي سرى رضى الله عنه ونفع به لما رااه وقد بكيت عيناه من خوف العقاب وما جنته يداه خاف انصداع فواده من خوفه فلذاك رجي بالذي ابسده

* المنقبة السابعة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال مات والدي رحمه الله وترك لي ربعا جيدا فوقفت بين يدي الشيخ رضى الله عنه فلما رآني جعل يقول لي يا اخي نفسي فعاتبها تمشي قطاع الحلال في غير واجبها فقلت له ما هذا يا سيدي قطعت قلبي وانصرفت فكان الامر والله كما قاله ذهب ذلك كله وتعلق بدمتي دين كثير فالتفت ان انتهيت من نومي ليلة واهلي الى جانبي فتذكرت ما خرج

من يدي وما علي من الدين والشدة التي استقبلتني فاشتقت من ذلك وبكيت بكاء شديدا ولما طال بكاءي وخفت اطلاق اهلي على ذلك مني صرفت عنها وجهي وجعلت ابكي ولما كان من الغد وانا في حانوتي واذا باحد خدمته الشيخ جاءني وقال لي سيدي يقول لك على اي شيء هذا البكاء الحال يمشي بخير ان شاء الله تعالى قال فكان الامر والله كما قاله ومشي حالي بخير ببركته رضى الله تعالى عنه ونفع به

اشار لا تلافى امواله كما قد جرى بين اكل وغير
وقال يخلص عنه لاسي قصير فحملك يمشي بخير

* المنقبة الثامنة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال امرت اهلي يوما ان يعملوا عندنا في الدار عشاء الشيخ وجلت اليه رضى الله عنه فلما دنا وقت المغرب وادرت الانصراف قال لي رضى الله عنه الى اين تمشي قلت الى الدار قال لا تجب لي عشاء فقلت وكيف يا سيدي وقد عملوا حسايك فقال لا فقلت لا بد من ذلك فقال مرجب هذا العشاء فانصرفت ولما جعلوه في قصعة قلت لاهلي هذا قليل فزادوا وما زلت كلما زادوا اقول هذا قليل الى ان وقع بيني وبينها كلام وشناعة سب وحملت الطعام للشيخ فلما تناوله مني قال لي لولا انك تعزبي ما اخذته منك انا ما مندي زوجة تحكم علي ثم جلس ووضع الطعام بين يديه وجعل يمتخط في صورة الباكي وجلت الى الدار فوجدت اهلي وطعامها بين يديها وهي تبكي فاخذني العجب من اطلاعه رضى الله عنه

راى الشيخ ما قد جرى قبل ان يكون ومن اجل ذا قد نهسا
فلم يرض من وده غير مـسا يود به الشيخ مما اشتهاه

* المنقبة التاسعة والستون بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت مرة تلعب بي الخيالات وانا من ذلك في كرب فجئت الى الشيخ رضى الله عنه يوما وهو في البيت قبل صعود السطح

فوجدت بين يديه رجلا جالسا على كرسي فاقامه واجلسني مكانه ثم قال لي قل يا لطيف فقلت يا لطيف فقال قل للطيف بعبدك الضعيف فقلت للطيف بعبدك الضعيف فقال اهد فاعدت كذلك ثلاث مرات واقامني فاجتمعت في خروجي ذلك ببعض ازقة تونس بسيدى محمد شوشو رضى الله عنه فقال لي ايش رايت رقتك الشيخ اى والله شيخ وانصرف عني ولما كان الليل وانا نائم واذا بشئ نزل فوق سقف البيت كالصخرة العظيمة فذهرت لذلك وقمت وانا اقول استغفر الله استغفر الله ولما كان من الغد جئت الى الشيخ ولما وقفت بين يديه جعل يقول استغفر الله استغفر الله فعرفت انه حكا ما كان مني ولما كانت الليلة المقبلة قلت لاهلى افرشوا لي في البيت الوسطى لا ارقد الا فيها فرارا من البيت الذى ذهبت فيه في الليلة الاخرى ففعلوا ذلك ولما كان الليل وانا نائم واذا بمن ضرب الحائط عند راسي ضربة عظيمة هالتني فقممت مدهورا ايضا ولما كان من الغد جئت الى الشيخ رضى الله عنه فلما رآني جعل يقول افرشوا لي في البيت الوسطى يحكي لي ما كان مني لاهلى ثم قال لي وقد عرفت مراده ايش رايت وبعد ان فرشوا لك في البيت الوسطى لحقك شئ او ما لحقك فاحذني العجب من عظيم اطلاعه اولا وآخرا رضى الله تعالى عنه ونفع به

يخشى الخيالات السيئ مولا منها قد وقاه
ويخافها والشيخ في تمكينه منها وقاه

* المنقبة المتممة السبعين بعد المائة *

عن الشيخ ابي علي منصور بن زيد خادم الشيخ رضى الله عنه قال ناولني الشيخ مرة كسرة من آجرة وقال لي اجعلها في صندوقك تحتاج اليها وكنت اسكن بالكرواء في دار بعيدة من زاويتي الكريمة فاخذت تلك الكسرة وخباتها كما امرني رضى الله عنه ولا علم لي بمراده ولما كان بعد اثني عشر عاما

انتقلت الى دار مجاورة لزاويتي رضى الله عنه واقمت اسكن فيها بالكرواء ستة اعوام ثم ان مالكة الدار بعد وفاة الشيخ بود الله تراه ارادت بيعها فصعب علي البعد من جوار الشيخ وزاويتي فلم ازل احتال في امرها لاجتاهمقي الى الشيخ رضى الله عنه الى ان يسر الله علي الامر في شرائها مع ابن اخ لي علي وجه الشركة فكان الذي نابني منها الثلث او ما هو قريب منه فمسند ذلك عرفت مراد الشيخ في اعطائه لي كسرة الآجرة المذكورة وقد اوقفني عليها ورايتها واذا هي مقدار الثلث من الآجرة وهو النصيب الذي حصل له من الدار المشتراة وغالب ظني انه لو اعطاه الآجرة كاملة كانت الدار له كاملة فكان بين مناولته الشيخ واشترائه الدار ثمانية عشر عاما رضى الله تعالى عنه ونفع به

ما الطف السر منه في اشارته وقد جرت وفق تاييد العناية
يشير بالامر يخفي عن مداركنا والقصد لا بد يوما ما وان يات

* المنقبة الحادية والسبعون بعد المائة *

عن ايضا قال حدثني الحاج ابو الحسن علي الطرابلسي الصباغ قال سافروا في قارب كبير من مرسى الحمامات احدي مراسي تونس الى الاسكندرية فلما كان وقت صلاة الظهر من يوم سفرنا اصابتنا تغييرة عظيمة وهال علينا البحر وتغيرت الريح وانكسر الصاري والفتة الريح بلقاعه كما هو بالبحر وتكسرت الدفة وبقينا قصعة في وسط البحر ولا مواج تصعد بنا في امثال الجبال وتنزل بنا في مثل بطون لاودية ونحن ننتظر الموت في خلال ذلك واذا بسيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه واقف على متن البحر وكافي في مثل السنة او الافماء وقد وضع يده المباركة على مقدم القارب وهو يتلوده بنا فارتفعت لذلك واخبرت اصحابي برويته وبشرتهم بالسلامة لروية الشيخ فبعد احد عشر يوما ونحن في مرسى الاسكندرية سالمين آمنين وما اوصلنا اليها الا قدرة الله وبركة الشيخ رضى الله عنه

اما في مثل هذا السر منى لمن ولى عن الرشد ارسوا
ايرو ان ينال صلاة نقص ومن مين الكمال له ارسوا

* المنقبة الثانية والسبعون بعد المائة *

منه ايضا قال ركب الشيخ رضى الله عنه فوق خضبة من خشب نواته
وجعل ينادى وهو عليها جالس ورجلاه في الهواء يا صاحب البحر
يا صاحب البحر هكذا ولا نعلم لذلك حقيقة وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء
وبعد ثلاثة ايام او اربعة وردت علينا طرائد النصارى وفيها خلق كثير
من المسلمين قال فحدثني من اتق به وكان عند الشيخ يوم عاشوراء
وهو ينادى يا صاحب البحر قال حدثني صهرى وكان في الطرائد المذكورة
قال هال علينا البحر يوم عاشوراء واصابنا من امر الله ما كاد يهلكنا ف نحن
كذلك واذا بسيدى احمد ابن عروس راكب فوق قرينة طريدتنا دون
شك فيه منى ولا ارياب فبنفس ان رايته سكن البحر وطابت الريح
وسافرتنا سفر السلامة قال فقلت له في اى وقت كان ذلك من اليوم
المذكور فقال في وقت كذا منه وذكر الوقت الذى كان الشيخ عندنا
فوق الخضبة ينادى يا صاحب البحر رضى الله عنه ونفعنا به واحاد علينا
من بركاته

اين الذى ما زال يجنح للهوى وهوانه ابدا حليف هـواه
يصنى لىسمع مثل ذا من شجنا فلربما يبرجو بذاك هـداه

* المنقبة الثالثة والسبعون بعد المائة *

من الحاج ابي العباس احمد بن محمد عرف المنيار قال تعامل على مرة بعض
ولاة الامر في اخذ دراهم منى لا وجه لها والى علي في ذلك فلما رايت
ان لا بد لي من دفعها وانا بصفتة الفقر لجأت الى الشيخ رضى الله تعالى
منه وقلت يا سيدى ما تنظر منى من جانب الله فقال لي والله ما ياخذ
احد منك شيئا فسرني ذلك وقلت له يا سيدى ما تنظر من الخلق وما

يجرى عليهم من المظالم فقال لي رضى الله عنه يا ولدى لا تلنى لي اليوم
اربعة اشهر او خمسة وانا فائب الآن كما وردت فهالني منه هذا الكلام
وانصرفت فكان الامر والله كما قاله في شان الدراهم المطلوبة منى والله
ما اخذ منى درهما واحدا وحل الله تعالى عقده وازال شدته ببركة
الشيخ رضى الله تعالى عنه واحاد علينا من بركاته

ما حقر الفقر الشقاء بحسبه لكماله لا اشد منصورا

وحديثه عجب فحدث بالذى منه فليس كماله محصورا

* المنقبة الرابعة والسبعون بعد المائة *

منه ايضا قال خرجت مرة الى رحبة الغنم اشترى منها شاة لاصحبة فلما
تراوشت مع صاحب الغنم في ثمن الشاة قلت له الذى يشتري اليوم
يودى المكس او لا قال لا علم لي اسال لامين فسالته فقال لي يودى فقلت
اترك الشراء والله تعالى يحكم ففعل في باطنه هذا الكلام منى وضربني
بعصا ثم امر من معه فضربوني ضربا وجيعا وخلوا سبيلي ولما انصرفت منه
انسكبت مدامعى وقصدت سيدى سعيد الصفورى رحمة الله عليه وشكرت
له مصابى فاطرق ساعة ثم قال لي طبيب ما يدخل على طبيب
امش الى ابن عروس واذكر له مصابك فجئت الى الشيخ رضى الله عنه
ووجدته في شغل فكلمته فسكت منى ثم كلمته فسكت عنى فقلت له
عند ذلك هذا جزاء من يعرف سيدى احمد ابن عروس فنظر الى وقال
لي بلا كثرة كلام نحن ضربناه على اصل اذنه قال فعن قريب اصابت
لامين الذى ضربني ملة عظيمة اميت مزاولتها لاطباء ومعا قليل ادخلته
المسكين قبوة وظهر سر ضرب الشيخ رضى الله تعالى عنه

ما زال يصدع بالذى يغلى السروج العاصره

ويغادر الدور السقى فيها لامانى دامره

* المنقبة الخامسة والسبعون بعد المائة *

منه ايضا قال كانت جنية لازمتني مدة طويلة ولى معها ومع الشيخ حديث

طويل عريض فقد راني كنت نائما في بعض الليالي واذا بالشيخ رضى الله عنه يقول لي اى شئ تذكر اى في ورده فقلت اذكر لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فقال لي رضى الله عنه رايت من راي جبريل في النوم وقال عليكم بالسجود لم قال لي ان الله تعالى صرف عنك تلك الجنية فخذ في يدك كاخته وامش تسعي هكذا ولما انتهيت من فومي تحيرت في فهم كلامه ولم افهم من قراءتي امش تسعي الا السعي - الترهيب - حزن الناس وساعى ذلك فقد راني سافرت حاجا في تلك السنة وعند ذلك علمت ان المراد بتسعي السعي بين الصفا والمروة وكان كذلك والله ما رايت الجنية ولا راتني من تلك الليلة ببركة الشيخ رضى الله عنه واجاد علينا من بركاته

الا قل للذي ما زال يسو بهمه الى طلب المعالي
بمثل حديث هذا الشيخ فينا ينافس من ينافس اوعلى

* المنقبة السادسة والسبعون بعد المائة *

من الفقيه ابي عبد الله محمد بن سليمان النابلي قال حدثني من اثق به من اصهارنا قال جئت الى الشيخ رضى الله عنه في حاجة اهتمني ولما كنت عنده فوق سطحه ازعج الواقفين بين يديه صرخوا بالحجارة فثفروا يميننا وشمالا هاربين من صوته رضى الله عنه فلم ادر ومهدى بنفسى فوق السطح الا وانا في دهليس عظيم اطول ما يمكن فراعني ذلك وادهشني لعلى بانى في غير الزاوية اذ مثل ذلك الدهليس لا يمكن ان يكون فيها وادركني من ذلك ما لا يعلم الا الله تعالى فاننا كذلك واذا به رضى الله عنه قد اشرف علي وفي يده حجارة وهو على قم الدهليس وجعل يتهددني بالصرب وانا من خويف البقاء هنالك اشد خوفا منى من صربه فلما راي عزمي قال لي اطلع فقلت كيف اطلع يا سيدى فما شعرت الا ويده عندي على طول الدهليس فامسكني وشالني فاذابني فوق سطحه حيث كنت

فادهشني هذا المشهد منه وانصرفت وما عرفت لذلك حقيقة امر منه رضى الله عنه ونفع به

سر الولاية لا يقاس وانما يدولنا من نوره نبسخراس
وحديث هذا الشيخ في احواله حفت به من سره حراس

* المنقبة السابعة والسبعون بعد المائة *

عنه ايضا قال اخذ لامراة بتونس يقال لها الفهمية ولدان اسيران بارض الكفر وصاق ذرعها المسكينة من ذلك فلجأت الى الشيخ رضى الله تعالى عنه وجاءت تطلب بركته في خلاص ولديها فقال لها رضى الله عنه وقد كلمته في امرهما اليوم تحدثنا في قديتهما وقاطعنا عليهما فانصرفت ولا حقيقة عندها من كلام الشيخ وبعد مدة جاءها كتاب من احد ولديها لاسيرين من ثغر لاسكندرية يعرفها فيه ان النصراني الذي هما عنده كان مزوم على بيعهما في بعض جزر النصارى البعيدة وانهما كانا من ذلك في كرب عظيم ولما كان ثاني يوم عاشوراء من سنة تاريخه سخره الله لنا وقاطعناه في فدينا بعدد سماء وامسك عنده اخي وخرجت الى لاسكندرية برسم الخلاص ونحن من امرنا في ذلك على طائل واول ركب يائي في البر نائتي معه ان شاء الله تعالى فنظرت لأم المذكورة في ذلك فاذا اليوم الذي اخبر ولدها عن وقوع حديث الفدية فيه هو اليوم الذي كانت هي عند الشيخ واخبرها فيه بما اخبرها عن ولديها وتحققت ذلك من غير شك منها فيه فاخذها عند ذلك العجب من اطلاع رضى الله عنه

حدث بما شئت عن اخباره فالى عظيم مقداره تعزى الكرامات
وعد من منكرى انوار سودده فانهم عند افراط الكرامات

* المنقبة الثامنة والسبعون بعد المائة *

عن ابي عبد الله محمد البلي قال وقع بيني وبين رجل خصام ومرافعة الى قاضي الجماعة وطال النزاع فيما بيني وبينه في ذلك فتبعت القاضي يوما وكان

متوجها الى سانية له خارج البلد وقلت يا سيدي ما تنظر مني من جانب الله فقال لا عوانه من هذا الرجل فقالوا هو خصم فلان فواجهني بالقول المنكر والسب الشنيع والرد العنيف فانصرفت عنه ورجعت باللائمة على نفسي وجئت الى الشيخ رضى الله عنه وانا ابكى فنظر الي وقال لا تبك زولنا زولناه مر مر هكذا قال فوالله ما بقى القاضى بعد ذلك إلا هشرين يوما او نحوها وعزل وما كان احد يرى ذلك ولا يظن وقوعه لتصعب عزل قاضى الجماعة بحاضرة تونس وتابى ملوكهم عن ذلك لكن غلب سر الشيخ وتصريفه رضى الله تعالى عنه ونفع به

بتقوى الله والاخلاص فيها يعيش العبد في عرف وانس ويعزل من يشاء كما يولى ويمضى الحكم في جن وانس

* المنقبة التاسعة والسبعون بعد المائة *

عن ابي عبد الله محمد القرنيشى قال اخذ لي بعض الظلمة مالا واهيتني الخيانة في استخلاصه منه وما قدرت على ذلك بوجه من الوجوه فكنت الجأ في سرى الى الشيخ رضى الله عنه ولا اجد فيه قابلية لمراىى ولما كان في بعض الايام وضاق صدرى جئت اليه رضى الله عنه ووقفت في السوق الذى تحت سطحه بحيث اقبله وقلت في سرى يا سيدي هذا رجل ظالم اخذ مالى ولا قدرة لي عليه وانا محسوب عليك ومتسب بحسن اعتقادى اليك فقال لي رضى الله عنه تكلم يا مسكين فلم اقدر على الكلام حياء منه وهيت له فقال لي يا مسكين عصاتى بين يديه فسرني سماع هذا منه وانصرفت من فورى الى الظالم المذكور وكلمته في دراهمي قال فوالله ما خرجت من عنده حتى اخذت جميع ما كان لي عليه وما بقى لي عنده درهم واحد ببركته رضى الله تعالى عنه ونفع به

لما مضى متطاولا في اخسده ونصحه في رد ذاك مصاه ابدى العناية شغفا في قصده متصرفا فيه بذكر مصاه

* المنقبة المئمة الثمانين بعد المائة *

عنه ايضا قال هربت لنا امة وغابت عنا مدة طويلة بحيث غلب علينا الياس منها فزرت يوما سيدي يونس ثم بعده سيدي محرز بن خلف رضى الله عنهما ثم جئت الى سيدي احمد ابن عروس رضى الله عنه ووقفت بالسوق الذى تحت سطحه وقلت في سرى يا سيدي احمد هذه الامة اشغلت سرى وقد زرت في هذه الساعة سيدي يونس وسيدي محرز بن خلف وجئت اليك فقال لي رضى الله عنه كاني جهارا تمشوا بينا وشمالا تزوروا الاموات وانا الغول فهالني ذلك منه وذهبت من فورى الى السوق واتيت بهما يوكل ولما تناولوه منى قال لي انصرف لحقك متاعك قال فانصرفت والله ما وصلت الى حانوتي وجلست بالارض لآ رجل وقف علي وقال هات البشارة خادك وجدناها فقلت الله اكبر وجبرها الله تعالى علينا ببركة الشيخ رضى الله تعالى عنه

من فاتته من شيعتنا الحظ الذى فات المكذب فارغب افلاسه واحكم عليه باله في فمسة سلبته ايدي جهله احلاسه

* المنقبة الحادية والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال كنت اتردد الى الشيخ رضى الله عنه في امر سفر الحج واطلبه سرا في ذلك فلا يوافقني ولم ازل كذلك الى ان اذن لي مرة بالقول الصريح ففرحت بذلك واخذت في اعباء السفر ولما هربت جئت اليه ووقفت بين يديه وقلت في سرى ولا والله ما كلمته بكلمة يا سيدي اريد منك في هذا السفر حصول الحج وبقاء راس مالى محفوظا موفرا ونفقت في ربحه فنظر الي وقال لي رضى الله عنه لا والله ما فعل لك هذا تحب لاثنتين جميعا لا والله على حبيى انفقت مالى فاتفق انى سافرت وكمل الله القصد من الحج وانتم الله لي ورجعت الى تونس ولا والله معي مما حملته درهم ولا دينار وكنت وطئت النفس على ذلك منذ سمعت كلامه

ولكن فتح الله تعالى علينا من جهة أخرى بكل خير ببركته رضى الله تعالى عنه ونفع به

راى الدنيا وزخرفها محالا فلم يرض الحال لمن احبه وانفاق الفتى لاموال سعيها الى خير الورى عين الحبه

* المنقبة الثانية والثمانون بعد المائة *

عن الشيخ ابي محمد عبد الله بن عبد الغيث بن عروس ولد اخى الشيخ رضى الله عنه وخليفته فى الزاوية قال حدثنى جماعة من اهل البادية الذين يعبرون للزاوية قالوا عرضت لنا ليلة حاجة الى اللحم لصيف ورد علينا فاخذنا شاة من الغنم واضجعناها للذبح واخذ الذى تولى الذبح السكين وجر عليها فما اسال من دمها قطرة ولا اجهز عليها فارتاب فى ذلك وتفقد السكين بالشحد واعاد الذبح فما افاد شيئا فاثينا بسكين اخرى ماضية القطع عندنا فما افادت شيئا فراعنا ذلك حينئذ واطلقنا تلك الشاة واخذنا اخرى فبنفس ان امر عليها السكين اجهز عليها وكاد يخرج بالراس ولما كان من الغد واجتمعنا جرى للجماعة حديث الشاة فقال الذى منده غنم الزاوية ارونى تلك الشاة فاتوه بها فلما رآها قال هذه الشاة من غنم سيدى احمد ابن عروس فقالوا ما عرفناها فعند ذلك زالت الريبة وتحققنا ان ذلك من سر الشيخ وكان ذلك بعد وفاته رضى الله تعالى عنه وبورثه

اذا كان سر الشيخ يمنع شاته من الذبح حتى لا يراق لها دم فكيف يخاف البخس فى ظل امنه محب وما يبنيه لا يتهدم

* المنقبة الثالثة والثمانون بعد المائة *

من ابي العباس احمد بن عمر السلى عرف الجوهر وهو احد العبيد المعتقدين قال كان بينى وبين احد قواد الدولة الخليفة مصاهرة وكان تحت كرب من عدم الولاية واستمرار العزل فزار الشيخ رضى الله تعالى

عنه يوما وانا معه وعند ما جلس بين يديه قال له بعض قرابة الشيخ يا سيدى هذا صيف عليك اليوم وارد فانظر ما تصيغه به وجرى الكلام له فى قيادة بلد العناب ثم ذكروا فى اثناء ذلك طرابلس وقيادتها وقالوا للقائد المذكور تعطى فى قيادتها مائة دينار ذهباً وببيتك الذى عندك لبيت كبير من الشعر عنده فقال نعم فسالوا ذلك له من الشيخ قال فنظر الى رضى الله عنه وقال لى تضمنه انت فى ذلك فقلت له نعم فامر مند ذلك احد خدمته ان ياتيه بركيزة من الخشب ولما اتوه بها امرهم ان يرفعوا بها كنطرة عنده عظيمة فى خشب نواته وقال عند ذلك للقائد المذكور ما معناه اعطيناها لك قال فعن قريب اخذ طرابلس وتولى قيادتها واتصل بى خبر ذلك وانا بتونس فاتيى الى الشيخ رضى الله عنه مستشيراً فى امر الحقوقي به وقلت يا سيدى ناخذ منه وعدتك فقال لى والله ما يعطيك شيئا قال فاتفق انى التفتت به فى طرابلس وطلبته فى دراهم الشيخ الموعودة له فلا والله ما اعطانى شيئا وعما قريب عزل من ولايته تلك وانصرف منها وما ارى لعزله سببا لآ عدم الوفاء مع الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

من لم يوف مع الشيوخ ولم يقف عند الذى رسوا له لا يثبت والمزدرى بحديثهم كالمزجى زرع السباخ وبنرها لا يثبت

* المنقبة الرابعة والثمانون بعد المائة *

من الفقيه الكاتب ابي العباس احمد بن محمد بن الست الربعى قال اصابنى مرض شديد فرايت الشيخ رضى الله عنه فى النوم وقد رقانى بالفالحة وهو يسحنى بكفه فما كان إلا قليلا ومن الله تعالى بالعافية ولى يوم خروجه من المرض اتيته رضى الله عنه ازورته ولما جلست بين يديه بالسطح وهو يخطبوا بيده الكريمة قالوا له يا سيدى هذا فلان خويدمك ومحبك فقال لهم اين كنتم انتم وقت ان كنتم معه وقت الحاجة يشير الى ما كان منه لى رضى الله عنه وارضاه

لما اتاه وناقاه الموصى له حق ينوله المزور جوائز
ابدى له ما كان منه ليقضى ويد التهانى للعناية حائز
* المنقبة الخامسة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال بشرى الشيخ رضى الله عنه بولدى محمد وهو فى بطن امه قبل
ان يتزايد فقال يتزايد لكم مولود ذكر وتسعدوا به فكتبت كلامه رضى
الله عنه وكان الامر كما قاله ولما زاره الولد المذكور مع اخيه ابى الحسن
حين اردت ختانها فرح بهما وقال اما هذا فهو مشاعى وصاحبى وأشار الى
محمد الذى كان بشر به وهو فى بطن امه تنبها على ما كان فى شأنه منه
رضى الله عنه

يا من نسبته اليه بقوله هذا متامى ما اعز من الهيا
لكن بسابقة اليه اضافته وعناية من سوة قد نالهيا

* المنقبة السادسة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال اتفق لى مع الشيخ رضى الله عنه قبل ان يموت بنحو الجمعا
او اقل ان جاءنى رجل من اهل الصدق وقال لى انهم ارادوا عشرتك
بقلان لرجل بينى وبينه منافرة عظيمة وشكأن فسالت بعض العارفين بامور
المخزن العالمين بارباب الولاية عن ذلك وغرضى الوقوف على الحقيقة
فقال لى الامر صحيح فاهمنى ذلك وجئت الى الشيخ رضى الله عنه ووقفت
فى الشارع تحت نواته وكنت اهابه رضى الله عنه هيئة عظيمة تمنعنى
من القرب منه وقلت فى سرى يا سيدى يمولاى انا خويودمك ومعتقدك
ومحبك الحبة الثامة التى لا يشوبها شئ وهم ارادوا عشرتى بمن لا اريد
عشرته ولا قدرة لى عليه فاريد ان يظهر شرك المعلوم الذى لا شك عندى
فيه فى عدم العشرة بهذا الرجل امسا ان يثبت وانصرف او اثبت
وينصرف وان لم يكن هذا فمعرفة برجال الدنيا ورجال الآخرة وخدمتهم
سواء وما عند احد زيادة والحامل لى على هذا الكلام ما اجده من نفور
النفس من مشرة الرجل المشار اليه واستغفر الله من ذلك فاتفق ان تبدل

راى الرجل وتغير اجتهاده بعد العزم المجازم وصرفه من مغلب الغلوب فما
عاشرنى ولا عاشرته وبقي كل منا على ما هو عليه بسر تصريف الشيخ
رضى الله عنه واهل علينا من بركاته

المتجنى للشيخ صدقا يرتجسى فيل لامانى مع لامانى الوافرة
والمعتدى لا يعتدى بكريمته ويد الحب بما يؤمل ظسافرة

* المنقبة السابعة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال لحنى غبن عظيم ومريض نفس وقهر من بعض من كنت اعلمه
من اهل الامارة فانا فى هذا الخاطر يوما واذا باحد خدمته الشيخ رضى الله
عنه اتانى وقال لى جئت من عند الشيخ وهو يقول لك بامارة انك مغبون
من الرجل الذى تعلم انا نصره عنك قبل ان يتم العام فكان الامر والله
كما قاله رضى الله تعالى عنه ونفع به

ما زال يصحك باكيا ويغيث من ضاقت عليه لما به ارجاوه
فيعود والآمال طوع عنسانه وينال ما قد كان فيه رجاوه

* المنقبة الثامنة والثمانون بعد المائة *

عن الشيخ ابى بكر عرف ابو حوال خادم الشيخ رضى الله عنه قال حدثنى
الصعيدى لرجل سمه قال اشتريت بمائتى دينار سلعة وارتد السفر بها
الى لاندلس فى مركب هالك فقدر انى اجتمعت بسيدى محمد شوشو
رضى الله تعالى عنه فقال لى عند ما سلمت عليه عزمت على السفر فقلت
له نعم ان شاء الله فقال لى لاجر على الله ياخذك النصارى اسيرا فاجعنى
ذلك منه وجهت الى سيدى احمد ابن عروس رضى الله عنه وشكوت
له ذلك فقال لى وايش فى هذا البشماط علم ويفتح الله ونهر بوا فقدر انى
سافرت واخذت اسيرا فاشترانى بارض النصارى معلم قرن يعمل البشماط
فاقيمت عنده عاما اخدم فى عمل البشماط وعند تمام العام اطمانى الله له
على دراهم دفنها عنده فى القرن فاخذتها له وهربت بها ولما وصلت الى

ارض للاسلام وجئت الى تونس وقفت على سيدى احمد ابن عروس
رضى الله تعالى عنه فقال لى عند ما رأيت ضاعت لنا مائتان اخذنا فيها
كذا وذكر العدد الذى اخذته للرومى من غير زيادة ولا نقصان كانه
عده وفرج الله منا وعربنا والحمد لله وما ذاك إلا ببركة الشيخ رضى الله
عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

من الشيخ حدث بما شئت من خوارقه فهو بحر مهيــــــــــــــــط
ومن رام علما باساراه فتــــــــــــــــسد رام امرا به لا يحــــــــــــــــيط

* المنقبة التاسعة والثمانون بعد المائة *

عنه ايضا قال حدثني الشريف فلان لرجل سماء قال كنت انا وصديق
لى كثيرا ما نفع فى الشيخ سيدى احمد ابن عروس ونوذيته فاتفق انى
اتيته يوما مع الصديق المذكور ولما وقفنا بين يديه قال رضى الله عنه
لصاحبى بعد ان ذكر له كثيرا من الاشياء التى كننا نوذيها بها كانه معنا
حاضر انت ما تموت إلا من ذبرك ثم التفت الى وقال لى والله لولا عناية
جدك لقطعت عنك او ما هو قريب من هذا الكلام ولكن مرسلت قال
فاتفق ان سافر الصاحب المذكور الى بلاد القبلة فخرج دبرة والعباذ بالله
مقدار ذراع وما زال يتناثر شيئا فشيئا الى ان مات منه كما قال الشيخ
رضى الله عنه واما انا فاخذت فى جريمة عظيمة اخرجت للسيف فيها
اربع مرات فى كل مرة منها يامرهم السلطان بضرب عنقى فاذا اخرجونى
لذلك يرجع على نفسه ويقول لمن معه من ارباب دولته والله ان هذا
لعظيم شريف ويقتل بالسيف ويامرهم بردى الى الشقاق ولما كان آخر
الامر سرحتنى الله وسلمنى الله تعالى وكنت فى اثناء ذلك كله اذكر كلام
الشيخ وما تهددنى به ويطمعنى فى الخلاص قوله لى مرسلت الى ان
حقق الله تعالى طمعى فيه رضى الله تعالى عنه واعاد علينا من بركاته
ابن الذى قد لى فى انكاره وغدا يابحج فى بحار منساده

يبدى له ما كان يجهل علمه ويريه ما اوراقه قرع زناده

* المنقبة المئمة التسعين بعد المائة *

عن الحاج المتصوف الكامل ابى ملي عمر بن مجد الجبالى قال كنت لا
اعرف الشيخ سيدى احمد ابن عروس ولا يخطر حاله ببالى وانا منه
مصروف بالكلية بحيث لا اذكره ولا يذكرنى فاتفق انى حضرت يوما
مع بعض من اخذت عنه بعض آداب سلوك القوم فى شهود جنازة فذكر
بعضهم عندنا ان الشيخ امسك امرأة وذكر عنه فى ذلك اشياء من تخريبه
المعهود فاخذت فى اجراء لانكار عليه فى ذلك بظاهر العلم واخذ مرشدنا
المذكور فى بسط العذر له فى ذلك وزوال ما فى النفس بذكر شئ من
احاديث المخربين قال فكانى يقال لى فى سرى ونحن فى اثناء مراجعة
الكلام لا بد لك من العقوبة على هذا الامر فصرفت ذلك عنى بانى متمسك
فى كلامى بظاهر العلم ولما كان الليل واخذت انظر محل الدول التى احضر
قراءتها بمجلس العلم احسست من نفسى فتورا زائدا وطال الامر لى فى ذلك
الى ان تحققت السلب والعباذ بالله فكنت لذلك تحت امر لا يعلمه إلا
الله وستر الله تعالى على الناس امرى فظنرت فى مله ذلك وتقلدت امرى
بالبحث عما عسى ان اكون احداثته من مقارفة ذنب يوجب ذلك فما
عرفت من نفسى فى تلك المدة الثرية كلها ما يوجب السلب ولا يقتضيه
وصاق صدرى لذلك ثم انى قلت هذا مرض عظيم من امراض الباطن يجب
الرجوع فيه الى اهل الباطن ونظرت فيمن اتوسل به الى الله تعالى فى
ذلك فما اجمعت إلا على سيدى محرز بن خلف رضى الله عنه ونفع
به لاجماع اهل الظاهر والباطن على ولايته ورسوخ قدمه وتمكينه فتصدت
ضريحه الكريم لذلك وقولت به الى الله تعالى فى صرف ما اعنى من
مرضى ذلك فالقى الله فى نفسى عند ذلك ان علقى انما هى من سيدى
احمد ابن عروس وتذكرت ما كان منى فى شأنه فاجأت الى الله تعالى

بصادق التوبة عن ذلك وصريح الانابة وعقدت مع الله تعالى عقدا لا
احله ما استطعت اني لا اتعرض للشيخ بوجه من الوجوه فوجدت بحمد
الله في ذلك الوقت ما كنت سلبته وعلمت في الفور ذلك مني وما خرجت
من هنالك حتى اقال الله عترتي وجبر كسري وشرح لما كنت اعلمه صدرى
وما زرت سيدى احمد ابن عروس ولا وقفت عليه ولا انقطعت بالبر
الكريم ولا اعتقاد الصميم اليه الا بعد ان رايته رضى الله عنه في النوم وكأنه
قد خرج من زاوية المباركة ومعه جماعة من اصحابه فاتيته لتقبيل
يده الكريمه فامسكني وقال لاصحابه اى شهر هذا قالوا له المحرم فادخل
يده رضى الله عنه الى طهرى وقال هذا المحرم قد نزعناه او قال ازلناه
وكانه اقتلع من طهرى شيئا يشبه التالول فاصبحت وبطهرى لذلك
اثرين كان القطع كان حقيقة ولم يكن في عالم النوم فكنت من ذلك
اليوم اذا اخذت في الذكر اجد من نفسى اشياء عظيمة هائلة وانتهى الامر
الى ان كنت اذا ذكرت الله تعالى يذكر معى كل شئ من الحجر والشجر
وما زال امرى كذلك الى ان تحدثت بما كنت اجد من ذلك واخبرت
بما يقع لى منه فاقطع ذلك عنى وعند هذا الحارق العظيم انقطعت اليه
رضى الله عنه والقى الله تعالى في قلبى من الهيبة له والتعظيم لقدرة ما لا
اقدر على التعبير عنه وارجو الله تعالى ان يجعلنى ممن تحققت نسبتهم
الصادقة في الدنيا والآخرة اليه رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته
غفر مصون الشيب في آثار من هذا الحديث كقطرة من بحيرة
احيى الزمان وجوده وبموتهم نزع يد لاسوا قلادة نحسرة

* المنقبة الحادية والتسعون بعد المائة *

عن السيد الشريف أبى عبد الله محمد بن محمد بن قاسم الحرار وكان من
المستبين الى الشيخ رضى الله عنه المنقطعين الى منيع جنابه بالحنة الصادقة
والاعتقاد الكريم قال زرت الشيخ رضى الله عنه يوما ومعى اخ لى فلما وقفنا

بين يديه الكريمتين جعل يتأمل منى تارة ومن اخى تارة ثم يامرنى بتقبيله
فاذا قبلته يقول لى قل يارب حبب حلاوة هكذا فاقول ذلك ويقول لى اخى
قل يارب هون على يارب هب لى رضاك وما زال يفعل ذلك بى وباخى
مدة طويلة ثم امرنا بالانصراف فانصرفنا ولا علم لنا بمراة رضى الله عنه
وبعد شهر من ذلك الموطن مرض الاخ المذكور وتوفى رحمة الله تعالى عليه
وثبت الله تعالى الى ان مات وهو يلحج بكلمتى الشهادة تثبيت من امدته
الله بمدد همة هذا الشيخ وعند ذلك علمت مراد الشيخ وان امره لى بتقبيل
لاخ المذكور انما كان توديعا له لما اطلع الله تعالى عليه من ذلك رضى
الله عنه واعاد علينا من بركاته

لما راي فى الغيب شمس حياته اطفى ظلام غروبها انوارها
هز المصاب وبالدماء اختص من فيه المنية انشبت اظفارها

* المنقبة الثانية والتسعون بعد المائة *

عنه ايضا قال وقع بينى وبين صهر لى ما اوجب مرض باطنى واشغل
سرى من انواع اذائته لى وكنت من ذلك فى امر لا يعلمه الا الله تعالى
فلجأت الى الشيخ رضى الله عنه فى امره وقد ضاق منه صدرى وعيل
صبرى فلما وقفت بين يديه الكريمتين قال لى قبل ان اكلمه ما الذى
بك فقلت يا سيدى الذى لم تعرفه فقال لى رضى الله عنه الميت
اذا مات الى اين يحمل فقلت له انت املم يا سيدى فقال لى انه قد
انتفخت بطنه ومات فثلث فى نفسى مستعبدا لذلك كيف هذا الموت
والرجل ما به غلبة وانصرفت فبعد عشرة ايام او نحوها من كلام الشيخ
هذا اصاب الرجل مرض شديد اشرق به على الموت فى لامد التريب
ولما احتضر دخلت عليه فوجدته المسكين واعلى شئ فيه بطنه
لانفخه وعن قريب مات من ذلك كما قال الشيخ رضى الله عنه
واعاد علينا من بركاته

اخبار هذا الشيخ عن احوالنا فيما يرى فى الغيب لا يتخلف

وبمثل ذا من سره ما زال في رفع الفتى أو خفصه يتصرف

* المنقبة الثالثة والتسعون بعد المائة *

منه ايضا قال كان لي اخ هو اعز الناس عندي واكرمهم علي واحبهم الي فاتفق ان مرض وباع به المرض الى حد لا يأس فدخلت عليه يوما وهو يجود بنفسه ولاهنا وقربنا لذلك ضجة عظيمة بالبكاء والويل فلما رايته على حاله تلك ام انمالك ان التيت عليه بنفسى لما اجدته من حرقة فرقته وكنا قد حفرنا قبره لتحقيق موته عندنا ولما لم اجد الى الصبر منه سبيلا لجأت الى الشيخ رضى الله تعالى عنه وانما تحت امر لا يعلمه إلا الله فلما رآني رماني بحجر وزجرني زجرا عنيفا ثم اشار الى مسحاة وقفة كانا عنده وقال لي احفر واسار الى تراب السطح فجعلت احفر الى ان بلغت الخشب فقال لي مند ذلك كلما حفرت اردمه فردمت الحفرة التي حفرتها بترايها فقال لي وما عرفت من صنيعه هذا مرادا مرانا خلعت بالطلاق ما ياخذ لك احد المرة شيئا قل فانصرفت وقد داخلني الطمع في بره اخي لكلامه هذا ولكن ارى ذلك في حيز المحال واتفق ان طال الحال بالاخ المذكور الى الليل وما زال يجود بنفسه ولما كان من الغد اصبح وكأنه قد افاق من سكراته تلك ومن قريب عافاه الله تعالى وفرج عنه ووالله ما كنا نطمع في ذلك ولا نرجوه وانما كان عندنا في جملة الاموات وعند تحقيق بره وعافيته زدنا القبر الذي كننا حفرناه له والى ذلك كانت اشارة الشيخ رضى الله عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

ليس من السر العجيب وقى الفتى صروف الردى ولاهل قد هيئوا الرسا فاصبح بعد الياس في سرب امنه وقد كان في كف الميتة قد امسا

* المنقبة الرابعة والتسعون بعد المائة *

منه ايضا قال اصابني مله عظيمة ايقنت منها بالموت فاجأت الى الشيخ رضى الله عنه وقد ضاق صدري من ذلك وحملت اليه في يدي مقطعا

للباسه اخترته من مائة مقطع كانت عندي وقلت في سرى هذا اعطيه للشيخ يلبسه عسى ان يكون فداوى فلما تناولته منى وضعه بين خشب النواله فوق راسه وقال من اعطى يوفى له ثم اخذ شاشية كبيرة من ملف كانت على راسه ووضعها فوق ركبته وجعل يتفل في يده الكريمة ويمسح بها على تلك الشاشية وهو ينظر الي في البناء ذلك ثم بعد زمن طويل انصرفت وتركته وهو يمسح على تلك الشاشية ووالله لقد وجدت الراحة من نفسى في ساعتى تلك وانا عنده ومن يومئذ فرج الله تعالى عني وعافاني ببركته رضى الله عنه واعاد علينا من بركاته كم قد وقى ما يتلقى من امه والصدق ان قصد الماسم شفع ولكم فتى في خفص حال قد اتى لم يغد إلا والمجناب رئيس

* المنقبة الخامسة والتسعون بعد المائة *

من ابى عبد الله محمد لاندلسى الغربا لى قال جئت من لاندلس الى تونس في طرائد النصارى ومعنا فيها خلق كثير من المسلمين والنصارى فلما كنا قريبا من موسى غار الملح القريبة من تونس اصابتنا تعبيرة عظيمة ردتنا عواصفها الى اقاصى وسط البحر والفت احدى طرائدنا الى جنوة اباد الله من بها من اعداء الدين وبقينا نحن من تولى لامطار وثراركم لاماواج وهبوب عواصف الرياح تحت امر لا يعلمه إلا الله تعالى وكلنا يرتقب الموت ويتحقق الهلاك وطال الامر علينا في ذلك ستة ايام وست ليال ولا حيلة لاحد منا في انقاذ نفسه ولا وسيلة لنا إلا صدق اللجا الى الله تعالى ودوام الافتقار اليه والتوسل بصالحى عباده فلما كان بعد المغرب من آخر تلك الايام راينا في تابوت طريدتنا شيئا حسن الوجه واللمة وبيده مصباح اشرف به علينا فلزع اليه كل من معنا من المسلمين والنصارى فكان من مرفه من المسلمين يقولون هذا سيدى احمد ابن عروس وجعلوا يتلفون بين يديه ويستغيثون به ولا يزيدون كلمة واحدة

ومصباحه في يده الكريمة لا يزيد ضوءه مع هبوب عواصف تلك الرياح
وتتابع وابل المطر إلّا وقودا وفي تلك الساعة سكنت الريح وأقلع المطر
وصرنا من بحرنا في مثل المجابية وغاب عنا رضى الله عنه حتى كأننا ما
رأيناه قط ولما وصلنا إلى تونس بعد يومين أو ثلاثة أيام من روية الشيخ
كانت رويته رضى الله عنه عندنا معاشر الغرباء أهم شيء نطلبه لمشاهدة
هذا الخارق العظيم منه فلما وقفت بين يديه وما كنت رأيته قبل ذلك
إذا هو الشيخ الذي كنا رأيناه في ثابوت طريدتنا من غير شك فيه ولا
ريبة ولما رأنا بصدد إذاعة ما رأيناه من عظيم أسرار صرنا عنه ضروبا
بالجملة رضى الله تعالى عنه ونفع به وأعاد علينا من بركاته

يا معرضا عرضت له في شجنا شبه المريب فعرضته لحسنه
عد للرضا واسمع خوارقه التي نتلو وعارضك احتراز من نفعه

* المنقبة السادسة والتسعون بعد المائة *

عن أبي علي عمر بن محمد الضاعنى وكان من المنقطعين إلى الشيخ رضى
الله تعالى عنه بالعبادة الصادقة والاعتقاد الكريم قال كنت يوما عند الشيخ
رضى الله عنه ومعنا بعض أولاد القائد نبيل أحد قواد الدولة الحفصية
العثمانية وكان قد هرب من والده المذكور إلى الشيخ واستعاذ منه بهقامه
الكريم فأمره رضى الله عنه أن يأتيه بفراشه الذي كان ينام عليه أيام
إقامته عنده فامثل أمرة في ذلك ثم أمرهم رضى الله عنه بفرضه ثم بازالته
ثم قال للولد المذكور يا ولدى ارفع فراشك صاحب الشيء اخذ متاعه
ثم واجهني رضى الله عنه وقال لي قل . صوت للولد نشرب . وطلعت
من ثم ضامى . كلمت من ليس يفهم . أواه خسارة كلامي . ثم قال لي هؤلاء
أخذوا وما زكوا ولا عشروا قال ففى اليوم الخامس من هذا الوطن أخذ
الخليفة قائدة المذكور واستولى على جميع أسبابه وانطوى بساطه كما
قال رضى الله عنه وأرضاه

أخباره عما يكون وما مضى شيء له قد صار وصفا لازما
فاذا سمعت إشارة في مقصد من سرها وبصدقها كن جازما

* المنقبة السابعة والتسعون بعد المائة *

عنه أيضا قال زرت الشيخ رضى الله يوما وأنا في جهد جهيد من شيء
خرج لي بين اليتى معنى القيام والجلوس فلما كنت بين يديه وأنا مضطجع
على شقى لعظيم ما بهى أمرنى رضى الله عنه بالجلوس فقلت لا أقدر ثم
أعاد علي فراودت نفسي على الجلوس فما استطعت فاتاننى رضى الله عنه
ووضع يديه الكريمتين على ركبتي معا واجلسني متربعا فانفجر ذلك الشيء
بما فيه من صديد وغيره ووجدت الراحة من نفسي والعافية في ساعتى
تلك ثم أنه رضى الله عنه نظر إلى وقال لي أنا أخذت الكيش واضجته
وذبحته فانصرفت ولا علم لي بمراة في ذلك إلّا أنى أخبرت بعض ملوك
بنى حفص بمقالة الشيخ هذه ثم اتفق بعد كلام الطويل أنى صحبت
الخليفة فانا أسير يوما وإذا بالأمير الذى كنت أعلمه بكلام الشيخ رضى
الله تعالى عنه في حديث الكيش قال لي تذكر ما كنت حدثنى عن الشيخ
في مسألة الكيش وذبحه فقلت له نعم فقال لي فألب ظنى أن لا يمر
فلانا لاحد ملوك بنى حفص وقد كان خرج عن طاعة الخليفة وتحصن
بجبال بجاية سيائك اليوم رأسه وهو كيش الشيخ فقلت الله أعلم وما لبثنا
إلّا ساعة من النهار وإذا بأهل مجلثنا قد فزمو إلى شيء لا أدري ما هو فكنت
في سرعانهم ولا علم لي هنالك إلى أن أشرفت على رأس الأمير المذكور على
من رمح وقد جرى به إلى الخليفة كذلك فوليت منصرفا إلى أخيتنا
فانا في السقاء طريقي وإذا بأشد الرجال قوة قد أمكنى من بين كنفى
وهزنى مرارا ثم قل لي هذا كيش سيدك هذا كيش سيدك فراعنى ذلك
وهرفت أنه من سر الشيخ تحقيرا لما ترددت فيه من قوله رضى الله تعالى
عنه وأرضاه ونفع به

اسرار هذا الشيخ في تصريفه عن دركها قد كُتبت لافهام
وتحيرت فيها العقول وقصرت فكر وصلت عندها لاوهام

* المنقبة الثامنة والتسعون بعد المائة *

كانت عندي في ايام اقامتي بتونس زمن التأليف سمراء اصايبها في مراق
البطن منها ورم عظيم وتجر لها هنالك حتى منعها القيام والجلوس والنوم
واميتنا الحيلة في معاناة ذلك وانتهى الامر بها الى حد كنت اود معه ان
لو مائت لكلفة تمريرها ولما صدق منها في بعض الايام صدرى اتيت الى
الشيخ رضى الله تعالى عنه وارضاه وشكوت له ذلك في سرى ثم كلمت
بعض خدمته ان يكلم الشيخ في ذلك فقال له ياسيدى هذا ولدك يشكو
اليك حال المريض الذى عنده فقد صاق صدره من معاناته فقال له
رضى الله عنه هذا شيء متاع الموت فكذا بهذا اللفظ فثبت عندي لكلام
الشيخ هذا مع ما ائلمه من شدة مرضها انها توفت من ملتها تلك وقلت
في نفسى عسى ان يكون ذلك من عجل فما لي على مقاساة معاناتها
ومكابدة مرضها قدرة وتقدمت اليه رضى الله عنه وفي قلبى من خوف
ذلك ما لا يعلمه الا الله تعالى وامرت من كلمه ايضا في امرها فقال لي
رضى الله عنه وقد واجهني بخطابه رغ حتى يفتح الله فانصرفت ولا
مناسبة عندي بين كلامه هذا وما خاطبناه عنه وبفس ان وصلت الى
منزلى دخل علي بعض من كان يخدمنى وقال لي ههنا اندلسى عارف
بمعاناة هذه الاورام وقد كلمته في امر هذه الخادم ووعدنى بالاتيان لروية
ذلك فاسعفته في ذلك وموتها هو الحق عندي ولما جاء الطبيب وعابن
منها ذلك قام من حينه في صورة الايس من برءها وعرفت ذلك منه
ثم قال لي منذ انصرفه هذا شيء لا يقدر احد على معاناته اليوم فقلت
له وما تعرف من لادوية ما يسكن عنها الرجوع قليلا فقال كاليزدى
بذلك اذا كان ولا بد فخذ كذا وكذا لاشياء ذكرها واجعل منها ضمادا على

ذلك الورم ففعلنا ذلك في بقية يومنا ولما كان في جوف الليل سكنت عما كنا
نعمده منها ونامت فعجبت لذلك وتفقدت امرها مع بعض فضلا لاصحاب
كان عندي فوجدناها نائمة وقد انفجروا بها بما فيه من المادة وجرى
بالارض كأنه الماء فهالنا ذلك ولما انتهيت لكلامنا قالت كل ما كان بي قد
زال واصبحت في خدمتنا من الغد كأننا نشطت من عقال ولم يبق من ورمها
سوى اثره وبعد ايام قلائل زال فقدر اني اجتمعت بالطبيب المذكور واخبرته
بالواقع فهاله ذلك واخذ العجب منه لتحقق هلاكها عنده وعند هذا
علمت ان مراد الشيخ في قوله لي رغ حتى يفتح الله اى يفتح الله ذلك
الورم ويخرج ما فيه كما وقع لنا بسره ويعين تصريفه رضى الله عنه
لي منه وهه صديق لا اله الا هو لكل مله انجساره
وبسره ارجواندلاج دجنسى واورد عن حرمى النقي ان جازه

* المنقبة التاسعة والتسعون بعد المائة *

لما طالت اقامتي بتونس الحروسة بعد سابق طول السفر بغيرها واتصل
خبر ذلك باهل ودى ومن صفا لهم من شوائب الاكدار وردى ادركم
لذلك وقد تدانت ما بيننا الديار وتناء العزم مساعفة لاقدار المزار ما
يدرك الحب الصادق من الشوق لثناء حبيب المصادق
فابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديسار
انتدب للاتيان بي بمرافقة الرفاق من علا مجده السامى وفاق وهو شيخنا
الذى امتع بكرىم فوائده وصهرنا الذى امتع بكرىم فوائده واتصل بي
خبر قدومه علي وشد حياز عزمه الي وكان لي بشقر طرابلس ومعالها
مطالب وامور يعنى تحصيلها على عدم اسعافه في مراده منى وكبر ذلك
علي غاية ولم ادر لخيرتى ما انا صانع فاني اذا اسعفته في مراده منى
تعرضت بذلك للافئ امورى واسباب لايسهل على النفس تركها بوجه
من الوجوه ابدا وان تناسيت بالوقوف مع مطلبى واجب حقوقه كنت

متروضا لا محالة لدعوقه فقصدت الشيخ رضى الله تعالى عنه ورفعت
بسرى اليه امر حيرتى هذه ومعنى بعض فضلاء الاصحاب وقد كنت
تفاوضت معه فى هذا الحديث فلما وقفنا بين يديه جعل رضى الله عنه
يتابع النظر الى طويلا ثم قال لى ولا والله ما كلمته عن مرادى بكلمة مر ما
يجبى شئى مر ما يجبى شئى هكذا بهذا اللفظ فراغنى اطلاقه رضى الله تعالى
عنه على مكنون سرى وغائب امرى فانصرفت واثيان الصهر المذكور هو
الحقيقى مئدى لما استقر لدى من اخباره وبعد مدة اجتمعت بمن قدم
من بلادنا وسألته عن احواله وعن قدم معه منها فقال خرجنا من بلدك
فى رفقة عظيمة وخلق من اعيانها منهم فلان ومنهم فلان وعد الصهر المذكور
ولما كنا بالموضع الفلانى لموضع بعدة عن بلدنا مسيرة ثلاثة ايام اجتمعنا فيه
بمن اخافنا والقى الرعب فى قلوبنا وذكر اشياء لا حقيقة لها ولا وجود
للمحكى عنها فرجع المذكورون واقتممت السفر وحدى لعدم ما اخافى
عليه فقلت عند ذلك الله اكبر وعلمت حينئذ حقيقة قول الشيخ رضى
الله تعالى عنه وان الرجوع انما كان بسر تصريحه رضى الله عنه ونفع به
لما تعارض فى القضية مسانع مع مقتضى واستعجبت افكارى
ابدى لها الشيخ المكين بسرره وجها فعرف صورة لانكار

* المنقبة المتممة المائتين *

كنت يوما عند الشيخ رضى الله تعالى عنه واهل تونس يومئذ فى شدة
عظيمة من ثمالى اعراب افريقية على الخروج على الخليفة واتفاقهم جميعا
على ذلك ودخولهم تحت عهدة ايمان توائفوا بها وانتظمت كلمتهم فى زعمهم
عليها وجعلوا سبب النفاق والبغى والشقاق اشياء طلبوها من السلطان ان
هو وفى لهم بها كانوا على ما كان منهم له ولا حاصروا تونس وفعلوا من انواع
الفساد ما قصر املهم دونه فكانوا لذلك فى جمع كبير وخلق كثير فانتدب
للاقائهم وصدهم عما راموه امير المؤمنين وخرج اليهم فى محلة وارباب دولته

فلما دنا منهم واشرف بعساكره عليهم قدم اليهم من رؤسائهم من كان مهتم
الجناب قبل ذلك عنده فوسع لهم والحرب خدعة طبايا المجزلة ورفده
ونرى بذلك مناواة من فناواه وجعل المكر السيئ فيهم حليف من فناواه
وادنى منهم وقرب وقضى لهم مما طلبوه كل ارب واخذ منهم على ذلك
اولادهم وهائن فكان فيمن قدم معهم للمحصرة العلية وجل اجتمعت به عند
الشيخ رضى الله تعالى عنه وقد جاء لزيارته فقال له رضى الله عنه بعد ان
بسط له بساط المباشطة ما اسمك فقال فلانا فقال له لا قل اسمى عبيد
فقال لاعرابى اسمى عبيد فقال له طيبك صيد وجئت لتستأخر فاخذك
آخر هكذا بهذا اللفظ ثم سكث منه ساعة وقال له هؤلاء الطيور الذين
تعلق بعضهم ببعض وقالوا ما يغلبنا احد اراهم ما جا من رايهم شئ فنكص
للاعرابى على قدميه لعلمه بان خطاب الشيخ مع العرب وصحك عليه
الحاضرون لذلك ثم انه رضى الله تعالى عنه نظر اليه وقال يا معين الحجاج
على مكتة اعز السلطان واجعل فى رايه بركة يا معين الحجاج على الطريق
اعنه يا رب فى كل ضيق هكذا بهذا النص وما كان الا مدة يسيرة واذا
بالحرب البغاة على كثرتهم وقوتهم وكثرة اتباعهم وصاكرهم قد اتلفهم الله تعالى
ولوا لادبار هاربيين وامير المؤمنين فى اعقابهم الى ان اشرفوا على الهلاك
دون كفاح ولا طعان وضائق عليهم لارض بما رحبت فلم يجدوا ارحم بهم
ممن هربوا منه فرجعوا الى السمع والطاعة تحت الكلمة القاهرة والسطوة
الظاهرة وامكن الله تعالى من عظامهم فرجع بهم امير المؤمنين الى دار ملكه
وكلهم يرسب فى قيوده وبعض البنان ندما لما فاته من افول اقبال سعوده
وقد كنا نرى الشيخ رضى الله فى ايام هذه الواقعة فى مجاهدة عظيمة
وكفاح شديد اغنى سر تصريحه فيه عن القتل المييد وما بان لنا سر ذلك
منه حتى عاد امير المؤمنين الى مقره وقد انعقدت يمين اليمين جنوده وقرت
اعينا بما نالته من الفتح المبين والنصر والتمكين جنوده رضى الله تعالى
عنه ونفع به واعاد علينا من بركاته

عن الشيخ حدث واستزد من حديثه فما للذي نحيكه من مرة حصر
واسرار العظمى بوشى طروسنا تروى وفيها الامن واليمن والنصر
وههنا انتهى بحمد الله من هذا الباب ما اردناه * وتم لنا منه بحول
الله وقوته اثبات ما من المناقب اوردناه * وبكصيل ذلك وتاصيله
حصل ختم الديوان * وامتد على بسيط بسطة كماله ايوان * فله الحمد
على نعمه الوافرة * واياديه المتظافرة المتوافرة * وله الشكر على ما تن به
سبحانه من خدمة كمال هذا الشيخ وانعم * وخص به جل جلاله من
تمام الفتح علينا بذلك ومع *

على ان تقصيري وعجزى سودا يا صاحبي مقصدي فهو حالك
وحسبي وان اخطات من حيث يرتجى

لى النجى ان الشيخ مولى والمسلك
ولولا مصاحبة العناية السابقة * والمنة التى يدرك المسبوق بها سابقه *
ما كنت فيمن نظمته فى هذا المسلك الحميد يد المواهب * ولا ممن مال
فى التوفيق لذلك اكرم واهب * ومن انا لولا ذلك فى الحى حتى انسب *
وفى العصابة المكافحة من حرم حرم اولياء الله احسب *

لكن وان هدم القصور قصور ما قد شيدته تطفلا امسداح
فانا الذى بالفتح نلت مواهبنا ظفرت يداى بها عن السداح
ولو انهضنى العزم لذلك فى فصاحة سبحان وائل * وبلاغة المتأخرين
الاويل * واقدام مهر فى ذكاء اياس * لرجعت فى صولة كرى لما انتدبت
اليه من ذلك من ياس * لعزة مكانة مخدومي الكريم * وشماعة قدرة
المرتد فى اردية التكريم * فكيف وقد علق العجز على بعقاله * وصدنى
وصف تقصيري عن افتكالك اعتقاله * فانا لذلك كلما تقدمت حسا
تأخرت معنى * وكلها رايت انى برعت جئت بما لا يتمنى * وكذا الفصر
الباع مثلى اذا اعرب اعجم * وان تعرب لسان ثقاصحه استعجم *
ولكن حسبي اننى رمت مطلبسا فتم بسر الشيخ لى منه ما رمت

وشمت برىقا لاندلاج دجنقى فعاجل لتؤيرى بما منه قد شمت
على ان كل من تصفح بعين النقد اوراقه * وشاهد اعداد مولفه فيه وابراقه *
قد اظن بما اعجبه من حسن ترتيبه وراقه * وقد صرح بانحسانه جمع
من العلماء الاكابر * وصعدوا بما تصدع له قلب المحسود المكابر * بعد التامل
الطويل فى تفاصيل ابوابه وفصوله * والكشف عما فى طى تقاريعه واصوله *
وصورة ذلك ردا وقبولا نصب عين المشاهد * ولا دأى فى المدح الى
الاغراق فالشاهد ما تشاهد * لكن رايت ايل الى الجزم بابداء صفحة
العذر اولى * ولواهب الفتح والمواهب الحمد والشكر على ما اولى * ثم
انى وان اشرقت بانغماسى فى مخاضة العجز الى المناكب * وعرفت
ان نسجى لمحلة التاليف اوهن من نسج العناكب * فليست اخطب
بذلك الا فتى كثر فى موكب لانصاف خطابه * وحسن لحسن طويته
فى الرد والقبول خطابه * فلا يفتح له النظر لاسد باب خلل للا وسده *
ولا تجمععه المناظرة بمتحامل للا ورده انصافه على تحامله وسده * واما
المعتدق الذى صار المحسد عنوانه * واثبت الجهل فى موكب العزوانه *
وخصوصا ان كان ممن اذبر عن مفاخر شيخنا واعرض * وثانى باهر احواله
الخارقة بالرد والانكار وتعرض *

فانى الى ما منه لى لست جانحا ولست ايسالى ابصر الرشدا م
وقولى له ان جانب القصد ذاهبا الى حيث التفت رحلها ام تشتم
وقد تم بفضل الله والحسن وشى طروسه * والفتح المبين ابتسام غروسه *
ونيل لامل البشغى مطر عروسه * واليمن والامن رقم سطوره * والسعد
والترفيق طراز مسطوره * والبركة حشو تجويف حروفه * والعناية المكتسبة
امان من نكبات الدهر وصروفه * والادب الغض فى سرد نص ملومه *
والرياضة فى وقوف السالك منه مع معلومه * واعتقاد الصالحين فى
طى منشوره * وكف اكف المعادين العادين فى ضمن منظومه ومنشوره *
ومفاخر شيخنا الكامل اعلى مقاصده * واسنى ما عقدت به يمين اليمن

اعلام قاصده * ومناقبه الجليلة مراقى مراقبه * ومفاتيح الفتوح لمطالعه
ومراقبه * وحماية حمى ذاته الكريمة وصفه اللازم * ونعت شرفه الملازم *
ومن رام لا بالاذن اطفاء نوره فانى بسر الشيخ لا غرو قاصمه
وكل حليف للهوى رام هضمه فان لسان الحق عنه يخاصمه
وقد كنت لما اتيت على كتب حظ وافر منه ومقدار * سالت الشيخ رضى
الله تعالى عنه ومحرك العزم لذلك سوابق لاقدار * فى اشياء قصدت بها
نفع من وقف عليه * او انتهى بعد تطاول لازمة اليه * جلبا لمسرة
محصله وكاسبه * وقارنه ومستمعه وكاتبه * وهى ان كل من ذكر اسمه
فيه فهو فى الدنيا والآخرة فى كفالة ضمانه * وتحت لواء حمايته
المنيعه وامانه * وان من رمت يد لاقدار بما اياه علاجه * او كان فى
ظلام شدة ولم يعالجه انبالجه * او لم تساعده الطالب * او اشجاء ما
هول طالب * او اثقل الدين ظهرة * او قطع فى لبوس البوس دهره *
او كان تحت قهر غابية الرجل * او طلب نيل شهى آماله بالسان
الاستعجال * او انهك المرض جسمه * او دهاه ما لم يستطع جسمه * او
طلب خلاص مسجون * او هذا فى غمرات شجره * او تعذر عليه
افتكاك اسيرة * او توجه راغبا فى تيسير عسيرة * او اخلق الدهر لبوسه *
او استدفع شدته وبوسه * او اثقلت كادله اوزاره * او استلب منه بيد
الفتك ازاره * كل هذه اذا التجا الى الله تعالى فيها بسر الشيخ وقراءة هذا
الكتاب او شئ منه نال تمام مرادة من الدفع والنفع * وادركه كما يجب
وكفه فى قذال المنكر بالصفع * كل ذلك سمعناه من الشيخ رضى الله تعالى
عنه عند الطلب صريحا * واجاب به قدس الله سره وقد سألناه فى ذلك
تصويحا * إلا ان بيننا فى ذلك واسطة يتوجه * لقيام هيئته التى تفجّل
عن خطابه وتاجم * فكان رضى الله تعالى عنه كلما سئل عن فصل يفصح بما
يشلج الصدر فيه * ويتكلم بما يحصل الغرض البتغى ويستوفيه * الى
ان تكمل لنا الطلب * وتحصل الطلب * كانى انذرت فى تحصيل هذا

المرام بموته * واستعجلت حصول ذلك منه قبل فوته *
وما ذاك إلا الشيخ ايقظ للذى ينيل كسير الخلق من سره جبرا
وحركى بالسر سرا فجتسمه لنفع عباد الله واستافنى جبرا
فالله تعالى يحدث ذلك منه لسائله * ويجعله فى الدارين من اعظم
وسائله * ويأخذه من ذلك بهرامه * ويدنى منه مطايبه ومرامه *
وينفع به الكاتب والكاسب والمطالع * ويطلع على الجميع اهلة الآمال
من اسعد المطالع * ولما كل القام والساعد * وقل منى على المطلوب
المساعد * واستعجمت الفكر * ورائد الكسل قد كبر * قمت على قدم
الاستعجال وانشدت * والى بعض احوال شيخنا الكامل وكتابه ارشدت *
الى مغنى الكرامة سل سبيلا ترد عينا تسمى سلسبيلا
وطهر من شكوك الشرك قلبا تعمل فى الهوى حملا تديلا
ودع عنك اعتنام اللهو واطلب نجاتك واحجر الطرف الكحिला
وعد من الهوى ودع الهوى لنا وقف بالباب منكسرا ذليلا
ولا تياس ولا تباس ولازم وقل مولاي جئتكم مستقيلا
فصدري ضايق من وزرى وانى اتيتك محبنا والصبر عيلا
وقد امسيت فى ميدان لهوى بسقى جنايى العظمى قتيلا
وما اعددت شيئا ارتجيبه فدى التوحيد والطن الجميلا
وحب محمد خير البرايىا وسيدهم دبيرا او قبيسلا
وازكاهم واكرمهم نجارا واشرفهم اذا انتسبوا قبيللا
وهقرته الكرام وكل شهم بنصر الدين قد سلك السيللا
وحب الصالحين اولى المزايىا فاق لقدم شرفا اصيلا
وقد ظفرت يدى اليوم منهم بهشيخ احرز المجد لاثيلا
مكين القدر على الكعب شهم انيل الجاه والعز الطويلا
تسامى وهو قطب الوقت فينا فحاز المجد والقدر الجليلا
 واصبح كل ذى امل عليه بنيل القصد صدقا قد اهيلا

وكم ذى مطلب تربت يداه بسر ابى الصرائر قد اتىلا
فلذ بجنابه والزم حملاه تجدد بفنائمه ظلا ظليلا
فان سماحه ما زال فيسنا يهوى للوفود به مقيلا
ونحو مقامه حث الطائيسا تجده بكل ما تهوى كفيلا
وصن عقد اعتقادك فيه مما يخاف شومه الداء الدخيلا
فبحر الشيخ في الاحوال طام وليس لموضعه ابدا سبيلا
وفي وشى الطروس لنا اعتناء بما يشقى من الصدر الغيلا
ويدي من كمال الشيخ وجهها اغرا ازهارا طائفا جهيلا
ويشاح صدر من عقدت ودادا يمين ولائمه العقد الجميلا
ويصمى سهمه المسمى فودا وداد الشيخ منه قد ازيلا
ويلقى من مهاوى الهوى من لم يرعه سقاغة ما فيه قبيلا
فلازم قرع بلب الفتح منسه وخذه مصفا حسنا جهيلا
وشمت ايدي الفتوح به طروسا بساط الحسن منها قد اطيلا
ومدت فوق ذاك الوشى منه رواقا راقى حسنا مستطيلا
وردت اعين العدل منسه وشامت للعدا سيفا صقيلا
قدونك رشد ما اودعت فيه تجده لكل قلب مستميلا
وقد اصالت بمجد الشيخ فيما كتبت به ولم اعمل دليلا
ولم اترك علا يعليسه الا سلكت بفخره السامى سيلا
على انى وان ابدلت وسعى فلم اذكر سوى النزر القليلا
وحسبى انى استعبدت فكرى لاحبى ذكره جيلا فجيلا
وقصدي يا مكنين القدر انى انال بذلك الرفد الطويلا
وارفع بعد خفض الحال منى فكم واهى القوى وافاك شيلا
وانى لم ازل يا فنجح قصدى بظل مقامك السامى نزيلا
وعهدى بالنزىل له ذمسمام لديك ولست بالزلفى بخيلا
وبعد ختامه المسكى انى سانشد والغريب نوى الرحيلا

على خير الانام وتابعيسه صلاة تكسب الشرف لاصيلا
اللهم انا نشوئنا اليك بهذا الشيخ الذى نعتقد ولايته وتمكينه *
ونعلم بما اظهرت لنا من سره عزيز منزلته المسكينه * فامن علينا من
كرمك العقيم بما انت له اهل * وخلصنا يا مالك نواصينا من اسر الهوى
والجهل * وارحم بفضلك صراعتنا وتملقنا بين يديك * واجبر بجزودك
انكسار قلوبنا لديك * وايدنا بمدد توفيقك واطفك * وامدنا بعوارف
حنانك وعطفك * وحلل بيننا وبين معاصيك حتى لا نكتب في
العاصين * وجد علينا بواد القرب منك لنلا نحسب في القاصيين *
واشمل برحمتك وتغفرتك والديننا * وتلق بالرضا والرضوان من سلف
منهم بين ايدينا * كما نسالك ذلك لمشايعتنا الذين بهم نتمتدى *
وبسنا معارفهم في ليل الجهالة نهتدى * فانك اوجبت علينا بر كل منهم
وطاعتهم * ولم ترض لنا اعمال حقهم الواجب واصاقتهم * واختم لنا بخواتم
اهل السعادة * واجعلنا من الذين لهم عندك المحسنى وزباده * واجبر
بفضلك صدع قلوبنا * وتجاوز عن عظيم ذنوبنا * وتلقنا برضاك
عنا يوم تلقاك * واجعل خيرا ايامنا واسعدنا يوم لقائك *
ودارك كل ذى امل منا بما يومله منك ويرجوه *
يا من اليه توجهت مناسية الجميع وعشت
الرجوة * وصل وسلم وبارك على سيدنا
ومولانا محمد سر الوجود * ومعدن
الكرم العقيم والمجود * وعلى
آله وصحبه لاكرمين
وأخر دعوانا ان
الحمد لله رب
العالمين

الحمد لله الذي ازاح عن اهل العناية بسر حفظه اصداء النفوس * وملا
قلوبهم من سلسبيل معرفته بمترعسات الكووس * حتى اشرقوا في عالم
الموجودات اشراق الشمس * وانقاد بزمام التسليم لباهر كراماتهم كل رئيس
ومرؤوس * والصلاة والسلام على سر الوجود واس الالوس * وعلى آله
وصحبه الذين طهرهم من شوائب النقص الملك القدوس * اما بعد فقد
لم يعون الله طبع هذا الكتاب الموسوم بابتسام الغروس * ووشى الطروس *
بمناقب العباس من النكا اليه مطارف البشر بعد العروس * الغوث لاشهر
سیدی احمد ابن عروس * نفعا الله بامراره * وغمنا في بحار انواره * وهو
كتاب بركاته اظهر من الشمس في رابعة النهار * جامع لكثير من الحقائق
العرفانية * والعلوم الحقيقية الربانية * وجواهر بواهر كرامات الاولياء
الاخيار * متكلها بنظم يزرى بسلاف العقود * وفرائد العقود * تتوج من
علم البلاغة بسحر بيان * وتعلی من البديع بفلاذ عقيانه * واستخرج
زالل معينه من عيونه * وتوضی انتخاب غررة وعيونه * فلا غرو ان جر
ذيل اعجابه على ربط الوشى الصنيع * او جلس على صدر المقامات ليقبل
راحة ابداعه روض الربيع * وكيف لا وهو سماء علم جادت بصوب
الحكم * ووشى معارف حاكمها سن القلم * وبحر الحقائق والآداب *
وشفاء سقام النفوس وصيفل الالباب * وكان تمام طبعه * واكمال تمثيله
روضعه * في شعبان الاكرم * عام ثلاثة وثلاثمائة والف من هجرته صلى
الله عليه وسلم * وذلك بالطبعة الرسمية * الرافلة في حلل عز الدولة
العلوية العلية * ذات المجد الباذخ * والنسب الشامخ *

نسب كان عليه من شمس الصبحي نورا ومن فلق الصباح عمودا
سيما واسطة عقده * وتاج شرفه ومجده * الساعي في نشر المعارف والعلوم *
كاهتمامه بطبع هذا الكتاب البديع وغيره من المهمات العلمية المشهورة بين
العوام * الا وهو مولانا الارفع * الملاذ لا منع * المحفوف بسر السور والآي
سيدنا علي باشا باي * صاحب المملكة التونسية * بلغه الله من خير

لا زال سيدنا في عز دولته وظله دانيا ممن يواليه

آمين * وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين *

وقد قرصه لاديب الاكتب البارع الفاضل الشيخ عمر بن بوبكر * احد
ادباء هذا القطر * بقصيدة رائعة المباني * لطيفة المعاني * هذا نصها
سلم الحب ان تراك سليمي سالكا سبل السلام سليمي
حافظا للعهود طيا ونشورا حافظا للهوى حليفا حليفا
لا ترى في الوجود نيل كسيلي كي تكون الى نداها نديها
واعدم السلام في محبة سلمي انما الفوز ان تراك هديها
ان قيسا تصفح اليد قيسا في المحبة فاشقل سقيها
وجملا غدا يروم جهيلا فتورم واستحال ريمها
سل اهيل الغرام والوجد ميسر مارس الحب حادنا وقد يمسها
كم لها في ذرى الوري من اسير صار في شرك الومس مقيها
ما التمس وصالحها العذب لا واستلمت نوى يحاكي سموا
اعجزت باحاطها البسر حارو ت فاصبح في الهضاب مضيها
نبذت بالعراة ستري لسيما فضحت بالنهار ليل يهيها
كلما كلم الغرام فوادي عاد قلبي من الكلام كليها
صال نورود شوقها في همسرى فاذا البرد صار منه جحيها
خرقت بالجفا سفينة حبسرى فاقطعت على العوم غمرها
شربت من معين عين حياة كان بالمسك كاسها محتوما
روت الحسن من فتي يوسفى كان في الخالئين بحرا طيها
تاجها وتناجها البدر والتسبي سر فكم ابرقت وركت نسيها
ضحك الزهر عند طلعتها اذ بكث السحب ثم طاب شمها
ايها الصب ان عرتك شجون فابتسام الغروس يكفى نعيها

جمع الدر والجواهر فيهم كاجتماع المها بدار سليمان
 وعلا وحلى سنى وسهوا وفلا وحلى نسيماً وسرمها
 بلغ الجهد في نصيحتة من كان على الوعظ عازماً وزعيمها
 البس الناظرين من غير لبس حلة وشبهها يحاكي النجومها
 بل بلى قمر السماء حياء اذ رأى الحسن في الطروس رسيما
 جادة الراشدى فينا ابو حفص غدا بالجزا ترى وسيمها
 قابل الله سعيه بقبول اذ ازاح على النفوس غيومها
 وتأنق في ثمنق سعدي ثم نسق لغزها المنظومها
 فتششق اخا المودة عرفها طاب نشرها وقد افاد عمومها
 واقترب واقترب بدون تسوان حسنا وسنى قويا قويها
 واصرف العزم في معاني ابى العباس تلقى نفائسا وعلومها
 انه ابن عروس الغوث والغيث اما كان شامخا وعظيمها
 وحسبها وفاضلا ونسيمها وحييا ومشققا ورحيمها
 ونصيحها وصادقا وفصيحها وملكها وكاملا وكريمها
 ان سالت عن خلقه وسجاياها فكم على الفور جابها
 او سالت عن كفه فلكم احب سنى على الفور جابها
 او سالت عن وجهه فكان السبدر قد تم باليهما تميمها
 او على فمه فكان اذا نشر الدر والجواهر ميمها
 او سالت عن ثغره فكان السبدر اصبح في العقود نظيمها
 او سالت عن قده فكان السبدر بان قد بان في الرياض قويمها
 لا تلهي اذا تهكت فيه قد ارى اليوم من يلوم لثيمها
 فانتك العدل ان ثغره بعذل ان حر اللام كان اليمها
 عجبا كيف لا تظيش نفوس عشقت ذلك الجمال الوسيمها
 قل لمن سالت له نفسه ان يصل البدر او يهس النجومها
 سلم الامر فالهيمون قسده سان بما قد قضى عليها حكيمها

ان من حظه الوصال بلا هجر سر تراه من السلو سليمان
 سبق القوم من تزود صدقها وغدا كاطما كفيلا كنومها
 رب انى واليت سرا وجهها كل من قد اتى وليا حميمها
 وجعلت وسيلتي وامامى في لانا غوث الورى المكتومها
 احمد ابن عروس الكنز والذخر سر لهول يذيب منا الجسمها
 ورفعت براحتي راية الشكر سر وكنت على الوفا مستديما
 وخصعت لسطورة البازل الجهم سد ابى الحسن المجلى الهموما
 غرة الدهر تاج تونس نبيرا س العوالم وشيها المرقومها
 خير ركن بيت آل حسين ملكا كان بالعصاة حليمها
 جاء يرفل في برود من العدل ويدرا خائنا وخصيمها
 ايتظ النائمون حزما وعزمها واباد معنفا وظلومها
 برة السيف اذ دعاه فكان السيف من وصمة العنوق عقيمها
 تحسب البدر ان تعلى لجلى وبنيهم حول البطاح نجومها
 ملك هذب المعاني وقد ابى مدع فيها معارفا وعلومها
 وسعى في انتشار ذا المسك طبعها واخو الفضل لم يزل مستقيمها
 ابد الله مجده وجبلاها وحباه مدى الدهور نعيمها
 ما سقى الصب صيب من سماء الواصل فاخترال رافلا مستهيمها
 وصلاة على الشفيع اذا صر القوى من الوقوف سقيمها
 احمد المصطفى الرفيع المعلى اطيب لانبيا شذا ونسيمها
 ومقالا وشيعة ونفعالا ووصالا وصولته وقدمها
 وجمالا وبهجة وجمالالا ان تسلمه تجده برا رحيمها
 منبريا اضاء من وجهه البدر رومن راحته احب العديما
 وعلى الفور اذ دعا اطل الغيث سث وقد عم بالوفا تعيمها
 اعجز المادحين وصف سجاياها فكل غدا صموتا كنومها
 وعلى الآل والصحابه ما عب دتلا ويسلموا تسليمها

قد توجهت نحوهم بأفئدة
كيف يهضم من يوم كريم

ورجوت الختام إذ قلت أرخ طاجر من جاء بالبهائم

١٠٨٧ ٤١ ٥ ٩٠ ٨٠

١٢٠٢

المكتبة الوطنية